

مختصر

طبقات المشركين

يصفون بؤسهم والآلة الأولى

عبد الوهاب

تأليف

الشيخ العلامة الفقيه في تفسير القرآن الكريم

عبد الوهاب

المستأمن الفقيه جعفر الشبلي

الجزء الأول



معجم

طبقات المتكلمين

يتضمّن ترجمة رجالات العلم والفكر

عبر أربعة عشر قرناً

الجزء الأول

تأليف

اللجنة العلمية في مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام

تقديم وإشراف

العلامة الفقيه جعفر السبحاني

فهرست نویسی پیش از انتشار توسط: مؤسسة امام صادق عليه السلام

السبحاني التبريزي، جعفر، ١٣٤٧ هـ. ق. - ، المشرف
معجم طبقات المتكلمين/ تأليف اللجنة العلمية في مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام ؛ تقديم و اشراف
جعفر السبحاني . - قم : مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام ، ١٤٢٤ ق. - ١٣٨٢ ش.
ج. ١. متكلمان -- سرگذشتهامه . الف . مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام . ب . عنوان .
ISBN:964-357-126-2 (ج. ١)
٢٩٧ / ٤٩٢ BP ٢٠١ / ٢٦ م

اسم الكتاب:	معجم طبقات المتكلمين
المؤلف:	اللجنة العلمية في مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام
إشراف:	العلامة الفقيه جعفر السبحاني
الجزء:	الأول
الطبعة:	الأولى
المطبعة:	مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام - قم
التساريخ:	١٤٢٤ هـ. ق
الكمية:	٢٠٠٠ نسخة
الناشر:	مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام
الصف والإخراج باللايفوترون:	مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام

توزيع

مكتبة التوحيد

قم - ساحة الشهداء - ☎ ٧٤٣٥٤٥٧ و ٢٩٢٥١٥٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِهِمْ بِالتَّيِّ
هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ
بِالْمُهْتَدِينَ﴾.

(النحل: ١٢٥)

شكر وتقدير

أتقدّم بالشكر الجزيل إلى اللجنة العلمية في مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام تجاه ما بذلت من جهود مضيئة في تأليف هذا الكتاب وتنظيمه، وأخصّ بالذكر: الأستاذ الفدّ حيدر محمد علي البغدادي (أبا أسد) الذي لم يأل جهداً في التحقيق والتحرير وغير ذلك ممّا بذله في طريق هذا الكتاب.

كما أشكر جهود الأخ الفاضل خليل النافعي في استقصاء أسماء الأعلام وتنظيم المذكرات من خلال المراجعة الجادة في مختلف المصادر والمراجع.

جعفر السبحاني

تقديم: المشرف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الملك العلام، خالق النفوس والأجسام، الذي حارت عن إدراك كنهه العقول، وضلّت الأوهام، والصلاة والسلام على المبعوث حجة على الأنام، أقدس السفراء الفخام محمد ﷺ، وعلى الأطائب من ذريته، الحجاج الغرّ الكرام.

لما فرغت اللجنة العلمية في مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام من تأليف كتاب «موسوعة طبقات الفقهاء» وصدرت - بفضل الله تعالى - في أربعة عشر جزءاً بتقديم منّا في جزئين، وقدّر جهودها رجال العلم والدين في داخل البلد وخارجه برسائلهم وكلّياتهم، أحببت أن أردف الموسوعة بموسوعة أخرى ألا وهي «معجم طبقات المتكلمين»، التي تشتمل على رجال علم الكلام خلال أربعة عشر قرناً حتى أخدم رجال الفقه الأكبر والأصغر بهاتين الموسوعتين عسى الله أن يرزق الجميع شفاعته هؤلاء يوم القيامة، وقد استقبلت اللجنة مقترحنا بوجه طلق وصدر رحب.

ثم إنّي وضعت هذه الرسالة لتبيين تاريخ علم الكلام وكيفية نشوئه وتكامله ومدارسه والعراقيل التي كانت في مسيره لتكون كالمقدمة للموسوعة، عسى الله أن ينتفع بها رواد علم الكلام أنّه قريب مجيب.

والكلام يقع في فصول:

ما هو سبب تسمية علم الكلام بهذا الاسم؟

اختلفت كلمات أعلام المتكلمين في وجه تسمية علم الكلام ، وها نحن نذكر كلماتهم في المقام:

١ . قال العلامة الحلبي (المتوفى ٧٢٦هـ) في موسوعته «نهاية المرام في علم الكلام»:

خُصَّصَ هذا العلم باسم الكلام لوجوه:

- العادة قاضية بتسمية البحث في دلائل وجود الصانع تعالى وصفاته و أفعاله، بالكلام في الله تعالى وصفاته، فسُمِّيَ هذا العلم بذلك. ولا استبعاد في تخصيص بعض الأسماء ببعض المسميات دون بعض.

- أنكر جماعة البحث في العلوم العقلية والبراهين القطعية، فإذا سُئلوا عن مسألة تتعلق بالله تعالى وصفاته وأفعاله والنبوة والمعاد، قالوا: نُهِنَّا عن الكلام في هذا العلم، فاشتهر هذا العلم بهذا الاسم.

- هذا العلم أسبق من غيره في المرتبة، فالكلام فيه أسبق من الكلام في غيره، فكان أحقَّ بهذا الاسم.

- هذا العلم أدق من غيره من العلوم، والقوة المميزة للإنسان - وهي النطق

- إنَّما تظهر بالوقوف على أسرار هذا العلم، فكان المتكلِّم فيه أكمل الأشخاص البشرية، فسُمِّي هذا بالكلام لظهور قوة التعقُّل فيه.

- هذا العلم يُوقف منه على مبادئ سائر العلوم، فالباحث عنه كالمتكلم في غيره، فكان اسمه بعلم الكلام أولى.

- إنَّ العارفين بالله تعالى يتميزون عن غيرهم من بين نوعهم، لما شاهدوه من ملكوت الله تعالى، وأحاطوا بما عرفوه من صفاته، فطالت ألسنتهم على غيرهم فكان علمهم أولى باسم الكلام.^(١)

٢. وقال التفتازاني (المتوفى عام ٧٩١هـ):

سُمِّي علم الكلام كلاماً، لأنَّ مباحثه كانت مصدَّرة بقولهم: كلام في كذا وكذا، ولأنَّ أشهر الاختلافات فيه كانت مسألة كلام الله تعالى أنَّه قديم أو حادث، ولأنَّه يُورث قدرة على الكلام في تحقيق الشرعيات كالمنطق في الفلسفيات، ولأنَّه كثر فيه من الكلام مع المخالفين والردِّ عليهم ما لم يكثر في غيره، ولأنَّه لقوة أدلته صار كأنَّه هو الكلام دون ما عداه كما يقال للأقوى من الكلامين هذا هو الكلام.^(٢)

وقد ذكر التفتازاني أيضاً في «شرح العقائد النسفية» أسباب تسمية علم الكلام بهذا الاسم فقال: وسَمُّوا معرفة العقائد عن أدلتها بالكلام:

- لأنَّ عنوان مباحثه كان قولهم: الكلام في كذا وكذا.

- ولأنَّ مسألة الكلام (في حدوث القرآن وقدمه) كانت أشهر مباحثه وأكثر

نزاعاً وجدالاً.

١. نهاية المرام في علم الكلام: ١/ ٩٨.

٢. شرح المقاصد: ١/ ١٦٤، تحقيق الدكتور عبدالرحمن عميرة.

- ولأنه يورث قدرة على الكلام في تحقيق الشرعيات وإلزام الخصوم كالمنطق للفلسفة.

- ولأنه أول ما يجب من العلوم التي تُعلم وتُتعلم بالكلام، فأطلق عليه هذا الاسم لذلك ثم خُصَّ به ولم يطلق على غيره تميزاً له.

- ولأنه إنما يتحقق بالمباحثة وإدارة الكلام بين الجانبين، وغيره قد يتحقق بالتأمل ومطالعة الكتب.

- ولأنه أكثر العلوم خلافاً ونزاعاً فيشتد افتقاره إلى الكلام مع المخالفين والرد عليهم.

- ولأنه لقوة أدلته صار كأنه هو الكلام دون ما عداه من العلوم، كما يقال للأقوى من الكلامين هذا هو الكلام.

- ولأنه لا يثبت على الأدلة القطعية المؤيد أكثرها بالأدلة السمعية، أشد العلوم تأثيراً في القلب وتغلغلاً فيه، فسُمي بالكلام، المشتق من الكلم وهو الجرح.^(١)

وعلى كل تقدير فقد يطلق على هذا العلم، علم أصول الدين، كما يسمى أيضاً بعلم التوحيد، أو علم التوحيد والصفات، أو الفقه الأكبر، أو علم النظر والاستدلال.^(٢)

هذا خلاصة ما ذكره غير أن كثيراً منها إبداع لا يعتمد على دليل، خصوصاً ما اشتهر بين الناس من أن وجه التسمية بالكلام لأجل أن البحث في الكلام الإلهي من حيث الحدوث والقدم كان هو السبب وراء تسمية هذا العلم

١. شرح العقائد النسفية: ١٥، ط آستانة - ١٣٢٦ هـ.

٢. كشاف اصطلاحات العلوم: ٣٠؛ وعلم الكلام ومدارسه: ٥٣.

بعلم الكلام.

وذلك لأنّ البحث في الكلام الإلهي من حيث القدم والحدوث نجم في عصر المأمون عام ٢١٢هـ، مع أنّ هذا المصطلح كان دارجاً بين المسلمين قبل هذا العصر.

نظرنا في وجه التسمية

والظاهر أنّ خطب الإمام وكلّماته، كانت هي الأساس في التسمية وتدوين علم الكلام، فالمتكلّمون كانوا يستدلّون بكلام علي عليه السلام في كذا وكذا حتّى سمّي مجموع المسائل بعلم الكلام.

وسيوافيك أنّ المؤسس الأوّل لهذا العلم هو الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، فإنّه أوّل من تكلم بين الصحابة حول أسمائه سبحانه وصفاته وأفعاله بوجه بديع، وخطبه وكلّماته أفضل شاهد على ذلك.

تعريف علم الكلام

وقد عُرِّف علم الكلام بتعاريف مختلفة:

١. علم يقتدر معه على إثبات العقائد الدينية بإيراد الحجج ودفع الشبه. ^(١)
 ٢. هو العلم بالعقائد الدينية عن الأدلة اليقينية. ^(٢)
 ٣. هو ملكة يقتدر بها الإنسان على نصره الآراء والأفعال المحمودة التي صرح بها واضعُ الملة وتزييف كل ما خالفها بالأقاويل. ^(٣)
 ٤. علم يتضمّن الحجاج على العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية والرد على المبتدعة المنحرفين في الاعتقاد عن مذاهب السلف وأهل السنة. ^(٤)
- ويلاحظ على التعريف الأخير بأن المتكلم - على ضوء هذا التعريف - هو من يدافع عن أصول الدين لا عن فروعه. واختلاف السنة مع غيرهم اختلاف في الفروع لا في الأصول بما فيه الاختلاف في الإمامة، لأنها عند أهل السنة من

١. المواقيف: ١/٣٣٣؛ كشاف اصطلاحات العلوم: ٣٠.

٢. شرح المقاصد: ١/١٦٣.

٣. موسوعة مصطلحات العلوم عند العرب: ٢/١٠٦١.

٤. مقدمة ابن خلدون: ص ٤٥٨، الفصل العاشر في علم الكلام.

الفروع وجزء من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فلا معنى لتخصيص علم الكلام بالدفاع عن عقيدة السلف والسنة، بل المتكلم يدافع عن العقيدة الإسلامية المشتركة بين السنة والشيعة.

وعلى ضوء هذه التعاريف يكون علم الكلام علماً آلياً يستخدم في إثبات العقائد الدينية، إمّا بإيراد الحجج أو دفع الشبه، ويكون موضوعه العقائد الدينية من حيث إقامة الحجج العقلية عليها أو دفع الشبه عنها.

وهذا النوع من التعاريف ينطبق على الكتب المؤلفة في العصور الإسلامية الأولى التي اقتصر البحث فيها على المسائل العقائدية.

ولكن هذا الوضع لم يدم، ففي العصور المتأخرة شرع المتكلمون في البحث عن أوسع الموضوعات وهو البحث عن الوجود بما هو موجود؛ فقسّموا المباحث الكلامية إلى: الأمور العامة أولاً، والطبيعيات ثانياً، والإلهيات ثالثاً.

وعلى ضوء ذلك سار نصير الدين الطوسي (المتوفى ٦٧٢هـ) في كتابه «تجريد الاعتقاد»؛ وتبعه غير واحد من المتكلمين، منهم: العلامة الحلي في غير واحد من كتبه الكلامية لاسيّما كتاب «نهاية المرام في علم الكلام»، والقاضي الإيجي (المتوفى ٧٥٦هـ) في «المواقف»، والتفتازاني (المتوفى ٧٩١هـ) في «مقاصده» و«شرحه»، والجرجاني (المتوفى ٨١٦هـ) في «شرح المواقف»، والفاضل المقداد (المتوفى ٨٢٦هـ) في «اللواع الإلهية»، إلى غير ذلك من الكتب.

وهذه المسائل لا تمت إلى العقائد الدينية بصلة. نعم حاول محمد علي الفاروقي التهانوي من علماء القرن الثاني عشر إرجاع هذه المسائل إليها بالبيان التالي:

وموضوعه هو المعلوم من حيث إنه يتعلّق به إثبات العقائد الدينية تعلّقاً قريباً أو بعيداً، وذلك لأنّ مسائل هذا العلم إمّا عقائد دينية كإثبات القدم والوحدة للصانع، وإمّا قضايا تتوقف عليها تلك العقائد كتركيب الأجسام من الجواهر الفردة وجواز الخلاء وانتفاء الحال وعدم تمايز المعدومات المحتاج إليها في المعاد، وكون صفاته تعالى متعددة موجودة في ذاته، والشامل لموضوعات هذه المسائل هو المعلوم المتناول للموجود والمعدوم والحال، فإن حكم على المعلوم بما هو من العقائد تعلّق به إثباتها تعلّقاً قريباً، وإن حكم عليه بما هو وسيلة إليها تعلّق به إثباتها تعلّقاً بعيداً، وللبعد مراتب متفاوتة.^(١)

يلاحظ عليه: أنّه لا صلة بين إثبات الأحوال البهشية المطروحة في الأمور العامّة ونفيها والعقائد الدينية، وهكذا كثير من المسائل المطروحة في علم الطبيعيات.

وسيوافيك الرأي الحاسم في الفصل القادم.

موضوع علم الكلام

إنّ تحديد موضوع علم الكلام رهن كيفية تعريفه، فلو قلنا في تعريف علم الكلام بأنه علم يقتدر معه على إثبات العقائد الدينية بإيراد الحجج ودفع الشبه، يكون موضوعه العقائد الدينية التي أذعن المتكلم بصحتها بدلائل إجمالية، وتكون عوارضها إقامة الحجج التفصيلية عليها أو بدفع السهام المرسوقة إليها.

وأما لو قلنا في تعريف علم الكلام بأنه الباحث عن أحوال الموجود بما هو موجود كما يدلّ عليه مباحثه، فالموضوع هو الموجود بما هو موجود الذي ثبوته من البديهيات ومسائله من النظريات، فعندئذ يتحد موضوع علم الكلام مع موضوع الفلسفة، وغاية ما يمكن أن يقال في الفرق هو أنّ البحث في علم الكلام على نهج قانون الإسلام بمعنى أنّ المتكلم ملتزم بأن لا يخرج بنتيجة يخالف فيها الإسلام ولكن الفيلسوف غير ملتزم بذلك.

ينقل الإيجي في «المواقف» ويقول: وقيل الموضوع هو الموجود بما هو موجود ويمتاز عن الإلهي باعتباره، وهو أنّ البحث هاهنا على قانون الإسلام.^(١)

وعلى ضوء ذلك فالفلسفة والكلام اسمان لعلم واحد، مشتركان في عمارة

المسائل، غير أنّ همّ المتكلم في النهاية إيراد الحجج على العقائد أو دفع الشبه بخلاف الفيلسوف.

وبذلك ظهر أنّ الموضوع أحد أمرين:

أ. العقائد الدينية المبرهنة إجمالاً في غير علم الكلام. فيبحث عن العوارض الذاتية لها وهي - كما مرّ - إمّا إقامة الدليل أو دفع الشبهة.

ب. الموجود بما هو موجود الذي يؤمن به كلّ إنسان موضوعي ويبحث عن عوارضه الذاتية، وهي تقسيم الموجود إلى واجب وممكن، والممكن إلى مجرد ومادّي وهكذا.

وقد تقدّم أنّ التهانوي جعل الموضوع «المعلوم» من حيث إنّهُ يتعلّق به إثبات العقائد الدينية وكأنّهُ حاول الجمع بين الأمرين.
هذا هو المستفاد من كلمات القوم.

إيضاح وتفصيل

والحقّ أن يقال: أنّه لو قلنا بأنّ علم الكلام يتضمّن الاحتجاج على العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية والردّ على المبتدعة فموضوع علم الكلام «هو العقائد الإيمانية بعد فرضها صحيحة من الشرع من حيث الاستدلال عليها بالأدلة العقلية فترفع البدع وتزول الشكوك والشبه عن تلك العقائد».

وقد كان علم الكلام في أوائل الأمر لا يتجاوز هذا الحدّ، وكان الغرض منه هو الذبّ عن العقائد الصحيحة، فالعقائد الإيمانية موضوع والبرهنة عليها بالأدلة العقلية ورفع البدع وإزالة الشكوك من عوارضها.

ولكن علم الكلام - بمرور الزمن - تجاوز هذا الحدّ فصار يواكب الفلسفة

في حقولها الثلاثة: الأمور العامة، الطبيعيات والفلكيات، والإلهيات بالمعنى الأنخص.

فعند ذلك لا يحيص من القول من أن موضوع علم الكلام هو نفس موضوع الفلسفة، لكن الغرض الأقصى للمتكلم هو البرهنة على ما ثبت في الشرع في الحقول الثلاثة، وبالأخص ما يمت إلى العقائد بصلته؛ وهذا بخلاف الحكيم، فإن الغاية هو فهم حدود الوجود وتعييناته من الواجب إلى الممكن ومن الجوهر إلى العرض ومن المادة إلى المجرد.

وبذلك يتيسر لنا أن نقول: إن علم الكلام تطور عبر القرون، ففي القرون الأولى كان الهدف هو الدفاع عن العقائد الإيمانية فقط، ولم يكن هناك أي غرض سوى ذلك، ولكن بمرور الزمن واحتكاك الثقافات وازدهار الفلسفة لم يجد المتكلمون بداً من التوسع في المعارف الكونية من الطبيعيات والفلكيات والبحث عن القواعد العامة في الأمور العامة وغير ذلك.

وبذلك اختلفت كلمتهم في بيان موضوع العلم.

استظهار موضوع العلم من خلال غايته

إن الوقوف على موضوع العلم يحصل من خلال الوقوف على غايته، فإن غاية العلم تُحدّد موضوع العلم وبالتالي تعريفه.

فالغاية القصوى للمتكلم هي معرفة الله سبحانه وصفاته وأفعاله، ويدخل في أفعاله معرفة المعاد والأنبياء والأئمة وما يمت لهم بصلته، فإذا كانت هذه هي الغاية فلا معنى لاتخاذ الموجود بما هو موجود موضوعاً لعلم الكلام، فإن البحث عن مطلق الموجود وإن لم يكن له صلة بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله خارج عن

الغاية المتوخاة للمتكلّم، وبذلك تخرج كثير من المباحث المطروحة في الفلسفة عن علم الكلام، نظير:

١. الأمور العامة، كالبحث عن الوجود والماهية، والبحث عن العدم وأحواله إلى غير ذلك من المسائل.

٢. الطبيعيات، كالبحث عن تركيب الجسم من الهوى والصورة، أو الفلكيات إلى غير ذلك.

وقد مرّ أنّ المتكلمين في العصور الأولى لم يكن لهم همّ إلا طرح المسائل التي لها مساس بالعقائد الدينية، ولكن لما اتسعت العلوم ودام التنازع بينهم وبين غيرهم اتسعت دائرة علم الكلام إلى مسائل لا تمت إليها بصلة، وكانت الغاية من إدخال هذه المسائل هي مجازاة الفلاسفة فيها حتّى لا يُتهموا بقلّة الاطلاع وضآلة الفضل والعرفان، ولولا هذا لما شمل علم الكلام هذه المباحث.

ولذلك نرى أنّ العلامة الحليّ يذكر في غاية علم الكلام ما هذا نصّه:

إنّ الإنسان هو مدني بالطبع يفتقر في معاشه إلى غذاء ولباس ومسكن، وهذه الأمور لا يمكن صدورها عن صانع واحد وإنّما تحصل باجتماع خلق يتعاونون عليه ويتشاركون في تحصيله.

ثم إنّ الاجتماع على التعاون إنّما يتم إذا كان بين بني النوع معاملة وعدل، إذ كلّ منهم يشتهي ما يحتاج إليه ويغضب على مزاحته فيه، وبحسب هاتين يحصل الجور فيقع الهرج والمرج فمست الحاجة إلى وضع قوانين إلى كيفية العدل.

وتلك القوانين لو وضعها الناس لحصل الاختلاف، فوجب في عناية الله تعالى إرسال الأنبياء بشرائع تقتضي نظام الوجود ومجازاة الممثل لها بإحسان

ومقابلة المخالف بالعذاب الأخرى، فوجب معرفة المجازي.^(١)

ترى أنه يبين غاية علم الكلام بحاجة الإنسان إلى القوانين العادية، ولا يحصل ذلك إلا بتشريع الله سبحانه، ومعرفة القوانين تتوقف على معرفة الله سبحانه وأسمائه وصفاته وأنبيائه، وما وعد به المطيع، أو أوعده به المجرم.

فإذا كانت الغاية هي هذه، فالبحث عن الماهية والوجود والأحوال البهيمية أو عن أصالة الوجود والماهية أو المسائل الطبيعية بأجمعها يكون أمراً زائداً، ولذلك نرى أن العلامة الحلي بعدما يذكر الغاية يعرف علم الكلام بالشكل التالي:

علم الكلام هو المتكفل بمعرفة المجازي، وكيفية آثاره وأفعاله وتكاليفه على الإجمال. وذلك هو سبب السعادة الأبدية والخلاص عن الشقاء الأبدى، ولا غاية أهم من هذه الغاية.^(٢)

فإذا كانت هذه غاية علم الكلام حسب ما قرره العلامة الحلي اتضحت الأمور الثلاثة:

١. تعريف علم الكلام.

٢. موضوعه.

٣. غايته.

١. نهاية المرام: ١/ ١٢.

٢. نهاية المرام: ١/ ١٣.

التفكير فريضة إسلامية

إن الذكر الحكيم يعدّ التفكير فريضة دينية، يقول سبحانه: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هٰذَا بَاطِلًا﴾ (١).

وقد تكرر قوله سبحانه في الذكر الحكيم: ﴿أَن فِي ذٰلِكَ لَآيٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (٢).

فلو كانت الفريضة هي الحمد على ما ذكره السلف فيما يرجع إلى المبدأ والمعاد، فلماذا حثّ سبحانه على التفكير في آياته وخلقهِ؟! أليس في ذلك دعوة لمعرفة المبدئ وأسمائه وصفاته وأفعاله حسب الطاقة البشرية من خلال التدبّر في آثاره وآياته الكونية؟.

إنّهُ سبحانه عندما يندّد بالملحدين والمشركين يخاطبهم بقوله: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾، ويقول سبحانه: ﴿أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هٰذَا ذِكْرُ

١. آل عمران: ١٩١.

٢. الرعد: ٣؛ النحل: ١١؛ الزمر: ٤٢؛ الجاثية: ١٦.

مَنْ مَعِيَ وَذَكَرُ مَنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴿١﴾

وعلى ضوء ذلك فالبرهان هو مدار الإيمان والصلاح والنجاح، فمن طلب البرهان أو أبطل الوهم به، فقد عمل بالقرآن؛ وأما من أقفل على قلبه وعقله وقلد السلف دون تفكير، فقد عطل عقله وتفكيره.

ثم ما الدليل على أن السلف أفضل من الخلف، وكأن السلف قد أحاطتهم هالة من العصمة لا يخطئون ولا يشبهون. وسيافيك أن خير السلف هو الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام وأهل بيته الطاهرين، قد فتحوا باب المعارف الإلهية بوجه الأمة على ضوء الكتاب والسنة الصحيحة والعقل الحصيف الذي به عرفنا ربنا سبحانه، لا عن طريق المشاغبات والمجادلات.

إن القرآن الكريم يحث على التعقل في آياته سبحانه ويقول: ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (٢).

ويقول سبحانه: ﴿أَفَلَا لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (٣)، ويبيّن أن الغاية من ضرب الأمثال هو التعقل ويقول: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ (٤).

ويبيّن أن شر الدواب هو الإنسان الذي أغلق عقله وأعدم تفكيره، يقول تعالى: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الضُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ (٥) إلى غير ذلك من الآيات الحاثّة على التعقل.

١. الأنبياء: ٢٤.

٢. البقرة: ٢٤٢.

٣. الأنبياء: ٦٧.

٤. العنكبوت: ٤٣.

٥. الأنفال: ٢٢.

أفهل يصح تخصيص هذه الآيات بالتعقل في أمور الدنيا ومعاش الإنسان وما حوله من العلوم الطبيعية والفلكية فقط؟ أو أن مقتضى إطلاقها، هو التفكير في الطبيعة وما بعدها؟

فلو صح ما يقوله علماء السلف: «إننا أعطينا العقل لإقامة العبودية لا لإدراك الربوبية، فمن شغل ما أُعطي لإقامة العبودية بإدراك الربوبية فاتته العبودية ولم يدرك الربوبية»^(١).

فلو صحت هذه الجملة فمن المخاطب إذن بهذه الآيات التي تحتوي على براهين مشرقة؟!

﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾^(٢).

﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾^(٣).

﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ﴾^(٤).

إلى غير ذلك من الآيات التي وردت فيها أصول المعارف الإلهية التي تقع وراء الحس والطبيعة.

ثم إنه سبحانه يأمر بالشكر بعدما يذكر ببعض مواهبه من السمع والأبصار والأفئدة ويقول سبحانه: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾^(٥).

١. الإثبات والتفويض لرضا نعتان معطي، نقلاً عن الحجة في بيان المحجة: ٣٣.

٢. الطور: ٣٥.

٣. الأنبياء: ٢٢.

٤. المؤمنون: ٩١.

٥. النحل: ٧٨.

والمراد من الشكر في ذيل الآية صرف النعمة في مواضعها، فشكر السمع والبصر هو إدراك المسموعات والمبصرات بهما، وشكر الفؤاد هو درك المعقولات وغير المشهودات به، فالآية تحرض على استعمال الفؤاد والقلب والعقل في ما هو خارج عن إطار الحس وغير واقع في متناول أدواته.

ولأجل ذلك يتخذ القرآن لنفسه في هذه المجالات موقف المعلم فيعلم المجتمع البشري كيفية إقامة البرهنة العقلية على توحيده سبحانه في أمر الخلقة والتدبر.

بالله عليك أيها القارئ اقرأ الآيات التالية، ثم احكم بنفسك، هل يمكن لإنسان أن يقف على مغزاها بلا تفكير وتعقل مبني على أصول متعارفة أو موضوعة؟ فلو أعطينا العقل لإقامة العبودية لا لإدراك (مشاهد) الربوبية فماذا تهدف هذه الآيات التي أمرنا بالتدبر فيها؟!

﴿نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ﴾ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ * ءَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ * نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ * عَلَىٰ أَنْ يُبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ * وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ * أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ * ءَأَنْتُمْ تَرْزُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الرَّازِقُونَ * لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ * إِنَّا لَمَغْرُمُونَ * بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ * أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ * ءَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ * لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أَجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ * أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ * ءَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ * (١)

رغم أن علم الكلام الذي هو من أفضل مظاهر التفكير، كان ضرورة زمنية دعت المخلصين الغيارى من علماء الإسلام إلى تدوينه ونشره حتى يقوم الجيل

الحاضر بالدفاع عن حياض الشريعة بقوة وحماس، ترى أن أكثر التابعين وحتى أئمة الفقه يعارضون علم الكلام بل يجرّمونه، فهذا هو مالك والشافعي وأحمد بن حنبل وسفيان الثوري ذهبوا إلى رفض علم الكلام ومهاجمة المتكلمين.

فقد نقلوا عن الشافعي قوله في أثناء موته: لو علم الناس ما في الكلام من الأهواء لفروا منه فرارهم من الأسد.

وأما أحمد بن حنبل فقد استخدم في حقهم لفظ الزنادقة.

وأما مالك فقد رفض الكلام والمتكلمين بحجة أنهم قوم على استعداد أن يغيروا دينهم وفقاً للبراهين التي تعرض لهم أو تعرض عليهم، فقال: رأيت إن جاء عالم الكلام من هو أجدل منه أيدع دينه كلّ يوم، لدين جديد.^(١) إلى غير ذلك من الكلمات المروية عن التابعين وتابعي التابعين.

وهذا هو الإمام الأشعري لما عدل عن منهج الاعتزال والتحق بمذهب الإمام أحمد لم يحتفل به أصحاب الإمام أحمد.

قال عبد الله الحمراني: لما دخل الأشعري بغداد جاء إلى البربرهاري فجعل يقول: رددتُ على الجبائي وعلى أبي هاشم، ونقضت عليهم وعلى اليهود والنصارى والمجوس وقلت وقالوا: وأكثر الكلام، فلما سكّ قال البربرهاري: وما أدري ما قلت لا قليلاً ولا كثيراً، ولا نعرف إلا ما قاله أبو عبد الله أحمد بن حنبل. قال: فخرج من عنده وصنف كتاب «الإبانة» فلم يقبله منه، ولم يظهر ببغداد إلى أن خرج منها.^(٢)

وقد اشتهر ذمُّ علم الكلام على لسان الذين عطلوا تفكيرهم وكرّسوا

١. علم الكلام ومدارسه: ٥١-٥٢.

٢. تبين كذب المفتري: ٣٩١.

جهودهم بنقل الحديث دون وعيه ودرايته، وقد نُقلت في هذا المقام كلمات عن السلف نظير ما نقلناه. ولا بأس بذكر بعضها:

نقل ابن الجوزي بسنده عن الوليد بن أبان الكرابيسي أنه قال لبيه لما حضرته الوفاة: تعلمون أحداً أعلم بالكلام مني؟ قالوا: لا، قال: أفثتهموني؟ قالوا: لا، قال: فإني أوصيكم أتقبلون؟ قالوا: نعم، قال: عليكم بما عليه أصحاب الحديث فإني رأيت الحق معهم.

ونقل أيضاً عن إمام الحرمين أنه كان يقول: لقد جُلت أهل الإسلام جولة وعلوهم وركبُ البحر الأعظم، وغصت في الذين نهوا عنه كل ذلك في طلب الحق وهرباً من التقليد، والآن فقد رجعت عن الكلّ إلى كلمة الحق، عليكم بدين العجائز، فإن لم يدركني الحق بلطيف برّه فأموت على دين العجائز ويختم عاقبة أمري عند الرحيل بكلمة الإخلاص فالويل لابن الجويني.

وكان يقول لأصحابه: يا أصحابنا، لا تشتغلوا بالكلام، فلو عرفتُ أنّ الكلام يبلغ بي ما بلغ ما تشاغل به.

وقال أبو الوفاء ابن عقيل لبعض أصحابه: أنا أقطع أنّ الصحابة ماتوا وما عرفوا الجوهر والعرض، فإن رضيت أن تكون مثلهم فكن، وإن رأيت أنّ طريقة المتكلمين أولى من طريقة أبي بكر وعمر فبش ما رأيت، وقد أفضى الكلام بأهله إلى الشكوك وكثير منهم إلى الإلحاد، تشم روائح الإلحاد من فلتات المتكلمين، وأصل ذلك أنهم ما قنعوا بما قنعت به الشرائع وطلبوا الحقائق وليس في قوة العقل إدراك ما عند الله من الحكمة التي انفرد بها ولا أخرج الباري من علمه لخلقها ما علمه هو من حقائق الأمور.^(١)

١. انظر للوقوف على مصادر هذه الكلمات تلبس إبليس: ٨٢-٨٣، ط دار القلم، بيروت.

هذه كلماتهم في ذم التعقل والتفكر وكم لها من نظير، وعلى القارئ الكريم أن يعرض كلماتهم على الذكر الحكيم حتى يتبين الحق من الباطل، وأن يكون رائده إلى الحق كلامه سبحانه لا كلمات القوم.

مضاعفات تعطيل العقول عن التفكير

إن تعطيل العقول عن المعارف الإلهية بين أهل الحديث أو صنف منهم جرّهم إلى القول بالتشبيه والتجسيم باطناً وإن أنكروه ظاهراً، يقول ابن تيمية محيي الدعوة السلفية في القرن الثامن: أهل السنة والجماعة يؤمنون بما أخبر الله به في كتابه من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، بل هم الوسط في فرق الأمة كما أن الأمة هي الوسط في الأمم، فهم وسط كما في باب صفات الله سبحانه وتعالى بين أهل التعطيل الجهمية وأهل التمثيل (المشبهة).^(١)

والقارئ الكريم يتصوّر أنه مشى على هذا الأصل إلى آخر كتابه، ولكنه يقف على أنه سرعان ما انقلب على وجهه وارتد على أدباره وغرق في التشبيه والتجسيم ونادى به وقال:

«ومما وصف الرسول به ربه في الأحاديث الصحاح التي تلقاها أهل المعرفة بالقبول ووجب الإيمان به قوله ﷺ: ينزل ربنا إلى سماء الدنيا كل ليلة حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول: من يدعوني فاستجيب له؟ من يسألني فأعطيه؟ ومن يستغفرني فأغفر له؟ وقوله: يضحك الله إلى رجلين، أحدهما يقتل الآخر كلاهما يدخل الجنة. وقوله: لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول هل من مزيد

حتى يضع رب العزة فيها قدمه ينزوي بعضها إلى بعضه، وتقول: قط قط. وهذه الأحاديث متفق عليها.^(١)

نحن نسأل «ابن تيمية» و من لفّ لفّه: هل هو يأخذ بظواهر هذه الأحاديث التي لو وردت في حق غيره سبحانه لقطعنا بكونه جسماً، كالإنسان له أعضاؤه، أو يترك ظواهرها ويحملها على غيرها؟ فعلى الأول يقع في مغبة التشبيه، و على الثاني يقع في عداد المؤولين و هو يبتراً منهم.

وأما الأخذ بظواهرها لكن بقيد «بلا تكيف» و «لاتشبيه» - فمضافاً إلى أنه لم يرد في النصوص - يوجب صيرورة الصفات مجملة غير مفهومة، فإن واقعية النزول والضحك و وضع القدم، إنما هي بكيفيتها الخارجية، فحذفها يعادل عدمها. فما معنى الاعتقاد بشيء يصير في نهاية المطاف أمراً مجملاً و لغزاً غير مفهوم؟ فهل يجتمع هذا مع بساطة العقيدة و سهولة التكليف التي تتبناها السلفية في كتبهم؟!

فلو صحّ تصحيح هذه الأحاديث و الصفات الجسمانية بإضافة قولهم «بلا تمثيل» فليصحّ حمل كلّ وصف جسماني عليه بإضافة هذا القيد بأن يقال: الله سبحانه جسم لا كهذه الأجسام، له صدر و قلب لا كمثل هذه الصدور و القلوب، إلى غير ذلك مما ينتهي الاعتقاد به إلى نفي الإله الواجب الجامع لصفات الجمال والجلال.

إن إقصاء العقل عن ساحة العقائد و تفسير القرآن و الحديث، لا ينتج إلا إجلالسه سبحانه على عرشه فوق السماوات، يقول «ابن قتيبة» - المدافع عن الحشوية و أهل الحديث - في تفسير قوله: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾

١. نفس المصدر: ٣٩٨-٣٩٩. وسبوا فيك آراؤه الشاذة في ص ١٥٩-١٧٠.

يستوحشون أن يجعلوا لله كرسيّاً أو سريراً ويجعلون العرش شيئاً آخر، والعرب لا تعرف العرش إلا السرير، وما عُرش من السقوف والابار. يقول الله ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ﴾ أي على السرير.

وأُمّية بن أبي الصلت يقول :

مَجْدُوا الله وَهُوَ لِلْمَجْدِ أَهْلُ

رَبَّنَا فِي السَّمَاءِ أَمْسَى كَيِّراً

بالبناء الأعلى الذي سبق لنا

س وسوّى فوق السماء سريراً

شرجعا^(١) ما يناله بصـر الـ

— عين ترى دونه الملائك صوراً^{(٢)(٣)}

ترى أنّه يصور الله سبحانه ملكاً جباراً جالساً على عرشه ، والخدم دونه ينظرون إليه بأعناق مائلة ، وهو يتبجح بذلك تبجح المتكبر باستصغار الناس وذلّتهم .

ويقول أيضاً :

«كيف يسوغ لأحد أن يقول : إنه بكلّ مكان على الحلول مع قوله :

﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ أي استقر، كما قال : ﴿فَإِذَا اسْتَوَيْتَ

أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلِّ﴾ أي استقررت .

١. أي طويلاً.

٢. جمع «أصور» وهو المائل العنق.

٣. تأويل مختلف الحديث: ٦٧.

ومع قوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾.

كيف يصعد إليه شيء هو معه أو يرفع إليه عمل وهو عنده. ^(١)

ثم إنه يستشهد بكونه سبحانه في السماء بما ورد في الحديث:

«إن رجلاً أتى رسول الله بأمة أعجمية، للعتق، فقال لها رسول الله صلى

الله عليه وآله وسلم: أين الله تعالى؟

فقالت: في السماء، قال: فمن أنا؟ قالت: أنت رسول الله، فقال (عليه

السلام): هي مؤمنة، وأمر بعقها. ^(٢) فقد غاب عن «ابن قتيبة» إن المراد من

كونه سبحانه بكل مكان ليس هو حلوله فيه، بل المراد أن العالم بكل أجزائه

وذراته قائم به قيام المعنى الحرفي بالمعنى الاسمي وأن وجوده سبحانه وجود

فوق الزمان والزمانيات والمكان والمكانيات، غني عنهما، لا يحتاج إليهما،

بل هو الخالق لهما.

وأما الحديث الذي استدل به فليس فيه دلالة على تصديق رسول الله بكل

ما تعتقده الأمة، بل أنه صلى الله عليه وآله وسلم اكتفى بما أظهرت من

الاعتقاد الساذج بوجوده سبحانه ونبوة نبيه وإن أخطأت في الحكم بأنه في

السماء ولم تكن الظروف - إذ ذاك - تساعد، لتفهمها إنه سبحانه منزّه عن

المكان والزمان والجهة، وأنه ليس جسماً ولا جسمانياً حتى يحل في

السماء.

على أن الرواية، نقلت بصور مختلفة أوضحنا حالها في رسالة خاصة.

١. نفس المصدر: ٢٧١.

٢. المصدر نفسه: ٢٧٢.

شبهات منكري علم الكلام

قد عرفت أنّ التفكير فريضة إسلامية وإنّ الإنسان بطبعه يفكر وينقض ويبرم ويتطلّع إلى موضوعات قابلة للتفكير فيطلب إجابة حاسمة لها، ومع ذلك نرى أنّ أناساً يعدّون من طبقة المحدثين ينكرون علم الكلام وينددون به تحت غطاء شبهات نذكرها تباعاً: ^(١)

١. لو كان المنطق طريقاً موصلاً، لم يقع الاختلاف بين أهل المنطق، لكننا نجدهم مختلفين في آرائهم.

يلاحظ عليه: أنّ القائل استخدم المنطق في إبطال المنطق، فإنّ ما ذكره قياس استثنائي حيث قال: لكننا نجدهم مختلفين فاستنتج بأنّ المنطق ليس طريقاً موصلاً.

أضف إلى ذلك أنّ معنى كون المنطق آلة للاعتصام، هو أنّه لو استعمل استعمالاً صحيحاً يعصم من الخطأ، وأمّا أنّ كلّ مستعمل له، يستعمله صحيحاً

١. نقل قسماً من هذه الشبهات، السيد الطباطبائي في الجزء الخامس من كتاب الميزان، فلاحظ ص ٢٥٦-٢٧١، طبعة بيروت.

فلا يدّعيه أحد، وهذا نظير ما يقال: إنّ السيف آلة القطع، ولكن ليس كلّ مستعمل يستعمله، يترتب عليه القطع.

٢. أنّ هذه الأصول إنّما روّجت بين الناس لصرف الناس عن اتباع الكتاب والسنة أو لصدّهم عن باب أهل البيت، فيجب علينا الاجتناب.

يلاحظ عليه: أنّ المتكلّم لا يدّعي الاستغناء عن الكتاب والسنة، بل الكتاب والسنة الصحيحة أحد الطرق إلى معرفة الحقائق، وإنّما يستعان بالعقل أيضاً إمّا لدعم ما يستفاد منهما، أو لدفع الإشكال عنهما، أو لإثبات ما لا يستفاد منهما حسب فهمنا. كيف وأئمة أهل البيت هم الذين فتحوا باب التفكير بوجه الأئمة؟!

٣. لا حاجة إلى آثار الكفار والملاحدة مع وجود الكتاب والسنة.

يلاحظ عليه: أنّ ما نُقل عن الحكماء يشتمل على الصحيح والخطأ، والحسن والسيئ، والقرآن يدعو إلى أخذ الحسن ودون السيئ، لا إلى رفض الجميع، يقول سبحانه: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادَ* الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾^(١).

وثمة آيات وروايات كثيرة تؤكّد هذا المعنى، ولا ريب في أنّ القرآن هو الداعي إلى تعلم العلوم والأخذ بأحسنها وردّ سيئها.

وبعبارة أخرى: أنّ الكتاب والسنة يحرّثان الإنسان على التوسع في استعمال الطرق العقلية الصحيحة، أعني: المقدمات البديهية أو المنتهية إليها لتمييز الفكرة الصحيحة عن السقيمة، سواء كانت الفكرة شرعية أم غريبة.

٤. أنّ طريق السلف الصالح كان مبيّناً لطريق الكلام والفلسفة والعرفان،

وكانوا يستغنون بالكتاب والسنة عن استعمال الأصول المنطقية والعقلية.

يلاحظ عليه: أن السلف الصالح لم يكونوا على وتيرة واحدة، فعلي عليه السلام وأهل بيته وشيعتهم ولفيف من أهل السنة يرون التفكير فريضة إسلامية، وكانوا يخوضون في بحار المعارف ويستدلون بالأقيسة الصحيحة على النتائج. وأصبح دليل على ذلك خطب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام واحتجاجات تلاميذه وتابعيه.

والحاصل: أن رائدنا في الخوض في المباحث العقلية، هو قوله سبحانه: ﴿أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾^(١). فما هو المراد من الحكمة؟ فهل هي كل كلام أو فكر مقرون بالبرهان أو الدليل كما أن المراد من الجدل هو الاحتجاج على الخصم بأقواله؟

٥. وقال أبو الوفاء ابن عقيل لبعض أصحابه: أنا أقطع أن الصحابة ماتوا وما عرفوا الجوهر والعرض، فإن رضيت أن تكون مثلهم فكن، وإن رأيت أن طريقة المتكلمين أولى من طريقة أبي بكر وعمر فبئس ما رأيت.^(٢)

يلاحظ عليه: أن معنى ذلك إيقاف ركب العلم عن التقدم، فلا شك أن العلوم الكونية قد تقدمت وكشفت عن مكامن وقوانين لم تكن معروفة للصحابة، أفصح - في منطق العقل - رفض هذه العلوم بحجة أن الصحابة كانوا يجهلونها؟! لا أدري متى أصبحت طريقة الصحابة محوراً للحق ومعياراً لتمييز الصحيح عن الفاسد... والقرآن يدعو إلى التفكير في السماوات والأرض ويقول: ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^(٣)، ويقول: ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ

٢. تليس إبليس: ٨٣، مَرَّ نَقْلَ ذَلِكَ أَيْضاً فِي ص ٢٣.

١. النحل: ١٢٥.

٣. الأعراف: ١٨٥.

بَيِّنَاتُهَا وَزَيَّنَاتُهَا»^(١) إلى غير ذلك من الآيات الحاثّة على التفكير في عالم المادة.

٦. أنّ العقول بريئة أصحّ البراءة وأوضحها عما ادّعوا عليها من معرفة وجوب ما لم يرد به كتاب من الله تعالى، ومن معرفة صحّة ما يناقض الآيات القرآنية، فأنّه قد وضّح للمحقّقين من نظار العقلاء وأذكيائهم أنّه لا تعارض بين صحيح السمع وصحيح العقل، وأنّ أصل البدع كلّها يوهّم التعارض بينهما.^(٢) وحاصل الشبهة يرجع إلى أمرين:

أ. عدم وجوب معرفة ما لم يرد به كتاب من الله تعالى.

ب. أنّ العقول بريئة من معرفة صحّة ما يناقض الآيات القرآنية.

يلاحظ على الأوّل: بأنّ المتكلّم - في مجال العقائد - لا يهتّم إلاّ بمعرفة ما جاء في الكتاب والسنة معرفة علمية لا تقليدية، فهو عندما يتلو قوله سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذْ أَذْهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾^(٣) يريد أن يفهم مغزى هذه الآية بتحاليل عقلية، فلا هدف للمتكلّم إلاّ معرفة ما ورد في كتاب الله وسنة نبيّه، لكن معرفة رعاية لا معرفة رواية.

وأما في غير مجال العقائد فالقرآن ليس كتاباً في العلوم الطبيعية أو الرياضية أو الفلكية لكي تغنينا دراسته عن دراسة سائر العلوم، ولو قلنا بمقالة القائل لوجب إغلاق كافة المراكز العلمية.

وأنتى لنا نسبة هذه الفكرة إلى الإسلام وهذا كتابه المجيد يتحدّث فيما يرجع إلى العلم قرابة ٨٠٠ مرة، أفيصحّ أن نرمي الإسلام بأنّه يصدّد أبناءه عن دراسة ما ليس في كتابه؟!

٢. إيثار الحق على الخلق: ١١٢.

١. ق: ٦.

٣. المؤمنون: ٩١.

وبلاحظ على الثاني: أنه يمتنع التعارض بين القطعيين، وقد حققنا في محله أنه لا بدّ في تعارض العلم مع القرآن الكريم من ملاحظة أمرين: إمّا القول بأنّ ما أثبتته العلم ليس علماً بل تخيّل، أو أنّ ما نفهمه من القرآن ليس فهماً صحيحاً، وإلّا فيمتنع التعارض بين القطعيين.

٧. أنّ علم الخلائق في (علم الله) مثل لا شيء في جنب ما لا نهاية له، والقصد، أنّ من عُرف منه الخطأ في الجليات فكيف يكون حاله متى خاض في هذه الخفيات، وتترك عبارات الحق الذي نصّ على أنّها لا تُبدل كلماته، وأنّه لا معقّب لحكمه، وأنّ كتابه لو كان من عند غيره لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً، وأنّه نور وشفاء وهدى لا ريب فيه، فكيف تترك عبارات هذا المعجز الباهر وتبدل بعبارات من لا عصمة له عن الخطأ بل عن القبائح والكفر.^(١)

يلاحظ عليه: أنّ المتكلم لا يدّعي أنّ علمه يساوي علم الله سبحانه، إذ لا يتكلّم بذلك إلّا المجنون، كيف وهو يقرأ في كتابه العزيز: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً﴾.^(٢)

ثم إنّ المتكلم في العقائد الدينية لا يهدف إلى إثارة عبارات الآخرين على عبارات المعجز الباهر (فأين التراب من رب الأرباب؟) وإنّما يريد أن يستثمر العقل الذي وهبه الله سبحانه لهذا الموجود فيسلط الضوء على آفاق وآفاق، ليتعرف على أحكامها من الإمكان والوجوب والامتناع، وأين ذلك من ترك كتاب الله؟!

وحصيلة الكلام: أنّ ما كتبه ابن الجوزي في «تلبيس إبليس» و ابن الوزير

١. إثارة الحق على الخلق: ١٣٨، ط دار الكتب العلمية، بيروت.

٢. الإسراء: ٨٥.

في «إيثار الحق على الخلق» وما جمعه مؤلف «علاقة الإثبات والتفويض»^(١) من كلمات المنتمين إلى السلف، كلَّها مشاغبات ومناظرات في غير محلِّها، تكشف عن أنَّ هؤلاء لم يَمسُوا كتاباً كلامياً، ولم يناظروا متكلماً إسلامياً.

إنَّ الإسلام دين عالمي تكلم في الكون والتشريع بأبسط الوجوه، ومن المعلوم أنَّ خصومه يتربصون به الدوائر فيثيرون عجاجة الشبهات على أصوله وفروعه بين حين وآخر، وطبيعة الحال تقتضي أن يكون هناك علماء أفذاذ محيطون بمنطق الخصم وحقيقة الإسلام، ليردّوا عنه سهام الأعداء، ويصونوا المسلمين من الوقوع في مصائد هؤلاء، والمتكلم هو ذلك الإنسان الرسالي المدافع بمنطقه وأسلوبه عن كيان الإسلام وعقيدة المسلمين بأساليب مختلفة وفي كلّ زمان.

فلو ترك الإسلام دون أن يناظر في أصوله وفروعه لاعتراه الوهن وتحدّ نوره، وانطلاقاً من ذلك صار علم الكلام ضرورة زمنية ملحة.

نعم إنَّ العقيدة الإسلامية التي هي عصارة الكتاب العزيز، والسنة النبوية، بنيان مرصوص لا تتزعزع بالترهات والشبهات، فهي كالجبل الراسخ لا تحركه العواصف.

نعم العقيدة الإسلامية - كما وصفت - لها رصيدها الغيبي، وهي مستقاة من الوحي الذي لا يتطرق إليه الخطأ.

لكن الذي يُحفّز المفكر الإسلامي على مزاولته علم الكلام ومدارسته، والتطلع إلى سائر المدارس البشرية أو الإلحادية، هي أمور نشير إليها إجمالاً:

١. أنَّ المجتمع البشري صار - اليوم - قصرية واحدة، والمسلمون يعيشون

في أجواء وثنايا التيارات المتضادة وهم ليسوا ببيعيدين عن أصحاب العقائد المختلفة، ومن الواضح أنّ التعايش على صعيد واحد، يستلزم احتكاكات ثقافية، وتبادل أفكار و معلومات، الأمر الذي يُفضي إلى اختلاط الآراء الحقّة بالدعاوي الباطلة التي تناقض العقيدة الإسلامية، ففي مجال تمحيص الحق، واستخلاصه من دنيا الباطل، لا محيص عن علماء وإعین يفرزون الأفكار الإسلامية الصحيحة، عن غيرها من الأفكار السقيمة، والأصول الصحيحة عن الأصول الباطلة بطرق علمية.

٢. لم يزل أصحاب الديانات الباطلة - بعد أن قبض النبي ﷺ - يسعون إلى طرح شبهات وإثارة تشكيكات فيما نزل به القرآن الكريم ودعا إليه النبي الأكرم، بُغية إزالة الإيمان عن قلوب المؤمنين، كما هو واضح لمن قرأ تاريخ الإسلام، ومكافحة علمائه مع الملحدين في الأدوار المختلفة، خصوصاً في أواخر العصر الأموي وأوائل العصر العباسي حيث تمتعت اليهود والنصارى والأسرى بحرية تامة في بيان العقائد ونشر الآراء والمعتقدات وبثّ الشكوك والشبهات بأمان وحرية كاملة.

وهذا هو مفضل بن عمر الجعفي الكوفي الذي عاصر الأئمة الأربعة من الباقر إلى الرضا عليه السلام يشرح لنا مدى الحرية التي نالها أصحاب المدارس الإلحادية في ذلك العصر ويقول:

كنت ذات يوم بعد العصر جالساً في الروضة بين القبر والمنبر وأنا مفكّر فيما خصّ الله تعالى به سيّدنا محمّداً ﷺ، من الشرف والفضائل، وما منحه وأعطاه وشرفه وحباه، ممّا لا يعرفه الجمهور من الأمة وما جهلوه من فضله وعظيم منزلته، وخطير مرتبته، فأنيّ لكذلك إذ أقبل «ابن أبي العوجاء» فجلس بحيث

أسمع كلامه، فلما استقرّ به المجلس إذا رجل من أصحابه قد جاء فجلس إليه، فتكلّم «ابن أبي العوجاء» فقال: لقد بلغ صاحب هذا القبر العز بكماله، وحاز الشرف بجميع خصاله، ونال الخطوة في كلّ أحواله؛ فقال له صاحبه: إنّه كان فيلسوفاً ادّعى المرتبة العظمى، والمنزلة الكبرى، وأتى على ذلك بمعجزات بهرت العقول، وضلّت فيها الأحلام، وغاصت الأبواب على طلب علمها في بحار الفكر، فرجعت خاسئات وهي حُسْر، فلما استجاب لدعوته العقلاء والفصحاء والخطباء، دخل الناس في دينه أفواجا، فقرن اسمه باسم ناموسه فصار يهتف به على رؤوس الصوامع، في جميع البلدان والمواضع التي انتهت إليها دعوته، وعلتها كلمته، وظهرت فيها حجته برأ و بحرأ، سهلاً و جبلاً، في كلّ يوم وليلة خمس مرّات مردداً في الأذان والإقامة، ليتجدد في كلّ ساعة ذكره، ولئلاّ يخمل أمره.

فقال «ابن أبي العوجاء»: دع ذكر محمد ﷺ فقد تحير فيه عقلي، وضلّ في أمره فكري، وحدثنا في ذكر الأصل الذي يمشي به... ثم ذكر ابتداء الأشياء، وزعم أنّ ذلك بإهمال لا صنعة فيه ولا تقدير، ولا صانع ولا مدبّر، بل الأشياء تتكون من ذاتها بلا مدبّر، وعلى هذا كانت الدنيا لم تزل ولا تزال!

محاورة المفضل مع ابن أبي العوجاء

(قال المفضل): فلم أملك نفسي غضباً وغيظاً وحنقاً، فقلت: يا عدو الله ألحدت في دين الله، وأنكرت الباري جلّ قدسه الذي خلقك في أحسن تقويم، وصوّرك في أتم صورة، ونقلك في أحوالك حتى بلغ إلى حيث انتهيت.

فلو تفكّرت في نفسك وصدقك لطيف حسك، لوجدت دلائل الربوبية وآثار الصنعة فيك قائمة، وشواهد جلّ وتقدّس في خلقك واضحة، وبراهينه لك

لائحة.

فقال: يا هذا إن كنت من أهل الكلام كلمناك، فإن ثبت لك حجة تبعناك، وإن لم تكن منهم فلا كلام لك، وإن كنت من أصحاب جعفر بن محمد الصادق فما هكذا يخاطبنا، ولا بمثل دليلك يجادلنا، ولقد سمع من كلامنا أكثر مما سمعت، فما أفحش في خطابنا، ولا تعدى في جوابنا وأنه الخليم الرزين، العاقل الرصين، لا يعتريه خرق ولا طيش ولا نزق، يسمع كلامنا، ويصغي إلينا، ويتعرف حجتنا، حتى إذا استفرغنا ما عندنا، وظننا أننا قطعناه، دحض حجتنا بكلام يسير، وخطاب قصير، يلزمنا به الحجة، ويقطع العذر، ولا نستطيع لجوابه رداً، فإن كنت من أصحابه فخاطبنا بمثل خطابه.

خروج المفضل من المسجد

قال المفضل: فخرجت من المسجد محزوناً مفكراً فيما يلي به الإسلام وأهله من كفر هذه العصابة وتعطيلها، فدخلت على مولاي عليه السلام فرأني منكسراً، فقال: مالك؟ فأخبرته بما سمعت من الدهريين وبما رددت عليهما. فقال: يا مفضل لألقين عليك من حكمة الباري جلّ وعلا و تقدّس اسمه في خلق العالم، والسباع، والبهائم، والطيور، والهوام، وكلّ ذي روح من الأنعام والنبات والشجرة المثمرة، وغير ذات الثمر والحبوب، والبقول، المأكول من ذلك وغير المأكول، ما يعتبر به المعتبرون، ويسكن إلى معرفته المؤمنون، ويتحير فيه الملحدون، فبكر عليّ غداً.^(١)

ثم إن الإمام أملى عليه دروساً في مجالس أربعة، شرح فيها برهان النظم

١. توحيد المفضل: ٣٩-٤٣، ط النجف الأشرف مع تقديم كاظم المظفر؛ بحار الأنوار: ٣/ ٥٧.

التوأم مع وجود الهادفة في عالم الكون المنظم، وقد طبعت باسم توحيد المفضل غير مرة، وترجمت إلى عدة لغات.

فلولا هذه الشمس المضيئة والأقمار المنيرة لغطت ظلمة الباطل الأقطار كلها، وأصبحت كلمة التوحيد كحديث أمس الدابر لا ترى منها أثراً.

وقد أخبر الرسول عن هؤلاء الرجال الغياري على الإسلام الذابين عن أضوله وفروعه في حديثه الذي رواه الكشي في رجاله قال:

يحمل هذا الدين في كل قرن عدول ينفون عنه تأويل المبطلين وتحريف الغالين وانتحال الجاهلين كما ينفي الكير خبث الحديد.^(١)

ففي هذا الجو الذي يتدرع فيه الخصم - اليوم - بسلاح العلم، ويشن الهجوم على عقائدنا ومقدساتنا، لا محيص من التدرع بنفس السلاح حتى يرد الحجر من حيث جاء.

ونعم ما قاله المصلح السيد شرف الدين العاملي: «لا يأتي الهدى إلا من حيث أنت الضلالة».

وقد دخل الإمام الصادق من حيث دخل ابن أبي العوجاء وحل شبهته، على الأصول التي اعتمد عليها ضمن مجالس أربعة.

٣. ولو شك باحث في لزوم دراسة المذاهب والمدارس العقائدية في الحقب الغابرة، فلا يرتاب في لزومه في العصر الراهن الذي تطورت فيه أجهزة الإعلام والاتصالات اللاسلكية، وتوفر فيه البث المباشر عبر الأقمار الصناعية، فتحاك الشبهة في الغرب في ساعة وثبتت بعد دقيقة في الشرق وتعم العالم كله.

ومن هنا تفرض المسؤولية على المسلم الغيور أن يلمّ بعلم الكلام وقواعده ليشكل سداً منيعاً أمام التيارات الهدامة للدين.

ويطيب لي ذكر ما أبرق به شيخ إسلام العثمانيين - قبل غلبة العلمانية - إلى المرجع الأعلى في النجف الأشرف الشيخ محمد كاظم الخراساني (١٢٥٥- ١٣٢٩هـ) وحاصل البرقية أنّ هذا السيل الجارف باسم الحضارة الحديثة انطلق من الغرب إلى الشرق إذا لم يكن أمامه سدّ منيع، سيطيح بالدين الإسلامي والحضارة الإسلامية.

وهذا ما أبرق به عام ١٣٢٧هـ، فما هو هذا السد الذي سيقف أمام هذا التيار الزاحف؟ إنه ليس إلّا دعم العقيدة الإسلامية ومكافحة الأمية بالاسلوب العلمي، وهو ما نعتبر عنه بعلم الكلام والتفكير المنطقي.

القول الحاسم في المقام

إنّ هؤلاء - أي الذين يجرّمون الخوض في المعارف العقلية، ويقولون: إنّ واجبنا هو الإيمان والإقرار أو التلاوة والسكوت - خلطوا مرحلة الإيمان القلبي المطلوب من جميع الناس، بمرحلة الفهم والنظر العقلي الذي لا يقوم به إلّا الأمثال من الناس، وأصحاب المواهب والمؤهلات الفكرية الخاصة، وما ذكره راجع إلى المرحلة الأولى، فإنّ الإيمان المنقذ من الضلال والعذاب، هو الاعتقاد بصحة ما جاء في الكتاب العزيز حول أسمائه وصفاته وأفعاله، حتى في مجالات الصفات الخبرية من اليد والوجه والعين والاستواء على العرش، وبما أنّ الأكثرية الساحقة لا يستطيعون فهم ما فيها من الدقائق والمعارف وربما يكون الخوض فيها متعباً إلى ما لا يحمد، فإنّه يكفي لهم الإيمان والإقرار والإمرار والسكوت، وما

نقل عن الإمام مالك (المتوفى ١٧٩هـ): إياكم والبدع، قيل: يا أبا عبد الله ما البدع؟ قال: أصحاب البدع هم الذين يتكلمون في أسمائه وصفاته وكلامه وعلمه وقدرته، ولا يسكتون عما سكت عنه الصحابة والتابعون لهم بإحسان. ^(١) لعلّه ناظر إلى هذه الطائفة الذين لو خاضوا فيها، فسدوا وأفسدوا، ولم يأتوا بشيء.

وأما إذا انتقل إلى المرحلة الثانية، أي مرحلة الفهم والدراية والبحث والنظر وصياغة العقائد في ضوء الكتاب والسنة والعقل، فلا يصحّ له الاكتفاء بالإقرار والإمرار، فإن الاستطلاع أمر طبيعي للبشر، وهو أحد الأبعاد الأربعة الروحية له، فلا يمكن كبح جماح فهمه ونظره بحجة أنّ الصحابة والتابعين سكتوا عنه، وكأنّ السلف هم القدوة دون الذكر الحكيم، ودون النبي ﷺ وعترته الذين تكلموا فيها، وأضاءوا الطريق لسالكه، وكأنّ قوّة التفكير والنظر والمواهب العقلية المودعة في الإنسان خلقت سدئ وبلا غاية.

وهل يمكن أن يفرض على عمالقة الفكر وأصحاب المواهب العقلية أن يقفوا دون هذه المعارف ويطفئوا أنوار عقولهم ليصبحوا كأجلاف البيداء لا هم لهم سوى الأكل والشرب والسير طلباً للماء والعشب؟!

وعلى هذا فيجب تصنيف الناس إلى صنفين: قابل وغير قابل، مستعدّ وغير مستعدّ، فلو صحّ الحرمان فإنّها للسوقّة من الناس دون من أوتي تفكيراً قوياً واستعداداً وقادراً.

ثمّ إنّه كما يجب تصنيف الناس، يجب تصنيف المسائل بين ما يمكن للإنسان الخوض فيه والرجوع عنها بفكرة صحيحة، وما لا يمكن للإنسان دركه

١. الدكتور أحمد محمود صبحي: في علم الكلام: ١/ ٢١ نقلاً عن تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية، لمصطفى عبد الرازق: ١٥٥، طبعة ١٩٤٤م.

وفهمه، فإنَّ البحث عن ذاته سبحانه أمر غير ممكن، إذ ليس كمثله شيء حتى يعرف الذات به، ولأجل ذلك ورد النهي الأكيد عن البحث والجدال في ذاته، ومثله البحث عن حقيقة الوحي والنبوة، أو عن حقيقة الجنة والنار، إلى غير ذلك من الأمور الغيبية التي لا يلمسها ولا يدركها إلا نبي يوحى إليه أو إنسان خرج من الدنيا ودخل الآخرة، والواجب فيها الإيمان فقط، قال سبحانه: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾^(١) فإنَّ الإنسان المحبوس في سجن المادة، لا يمكن له درك حقيقتها، وإن كان له حقُّ البحث عن آثار الوحي والنبوة وخصائصها.

أضف إلى ذلك أنَّه لا مفرَّ للمانعين عن الخوض في المعارف القرآنية بل العقلية على الإطلاق، من سلوك أحد طريقتين:

١. التلاوة والسكوت والإمرار والإقرار وتفويض معانيها إلى مُنزلها.

٢. الأخذ بظواهر الآيات الحرفية وتفسيرها بظواهرها الحرفية.

أما الأول فينتهي إلى تعطيل العقول عن المعارف وبالتالي يتنزَّل الإنسان إلى حدِّ الحيوان، وتكون وظيفة الحكيم العارف المقتدر على درك دقائق التوحيد ورقائقها، هي نفس وظيفة الجاهل البائل على عقبه، في مجال العقيدة والتفكير، وهو كما ترى.

وأما الثاني فهو ينتهي إلى التشبيه والتجسيم، وأقصى ما عند هؤلاء الذين يأخذون بالظواهر الحرفية هو ضمُّ كلمة «بلا كيف ولا تمثيل» إلى مفاد هذه الآيات، فيقولون: إنَّ لله يداً ورجلاً و عيناً واستواءً على العرش بنفس المعنى اللغوي، ولكن بلا كيف ولا تمثيل.

يلاحظ عليه أولاً: أنه لم ترد تلك الجملة (بلا كيف) في نص قرآني ولا سنة نبوية، فمن أين لهم هذه الجملة وتفسير الآيات على ضوءها؟!

وثانياً: أن اليد وأضرابها موضوعة حسب اللغة للأعضاء المحسوسة، التي لها هيئات ومواصفات وهي مقوماتها، فإجراؤها على الله سبحانه مع حفظ المقومات، يستلزم التشبيه والتمثيل، ومع عدمها، يستلزم التأويل، فاليد في ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾^(١) إما مستعملة في اليد المحسوسة فهو مثار التشبيه، وإما في غيرها فهو مثار التأويل الذي يفرون منه فرار المذكوم من المسك.

وهذه المضاعفات ناشئة عن الجمود على الظواهر الحرفية والأخذ بالظهور التصوري، دون الظهور التصديقي الذي لا يخالف العقل قيد شعرة في آية من الآيات.

إن الدعوة السلفية التي أحدثت ضجة في القرن الرابع عشر قد طرحت الصفات الخبرية على صعيد البحث في الآونة الأخيرة، وتصرّ على الأخذ بمعانيها الحرفية، وقد عرفت أنها تنتهي إلى التجسيم أو التأويل.

ومن المؤسف جداً أن المتقدمين من السلف كانوا يصرون على الأخذ بحرفية الصفات، وإليك بعض نصوصهم:

١. قيل لعبد الله بن مبارك: كيف يعرف ربنا؟ قال: بأنه فوق السماء السابعة وعلى العرش بائن من خلقه.

٢. وقال الأوزاعي: إن الله على عرشه، ونسؤمن بما وردت به السنة من صفاته.

٣. وقال الدارمي في مقدمة كتابه «الرد على الجهمية»: استوى على عرشه فبان من خلقه.

٤. وقال القرطبي في تفسير قوله سبحانه: ﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾^(١)، وقد كان السلف لا يقولون بنفي الجهة ولا ينطقون بذلك، بل نطقوا بهم، والكافة بإثباتها لله تعالى كما نطق كتابه وأخبرت رسله ولم ينكر أحد من السلف الصالح أنه استوى على عرشه حقيقة.^(٢) ﴿ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ اهْتَدَىٰ﴾.^(٣)

الدعوة إلى العلوم الحسية

قد عرفت أدلة المتقدمين على منع الخوض في المعارف الإلهية، وهناك من يؤيد تلك الفكرة لكن بثوب جديد وهو أن العلم المفيد هو العلم المعتمد على الحس والتجربة، فالخارج عن ذينك الحكمين لا يفيد شيئاً. وفي ذلك يقول فريد وجدي في بعض كتبه:

بما أن خصوصاً يعتمدون على الفلسفة الحسية والعلم الطبيعي في الدعوة إلى مذهبهم، فنجعلهما عمدتنا في هذه المباحث، بل لا مناص لنا من الاعتماد عليهما، لأنهما اللذان أوصلا الإنسان إلى هذه المنصة من العهد الروحاني.^(٤)

١. الأعراف: ٥٤.

٢. لاحظ للوقوف على مصادر هذه الأقوال كتاب «علاقة الإثبات والتفويض»: ٤١، ٤٨، ٦٨.

١١٥.

٣. النجم: ٣٠.

٤. على أطلال المذهب المادي: ١٦/١.

وقال أبو الحسن الندوي :

وقد كان الأنبياء ﷺ أخبروا الناس عن ذات الله وصفاته وأفعاله وعن بداية هذا العالم ومصيره وما يهجم على الناس بعد موتهم ، آتاهم الله علم ذلك كله بواسطة علمهم عفوياً بلا تعب ، وكفاهم مؤونة البحث والفحص في علوم ليس عندهم مبادؤها ولا مقدماتها التي يبنون عليها بحثهم ليتوصلوا إلى مجهول ، لأن هذه العلوم وراء الحس والطبيعة لا تعمل فيها حواسهم ، ولا يؤدي إليها نظرهم ، وليست عندهم معلوماتها الأولية .

إن الذين خاضوا في الإلهيات من غير بصيرة وعلى غير هدى جاءوا في هذا العلم بآراء فجّة ، ومعلومات ناقصة ، وخواطر ساذجة ، ونظريات مستعجلة فضّلوا وأضلّوا .^(١)

و يلاحظ على كلا التقريرين :

أولاً: إن الاعتماد على الفلسفة الحسية والتركيز على الحس من بين أدوات المعرفة ، مقتبس من الفلسفة المادية التي ترفض الاعتماد على العقل و أدواته و لاتعترف إلا بالحس و تحسبه أداة منحصرة للمعرفة ، و العجب أن يلهج بهذا الأصل من يدعي الصلة بالإسلام و يعد من المناضلين ضد الفلسفة المادية ، ففي القول بهذا ، إبطال للشرائع السماوية ، المبينة على النبوة و الوحي و نزول الملك و سائر الأمور الخارجة عن إطار الحس ، و التي لاتدرك إلا بالعقل و البرهنة ، فمن العجيب أن يلعب فريد وجدي و مقلّد الدعوة السلفية «أبو الحسن الندوي» بحبال المادية من غير شعور ولا استشعار.

و ثانياً: إنه لو صحَّ قول « الندوي » إنَّ: « هذه العلوم وراء الحسّ و الطبيعة لاتعمل فيها حواسّهم ، و لايؤدّي إليها نظرهم ، و ليست عندهم معلوماتها الأولى » ، فلماذا يطرح الذكر الحكيم لفيفاً من المعارف ، و يحترض على التدبّر فيها و هي ممّا يقع وراء الحسّ و الطبيعة ، و ليست الغاية من طرحها هو التلاوة و السكوت حتى تصبح الآيات لقلقة لسان لاتخرج عن تراقي القارئ بدل أن تتسلّل إلى صميم الذهن و أعماق الروح ؟!

المصير المأساوي للفلسفة

لقد مُنيت الفلسفة بنفس ما مُني به علم الكلام، والمراد من الفلسفة هو التفكير العقلي في صفحة الكون والوجود، وقد انتقلت الفلسفة إلى أوساط المسلمين عن طريق المترجمين في عصر العباسيين، ولما كان فيها من الآراء ما لا يوافق الأصول المسلّمة عند المسلمين، قام المتطرفون بتحريم الكلّ وتكفير المتعاطي لها خلافاً لقوله سبحانه: ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾، لكن المنصفين من علماء الإسلام حافظوا على الاعتدال، فأخذوا الصحيح منها ونقدوا الباطل وتلقّوها ثروة فكرية بشرية لا تختص بفئة دون فئة، لكنّها بحكم أنّها حصيلة الفكر البشري لا تخلو عمّا يخالف الحقّ، وهما نحن - على وجه الإيجاز - نذكر كلمات بعض المنكرين لها بتاتاً :

١. الغزالي (٤٥٠-٥٠٥هـ)

ألّف الغزالي كتابه المعروف «تهافت الفلاسفة» وهو يضمّ عشرين مسألة عاجلها الفلاسفة القدماء ورأى تناقضهم فيها، فكفرهم في ثلاث منها، دون غيرها من المسائل التي رأى أنّها قريبة من عقائد المعتزلة وغيرهم، وقد ذكر الغزالي

المسائل العشرين في ديباجة الكتاب ونحن نذكرها حسب ما ذكره، قال:
 التي أظهرنا تناقض مذهبهم فيها في هذا الكتاب وهي عشرون مسألة:
 المسألة الأولى: إبطال مذهبهم في أزلية العالم.
 المسألة الثانية: إبطال مذهبهم في أبدية العالم.
 المسألة الثالثة: بيان تلبسهم في قولهم: إنّ الله صانع العالم، وإنّ العالم
 صنعه.

المسألة الرابعة: في تعجيزهم عن إثبات الصانع.
 المسألة الخامسة: في تعجيزهم عن إقامة الدليل على استحالة إلهين.
 المسألة السادسة: في إبطال مذاهبهم في نفي الصفات.
 المسألة السابعة: في إبطال قولهم: إنّ ذات الأوّل لا تنقسم بالجنس
 والفصل.

المسألة الثامنة: في إبطال قولهم: إنّ الأوّل موجود بسيط بلا ماهية.
 المسألة التاسعة: في تعجيزهم عن بيان أنّ الأوّل ليس بجسم.
 المسألة العاشرة: في بيان أنّ القول بالدهر ونفي الصانع لازم لهم.
 المسألة الحادية عشرة: في تعجيزهم عن القول بأنّ الأوّل يعلم غيره.
 المسألة الثانية عشرة: في تعجيزهم عن القول بأنّه يعلم ذاته.
 المسألة الثالثة عشرة: في إبطال قولهم: إنّ الأوّل لا يعلم الجزئيات.
 المسألة الرابعة عشرة: في قولهم: إنّ السماء حيوان متحرك بالإرادة.
 المسألة الخامسة عشرة: في إبطال ما ذكره من الغرض المحرّك للسماء.
 المسألة السادسة عشرة: في إبطال قولهم: إنّ نفوس السماوات تعلم جميع
 الجزئيات.

المسألة السابعة عشرة: في إبطال قولهم باستحالة خرق العادات.

المسألة الثامنة عشرة: في قولهم: إن نفس الإنسان جوهر قائم بنفسه ليس بجسم ولا عرض.

المسألة التاسعة عشرة: في قولهم باستحالة الفناء على النفوس البشرية.

المسألة العشرون: في إبطال إنكارهم لبعث الأجساد، مع التلذذ والتألم في الجنة والنار بالذات والآلام الجسمانية.

فهذا ما أردنا أن نذكر تناقضهم فيه من جملة علومهم الإلهية والطبيعية، وأمّا الرياضيات فلا معنى لإنكارها ولا للمخالفة فيها، فإنّها ترجع إلى الحساب والهندسة.

وأما المنطقيات فهي نظر في آلة الفكر في المعقولات، ولا يتفق فيه خلاف به مبالاة، وسنورد في كتاب «معيّار العلم» من جملته ما يحتاج إليه لفهم مضمون هذا الكتاب إن شاء الله.^(١)

أقول: وقبل الكلام في المسائل الثلاث التي كُفّر بها الفلاسفة نلفت نظر القارئ إلى نكتة وهي أنّ قسماً من هذه المسائل مبنيّ على أصول الهيئّة البطليموسية، أعني: المسائل الرابعة عشرة - الثامنة عشرة، فليس في الكون سماء حسب التفكير البطليموسي، حتّى نتكلّم في خصوصياتها، نعم لا شكّ أنّ القول بقدم العالم الملازم لاستغنائه عن الخلق والإيجاد كفر لا يتفوّه به الموحد فضلاً عن المسلم، وهكذا إنكار علمه سبحانه بالجزئيات، إذ صريح الآيات المتضافرة على أنّه لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء. كما هو مقتضى البراهين الفلسفية التي غفل عنها الغزالي.

ويقرب من ذلك إنكار حشر الأجساد، فإن المعاد الجسماني من ضروريات الدين، يقول سبحانه: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾^(١)، وأما ما سوى ذلك فإنها هي آراء فلسفية أو كلامية وليست من أسباب الإيمان والكفر.

لكن الكلام في ثبوت الصغريات، فهل الفلاسفة المسلمون كانوا ينكرون حدوث العالم ويعتقدون بقدمه؟ وهل الفلاسفة الإسلاميون كلهم على النحو الذي يصفهم هو بقوله: قد رأيت طائفة يعتقدون في أنفسهم التميز عن الأتراب والنظر بمزيد الفطنة والذكاء، قد رفضوا وظائف الإسلام من العبادات، واستحقروا شعائر الدين: من وظائف الصلوات، والتوقي عن المحظورات، واستهانوا بتعبّدات الشرع وحدوده ولم يقفوا عند توقيفاته وقيوده، بل خلعوا بالكلية ربة الدين بفنون من الظنون، يتبعون فيها رهطاً يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجاً وهم بالآخرة هم كافرون، ولا مستند لكفرهم غير تقليد سماعي إلفي كتقليد اليهود والنصارى، إذ جرى على غير دين الإسلام نشأهم وأولادهم؟ وعليه درج آبائهم وأجدادهم، وغير بحث نظري، صادر عن التعثر بأذيال الشبه، الصارفة عن صوب الصواب، والانخداع بالخيالات المزخرفة كلامع السراب، كما اتفق لطوائف من النظّار في البحث عن العقائد والآراء، من أهل البدع والأهواء.^(٢)

ونحن لا يمكن لنا إنكار ما ذكره أو تصديقه ولكن نجل أكثر الفلاسفة الإسلاميين عن هذه الآراء الساقطة خصوصاً من تقدّم عليه، نظراء: الفارابي، والشيخ الرئيس، ومن تأخر عنه كالمحقق نصير الدين محمد بن محمد بن حسن

١. يس: ٧٩.

٢. تهافت الفلاسفة: ٢٧-٢٨.

الطوسي (٥٩٧-٦٧٢هـ) و من تربّى على يديه، كالكاظم القزويني، والعلامة الحلي، ومن أتى بعدهم كالمحقق الداماد ومشايخه وتلاميذه. وعلى كلّ تقدير نرجع إلى ما نسب إلى الفلاسفة المسلمين من المسائل الثلاث التي بها كُفّرهم الغزالي، أعني:

١. حدوث العالم زماناً وذاتاً

أوجدت مسألة حدوث العالم حدوثاً زمانياً ضجّة كبرى بين أهل المنقول، فالمتكلمون - تبعاً لما ورد في الروايات - على أنّ العالم حادث زماناً، ويقولون: كان زمان لم يكن للعالم فيه أي أثر.

غير أنّهم عجزوا عن البرهنة والاستدلال على معتقدهم هذا، إذ أنّ الحدوث الزماني عبارة عن «سبق عدم العالم في زمان خاص وأنّه كان زمان لم يكن للعالم فيه خبر ولا أثر».

وهذا الرأي أوقعهم في مشكلة، لأنّه ينقل الكلام إلى نفس «الزمان» فهل لهذا الزمان حدوث زماني أو لا؟

فإن اختاروا الأوّل لزم أن يكون للزمان زمان، أي أن يكون ثمة زمان لم يكن فيه من الزمان اللاحق أثر ولا خبر، وهذا باطل جدّاً، لأنّه ينقل الكلام إلى الزمان السابق وهكذا يتسلسل.

وإن اختاروا الثاني استلزم ذلك قدم الزمان وهم يفرون من كلّ قديم زماني.

هذا وقد طال البحث والجدل حول هذه المسألة التي هي خارجة عن إطار هذا البحث ولو أنّهم فرقوا بين الحدوث الذاتي المتفق عليه بين الإلهيين والحدوث الزماني الذي يستلزم القول به التسلسل، لكان أفضل وأقطع للنزاع.

على أنّ نظرية «الحركة الجوهرية» قد حلت العقدة وأثبتت الحدوث الزماني للمادة بأوضح الوجوه لا بنحو يستلزم التسلسل، لأنّه إذا كان الزمان منبعثاً من تجدد المادة وتدرّجها، فكُلّ قطعة من المادة السيّالة ترسم عدم القطعة اللاحقة، فتصير كلّ قطعة من المادة موصوفة بأنّها لم تكن مع القطعة السابقة، وبالنسبة لم تكن القطعة اللاحقة في الزمان السابق عليها.

وبتعبير آخر: إذا كان كلّ قطعة من المادة السيّالة وكلّ درجة منها متعانقاً مع الزمان، ولم يكن من القطعة اللاحقة فيها عين ولا أثر، صحّ توصيف القطعة اللاحقة بالحدوث الزماني، وهو أنّه لم تكن القطعة اللاحقة في ظرف القطعة السابقة، وهكذا الحال إذا وضعنا البنان على كلّ جزء جزء من تلك المادة السيّالة.

وبهذا يثبت الحدوث الزماني للطبيعة من دون أي إشكال.

وفي هذا الصدد يقول الحكيم صدرالدين الشيرازي:

«لقد تبين أنّ الأجسام كلّها متجدّدة الوجود في ذاتها، وإنّ صورتها صورة التغيّر، وكلّ منها حادث الوجود مسبوق بالعدم الزماني كائن فاسد لا استمرار لهوياتها الوجودية، ولا لطبائعها المرسلّة، والطبيعة المرسلّة وجودها عين شخصياتها وهي متكرّرة، وكلّ منها حادث ولا جمعية لها في الخارج حتّى يوصف بأنّها حادث أو قديم».^(١)

وقال: «إنّ الطبائع المادية كلّها متحركة في ذاتها وجوهرها مسبوق بالعدم الزماني، فلها بحسب كلّ وجود معيّن مسبوقية بعدم زماني غير منقطع في الأزل».^(٢)

٢. علم الباري بالجزئيات

إنّ نفي علمه سبحانه بالجزئيات فكرة غير صحيحة لا يليق أن تنسب إلى الفلاسفة الإلهيين الذين اتفق أكثرهم على علمه بها، وإنّما اختلفوا في الكيفية، وقد ذكر صدر المتألهين أقوال المتقدمين والمتأخرين منهم في الفصل الرابع من الموقف الثالث في الأسفار، وها نحن نذكر آراءهم في الموضوع، والتي تحكي اتفاقهم أو اتفاق أكثرهم على العلم بالجزئيات، والاختلاف بينهم إنّما هو اختلاف في الطريقة.

الأول: مذهب توابع «المشائين» منهم الشيخان «أبو نصر» و«أبو علي» و«بهمنيار» و«أبو العباس اللوكزي»، وكثير من المتأخرين، وهو القول بارتسام صور الممكنات في ذاته تعالى وحصوله فيها حصولاً ذهنياً على الوجه الكلّي.

الثاني: القول بوجود صور الأشياء في الخارج، وهو مذهب المحقق الطوسي وابن كمونة والعلامة الشيرازي ومحمد الشهرزوري.

الثالث: القول باتحاده تعالى مع الصور المعقولة، وهو المنسوب إلى فرفور يوس.

الرابع: ما ذهب إليه أفلاطون الإلهي من إثبات الصور المفارقة والمثل العقلية وإنّها علوم إلهية.

الخامس: مذهب القائلين بثبوت المعدومات الممكنة قبل وجودها، وهم المعتزلة.

السادس: مذهب القائلين بأنّ ذاته تعالى علم بجميع الممكنات.

السابع: القول بأنّ ذاته علم تفصيلي بالمعلول الأول وإجمالي بما سواه وذات

المعلول الأول علم تفصيلي بالمعلول الثاني وإجمالي بما سواه، وهكذا إلى أواخر الموجودات، فهذا تفصيل المذاهب المشهورة بين الناس.^(١)

وقد أنهى الحكيم السبزواري في شرح المنظومة عدد الأقوال في كيفية العلم بالجزئيات إلى أحد عشر قولاً آخرها لصدر المتألهين الذي استنبطه من القاعدة الفلسفية، وهي أنّ بسيط الحقيقة كلّ الأشياء وأنّ ذاته سبحانه حاوٍ لكلّ الكمالات، فما يوجد في عالم الإمكان من الجزئيات، فאלله سبحانه جامع لكمالاته على نحو أبسط وأتمّ، كملكة علم النحو التي تجمع كمالات الأجوبة التفصيلية النحوية، وعندئذ يكون العلم بالذات نفس العلم بما سواه.

نحن لا نريد أن نحوم حول هذه الآراء لنميز الصحيح عن الزائف، بل المقصود هو بيان اتّفاقهم (إلا من شدّ) على علمه سبحانه بالجزئيات وإنّما اختلفوا في طريقته.

٣. حشر الأجساد يوم القيامة

المسألة الثالثة التي كُفّر بها الفلاسفة هي إنكار حشر الأجساد وهي ليست على ما نقل، نعم ينسب إلى النصاري بأنّ المعاد روحاني وليس بجسماني، وأمّا الفلاسفة الإسلاميون، فأقصى ما عندهم أنّ المعاد الروحاني مبرهن عليه دون المعاد الجسماني فلا برهان عليه، غير أنّ النصوص متضافرة على حشر الأجساد.

يقول الشيخ الرئيس: يجب أن يعلم: أنّ المعاد منه ما هو منقول في الشرع ولا سبيل إلى إثباته إلاّ من طريق الشريعة وتصديق خبر النبي وهو الذي للبدن

عند البعث، وخيرات البدن وشروره معلومة لا يحتاج إلى تعلم.
وقد بسطت الشريعة الحقّة التي أُنشأنا بها نبينا وسيّدنا ومولانا محمد ﷺ
حال السعادة والشقاوة التي بحسب البدن، ومنه ما هو مدرك بالعقل
والقياس^(١).

هذا نص كلامه، وأما من تأخّر عنه كصدر المتألهين، فقد قال في شرح
الهداية الأثرية: اعلم أنّ إعادة النفس إلى بدن مثل بدنّها الذي كان لها في الدنيا،
مخلوق من سنخ هذا البدن بعد مفارقتها عنه في القيامة، كما نطق به الشريعة من
نصوص التنزيل وروايات كثيرة متضافرة عن أصحاب العصمة والهداية غير قابلة
للتأويل، كقوله تعالى: ﴿قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ * قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي
أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ^(٢).

﴿فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ﴾^(٣).
﴿يُجَسَّبُ الْإِنْسَانُ لَنَنْجُمَعَ عِظَامُهُ﴾ * بَلَىٰ قَادِرِينَ عَلَىٰ أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ^(٤).
وهذا أمر ممكن غير مستحيل فوجب التصديق به، لكونه من ضروريات
الدين وإنكاره كفر مبين^(٥).

ولعلّ هذا المقدار حول المسائل الثلاث كاف.

وأما سائر المسائل من المسائل العشرين فهي على أقسام:

١. ما لا موضوع لها في صفحة الكون حتّى يبحث فيها، فهي أشبه

١. الشفاء: ٢/ ٥٤٤، فصل في المعاد.

٢. يس: ٧٨-٧٩.

٣. يس: ٥١.

٤. القيامة: ٣-٤.

٥. شرح الهداية الأثرية: ٣٨١، ط ١٣١٣ هـ.

بالسألة بانتفاء الموضوع، كالمسائل المبنية على الهيئة البطلمية.

٢. ما هو صحيح ومبرهن، أدعاه الذكر الحكيم كتجرد النفس وبقائها بإذن الله سبحانه وكون الواجب سبحانه صرف الوجود لا ماهية له.
٣. ما يعد مسائل فلسفية أو كلامية لا يناط بها الإيمان والكفر كسائر المسائل.

٢. ابن حزم الأندلسي (٣٨٤-٤٥٦هـ)

إنَّ علي بن أحمد بن علي بن سعيد بن حزم الأموي بالولاء، أبو محمد الأندلسي القرطبي مروج المذهب الظاهري ومنقحه قام بنقد الفلسفة في رسائله وفي كتابه «الفصل في الملل والأهواء والنحل»، أمَّا في رسائله فقد ألَّف رسالة في الرد على «رسالة الكندي إلى المعتصم بالله» في الفلسفة الأولى وقد أسماه كتاب «الفلسفة الأولى فيما دون الطبيعيات والتوحيد»، كما ناقش في «الفصل» بعض المسائل الفلسفية.^(١)

٣. الشهرستاني (٤٦٧-٥٤٨هـ)

لقد ألَّف أبو الفتح محمد بن أبي القاسم عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني الشافعي الأشعري كتاب «مصارعة الفلاسفة» وردَّ فيه على سبعة من المسائل الفلسفية المهمة، يقول:

«هذه المصارعة في سبع مسائل من الإلهيات، من جملة نيّف وسبعين مسألة في المنطق والطبيعيات والإلهيات خنقته فيها بوتده، ورشقته بمشاقصه، ورددته في

١. اقرأ ترجمته في الأعلام: ٢٥٤/٤، ومعجم المؤلفين: ١٦/٧، وغيرهما.

مهوى حُفرتِه، وأركسته لأُم رأسه في زُبيته^(١)، ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون.

المسألة الأولى: في حصر أقسام الوجود.

المسألة الثانية: في وجود واجب الوجود.

المسألة الثالثة: في توحيد واجب الوجود.

المسألة الرابعة: في علم واجب الوجود.

المسألة الخامسة: في حدوث العالم.

المسألة السادسة: في حصر المبادئ.

المسألة السابعة....^(٢)

وقد كان الركب سائراً في نقد الفلاسفة عصرأ بعد عصر، فهذا هو أبو البركات البغدادي ينتقد آراء الفلاسفة في إرادته سبحانه في كتابه المعتبر (ج ٣، ص ١٧٦). كما أنَّ الإمام الرازي قام بنقد الإشارات للشيخ الرئيس، ولم يقتصر على كتابه هذا، بل له في غير واحد من كتبه (كالمباحث المشرقية والبراهين وغير ذلك) ردود وتشكيكات، ومع ذلك كلّه فالقوم بدل أن يستهدفوا في كتاباتهم تمييز الصحيح عن الزائف والاستماع إلى الأحسن، شطبوا على الجميع ورموهم بسهم واحد خلافاً لما دعا إليه الذكر الحكيم.

غير أنَّ المحققين لم يلزموا جانب الصمت إزاء هذا الهجوم، بل تصدّوا للردّ على تلك الشبهات منهم: علّمان جليلان وكوكبان مضيئان في سماء العلم

١. هذه العبارة تكشف عن روحيات الرجل ونزعاته، وأنّ الرد لم يكن بدافع نزيه بل كان لمجرّد إظهار الفضل والأنانية.

٢. مصارعة الفلاسفة: ١٨-١٩.

والفلسفة:

أ. أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن رشد الأندلسي (٥٢٠-٥٩٥هـ) ألف كتاب «تهافت التهافت» سنة (٥٧٥هـ) ردّاً على كتاب «تهافت الفلاسفة» لأبي حامد الغزالي، وقد أحدث هذا الكتاب منذ ظهوره دوياً في الأوساط الدينية والفلسفية، يبدأ كتابه بقوله:

وبعد حمد الله الواجب والصلاة على جميع رسله وأنبيائه، فإن الغرض من هذا القول أن نبيّن مراتب الأقاويل المثبتة في كتاب التهافت في التصديق والإقناع وقصور أكثرها عن مرتبة اليقين والبرهان.

ب. نصير الدين محمد بن محمد بن الحسن الطوسي (٥٩٧-٦٧٢هـ)، ألف كتاباً باسم «مصارع المصارع» ردّ فيه على كتاب «مصارعة الفلاسفة» للشهرستاني الذي ألّفه للرد على الشيخ الرئيس في مسائل سبع. يقول المحقق الطوسي في مقدّمة الكتاب:

عثرت في أثناء طلبي على كتاب يعرف بالمصارعات للشيخ تاج الدين أبي الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني ادّعى فيه مصارعته مع الشيخ الرئيس أبي علي حسين بن عبد الله بن سينا في عدّة من المسائل والردّ عليه فيما ذكره في كتبه. فدعنتي دعواه إلى النظر فيه، واشتد حرصي من استماع اسمه على التأمل في معانيه.

فلما طالعت وجدهته مشتملاً على قول سخيف، ونظر ضعيف، ومقدّمات واهية، ومباحث غير شافية، وتخليط في الجدال، وتمويه في المثال، قد مازج به سفهاً يحترز عنه العلماء، ورتاً من القول لا يستعمله الأدباء، إلّا المنتسبين بالانتقام، والمتسوقين عند العوام، قد انصرع في أكثر مصارعاته، وانهمز في معظم مبارزاته.

فرايت أن أكشف عن تمويهاته، وأميز بين تخليطاته، غير ناصر لابن سينا في

مذاهبه، لكن مشيراً إلى مزال أقدام صاحبه، ومنبهاً على مغالطات مشاغبه، وإن كلته في بعض المواضع بصاعه، أو سقيته بكأسه، فالله يعلم مني أن ذلك ليس مما يقتضيه دأبي، ولا يتعوده خلقي، بل الحرب يعدي، والكلام يجز الكلام.

ونقلت فيه متن كلامه، ونص مرامه، من صدره إلى ختامه، لئلا يحتاج من يقع إليه هذه النسخة إلى طلب أصل الكتاب، وسميته بـ«مُصارعُ المصارع»، فإن وقعت لي فيه زلة أو هفوة، فليصلح من اطلع عليه من إخواني، طلباً بذلك اقتناء الخير، وإحراز الأجر، وها أنا مفتتح الكتاب، والله ملهم الصواب.

ولم يزل النقد والرد قائماً على قدم وساق بين المتخاصمين، وقد عرفت أن القول الحاسم هو دراسة الأقوال والآراء والاستماع إلى أحسنها، هذا من جانب و من جانب آخر أن دراسة الفلسفة ومذاكرتها رهن قابلية وصلاحية خاصة، وهي ليست شرعة لكلّ وارد وشارد، وإنما يردّها وارد بعد وارد، فهي رهن ذهن وقاد وصلاحية ممتازة كما يقول الشيخ الرئيس:

أيّها الأخ إنّي قد مخضت لك في هذه الإشارات عن زبدة الحقّ، وألّقمك قفّي الحكم في لطائف الكلم، فضّنه عن الجاهلين والمبتدلين ومن لم يرزق الفطنة السوادة والدربة والعادة، وكان صغاه من الغاغة، أو كان من ملحدة هؤلاء الفلاسفة ومن همجهم، فإن وجدت من تثق بنقاء سريره واستقامة سيرته وبتوقفه عما يتسرع إليه الوسواس وبنظره إلى الحقّ بعين الرضا والصدق فاتّه ما يسألك منه مدرّجاً مجزئاً مفرقاً، تستفرس ممّا تسلفه لما تستقبله، وعاهدّه بالله وبأيمان لا مخارج لها ليجري فيما يأتيه مجراك متأسياً بك، فإن أذعت هذا العلم أو أضعته فالله بيني وبينك، وكفى بالله وكيلاً.^(١)

٤. ابن تيمية وآراؤه الفلسفية

ألف ابن تيمية كتاباً أسماه «درء تعارض العقل والنقل» أو «موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول» حاول فيه رفع التناقض بين العقل والنقل، ولكنّه في الحقيقة يريد العقل الذي يوافق النقل الموجود في الصحيحين وغيرهما، دون العقل المخالف، وإن دعمته البراهين الناصعة التي بها عرفنا ربّنا سبحانه، فالأصل عنده النقل، لا العقل، والسلفية اليوم يكيلون له بكيل كبير ويضفون عليه ألقاباً فخمة، نظير شيخ الإسلام، علم الأعلام، مفتي الأنام، الإمام المجاهد، الصادق الصابر، سيف السّنة المسلول على المتبدعين، والقاطع البّار لألسنة المارقين الملحدّين و....

هلمّ معي لنقف على عطاءاته الفكرية في هذا المجال، وهل هو عارض المتبدعين أو هو أحد المتبدعة؟ ونحن نستعرض في ذلك شيئاً من آرائه ليكون كنموذج لما لم نذكره:

١. قدم العالم نوعاً

قد تقدّم أنّ الغزالي كَفّر الفلاسفة لقولهم بقدّم العالم وعدم حدوثه زماناً، وقد أحيا ابن تيمية تلك الفكرة، وقال بقدّم العالم نوعاً، وحدثه شخصاً، ذكره في غير واحد من كتبه، مثل «موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول» و«منهاج السنة» وغيرهما.

وهذا نصّ عبارته في الموافقة:

وأما أكثر أهل الحديث ومن وافقهم فاتهم لا يجعلون النوع حادثاً بل قديماً، ويفترقون بين حدوث النوع وحدث الفرد من أفرادها، كما يفرق جمهور العقلاء

بين دوام النوع ودوام الواحد من أعيانه.^(١)

والعجب أنه نسبة إلى أكثر أهل الحديث، وأين هم من هذه البحوث الفلسفية؟! ومتى أدلوا بهذا الرأي؟! فإنّ مذهبهم هو السكوت عما سكّت عنه الكتاب والسنة، وهل هناك آية أو رواية تدلّ على أنّ كلّ ما في العالم من الأنواع، قديم بنوعه، حادث بشخصه.

ويقول في منهاجه: وحينئذٍ يمتنع كون شيء من العالم أزلياً، وإن جاز أن يكون نوع الحوادث دائماً لم يزل، فإنّ الأزل ليس هو عبارة عن شيء محدد، بل ما من وقت يقدر إلّا وقبّله وقت آخر، فلا يلزم من دوام النوع، قدم شيء بعينه.^(٢)

ويقول أيضاً: وأين في القرآن امتناع حوادث لا أول لها.^(٣)

أقول: إنّ صريح ذلك أنّ الزمان بجنسه قديم، دون مصاديقه، وهكذا سائر الأنواع من إنسان وفرس، وبقر، فهل هذا ما نطق به الذكر الكريم أو السنة النبوية؟!

ثمّ إنّ الذي دعاه إلى اختيار هذا الرأي، هو قوله بجلوس الرب على العرش، فعندما يشار بوجهه هذا السؤال إنّ العرش مخلوق لله سبحانه، فأين كان سبحانه قبل خلق العرش؟ فإنّه يحاول الخروج من هذا المأزق بما نقله عنه المحقق الدواني في كتاب شرح العضدية، قال: وقد رأيت في بعض تصانيف ابن تيمية القول بالقدم الجنسي في العرش.^(٤) ومعناه أنّه كان يعتقد أنّ جنس العرش أزلي أي

١. الموافقة: ٢/ ٧٥، دار الكتب العلمية، بيروت.

٢. منهاج السنة: ١/ ١٠٩.

٣. الموافقة: ٢/ ٦٤.

٤. شرح العضدية: ١٣.

ما من عرش إلا وقبله شيء إلى ما لانهاية وأنه يوجد وينعدم ثم يوجد وينعدم، وهكذا فالعرش عنده قديم جنساً ولكن شخصه حادث.

هذا جزاء من أعدم العقل، وأكبَّ على النقل دون تمحيص.

وأعجب منه أنه يستدلّ على الجواز، بأنه ليس في القرآن امتناع حوادث لا أول لها، فيكون سكوت القرآن عن امتناعه، دليلاً على إمكانه بل وقوعه.

فكان القرآن كتاب فلسفي جاء لبيان ما هو الممكن والمستحيل، فإذا سكت عن استحالة شيء يكون دليلاً على إمكانه «ما هكذا تورّد يا سعد الإبل»!!

٢. قيام الحوادث بذات الله سبحانه

ومن مبتدعاته التي خرق بها إجماع المتألهين على أنه سبحانه منزّه عن قيام الحوادث به، قوله: فمن أين في القرآن ما يدلّ دلالة واضحة على أنّ كلّ متحرك محدث أو ممكن؟ وأنّ الحركة لا تقوم إلاّ بحادث أو ممكن، أو ما قامت به الحوادث لم يخلُ منها، وأنّ ما لا يخلو من الحوادث فهو حادث؟

ويقول في مكان آخر: فإنّنا نقول: إنّهُ يتحرك وتقوم به الحوادث والأعراض، فما الدليل على بطلان قولنا؟^(١)

أقول: لو كان الكاتب درس الفلسفة والكلام عند أساتذتهما دون أن يكون له رأي مسبق في الموضوع لوقف على أنّ الذات القائمة به الحوادث كالحركة والسكون حادث، لأنّ الحركة في العرض تابعة من الحركة في الجوهر، والحركة في الجوهر عبارة عن تغيير ذات الشيء وتحولّه من جوهر إلى جوهر، وأيّ

حادث أظهر من ذلك؟

وهو بهذا القول أحيا نظرية الكرامية - أعني: أتباع محمد بن كزّام - حيث زعموا أنّ الحوادث تطرأ، أي تتجدد على ذات الله .

يقول الاسفرائيني في التبصير: ومما ابتدعوه - أي الكرامية - من الضلالات ممّا لم يتجاسر على إطلاقه قبلهم واحد من الأمم لعلمهم بافتضاحه هو قولهم: بأن معبودهم محلّ الحوادث تحدث في ذاته أقواله وإرادته وإدراكه للمسموعات والمبصرات، وسَمُّوا ذلك سمعاً وتبصّراً، وكذلك قالوا: تحدث في ذاته ملاقاته للصفحة العليا من العرش، زعموا أنّ هذه أعراض تحدث في ذاته، تعالى الله عن قولهم^(١).

٣. قوله بالتجسيم

إنّ ابن تيمية وإن كان لا يصرح بكونه سبحانه جسماً لكنّه يصرح بأنّه لم يرد عن الصحابة والتابعين أنّ الله ليس بجسم، يقول: وأمّا الشرع فمعلوم أنّه لم ينقل عن أحد من الأنبياء ولا الصحابة ولا التابعين ولا سلف الأمة أنّ الله جسم أو أنّ الله ليس بجسم، بل النفي والإثبات بدعة في الشرع.^(٢)

ويقول أيضاً: وأمّا ذكر التجسيم وذمّ المجسّمة فهذا لا يعرف في كلام أحد من السلف والأئمة، كما لا يعرف في كلامهم أيضاً القول بأنّ الله جسم أو ليس بجسم، بل ذكروا في كلامهم الذي أنكروه على الجهمية نفي الجسم، كما ذكره أحمد في كتاب الردّ على الجهمية .

١. التبصير في الدين: ٦٦-٦٧.

٢. شرح حديث النزول: ٨٠.

وقال في موضع ثالث : أمّا ما ذكره من لفظ الجسم وما يتبع ذلك فإنّ هذا اللفظ لم ينطق به في صفات الله لا كتاب ولا سنّة لا نفيّاً ولا إثباتاً ، ولا تكلم به أحد من الصحابة والتابعين وتابعيهم ولا أهل البيت ولا غيرهم .^(١)

إنّ فكرة التجسيم من مستوردات اليهود ، وكتبهم مشحونة به وبالجبهة وبالنزول والحركة . وهذا أمر ظاهر لمن راجع كتبهم ، وابن تيمية تبعاً لما أدخله مستسلمة اليهود بين أصحاب الحديث ، جوّز أن يكون سبحانه جسماً . ومن المعلوم أنّ الجسم ذو أبعاد يحتاج في تحقّقه إلى أبعاد ، والمحتاج ممكن ، والممكن ليس بواجب .

والعجب أنّه زعم أنّه لم ترد عن أهل البيت كلمة في نفي الجسميّة ، وهذه خطب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وكلمات أبنائه الطاهرين عليهم السلام صريحة في ذلك لا يسعنا نقل معشار منها . إلّا أن يكون «أهل البيت» عنده ، غيرهم .

ثمّ إنّ أبناء التجسيم يصحّحون قولهم بالجسمية بأنّه سبحانه جسم لا كسائر الأجسام ، وفي ذلك يقول أبو الثناء في كتابه «التمهيد لقواعد التوحيد» ما هذانصّه :

ثمّ إنهم ناقضوا في ما قالوا ، لأنّ الجسم اسم للمتركّب لما مرّ ، فإثبات الجسم إثبات التركيب ونفي التركيب نفي الجسم ، فصار قولهم جسم لا كالأجسام كقولهم : متركّب وليس بتركّب ، وهذا تناقض بين بخلاف قولنا : شيء لا كالأشياء ، لأنّ الشيء ليس باسم للمتركّب وليس ينبئ عن ذلك وإتما ينبئ عن مطلق الوجود ، فلم يكن قولنا : «كالأشياء نفيّاً لمطلق الوجود ، بل يكون نفيّاً لما وراء الوجود من التركيب وغيره من أمارات الحدث ، فلم يكن ذلك

متناقضاً والله الحمد والمنّة» .

وإذا ثبت أنّ الله تعالى لا يوصف بالجسم، فلا يوصف بالصورة أيضاً، لأنّ الصورة لا وجود لها بدون التركيب.^(١)

٤ . الله سبحانه محدود بالحدّ

ذهب ابن تيمية إلى صحّة نسبة الحدّ إلى ذاته تعالى، وقد نقله في كتابه «الموافقة» عن أبي سعيد الدارمي المجسّم موافقاً له، فقال ما نصّه:

وقد اتّفقت الكلمة من المسلمين والكافرين أنّ الله في السماء وحدّوه بذلك إلّا المريسي الضالّ وأصحابه، حتّى الصبيان الذين لم يبلغوا الحنث قد عرفوا ذلك إذا أحسن الصبي يثني . يرفع يده إلى ربّه ويدعوه في السماء دون ما سواها وكلّ أحد بالله وبمكانه أعلم من الجهميّة.^(٢)

وقال في كتابه «تلبيس الجهميّة»: لقد دلّ الكتاب والسنة على معنى ذلك، كما تقدّم احتجاج الإمام أحمد لذلك بما في القرآن ممّا يدلّ على أنّ الله تعالى له حدّ يتميّز به عن المخلوقات.^(٣)

إلى غير ذلك من كلماته الصريحة في إثبات الحدّ وإخلاء العالم بأرضه وسماؤه عن وجوده سبحانه.

لقد أثبت المفكّرون الواعون من المسلمين تنزيهه سبحانه عن الحدّ وذكروا

١ . التمهيد لقواعد التوحيد: ٦٠ .

٢ . موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول: ٢٩ / ٢ .

٣ . بيان تلبيس الجهميّة: ١ / ٤٤٥ . وخفي عليه أنّ رفع اليد في الثناء والسؤال إنّما هو تمثيل لرفعة شأنه وترسيم لعلوّ مقامه، لا كونه في السماء.

براهينه بما لسا في مقام بيانها، ولكن إذا دار الأمر بين أخذ المعارف والعقائد من ابن تيمية أو تلميذه ابن القيم أو من لفّ لقمها وبين أخذها من ربيب بيت النبوة وعيبة علم النبي الإمام علي عليه السلام، فلا شك أنّ الثاني أولى وأفضل، بل هو المتعين، ولقد صدع بذلك الرازي في مسألة الجهر بالبسملة وقال: ومن اقتدى في دينه بعلي فقد اهتدى، قال والدليل عليه قول رسول الله: «اللهم أدر الحق مع علي حيث دار»^(١).

وهذا هو الإمام يصف الله سبحانه بقوله: «ومن وصفه سبحانه - أي جعل صفاته غير ذاته - فقد قرنه، و من قرنه فقد ثناه، ومن ثناه فقد جزّاه، ومن جزّاه فقد جهله، ومن جهله فقد أشار إليه، ومن أشار إليه فقد حدّه، ومن حدّه فقد عدّه، ومن قال: فيم فقد ضمّنه، ومن قال على مَ فقد أخلى منه»^(٢).

وفي كلام له: «الحمد لله اللابس الكبرياء بلا تجسّد، والمرتدي بالجلال بلا تمثّل، والمستوي على العرش بلا زوال، والمتعالى عن الخلق بلا تباعد منهم، القريب منهم بلا ملاسة منه لهم، ليس له حدّ ينتهي إلى حدّه، ولا له مثل فيعرف بمثله»^(٣).

إلى غير ذلك من خطبه وخطب أبنائه وكلما هم عليه السلام.

٥. نسبة الجهة والمكان لله تعالى

لقد تكرر إثبات الجهة والمكان لله سبحانه في كلمات ابن تيمية في «منهاج السنة»، ويكفي في ذلك العبارتان التاليتان:

٢. نهج البلاغة، الخطبة الأولى.

١. التفسير الكبير: ١/ ٢٠٤.

٣. الصدوق، التوحيد: ٣٣.

١. إذا قيل إنّه في جهة كان معنى الكلام أنّه هناك فوق العالم حيث انتهت المخلوقات، فهو فوق الجميع عالٍ عليه.^(١)
٢. وجهور الخلف على أنّ الله فوق العالم وإن كان أحدهم لا يلفظ بلفظ الجهة، فهم يعتقدون بقلوبهم ويقولون بألسنتهم ربهم فوق.^(٢)
- أقول: فمن أين لابن تيمية هذا العلم؟! فهل هو يعلم ما تخفي الصدور؟! لا أدري!!

وأشوأ من ذلك أنّه استدللّ على ثبوت الجهة لله بطلب فرعون أن يصنع له مصعداً ليطلع إلى إله موسى، قال: والله قد أخبر عن فرعون أنّه طلب أن يصعد ليطلع إلى إله موسى، فلو لم يكن موسى أخبره أنّ الله فوق، لم يقصد ذلك، فإنّه لو لم يكن مقترّاً به فإذا لم يخبره موسى به لم يكن إثبات العلوّ لا منه ولا من موسى عليه الصلاة والسلام، ثمّ قال: فموسى صدّق محمداً في أنّ ربّه فوق وفرعون كذب موسى في أنّ ربّه فوق، فالمقرّون بذلك متبعون لموسى ولمحمد والمكذبون بذلك موافقون لفرعون.^(٣)

ما الدليل على أنّ موسى أخبر فرعون بأنّ ربّه فوق السماوات، وأيّ دليل على أنّه لم يأخذه من مجسّمة عصره؟!

وأين هذا من كلام الإمام جعفر الصادق عليه السلام حيث يقول: «سبحان من لا يعلم أحد كيف هو إلّا هو، ليس كمثله شيء، وهو السميع البصير، لا يحذ ولا يحس ولا يُحسّ ولا يُمسّ ولا تدركه الحواس، ولا يحيط به شيء ولا جسم ولا صورة

١. منهاج السنة: ١/٢١٧.

٢. نفس المصدر: ١/٢٦٢.

٣. المصدر نفسه: ١/٥٢٦.

ولا تخطيط ولا تحديد»^(١).

وقد تضافر هذا التعبير عن أئمة أهل البيت عليهم السلام في غير مكان.
وهذا هو الإمام أبو الحسن الهادي عليه السلام يقول: «سبحان من لا يحدد، ولا يوصف، ولا يشبهه شيء، وليس كمثله شيء، وهو السميع البصير»^(٢).
وإثبات الجهة لله سبحانه إثبات مكان وإثبات تحديد، وأين هذا من الواجب الغني عن المكان والجهة والحد؟!

٦. جلوسه سبحانه على العرش

ومن عجائب أفكاره في باب التوحيد، إثبات جلوسه سبحانه على العرش، يقول: ثم إن جمهور أهل السنة يقولون: إنه ينزل ولا يخلو منه العرش، كما نقل ذلك عن إسحاق بن راهويه وحماد بن زيد وغيرهما، ونقلوه عن أحمد بن حنبل في رسالته^(٣).

وقال في شرح حديث النزول: والقول الثابت هو الصواب، وهو المأثور عن سلف الأمة وأئمتها أنه لا يزال فوق العرش ولا يخلو العرش منه مع دنوه ونزوله إلى السماء ولا يكون العرش فوقه.

ويقول أيضاً في فتاواه: وقال أهل السنة في قوله: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾^(٤)، الاستواء من الله على عرشه المجيد على الحقيقة لا على المجاز^(٥).

١. الصدوق: التوحيد: ٩٨، باب أن الله عز وجل ليس بجسم ولا صورة، الحديث ٤.

٢. المصدر نفسه، نفس الباب، الحديث ١٣، ص ١٠١.

٣. منهاج السنة: ١/ ٢٦٢.

٤. طه: ٥.

٥. مجموع الفتاوى: ٥/ ٥١٩.

وقال أيضاً في كتاب «تلبيس الجهمية»: الوجه الخامس: إنّ العرش في اللغة السرير بالنسبة إلى ما فوقه كالسقف إلى ما تحته، فإذا كان القرآن قد جعل لله عرشاً وليس هو بالنسبة إليه كالسقف، علم أنّه بالنسبة إليه كالسرير بالنسبة إلى غيره، وذلك يقتضي أنّه فوق العرش.^(١)

وقال في تفسير سورة العلق: إنّ عرشه أو كرسيه وسع السماوات والأرض وإنّه يجلس عليه فما يفضل منه إلّا قدر أربعة أصابع، وإنّه ليثبط أطيط الرجل الجديد براكبه.^(٢)

هذا هو الإله الذي يعبدّه ابن تيمية ومقلدو منهجه، فهو إله ينتقل ويتحرك وينزل، محدود بحدود، له جهة ومكان، وإنّه يجلس على العرش، وعرشه يزيد عليه بأربعة أصابع، فإذا كان هذا إله العالم وخالق البرايا، فرفض هذا الإله أفضل من إثباته، والرجل بعدد قد تأثر بأخبار الأحاد المستوردة من مستسلمة أهل الكتاب، وتصور أنّها حقائق راهنة وأنّها تناط سعادة الأئمة وأنّ عرش إله العالم يثبط أطيط الرجل الجديد!

فإذا كان هذا هو الإله المعبود «فيا موت زر إن الحياة ذميمة»!!

هذا جزء من أعدام العقل وأكبت على النقل بلا وعي، وتلقّى روايات الصحيحين كأوثق ما يكون، دون أخضاعها للنقد والتمحيص.

فإذا كان هذا شيخ الإسلام وحجة الدين فعلى الإسلام السلام!

ولا يتصور القارئ بأنّ شذوذه وانحرافه عن الرأي العام بين المسلمين

١. تلبيس الجهمية: ١/٥٧٦.

٢. مجموعة التفسير: ٣٥٤-٣٥٥.

يختص بها ذكرنا، ولكن خطأ الرجل لا يختص بباب دون باب، وإليك قوله بفناء النار وانتهاء العذاب.

٧. فناء النار وانتهاء عذاب الكفار

أكد القرآن الكريم في آيات كثيرة على خلود المنافقين والكفار في نار جهنم وعدم خروجهم من النار. قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعْنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾^(١) وقال في آية أخرى: ﴿كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾^(٢).

إلى غير ذلك من الآيات الصريحة في خلود الكفار في نار جهنم. ولكن هلمّ معي نقف على رأي ابن تيمية في المقام، يقول: وفي المسند للطبراني: أنه ثبت فيها - النار - الجرجير^(٣).

فيحتج ابن تيمية بهذا الحديث على فناء النار مضيفاً أن القائلين ببقائها ليس معهم كتاب ولا سنة ولا أقوال الصحابة.

وأضاف أيضاً: أن من قال بدوام النار محتجاً بالإجماع، فالإجماع غير معلوم، إلى أن زعم أن القول بفنائها فيه قولان معروفان عن الخلف والسلف^(٤). أقول: قد عرفت أن الآيات صريحة في بقاء النار وخلود الكفار فيها، ومع ذلك لا تصل الثوبة إلى المرويات التي لا تتجاوز أخبار الأحاد.

١. التوبة: ٦٨.

٢. البقرة: ١٦٧.

٣. الرد على من قال بفناء الجنة والنار: ٦٧.

٤. لاحظ للوقوف على نص ابن تيمية كتاب «فناء الجنة والنار»: ص ٦٧-٧١ وغيره.

وكم لابن تيمية من زلات في باب التوحيد وفيما يرجع إلى النبوة والنبي وغيرهما، بيد أننا نقتصر على ذلك، لأن الإطناب ربما يكون مملاً.

إن دراسة العقائد الإسلامية بحاجة إلى الإمام بالكتاب والسنة الصحيحة المعتمدة (غير المأخوذة من مستسلمة أهل الكتاب)، والاستناد إلى العقل الصريح الذي يصون الإنسان من الوقوع في هذه المهالك. والله هو المسدد.

علم الكلام

وعوامل نشوئه

إنَّ علم الكلام كسائر العلوم الإنسانية ، ظاهرة علمية نشأت بين المسلمين في ظل أسباب سيوافيك بيانها ، وانبثقت عنها مدارس مختلفة ، كما كانت للأمم السابقة مذاهب كلامية ومدارس دينية يبحث فيها عن اللاهوت والناسوت ، وقد أُلّف غير واحد من علماء اليهود^(١) والنصارى كتباً كلامية يرجع تاريخها إلى القرنين الخامس والسادس ، وأمّا عوامل نشأته بين المسلمين فتتلخص في عوامل داخلية وخارجية ، إليك بيان الأولى منهما :

العوامل الداخلية لنشوء علم الكلام

١ . القرآن هو المنطلق الأوّل

إنّ الذكر الحكيم هو المنطلق الأوّل لنشوء علم الكلام بين المسلمين ،

١ . كدلالة الحائرين لابن ميمون وغيرها . هذا ما يرجع إلى سالف الأيام ، وأمّا اليوم فما من شهر إلّا ولهم كتاب أو رسالة حول ديانتهم .

وهو المصدر الأول عند المتكلمين في دعم ما وافق وردّ ما خالف .

إنّ الآيات المتضمنة للحوار بين الرسل ومن أرسل إليهم هي أحد أسباب التفكير الكلامي عند المسلمين ، فلنذكر نماذج من تلك الحوارات :

١ . حوار إبراهيم عليه السلام مع مدّعي الربوبية

هذا هو إبراهيم عليه السلام يحتج على مَنْ أنكر ربوبية الله سبحانه وتعالى ، وينقل سبحانه احتجاجه بقوله : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ ﴾ وهذا المقطع من الآية يكشف عن أنّ ملك زمانه كان مشركاً في الربوبية ويزعم أنّ ربوبية العالم وتديره مفوضة إليه ، فاحتج إبراهيم عليه بقوله : ﴿ رَبِّيَ السَّيِّئُ يُحْيِي وَيُمِيتُ ﴾ ، فأجاب الملك وقال : ﴿ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ ﴾ .^(١)

قال إبراهيم : ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالسَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ ﴾ .

فعند ذلك بهت الملك ولم يدر بماذا يجيب ، فيحكي سبحانه تحييره وخذلانه أمام البرهان القاطع للخليل بقوله : ﴿ قَبِهَتْ الَّذِي كَفَرَ ﴾ .^(٢)

٢ . حوار إبراهيم عليه السلام مع عبدة الأصنام

إنّ لبطل التوحيد إبراهيم الخليل حواراً آخر مع المشركين بشأن أصنامهم

١ . يذكر المفسرون أنّه أمر بإحضار سجينين أمر بإطلاق سراح أحدهما وقتل الآخر، وبذلك صار مظهراً للإحياء والإماتة، ولما كان في هذه الإجابة مغالطة واضحة، أعرض إبراهيم عن الرد عليه، فاستمرّ الحجج بشكل آخر كما ترى.

التي أقدم على كسرها وجعلها جذاذاً إلا كبيراً لهم ليكون عبرة لهم، فلما فوجئ المشركون بهذه الكارثة، تساءلوا عمن قام بهذا الفعل الشنيع؟ فانتهى الأمر بهم إلى اتّهام إبراهيم عليه السلام بذلك، فأحضروه للكشف عن جليّة الحال، ودار بينه وبينهم حوار ينقله سبحانه بقوله:

- المشركون: ﴿أَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِالْهَيْتَا يَا إِبْرَاهِيمَ﴾.

- إبراهيم: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ﴾.

- المشركون: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ﴾.

- إبراهيم: ﴿أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئاً وَلَا يَضُرُّكُمْ أَفِ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾.

ولما أحسّ المشركون بالعجز عن إفحامه، تمسكوا بمنطق القوة، فقالوا:

﴿حَرِّ قُوَّةٍ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾.

ثم إنّه سبحانه نصر رسوله في هذه اللحظة الرهيبة بجعل النار برداً وسلاماً على إبراهيم كما يقول:

﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ * وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ^(١).

٣. حوار موسى عليه السلام مع فرعون

إنّ الحوار الدائر بين موسى الكليم عليه السلام وفرعون مدّعي الربوبية يُرينا بوضوح قوة منطق الكليم مع أحد جبابرة عصره الذي ذبح لحفظ عرشه مئات من الأطفال الرضيع للحيلولة دون ولادة موسى عليه السلام والذي تنبأ كهنة مصر بزوال عرشه على يد

موسى عليه السلام، وقد نقل القرآن ذلك الحوار مبسطاً في سورة الشعراء من الآية ١٦ إلى ٥١، ونحن نقتطف منه ما يلي:

- موسى: ﴿إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * أَنْ أَرْسِلَ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾.
- فرعون: ﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ * وَفَعَلْتَ فَعَلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾.
- موسى: ﴿قَالَ فَعَلْتُهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ * فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ * وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبْدْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾.
- فرعون: ﴿وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾.

- موسى: ﴿رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ﴾.
- فرعون: ﴿قَالَ لِمَنْ حَوَلَةُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ﴾.
- موسى: ﴿رَبِّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأُولِينَ﴾.
- فرعون: ﴿إِنْ رَسُولُكُمْ الَّذِي أَرْسَلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾.
- موسى: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾.
- فرعون: ﴿لَئِنْ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾.
- موسى: ﴿أَوْ لَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ﴾.
- فرعون: ﴿فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَادِقِينَ﴾.
- موسى: ﴿فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ * وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ * قَالَ لِلْمَلَأِ حَوَلَةُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾.

إلى آخر الحوار.

ترى أن موسى يستدلّ بالدليل والبرهان ويعرف الربّ سبحانه بقوله: ﴿رَبِّ السَّمُوتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ وبقوله: ﴿رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمْ﴾. ولكن فرعون يتّهمه أولاً بالجنون ويقول: ﴿إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾.

ومن المعلوم أن المصلحين في العالم يتّهمون دائماً بالجنون، لأنهم يريدون التغيير الجذريّ في المجتمع والذي يعدّه البسطاء أمراً محالاً، ويصفون الساعين إليه بالجنون، ولكن موسى لم يُعر أهمية لهذه التهمة وأعاد برهانه بقوله: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾.

فعند ذلك واجهه فرعون بمنطق القوة وقال: ﴿لَئِنْ اتَّخَذْتُ إِلَهًا غَيْرِي لأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾.

ولما أثبت صلته بعالم الغيب بالإتيان بالمعجزة الباهرة وأثبت بوضوح أنه رسول ربّ العالمين، قابله فرعون بادّعاء أن ما أتى به سحر ولا نصيب له من الواقع.

٤. حوار مؤمن آل فرعون مع قومه

إنّ الحوار الدائر بين مؤمن آل فرعون وبين فرعون ورهطه حوار صدر في ظروف عصيبة، قام به أحد المتتمين إلى فرعون (كان يُظهر كفره ويكتم إيمانه)، على مرأى ومسمع من فرعون وملئه، وفي جوّ مشحون بالتآمر على موسى ﷺ واستئصال دعوته، وقد نقل الذكر الحكيم هذا الحوار على طوله في سورة غافر من الآية ٢٦ إلى ٤٥، نقتطف منه ما يلي:

- فرعون: ﴿ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾.

— موسى: ﴿إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ يَوْمَ الْحِسَابِ﴾.

— مؤمن آل فرعون: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكْ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكْ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَابٌ﴾.

— فرعون: ﴿يَا هَامَانَ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ * الْأَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لأَظُنُّهُ كَاذِبًا﴾.

— مؤمن آل فرعون: ﴿يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِيكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾.

وكم في القرآن الكريم من نظائر لهذا الحوار دار رحاها بين رجال صالحين وأناس طالحين وكان الظفر فيها حليف أصحاب المنطق والتفكير.

وبذلك يظهر أن القرآن الكريم بما فيه من الأدلة الساطعة والبراهين المحكمة على توحيدة ذاتاً وفعلاً، وما نقل من الحوارات، كان هو المنطلق الأول لعلم الكلام.

٢. السنة هي المنطلق الثاني

إذا كان الكتاب هو المنطلق الأول، فإنَّ حُطْبَ النبي وكلماته ومناظراته مع المشركين واليهود والنصارى، كانت هي المنطلق الثاني للتفكير الكلامي.

إنَّ النبي ﷺ ناظر المشركين وأهل الكتاب بمرأى ومسمع من المسلمين، وهذه احتجاجاته مع نصارى نجران في العام العاشر من الهجرة، حتَّى أنه ﷺ بعدما أفحمهم، دعاهم إلى المباحلة، وقد حفل التاريخ وكتب السير والتفسير بها

دار بين الرسول وبطارقة نجران و قساوستهم، وقد استدلّوا على إلهوية المسيح بقولهم: هل رأيت ولداً من غير ذكر؟ فأفحمهم رسول الله ﷺ بإيجاء من الله: وقال: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾^(١). أي أنّ مثل عيسى في عالم الخلقة كمثل آدم، وقد خلّق من غير أب ولا أم، فليس هو أبدع ولا أعجب منه.

وإليك نموذجاً من مناظراته ﷺ:

احتجاج النبي مع اليهود في تبديل القبلة

لما أمر الله جلّ شأنه نبيّه ﷺ بتحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة، جاء قوم من اليهود وقالوا: يا محمد هذه القبلة (بيت المقدس) قد صليت إليها أربع عشرة سنة ثم تركتها الآن. أفحقاً كان ما كنت عليه؟ فقد تركته إلى باطل، فإنّ ما يخالف الحقّ فهو باطل؛ أو باطلاً كان ذلك، وقد كنت عليه طول هذه المدة فما يؤمننا أن تكون الآن على باطل؟!

وأساس الشبهة التي أشار إليها اليهود هو أنّه لا يمكن أن يكون التوجه صوب القبلتين صحيحاً، فأحدهما باطل، إمّا السابق وإمّا اللاحق، ومن المحتمل أن يكون الباطل هو اللاحق فكيف نؤمن به؟

وقد غفل المجادل عن أنّ الأحكام تتغيّر حسب تغيّر المصالح والمفاسد، فلا مانع من أن يكون كلاّ من التوجّهين حقاً في ظرفه، وعلى ذلك تدور رحي النسخ في الأحكام الشرعية.

فأجاب النبي ﷺ بقوله: «بل ذلك كان حقاً، وهذا حقّ، يقول الله: ﴿قُلْ لِلَّهِ

المشرق والمغرب يهدي مَنْ يشاءُ إلى صراطٍ مُستقيمٍ»^(١) إذا عرف صلاحكم يا أيها العبادُ في استقبال المشرق أمركم به، وإذا عرف صلاحكم في استقبال المغرب أمركم به، وإن عرف صلاحكم في غيرهما أمركم به، فلا تنكروا تدبير الله تعالى في عباده وقصده إلى مصالحكم».

ثم قال لهم رسول الله ﷺ: «لقد تركتم العمل يوم السبت ثم عملتم بعده في سائر الأيام ثم تركتموه في السبت ثم عملتم بعده، أفتركتم الحق إلى باطل أو الباطل إلى حق؟! والباطل إلى باطل أو الحق إلى حق؟! قولوا كيف شئتم فهو قول محمد وجوابه لكم». قالوا: ترك العمل في السبت حق والعمل بعده حق. فقال رسول الله ﷺ: «فكذلك قبلة بيت المقدس في وقته حق، ثم قبلة الكعبة في وقته حق»^(٢).

٣. خطب الإمام علي عليه السلام هي المنطلق الثالث

إنَّ خطب الإمام ورسائله وكلمه القصار، التي حفظها التاريخ من الضياع لأوضح دليل على أنَّ الإمام كان هو المؤسس للأصول الكلامية خصوصاً فيما يرجع إلى التوحيد والعدل، وبين يديك «نهج البلاغة» الذي جمعه الشريف الرضي ممّا وصل إليه من خطبه، تجد فيه من الأصول الكلامية ما لا تجده في غيره، وإلى ذلك يشير السيد المرتضى في أماليه، فيقول:

اعلم أنَّ أصول التوحيد والعدل مأخوذة من كلام أمير المؤمنين عليه السلام وخطبه، فإنها تتضمن من ذلك ما لا زيادة عليه ولا غاية وراءه، ومن تأمل المأثور في ذلك من كلامه، علم أنَّ جميع ما أسهب المتكلمون من بعد في

تصنيعه وجمعه إنما هو تفصيل لتلك الجمل وشرح لتلك الأصول، وزوي عن الأئمة من أبنائه عليه السلام في ذلك ما لا يكاد يحاط به كثرة، ومن أحب الوقوف عليه وطلبه من مظانه أصاب منه الكثير الغزير الذي في بعضه شفاء للصدور الشقية ولقاح للعقول العقيمة. ^(١)

وجاء في «الفهرست» للنديم: أن أبا الهذيل العلاف، محمد بن الهذيل، قال: أخذت هذا الذي أنا عليه من العدل والتوحيد، عن عثمان الطويل، وكان معلّم أبي الهذيل.

قال أبو الهذيل: وأخبرني عثمان أنه أخذه عن واصل بن عطاء، وأن واصلاً أخذه عن أبي هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية، وأن عبد الله أخذه من أبيه محمد بن الحنفية، وأن محمداً أخبره أنه أخذه عن أبيه علي عليه السلام، وأن أباه أخذه عن رسول الله صلى الله عليه وآله، وأن رسول الله أخبره أن جبرئيل نزل به عن الله تعالى. ^(٢)

وبما أن خطب الإمام عليه السلام ورسائله تعجّ بالتوحيد والعدل، والتنزيه وغيرها من المعارف، فنحن في غنى عن نقل نتف منها.

٤. أئمة أهل البيت عليهم السلام ودورهم في نشوء علم الكلام

إن أئمة أهل البيت عليهم السلام وإن أقصوا عن منصّة الحكم ولكنهم كلما أُتيحت لهم الفرصة في عصر الأمويين أو العباسيين قاموا بمهمة بيان المعارف والأصول التي كان القوم يتنازعون فيها، وها نحن نذكر مقتطفات من مناظراتهم ونبتدئ بمناظرة أم الأئمة النجباء مع خليفة زمانها.

١. الشريف المرتضى، الأمالي: ١/ ١٤٨. ولاحظ شرح ابن أبي الحديد في هذا الصدد: ١/ ١٧.

٢. الفهرست: ٢٠٢.

روى المؤرخون أنّ فاطمة الزهراء عليها السلام لما مُنعت من إرثها، لاثت خمارها على رأسها واشتملت بجلبابها، وأقبلت في لُمة من حفدتها، ونساء قومها حتى دخلت على أبي بكر وهو في حشد من المهاجرين والأنصار، فقالت مخاطبة إياهم بخطبة بليغة تقتصر منها على موضع الحاجة :

يا ابن أبي قحافة، أفي كتاب الله أن تَرثَ أباك ولا أرث أبي؟ لقد جثت شيئاً فرياً على الله ورسوله، أفعلی عمد تركتم كتاب الله ونبذتموه وراء ظهوركم؟ إذ يقول: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ﴾^(١)، وقال فيما اقتص من خبر يحيى بن زكريا عليه السلام إذ قال: ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ۖ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾^(٢)، وقال أيضاً: ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾^(٣)، وقال: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمُ لِلذَّكَرِ مِثْلُ الْاُنْثَىٰ﴾^(٤) وقال: ﴿وَإِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ ...﴾^(٥)، وزعمتم أن لا حظوة لي ولا إرث من أبي ولا رحم بيننا، أفخصّكم بآية من القرآن أخرج أبي محمداً عليه السلام منها؟ أم هل تقولون: إنّ أهل الملتين لا يتوارثان؟ أو لست أنا وأبي من أهل ملة واحدة؟ أم أنتم أعلم بخصوص القرآن وعمومه من أبي وابن عمي؟^(٦)

نموذج من مناظرات الإمام الصادق عليه السلام مع أحد القدرية

لقد راجت فكرة استغناء الممكن في فعله «لا في ذاته» عن الله سبحانه في عصر عبد الملك بن مروان (٦٥-٨٦هـ) وكان لهذه الفكرة دوي في عصره، وقد

- | | |
|-----------------|-------------------------|
| ١. النمل: ١٦. | ٢. مريم: ٥-٦. |
| ٣. الأنفال: ٧٥. | ٤. النساء: ١١. |
| ٥. البقرة: ١٨. | ٦. الاحتجاج: ١/٢٦٧-٢٦٨. |

طلب عبد الملك بن مروان من عامله في المدينة أن يوجه إليه الإمام الباقر عليه السلام حتى ينظر رجلاً يتبنّى تلك الفكرة وقد أعيا الجميع.

فبعث الإمام الباقر ولده مكانه، فقدم الشام، وتسامع الناس بقدومه لمخاصمة الرجل، فقال عبد الملك لأبي عبد الله: إنه قد أعيانا أمر هذا القدري، فقال الإمام: «إن الله يكفيناه»، فلما اجتمعوا، قال القدري لأبي عبد الله عليه السلام: سل عما شئت؟ فقال له: «اقرأ سورة الحمد»، قال: فقرأها، فلما بلغ إلى قول الله تبارك وتعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ فقال جعفر: «قف من تستعين؟ وما حاجتك إلى المؤونة، إن الأمر إليك»، فبهت الرجل.^(١)

احتجاج الإمام الرضا عليه السلام مع اليهود والنصارى والمجسّمة

إنّ للإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام احتجاجات ومناظرات مع أصحاب الديانات المختلفة وعلى رأسهم اليهود والنصارى والمجسّمة وغيرهم، نقلها الشيخ أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي (المتوفى حوالي ٥٥٠هـ) في كتاب «الاحتجاج» بصورة مفصلة، ونحن لا يسعنا نقل القليل منها فضلاً عن الكثير، وكان الخليفة المأمون يشارك في مجالس المناظرة مع الأحرار والقساوسة وأصحاب الحديث والتي كان يتجلّى فيها قوة منطق الإمام بالاستدلال عليهم بنصوص التوراة والإنجيل باللغة العبرانية والسريانية، وما نحن نذكر احتجاجه مع أبي قرة الذي كان يدّعي رؤية النبيّ لله سبحانه في هذه الدنيا.

- قال أبو قرة: إنّنا رؤينا أنّ الله عزّ وجلّ قسم الرؤية والكلام بين اثنين، فقسم لموسى عليه السلام الكلام، ولمحمد عليه السلام الرؤية.

— قال الإمام: فمن المبلغ عن الله عز وجل إلى الثقلين: الجن والإنس ﴿لَا تُذَرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُذَرِكُ الْأَبْصَارَ﴾^(١)، و ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾^(٢)، و ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾^(٣)، أليس محمداً ﷺ؟! — قال أبو قرة: بلى.

— قال الإمام ﷺ: «فكيف يجيء رجل إلى الخلق جميعاً فيُخبرهم أنه جاء من عند الله، وأنه يدعوهم إلى الله بأمر الله، ويقول: ﴿لَا تُذَرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُذَرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ و ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ و ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ ثم يقول: أنا رأيته بعيني وأحطت به علماً، وهو على صورة البشر؟! أما تستحيون، ما قدرت الزنادقة أن ترميه بهذا، أن يكون يأتي عن الله بشيء ثم يأتي بخلافه من وجه آخر.»^(٤)

هذه هي العوامل الداخلية لنشوء علم الكلام بين المسلمين، وهناك عوامل خارجية لنشوءه، نذكر المهم منها:

العوامل الخارجية لنشوء علم الكلام

١. معطلة العرب

إن الطابع العام للعرب في العصر الجاهلي هو التوحيد في الذات والتوحيد في الخالقية، ولكنهم كانوا مشركين في أمر الربوبية والعبادة، فكانوا معتقدين بربوبية غيره سبحانه كما كانوا يعبدون غيره كالأصنام والأوثان.

نعم كان عندهم صنف ينكر الخالق، ويشارك مع الطائفة الأولى في إنكار البعث والإعادة.

١. الأنعام: ١٠٣.

٢. طه: ١١٠.

٣. الشورى: ١١.

٤. التوحيد للصدوق: ١١٠-١١١.

يقول الشهرستاني: فصنف منهم أنكروا الخالق والبعث والإعادة، وقالوا بالطبع المحيي والدهر المفني وهم الذين أخبر عنهم القرآن المجيد ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾^(١) إشارة إلى الطبائع المحسوسة في العالم السفلي وقصراً للحياة والموت على تركبها وتحللها، فالجامع هو الطبع والمهلك هو الدهر ﴿وَمَا يَمْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾^(٢).

وصنف منهم أقرؤا بالخالق وابتداء الخلق والإبداع وأنكروا البعث والإعادة، وهم الذين أخبر عنهم القرآن: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾^(٣).

وصنف منهم أقرؤا بالخالق وابتداء الخلق ونوع من الإعادة وأنكروا الرسل وعبدوا الأصنام وزعموا أنهم شفعاؤهم عند الله في الدار الآخرة، وحجّوا إليها، ونحروا لها الهدايا وقربوا القرابين، وتقربوا إليها بالمناسك والمشاعر، وأحلّوا وحرّموا؛ وهم الدهماء من العرب إلا شذمة منهم.

ومن العرب من يعتقد بالتناسخ فيقول: إذا مات الإنسان أو قتل اجتمع دم الدماغ وأجزاء بنيته، فانتصب طيراً «هامة» فيرجع إلى رأس القبر كلّ مائة سنة، وعن هذا: أنكروا عليهم الرسول ﷺ فقال: «لا هامة ولا عدوى ولا صفر»^(٤).

إنّ العرب وإن اعتنقوا الإسلام ولكن جذور هذه الأفكار كانت موجودة في أذهانهم خلفاً بعد سلف، إذ لا تقلع الأفكار الراسخة بمضي يوم أو سنة أو سنين،

٣. يس: ٧٨.

٢. الجاثية: ٢٤.

١. الجاثية: ٢٤.

٤. الملل والنحل للشهرستاني: ٢/٢١٦-٢١٧، المكتبة العصرية، بيروت. والحديث رواه أبو داود في سننه برقم (٣٩٢١)، وأحمد في مسنده: ١/١٧٤.

وكان خصماء الإسلام يطرحون تلك الأفكار حيناً بعد حين في مناسبات خاصة، فصار هذا سبباً مناسباً لنشوء علم الكلام والدفاع عن العقائد الإسلامية بدليل و برهان، كما أن القرآن الكريم طرح شبهاتهم في التوحيد والمعاد وردّها بقوة، مثلاً: إثم كانوا يستبعدون إحياء العظام وهي رميم، فاستدلّ لهم بالنشأة الأولى، إذ اعترفوا بالخلق الأول، فقال عز وجل: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾^(١)، وقال سبحانه: ﴿أَفَعَيَّنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾^(٢).

٢. اليهود وعقائدهم في التجسيم والقدر

يقول الشهرستاني: اليهود تدّعي أن الشريعة لا تكون إلا واحدة، وهي ابتدأت بموسى عليه السلام وتمت به، فلم تكن قبله شريعة، إلا حدود عقلية وأحكام مصلحية.

ولم يجيزوا النسخ أصلاً، قالوا: فلا يكون بعده «شريعة» أصلاً، لأن النسخ في الأوامر «بداء»، ولا يجوز البداء على الله تعالى، ومساثلهم تدور على جواز النسخ ومنعه، وعلى التشبيه ونفيه، والقول بالقدر والجبر وتجويز الرجعة واستحالتها.

أما النسخ فكما ذكرنا، وأما التشبيه فلائهم وجدوا التوراة ملئت من المتشابهات، مثل: الصورة والمشافهة والتكلم جهراً والنزول على طور سيناء انتقالاً والاستواء على العرش استقراراً، وجواز الرؤية فوقاً وغير ذلك.

١. يس: ٧٩.

٢. ق: ١٥.

وأما القول «بالقدر» فهم مختلفون فيه حسب اختلاف الفريقين في الإسلام، فالربانيون منهم كالمعتزلة فينا، والقراؤون كالمجبرة والمشبهة.^(١)

٣. النصارى والتثليث

لما رفع المسيح عيسى بن مريم عليه السلام إلى السماء، اختلف الحواريون وغيرهم فيه اختلافاً شديداً مع أنه كان رسول التوحيد، فأثبت أتباعه لله أقانيم ثلاثة وسموها: الأب، والابن، وروح القدس.^(٢)

وقد افرقت النصارى إلى: «ملكانية»، و«نسطورية»، و«يعقوبية»؛ وقد كان قسم منهم منتشراً في الجزيرة العربية.

إن وجود هذه التيارات الدينية مضافاً إلى غيرها مما لم نذكره كالصابئين والمجوس وكل من له شبهة كتاب في الجزيرة العربية، أوجد أرضية صالحة لنشوء علم الكلام في مختلف المسائل حيث كان المسلمون على مقربة منهم.

وقد أدى الاحتكاك بينهم إلى تغلغل أفكارهم في أوساط المسلمين، مما حدا بالعلماء المسلمين إلى إجراء الحوارات والمناظرات معهم، الأمر الذي ساهم في نشوء مباحث جديدة لعلم الكلام في الشرق الإسلامي.

٤. الفتوحات الإسلامية والاحتكاك الثقافي

قام المسلمون بواجبهم ففتحو البلاد ونشروا الثقافة الإسلامية بين الأمم المتحضرة، التي كانت تتمتع — وراء الآداب والفنون والعلوم والصناعات —

١. الملل والنحل للشهرستاني: ١/ ١٧٨. والقراؤون: الذين يعودون في فهم دينهم إلى التوراة مباشرة.

٢. الملل والنحل للشهرستاني: ١/ ١٨٦.

بمناهج فلسفية وآراء كلامية لا يدعن بها الإسلام.

وقد كان لذلك الاحتكاك الثقافي واللقاء الحضاري تأثير بالغ، عاد على الإسلام والمسلمين بالخير الكثير، إلا أن هذا الاحتكاك لم يكن يخلو من مضاعفات، منها انتقال تلك الآراء والأفكار إلى الأوساط الإسلامية في وقت لم تكن فيه متدرّعة تجاه تلك الشبهات والمشاكل.

وأعان على ذلك أمر ثان وهو انتقال عدّة من الأسرى إلى العواصم الإسلامية بآرائهم وأفكارهم وعقائدهم المضادة للإسلام وأُسيه، وكان بين المسلمين من لم يتورّع عن أخذ هاتيك العقائد الفاسدة، نظراء: عبد الكريم بن أبي العوجاء، وحماد بن عجرد، ويحيى بن زياد، ومطيع بن أبياس، وعبد الله بن المقفع، إلى غير ذلك بين غير متدرّع أو غير متورّع، فأوجد ذلك بلبلة في الأفكار والعقائد بين المسلمين.

وثمة أمر ثالث كان له التأثير الحاسم في بسط الإلحاد والزندقة، وهو نقل الكتب الرومانية واليونانية والفارسية إلى اللغة العربية من دون نظارة ورقابة وجعلها في متناول أيدي الناس، وقد ذكر النديم تاريخ ترجمة تلك الكتب فقال:

«كان خالد بن يزيد بن معاوية محباً للعلوم، فأمر بإحضار جماعة من فلاسفة اليونان ممن كان ينزل مدينة مصر، وأمرهم بنقل الكتب في الصنعة من اللسان اليوناني والقبطي إلى العربي، وهذا أول نقل كان في الإسلام من لغة إلى لغة، ثم نقل الديوان وكان باللغة الفارسية إلى العربية في أيام الحجاج، وكان أمر الترجمة يتقدم ببطء، إلى أن ظهر المأمون في ساحة الخلافة، فراسل ملك الروم يسأله الإذن في إنفاذ ما يختار من العلوم القديمة المخزونة، المدخرة في بلد الروم، فأجاب إلى ذلك بعد امتناع، فبعث المأمون جماعة، منهم: الحجاج بن مطر، وابن بطريق،

ومحمد وأحمد والحسن بنو شاكر المنجم، فجاءوا بطرائف الكتب، وغرائب المصنّفات في الفلسفة والهندسة وغيرهما، ثم ذكر النديم أسماء النقلة من اللغات المختلفة إلى اللغة العربية، وجاء بأسماء كمية هائلة^(١) فأخذوا يصبون ما وجدوه من غث وسمين في كتب الوثنيين والمسيحيين على رؤوس المسلمين، وهم غير متدّرعين وغير واقفين على جذور هذه الشبه، مع أنها كانت تزعزع أركان الإسلام.

ونقل المسعودي في وصف المنصور أنه أول خليفة قرّب المنجمين فعمل بأحكام النجوم، وكان معه نوبخت المجوسي المنجم وأسلم على يديه وهو أبو هؤلاء النوبختية، وإبراهيم الفزاري المنجم صاحب القصيدة في النجوم، وغير ذلك من علوم النجوم وهيئة الفلك، وعلي بن عيسى الاسطرلابي المنجم. وهو أول خليفة ترجمت له الكتب من اللغات العجمية إلى العربية، منها: كتاب «كليلة ودمنة»، وكتاب «السند هند»، و ترجمت له كتب أرسطاطاليس، من المنطقيات وغيرها، وترجم له كتاب «المجسطي» لبطليموس وكتاب «الارتماطقي» وكتاب «إقليدس» و سائر الكتب القديمة من اليونانية والرومية والفهلوية والفارسية والسريانية وأخرجت إلى الناس، فنظروا فيها، وتعلّقوا إلى علمها.^(٢)

وذكر في وصف المهدي العباسي: وأمعن في قتل الملحدين والذاهبين عن الدين لظهوره في أيامه وإعلانهم باعتقاداتهم في خلافته، ذلك لما انتشر من كتب «ماني» و«ابن ديسان» و«مرجثون» مما نقله «عبد الله بن المقفع» وغيره وترجمت من الفارسية والفهلوية إلى العربية، وما صنّفه في ذلك ابن أبي العوجاء وحماد بن عجرد

١. النديم: الفهرست: ٣٥٢، ٣٥٦.

٢. مروج الذهب: ٤/ ٢٢٣، ط دار الأندلس.

ويحيى بن زياد و مطيع بن أياس من تأييد المذاهب المانية والديصانية والمرقونية، فكثر بذلك الزنادقة وظهرت آراؤهم في الناس، وكان المهدي أول من أمر الجدلين من أهل البحث من المتكلمين بتصنيف الكتب على الملحدين ممن ذكرنا من الجاحدين وغيرهم، وأقاموا البراهين على المعاندين وأزالوا شبه الملحدين، فأوضحوا الحق للشاكين....^(١)

وفي ظل انتشار الكتب المترجمة بين أهل العلم من المسلمين، استفحلت المناظرة في عصر المأمون، وكان أهل الفرق والمذاهب والنحل وأصحاب المقالات يتناظرون فيما بينهم على مرأى ومسمع من الخليفة، وهذا هو المسعودي ينقل عن يحيى بن أكرم أنه قال: كان المأمون يجلس للمناظرة في الفقه يوم الثلاثاء، فإذا حضر الفقهاء ومن يناظره من سائر أهل المقالات أدخلوا حجرة مفروشة، وقيل لهم: أنزعوا أخفافكم، ثم أحضرت الموائد، وقيل لهم: أصيبوا من الطعام والشراب وجدّدوا الوضوء، ومن خفه ضيق فليزعه، ومن ثقلت عليه فليسنوّه فليضعها، فإذا فرغوا أتوا بالمجامر فبخروا وطيبوا، ثم خرجوا فاستدناهم حتى يدنوا منه ويناظرهم أحسن مناظرة، وأنصفها وأبعدها من مناظرة المتجبرين، فلا يزالون كذلك إلى أن تزول الشمس، ثم تنصب الموائد ثانية فيطعمون وينصرفون.^(٢)

ويذكر في حياة الواثق بالله أنه كان له مجلس في الفلسفة والطب وكان الواثق بالله محباً للنظر، مكرماً لأهله، مبغضاً للتقليد وأهله محباً للإشراف على علوم الناس وآرائهم، ممن تقدّم وتأخّر من الفلاسفة وغيرهم من الشرعيين، فحضرهم ذات يوم جماعة من الفلاسفة والمتطبيين، فجرى بحضرته أنواع من علومهم في

١. مروج الذهب: ٤/٢٢٣-٢٢٤.

٢. مروج الذهب: ٣/٤٣٢.

الطبيعيات وما بعد ذلك من الإلهيات.^(١)

لقد أثار انتقال هذه الشبه والعقائد والآراء إلى أوساط المسلمين ضجة كبرى بينهم، وافترقوا إلى فرقتين:

فرقة اقتصرت على الذب عن حياض الإسلام بتضليلهم وتكفيرهم وتوصيفهم بالزندقة وتحذير المسلمين من الالتقاء بهم وقراءة كتبهم والاستماع إلى كلامهم، إلى غير ذلك مما كان يعدّ مكافحة سلبية، لا تصمد أمام ذلك السيل الجارف.

وفرقة قد أحسّوا بخطورة الموقف وأنّ المكافحة السلبية لها أثرها المؤقت، وإنّ ذلك الداء لو لم يعالج بالدواء الناجع سوف يعمّ المجتمع كلّ أو أكثره، فقاموا بمكافحة إيجابية، أي الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال الذي يستحسنه الإسلام، فأزالوا شبهاتهم، ونقدوا أفكارهم في ضوء العقل والبرهان، وقد نجحوا في ذلك نجاحاً باهراً، وهؤلاء هم الشيعة خريجو مدرسة أهل البيت أولاً، والمعتزلة أتباع واصل بن عطاء ثانياً الذين أخذوا أصول مذهبهم عن علي عليه السلام بواسطتين:

١. أبي هاشم ابن محمد بن الحنفية.

٢. محمد ابن الحنفية ابن علي بن أبي طالب.

ففي تلك الأجواء المشحونة بالبحث والجدل استفحل أمر الكلام، أي العلم الباحث عن المبدأ وأسماؤه وصفاته وأفعاله لغاية الذب عن الإسلام، فكان علم الكلام وليد الحاجة، ونتاج الصراع الفكري مع التيارات الإلحادية المتحدية

للإسلام والمسلمين، وفي هذه الظروف العصيبة قام أهل البيت عليه السلام بتربية جموع غفيرة من أصحاب المواهب للذب عن الإسلام وأصوله أولاً، وحريم الولاية ثانياً، في ضوء العقل والبرهان، فصاروا يناظرون كل فرقة ونحلة بأتقن البراهين وأسلمها، وقد حفظ التاريخ أسماء لفيف من الرافلين في حلال الفضائل والمعارف، وسوف توافيك أسماؤهم في هذه الموسوعة.

يقول الدكتور فيصل بدر عون أستاذ جامعة عين شمس: على ضوء هذه الثقافات المتباينة أنه كانت توجد في الجزيرة العربية، وفي البلاد التي امتدت إليها الفتوحات الإسلامية فلسفات وعلوم وديانات متباينة، وكان لكل دين أو فلسفة أنصاره ومؤيدوه، وهؤلاء الأنصار أيضاً انقسموا فيما بينهم إلى شيع وأحزاب، ومع أن هذه الطوائف قد احتفظت بكثير من عناصرها وخصائصها الأصلية، فإن امتزاجها قد أدى فيما بعد إلى صعوبة التمييز بينها وبين معالم الدين الجديد، إلا أن ذلك لم يمنع من القول بأن معظم هذه الثقافات قد احتفظت بسماته العامة التي تميزه عن غيره، وهكذا أيضاً تجد أن المسلمين قد ورثوا تراثاً إنسانياً ضخماً، كان عليهم أن يدرسوه ويمتصوه ويضيفوا إليه ويقتبسوا منه ما يتفق ودينهم ويردّوا على الآراء التي لا تتفق والروح الإسلامية الجديدة.^(١)

أقول: إن ما اقترحه الأستاذ الفاضل من أنه كان من واجب المسلمين دراسة التراث وتمحيصه، لم يعر له المشايخ أهمية فقد حرّموا علم الكلام ودراسته وأدانوا الممارسين له، واستمرت فكرة التحريم إلى عصر أبي الحسن علي بن إسماعيل إمام الأشاعرة (٢٦٠-٣٢٤هـ) الذي كتب رسالة في استحسان الخوض في علم الكلام، وحاول بذلك القضاء على فكرة أهل الحديث المحرّمين لعلم الكلام والبحوث

العقلية .

فمع أنّ الإمام تاب عن الاعتزال والتحق بركب الحنابلة، فمع ذلك استحسّن الخوض في علم الكلام.

ولما كانت الرسالة تحتوي على نكات بدیعة تعرب عن رسوخ الرجعية بين أهل الحديث وتعالج ذلك الداء العضال، فقد ارتأينا الإتيان بنصّها . قال بعد التسمية والحمد والتسليم :

رسالة الإمام الأشعري في استحسان الخوض في علم الكلام^(١)

أما بعد فإنّ طائفة من الناس جعلوا الجهل رأس مالههم، وثقل عليهم النظر والبحث عن الدين، ومالوا إلى التخفيف والتقليد، وطعنوا على من فتش عن أصول الدين ونسبوه إلى الضلال، وزعموا أنّ الكلام في الحركة والسكون والجسم والعرض والألوان والأكوان والجزء والطفرة وصفات الباري عزّ وجلّ بدعة وضلالة، وقالوا: لو كان هدى ورشاداً لتكلّم فيه النبي ﷺ وخلفاؤه وأصحابه! قالوا: ولأنّ النبي ﷺ لم يمت حتّى تكلم في كلّ ما يحتاج إليه من أمور الدين، ويبيّن بياناً شافياً، ولم يترك بعده لأحد مقالاً فيما للمسلمين إليه حاجة من أمور دينهم، وما يقربهم إلى الله عزّ وجلّ ويباعدهم عن سخطه؛ فلما لم يرووا عنه الكلام في شيء ممّا ذكرناه، علمنا أنّ الكلام فيه بدعة، والبحث عنه ضلالة، لأنّه لو كان خيراً لما فات النبي ﷺ ولتكلّموا فيه، قالوا: ولأنّه ليس يخلو ذلك من وجهين: إمّا أن يكونوا علموه فسكتوا عنه، أو لم يعلموه بل جهلوه، فإن كانوا

١ . الرسالة طبعت للمرّة الثالثة في حيدر آباد الدكن (الهند) عام ١٤٠٠هـ / ١٩٧٩ م، كما طبعت في

ذيل كتاب اللمع للأشعري أيضاً.

علموه ولم يتكلموا فيه وسعنا أيضاً نحن السكوت عنه، كما وسعهم السكوت عنه، ووسعنا ترك الخوض كما وسعهم ترك الخوض فيه، ولأنه لو كان من الذين ما وسعهم السكوت عنه، وإن كانوا لم يعلموه وسعنا جهله كما وسع أولئك جهله، لأنه لو كان من الذين لم يجهلوه، فعلى كلا الوجهين الكلام فيه بدعة، والخوض فيه ضلالة، فهذه جملة ما احتجوا به في ترك النظر في الأصول.

قال الشيخ أبو الحسن رضي الله عنه: الجواب عنه من ثلاثة أوجه:

أحدها: قلب السؤال عليهم بأن يقال: النبي ﷺ لم يقل أيضاً إنه من بحث عن ذلك وتكلم فيه فاجعلوه مبتدعاً ضالاً، فقد لزمكم أن تكونوا مبتدعة ضاللاً، إذ قد تكلمتم في شيء لم يتكلم فيه النبي ﷺ، وضللتهم من لم يضلله النبي ﷺ.

الجواب الثاني: أن يقال لهم: إن النبي ﷺ لم يجهل شيئاً مما ذكرتموه من الكلام في الجسم والعرض، والحركة والسكون، والجزء والطفرة، وإن لم يتكلم في كل واحد من ذلك معيناً، وكذلك الفقهاء والعلماء من الصحابة، غير أن هذه الأشياء التي ذكرتموها معينة، أصولها موجودة في القرآن والسنة جملة غير منفصلة.

فأما الحركة والسكون والكلام فيهما فأصلهما موجود في القرآن، وهما يدلان على التوحيد، وكذلك الاجتماع والافتراق، قال الله تعالى مخبراً عن خليله إبراهيم صلوات الله عليه وسلامه في قصة أقول الكوكب والشمس والقمر^(١) وتحريكها من مكان إلى مكان، ما دلّ على أن ربه عز وجل لا يجوز عليه شيء من ذلك، وأن من جاز عليه الأقول والانتقال من مكان إلى مكان فليس بآله.

وأما الكلام في أصول التوحيد فمأخوذ أيضاً من الكتاب، قال الله

تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾^(١)، وهذا الكلام موجز منه على الحجة بأنه واحد لا شريك له، وكلام المتكلمين في الحجاج في التوحيد بالتامع والتغالب فإنما مرجعه إلى هذه الآية، وقوله عز وجل: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾^(٢)، إلى قوله عز وجل: ﴿أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ﴾^(٣).

وكلام المتكلمين في الحجاج في توحيد الله إنما مرجعه إلى هذه الآيات التي ذكرناها، وكذلك سائر الكلام في تفصيل فروع التوحيد والعدل إنما هو مأخوذ من القرآن، فكَذلك الكلام في جواز البعث واستحالاته الذي قد اختلف عقلاء العرب ومن قبلهم من غيرهم فيه حتى تعجبوا من جواز ذلك فقالوا: ﴿إِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ﴾^(٤)، وقولهم: ﴿هَيَّاهُ هَيَّاهُ لِمَا تُوعَدُونَ﴾^(٥)، وقولهم: ﴿مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾^(٦)، وقوله تعالى: ﴿أَتَعِدُّكُمْ أَنْكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَاباً وَعِظَاماً أَنْكُمْ مُخْرَجُونَ﴾^(٧)، وفي نحو هذا الكلام منهم إتما ورد بالحجاج في جواز البعث بعد الموت في القرآن تأكيداً لجواز ذلك في العقول، وعلم نبية ﷺ، ولقنه الحجاج عليهم في إنكارهم البعث من وجهين على طائفتين: منه طائفة أقرت بالخلق الأول وأنكرت الثاني، وطائفة جحدت ذلك بقدوم العالم فاحتج على المقر منها بالخلق الأول بقوله: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾^(٨)، وبقوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾^(٩) وبقوله: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ

٢. المؤمنون: ٩١.

٤. ق: ٣.

٦. يس: ٧٨.

٨. يس: ٧٩.

١. الأنبياء: ٢٢.

٣. الرعد: ١٦.

٥. المؤمنون: ٣٦.

٧. المؤمنون: ٣٥.

٩. الروم: ٢٧.

تَعُودُونَ^(١)، فنبههم بهذه الآيات على أنّ من قدر أن يفعل فعلاً على غير مثال سابق فهو أقدر أن يفعل فعلاً محدثاً، فهو أهون عليه فيما بينكم وتعارفكم، وأمّا الباري جلّ ثناؤه وتقدست أسماؤه فليس خَلْقُ شيء بأهون عليه من الآخر، وقد قيل: إنّ الهاء في «عليه» إنّما هي كناية للخلق بقدرته، إنّ البعث والإعادة أهون على أحدكم وأخفّ عليه من ابتداء خلقه، لأنّ ابتداء خلقه إنّما يكون بالولادة والتربية وقطع السرة والقماط وخروج الأسنان، وغير ذلك من الآيات الموجعة المؤلمة، وإعادته إنّما تكون دفعة واحدة ليس فيها من ذلك شيء، فهي أهون عليه من ابتدائه، فهذا ما احتجّ به على الطائفة المقررة بالخلق.

وأما الطائفة التي أنكرت الخلق الأوّل والثاني، وقالت بقدّم العالم فإنّما دخلت عليهم شبهة بأن قالوا: وجدنا الحياة رطبة حارة، والموت بارداً يابساً، وهو من طبع التراب، فكيف يجوز أن يجمع بين الحياة والتراب والعظام النخرة فيصير خلقاً سوياً، والضدّان لا يجتمعان، فأنكروا البعث من هذه الجهة.

ولعمري إنّ الضدّين لا يجتمعان في محلّ واحد، ولا في جهة واحدة، ولا في الموجود في المحل، ولكنه يصحّ وجودهما في محلّين على سبيل المجاورة، فاحتجّ الله تعالى عليهم بأن قال: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَاراً فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقَدُونَ﴾^(٢)، فردّهم الله عزّ وجلّ في ذلك إلى ما يعرفونه ويشاهدونه من خروج النار على حرّها ويسها من الشجر الأخضر على برده ورطوبته، فجعل جواز النشأة الأولى دليلاً على جواز النشأة الآخرة، لأنّها دليل على جواز مجاورة الحياة التراب والعظام النخرة، فجعلها خلقاً سوياً وقال: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ

١. الأعراف: ٢٩.

٢. يس: ٨٠.

نُعِيدُهُ»^(١).

وأما ما يتكلم به المتكلمون من أنّ الحوادث أولاً^(٢) وردهم على الدهرية أنّه لا حركة إلّا وقبلها حركة، ولا يوم إلّا وقبله يوم، والكلام على من قال: ما من جزء إلّا وله نصف لا إلى غاية، فقد وجدنا أصل ذلك في سنة رسول الله ﷺ حين قال: «لا عدوى ولا طيرة» فقال أعرابي: فما بال الإبل كأنها الظباء تدخل في الإبل الجربى فتجرب؟ فقال النبي ﷺ: فمن أعدى الأول؟ فسكت الأعرابي لما أفحمه بالحجة المعقولة.

وكذلك نقول لمن زعم أنّه لا حركة إلّا وقبلها حركة: لو كان الأمر هكذا لم تحدث منها واحدة، لأنّ ما لا نهاية له لا حدث له، وكذلك لما قال الرجل: يا نبيّ الله! إنّ امرأتي ولدت غلاماً أسود وعرض بنفسه، فقال النبي ﷺ: هل لك من إبل؟ فقال: نعم! قال: فما ألوانها، قال: حمر، فقال رسول الله ﷺ: هل فيها من أورق؟ قال: نعم! إنّ فيها أورق، قال: فأنى ذلك؟ قال: لعل عرقاً نزعته، فقال النبي ﷺ: ولعلّ ولدك نزعته عرق، فهذا ما علّم الله نبيّه من ردّ الشيء إلى شكله ونظيره، وهو أصل لنا في سائر ما نحكم به من الشبيه والنظير.

وبذلك نحتج على من قال: إنّ الله تعالى و تقدّس يشبه المخلوقات، وهو جسم، بأن نقول له: لو كان يشبه شيئاً من الأشياء لكان لا يخلو من أن يكون يشبهه من كلّ جهاته، أو يشبهه من بعض جهاته، فإن كان يشبهه من كلّ جهاته وجب أن يكون محدثاً من كلّ جهاته، وإن كان يشبهه من بعض جهات وجب أن يكون محدثاً مثله من حيث أشبهه، لأنّ كلّ مشتبهين حكمهما واحد فيما اشتبها له،

١. الأنبياء: ١٠٤.

٢. بياض في الأصل.

ويستحيل أن يكون المحدث قديماً والقديم محدثاً، وقد قال تعالى وتقدس: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾^(١)، وقال تعالى وتقدس: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾^(٢).

وأما الأصل بأنّ للجسم نهاية وأنّ الجزء لا ينقسم ففقوله عز وجل اسمه: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾^(٣) ومحال إحصاء ما لا نهاية له، ومحال أن يكون الشيء الواحد ينقسم^(٤) لأنّ هذا يوجب أن يكونا شيئين، وقد أخبر أنّ العدد وقع عليهما. وأما الأصل في أنّ المحدث للعالم يجب أن يتأتى له الفعل نحو قصده واختياره وتنفي عنه كراهيته، ففقوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ﴾ * ءَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ^(٥)، فلم يستطيعوا أن يقولوا بحجة أنهم يخلقون مع تميهم الولد، فلا يكون مع كراهيته له، فنبههم أنّ الخالق هو من يتأتى منه المخلوقات على قصده.

وأما أصلنا في المناقضة على الخصم في النظر فمأخوذ من سنة سيّدنا محمد ﷺ، وذلك تعليم الله عز وجل إياه حين لقي الخبر السمين، فقال له: نشدتك بالله هل تجد فيما أنزل الله تعالى من التوراة أنّ الله تعالى يبغض الخبر السمين؟ فغضب الخبر حين عبّره بذلك، فقال: «ما أنزل الله على بشر من شيء»، فقال الله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا﴾^(٦) فناقضه عن قرب، لأنّ التوراة شيء، وموسى بشر، وقد كان الخبر مقراً بأنّ الله تعالى أنزل التوراة على موسى.

٢. الإخلاص: ٤.

٤. بياض في الأصل.

٦. الأنعام: ٩١.

١. الشورى: ١١.

٣. يس: ١٢.

٥. الواقعة: ٥٨-٥٩.

وكذلك ناقض الذين زعموا أنّ الله تعالى عهد إليهم أن لا يؤمنوا لرسول حتى يأتيهم بقریان تأكله النار، فقال تعالى: ﴿قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾^(١) فناقضهم بذلك وحاجهم.

وأما أصلنا في استدراكنا مغالطة الخصوم فمأخوذ من قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَنْ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ﴾ - إلى قوله: - ﴿لَا يَسْمَعُونَ﴾^(٢)، فإنها لما نزلت هذه الآية بلغ ذلك عبد الله بن الزبير - وكان جدلاً خصماً - فقال: خصمت محمداً ورب الكعبة، فجاء إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا محمداً! أأنت تزعم أنّ عيسى وعزيراً والملائكة عبدوا؟ فسكت النبي ﷺ لا سكوت عي ولا منقطع، تعجباً من جهله، لأنه ليس في الآية ما يوجب دخول عيسى وعزير والملائكة فيها، لأنه قال: ﴿وَمَا تَعْبُدُونَ﴾ ولم يقل و كل ما تعبدون من دون الله، وإنّا أراد ابن الزبير مغالطة النبي ﷺ ليوهم قومه أنه قد حاجه، فأنزل الله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى﴾ يعني من المعبودين ﴿أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾^(٣) فقرأ النبي ﷺ ذلك، فضجوا عند ذلك لئلا يتبين انقطاعهم وغلطهم، فقالوا: ﴿ءآلهتنا خيرٌ أم هو﴾ يعنون عيسى، فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَمَّا ضَرَبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾ إلى قوله: ﴿خَصِمُونَ﴾^(٤)، وكل ما ذكرناه من الآي أو لم نذكره أصل، وحجة لنا في الكلام فيما نذكره من تفصيل، وإن لم تكن مسألة معينة في الكتاب والسنة، لأن ما حدث تعيينها من المسائل العقلية في أيام النبي ﷺ والصحابة قد تكلموا فيه على نحو

١. آل عمران: ١٨٣.

٢. الأنبياء: ٩٨-١٠٠.

٣. الأنبياء: ١٠١.

٤. الزخرف: ٥٧-٥٨.

ما ذكرناه.

والجواب الثالث: إن هذه المسائل التي سألوا عنها قد علمها رسول الله ﷺ ولم يجهل منها شيئاً مفصلاً، غير أنها لم تحدث في أيام معينة فيتكلم فيها، أو لا يتكلم فيها، وإن كانت أصولها موجودة في القرآن والسنة، وما حدث من شيء فيما له تعلق بالدين من جهة الشريعة فقد تكلموا فيه وبحثوا عنه وناظروا فيه وجادلوا وحاجّوا، كمسائل العول والجدات من مسائل الفرائض، وغير ذلك من الأحكام، وكالحرام والبائن وألبنة وحبلك على غاربك. وكالمسائل في الحدود والطلاق مما يكثر ذكرها، مما قد حدثت في أيامهم، ولم يجئ في كل واحدة منها نص عن النبي ﷺ، لأنه لو نص على جميع ذلك ما اختلفوا فيها، وما بقي الخلاف إلى الآن.

وهذه المسائل - وإن لم يكن في كل واحدة منها نص عن رسول الله ﷺ - فإنهم ردّوها وقاسوها على ما فيه نص من كتاب الله تعالى والسنة واجتهادهم، فهذه أحكام حوادث الفروع، ردّوها إلى أحكام الشريعة التي هي فروع لا تستدرك أحكامها إلا من جهة السمع والرسول، فأما حوادث تحدث في الأصول في تعيين مسائل فينبغي لكل عاقل مسلم أن يرد حكمها إلى جملة الأصول المتفق عليها بالعقل والحس والبديهة وغير ذلك، لأن حكم مسائل الشرع التي طريقها السمع أن تكون مردودة إلى أصول الشرع الذي طريقه السمع، وحكم مسائل العقلية والمحسوسات أن يرد كل شيء من ذلك إلى بابه، ولا يخلط العقلية بالسمعية ولا السمعية بالعقلية، فلو حدثت في أيام النبي ﷺ الكلام في خلق القرآن وفي الجزء والظفرة بهذه الألفاظ لتكلم فيه وبيّنه، كما بيّن سائر ما حدث في أيامه من تعيين المسائل، وتكلم فيها.

ثم يقال: النبي ﷺ لم يصح عنه حديث في أن القرآن غير مخلوق أو هو مخلوق، فلم قلتم: إنه غير مخلوق؟

فإن قالوا: قد قاله بعض الصحابة وبعض التابعين، قيل لهم: يلزم الصحابي والتابعي مثل ما يلزمكم من أن يكون مبتدعاً ضالاً إذ قال ما لم يقله الرسول ﷺ.

فإن قال قائل: فأنا أتوقف في ذلك فلا أقول: مخلوق ولا غير مخلوق، قيل له: فأنت في توقفك في ذلك مبتدع ضال، لأن النبي ﷺ لم يقل: إن حدثت هذه الحادثة بعدي توقفوا فيها ولا تقولوا فيها شيئاً، ولا قال: ضللوا وكفروا من قال بخلقه أو من قال بنفي خلقه.

وخبرونا، لو قال قائل: إن علم الله مخلوق، أكنتم تتوقفون فيه أم لا؟
فإن قالوا: لا، قيل لهم: لم يقل النبي ﷺ ولا أصحابه في ذلك شيئاً، وكذلك لو قال قائل: هذا ربكم شبعان أو ريسان، أو مكتس أو عريان، أو مقرر أو صفراوي أو مرطوب، أو جسم أو عرض، أو يشم الريح أو لا يشمها، أو هل له أنف وقلب وكبد وطحال، وهل يحج في كل سنة، وهل يركب الخيل أو لا يركبها، وهل يغتم أم لا؟ ونحو ذلك من المسائل، لكان ينبغي أن تسكت عنه، لأن رسول الله ﷺ لم يتكلم في شيء من ذلك ولا أصحابه، أو كنت لا تسكت، فكنت تبين بكلامك أن شيئاً من ذلك لا يجوز على الله عز وجل، وتقصد كذا وكذا بحجة كذا وكذا.

فإن قال قائل: أسكت عنه ولا أجيبه بشيء، أو أهجره، أو أقوم عنه، أو لا أسلم عليه، أو لا أعوده إذا مرض، أو لا أشهد جنازته إذا مات.

قيل له: فيلزمك أن تكون في جميع هذه الصيغ التي ذكرتها مبتدعاً ضالاً، لأن رسول الله ﷺ لم يقل: من سأل عن شيء من ذلك فاسكتوا عنه، ولا قال: لا تسلموا عليه، ولا: قوموا عنه، ولا قال شيئاً من ذلك، فأنتم مبتدعة إذا فعلتم

ذلك، ولم لم تسكتوا عمّن قال بخلق القرآن، ولم كفرتموه، ولم يرد عن النبي ﷺ حديث صحيح في نفي خلقه، وتكفير من قال بخلقه.

فإن قالوا: إنّ أحمد بن حنبل، قال بنفي خلقه، وتكفير من قال بخلقه، قيل لهم: ولم لم يسكت أحمد عن ذلك بل تكلم فيه؟

فإن قالوا: لأنّ العباس العنبري ووكيعاً وعبس الرحمن بن مهدي وفلاناً وفلاناً قالوا إنّهم غير مخلوق، ومن قال بأنّه مخلوق فهو كافر.

قيل لهم: ولم لم يسكت أولئك عمّا سكت عنه ﷺ؟

فإن قالوا: لأنّ عمرو بن دينار و سفيان بن عيينة وجعفر بن محمد رضي الله عنهم وفلاناً وفلاناً قالوا: ليس بخالق ولا مخلوق.

قيل لهم: ولم لم يسكت أولئك عن هذه المقالة، ولم يقلها رسول الله ﷺ؟

فإن أحوالوا ذلك على الصحابة أو جماعة منهم كان ذلك مكابرة. فإنّه يقال لهم: فلم لم يسكتوا عن ذلك، ولم يتكلم فيه النبي ﷺ. ولا قال: كفروا قائله، وإن قالوا: لا بدّ للعلماء من الكلام في الحادثة ليعلم الجاهل حكمها، قيل لهم: هذا الذي أردناه منكم، فلم منعتم الكلام، فأنتم إن شئتم تكلمتم، حتى إذا انقطعتم قلتم: نهينا عن الكلام؛ وإن شئتم قلّدتكم من كان قبلكم بلا حجة ولا بيان، وهذه شهوة وتحكم.

ثمّ يقال لهم: فالنبي ﷺ لم يتكلم في النذور والوصايا، ولا في العتق، ولا في حساب المناسخات، ولا صنف فيها كتاباً كما صنعه مالك والثوري والشافعي وأبو حنيفة، فيلزمكم أن تكونوا مبتدعة ضلالاً إذ فعلوا ما لم يفعله النبي ﷺ، وقالوا ما لم يقله نصّاً بعينه، وصنّفوا ما لم يصنّفه النبي ﷺ، وقالوا بتكفير القائلين بخلق القرآن ولم يقله النبي ﷺ. وفيما ذكرنا كفاية لكلّ عاقل غير معاند.

نجز والحمد لله، وصلى الله على سيّدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

بدايات الخلاف

في عصر الرسول ﷺ وبعد رحيله

ذكر أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني (٤٧٩-٥٤٨هـ) بدايات الخلاف بين المسلمين في عصر الرسول ﷺ وبعده، ولكنها بدايات خلاف وليست بدايات خلاف في مسائل كلامية، وكان عليه عقد فصل لبدايات الخلاف وفصل آخر لبدايات الخلاف في المسائل الكلامية. وها نحن نذكر كلتا البدايات في مقامين:

المقام الأول: في بدايات الخلاف في عصر الرسول ﷺ

إن الرسول الأعظم ﷺ - بما أنه لا ينطق عن الهوى وأنّ ما يقوله ويفعله إنّما هو وحي يُوحى إليه - كان سداً منيعاً لنشوء الخلاف، ولو حصل هناك خلاف بين الصحابة فإنّما هو خلاف سطحي، يرتفع غالباً بإرشاداته وتوجيهاته، ونحن نذكر نموذجين من ذلك:

١. قسّم رسول الله ﷺ أموال بيت المال بين المسلمين في غزوة الطائف، ووَزَعَ الخمس (الذي هو حقّه الخاص به) بين أشرف قريش الحديثي عهد بالإسلام بُغية تأليف قلوبهم، فأعطى من هذا المال لأبي سفيان بن حرب، وابنه

معاوية، وحكيم بن حزام، والحارث بن الحارث، والحارث بن هشام، وسهيل بن عمرو، وحويط بن عبد العزى، والعلاء بن جارية، وصفوان بن أمية، وغيرهم ممن كانوا يعادونه إلى الأمل القريب، فأعطى لكل واحد منهم مائة بعير.^(١)

لقد شق هذا الأسلوب في تقسيم الغنائم على الأنصار لجهلهم بالمصالح التي كان النبي ﷺ يراعيها ويتبناها في هذا التقسيم وكانوا يتصورون أن التعصب القبلي هو الذي دفع بالرسول إلى تقسيم خمس الغنيمة بين أبناء قبيلته، فجاء ذو الخويصرة التميمي فقال لرسول الله ﷺ بكل وقاحة: يا محمد قد رأيت ما صنعت في هذا اليوم لم أرك عدلت، فغضب رسول الله ﷺ من كلامه، فقال: ويحك إذا لم يكن العدل عندي فعند من يكون؟ فطلب عمر بن الخطاب من رسول الله ﷺ أن يأذن له بقتله، فلم يأذن له، ثم أخبر ﷺ عن مصيره السيئ، وقال:

دعه فإنه سيكون له شيعة يتعمقون في الدين حتى يخرجوا منه كما يخرج السهم من الرمية.^(٢)

٢. رفع سعد بن عباد شكاوى الأنصار حول كيفية تقسيم الخمس، فقال له النبي ﷺ: إجمع من كان هاهنا من الأنصار، فتكلم النبي ﷺ بعد حمد الله وثنائه وقال:

«يا معشر الأنصار ما مقالة بلغتني عنكم وجدة وجدتموها في أنفسكم؟ ألم أتكم ضللاً فهداكم الله، وعالة فأغناكم الله، وأعداء فألف الله بين قلوبكم؟»
قالوا: بلى، الله ورسوله أمّن وأفضل!

قال:

١. السيرة النبوية: ٤٤٣/٣؛ إمتاع الأسماع: ٤٢٣.
٢. السيرة النبوية: ٤٩٦/٢؛ السيرة الحلبية: ١٢٣/٣.

«ألا تحيوني يا معشر الأنصار؟»

قالوا: وماذا نجيبك يا رسول الله؟ لرسول الله المنُّ والفضل.

قال:

«أما والله لو شِئْتُمْ قُلْتُمْ فَصَدَقْتُمْ، أَيْتَنَا مَكْذَباً فَصَدَقْنَاكَ، وَمَحْذُولاً فَنَصَرْنَاكَ، وَطَرِيداً فَأَوَيْنَاكَ، وَعَائِلاً فَأَسَيْنَاكَ! وَجَدْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ فِي شَيْءٍ مِنَ الدُّنْيَا، تَأَلَّفْتُ بِهِ قَوْماً لَيْسَلُمُوا وَوَكَّلْتُكُمْ إِلَى إِسْلَامِكُمْ، أَفَلَا تَرْضَوْنَ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالشَّاةِ وَالْبَعِيرِ، وَتَرْجِعُوا بِرَسُولِ اللَّهِ إِلَى رِحَالِكُمْ؟»

والذي نفسُ محمد بيده لولا الهجرة لكنت امرءاً من الأنصار، ولو سلك الناس شِعْباً وَسَلَكْتَ الْأَنْصَارُ شِعْباً لَسَلَكْتُ شِعْبَ الْأَنْصَارِ.

ثم تَرَحَّمْ عَلَى الْأَنْصَارِ وَعَلَى أَبْنَائِهِمْ وَعَلَى أَبْنَاءِ أَبْنَائِهِمْ فَقَالَ:

«اللَّهُمَّ ارْحَمْ الْأَنْصَارَ وَأَبْنَاءَ الْأَنْصَارِ وَأَبْنَاءَ أَبْنَاءِ الْأَنْصَارِ».

وقد كانت كلمات النبي ﷺ هذه من القوة والعاطفة بحيث أثارت مشاعر الأنصار، فبكوا بعد سماعها بكاء شديداً حتى اخضلت لحاهم بالدموع وقالوا: رَضِينَا يَا رَسُولَ اللَّهِ حُظّاً وَقِسْماً!!!

ثم انصرف رسول الله ﷺ و تفرقوا.^(١)

نعم قد وقع في عصر الرسول خلاف بينه وبين بعض أصحابه لم يحسم في حياته بل بقي الخلاف إلى أن قبض رسول الله ﷺ، وإليك شيئاً من هذا القسم.

١. تجهيز جيش أسامة

كان النبي ﷺ مهتماً بالروم ويرى أنهم يشكلون خطراً كبيراً على الدولة الفتية الإسلامية، ولأجل ذلك سار في العام التاسع من هجرته إلى تبوك مع ثلاثين ألفاً من أصحابه، وجاء فلم ير هناك أثراً للعدو وعقد موثيق مع رؤساء القبائل في المنطقة ورجع إلى المدينة وجّهز في أخريات عمره، وقبل أن يطرأ عليه المرض جيشاً أمر عليه أسامة بن زيد الذي كان أبوه أيضاً أميراً على الجيش، وغزا في أرض مؤتة وكان الناس على استعداد للنفر وقد اجتمع كثير منهم في معسكر «جُرف».

عقد رسول الله ﷺ اللواء لأسامة، ثم مرض بشدة وأصابه صداع شديد ألزمه الفراش واستمرّ المرض عدّة أيام حتى قضى عليه ﷺ، وعندما شاهد النبي ﷺ وهو طريح الفراش استئقال صحابته في النفر والحركة إلى تبوك، خرج من البيت وقال: جهّزوا جيش أسامة، لعن الله من تخلف عنه، فقال قوم: يجب علينا امتثال أمره، وأسامة قد برز من المدينة.

وقال قوم: قد اشتدّ مرض النبي فلا تسع قلوبنا مفارقتة، والحالة هذه، نصبر حتى نبصر أي شيء يكون من أمره.

وعلى كلّ تقدير لم يتحقّق أحد آمال النبي في أيام حياته، بسبب فقدان الانضباط بين الصحابة والذي أبداه فريق من شيوخ القوم وأعيان الجيش.

٢. الأمر بإحضار القلم والدواة

لما اشتدّ مرض رسول الله ﷺ وحضر عنده أعيان صحابته، أمر بإحضار القلم والدواة والقرطاس ليكتب لهم شيئاً حتى لا يضلّوا بعده، وقد ذكر ذلك مسلم في صحيحه كما ذكره البخاري في صحيحه في عدّة مواطن، ونحن نذكر ما

أخرجه مسلم في صحيحه عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس، قال:
لَمَّا حُضِرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي الْبَيْتِ رَجَالٌ فِيهِمْ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فَقَالَ
النَّبِيُّ ﷺ: هَلَمْ، أَكْتُبْ لَكُمْ كِتَابًا لَا تَضِلُّونَ بَعْدَهُ، فَقَالَ عُمَرُ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ
قَدْ غَلَبَ عَلَيْهِ الْوَجَعُ وَعِنْدَكُمْ الْقُرْآنُ، حَسْبُنَا كِتَابُ اللَّهِ، فَاخْتَلَفَ أَهْلُ الْبَيْتِ
فَاخْتَصَمُوا... فَلَمَّا أَكْثَرُوا اللَّغْوَ وَالْاِخْتِلَافَ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:
قَوْمُوا عَنِّي وَلَا يَنْبَغِي عِنْدِي التَّنَازُعُ.

وكان ابن عباس يقول: إِنَّ الرِّزْيَةَ كُلَّ الرِّزْيَةِ مَا حَالَ بَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ
وَبَيْنَ أَنْ يُكْتُبَ لَهُمْ ذَلِكَ الْكِتَابَ مِنْ اخْتِلَافِهِمْ وَلِغَطِّهِمْ.^(١)

الخلافات بعد رحيل الرسول ﷺ

كان وجود الرسول الأعظم ﷺ بين المسلمين، يمثل — غالباً — سداً منيعاً
أمام نشوب الخلاف والشقاق بينهم، وبعد رحيله ﷺ بدأ النزاع بينهم في المسائل
الفقهية والعقائدية... وأخذ يتسع شيئاً فشيئاً إلى أن بلغ درجة، تفرقوا معها إلى
فرق ومذاهب مختلفة.

والخلافات بعد رحيله تنقسم إلى قسمين:

١. الخلافات الفرعية كالخلاف في موضع دفنه، فقد اتفقوا بعد الخلاف
على دفنه في بيته لما روي عن النبي ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «الْأَنْبِيَاءُ يُدْفَنُونَ حَيْثُ يَمُوتُونَ». ونظيره الخلاف في أمر فذك وأن النبي يورث أو لا، فادعى أبو بكر أنه سمع
النبي ﷺ يقول: نحن معاشر الأنبياء لا نورث، وخالفه علي بن أبي طالب وبنت النبي ﷺ
وجميع أهل البيت عليه السلام في أَنَّ النبي ﷺ يُورَثُ كما يُورَث الآخرون، وأن ما رواه أبو

١. صحيح مسلم: ٥/٧٦، باب ترك الوصية لمن ليس له شيء يوصي فيه من كتاب الوصية.

بكر خبر واحد مخالف للقرآن الكريم حيث ورث أبناء الأنبياء آباءهم. ولو كان النبي ﷺ كسائر الأنبياء لا يُورث، كان عليه أن يبين ذلك لأولاده حتى لا يدعوا بعده ما ليس لهم، كما عمل بذلك في باب الزكاة وقال: إن الصدقة حرام على آل النبي ﷺ.

٢. الخلافات الأصولية أهمها مسألة الإمامة بعد رحيل الرسول، وقد عدّ الشهرستاني ذلك الخلاف أعظم خلاف بين الأمة وقال: «ما سل سيف في الإسلام على قاعدة دينية مثل ما سل على الإمامة في كل زمان».

إن الخلافة في العقيدة الشيعية منصب إلهي كالنبوة يعطى لأفضل أفراد الأمة وأصلحهم وأعلمهم، والفرق الواضح بين الإمام والنبي، هو أن النبي مؤسس الشريعة، و يوحى إليه، ويتلقى الكتاب من لدن الله تعالى، والإمام وإن كان لا يتمتع بواحد من هذه الشؤون، إلا أنه يقوم بوظائف النبي كلها - عدا ما استثنى - كنشر الإسلام، وتفسير الكتاب، وتبيين الأحكام، وقيادة المسلمين، و... .

نعم الإمامة عند أهل السنة مسألة فرعية من مسائل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وعلى كل تقدير فإنّ هذا الخلاف هو الأساس لعامة الخلافات، ولو كانت الصحابة عملت بوصية النبي ﷺ في أهل بيته حيث قال في غير موضع: «إني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي ما إن تمسكتم بهما لن تضلّوا...» لذابت سائر الخلافات بين المسلمين، وذلك لأنّ أهل البيت (كما في حديث الثقلين)، هم المرجع العلمي للأمة، والخلافات تُردّ إليهم، فيكون رأيهم وقضاؤهم هو الرأي الحاسم والقاطع ولكن القوم - عفا الله عنّا وعنهم - أقصوا أئمة أهل البيت وطمعوا في الخلافة ورغبوا عن الإمامة، فلو كانوا مقدّمين من قدّم الله ومؤخّرين

مَنْ أَمَرَ اللَّهُ، لَأَكْلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمَنْ تَحْتَ أَرْجُلِهِمْ، وَكَانَ الْمُسْلِمُونَ يَدُورُ وَاحِدَةً دُونَ آيَةٍ فَرَقَةٍ وَشَقَاقٍ.

هذا وقد تفاقم الأمر بعد رحيل الرسول في مسائل كثيرة، لعدول الأكثر عن الخط الذي رسمه لهم الرسول، وهو التمسك بأئمة أهل البيت بعد رحيله فيما يرجع إلى دينهم ودنياهم، ونود أن نشير إلى هذه الأمور بإيجاز:

١. تولى أبو بكر الخلافة قرابة ثلاث سنين وأوصى بها بعد وفاته إلى عمر بن الخطاب خلافاً للأصل الذي كانوا يتبنونه في السقيفة من اختيار الخليفة عبر البيعة، فلما ولّاه الخلافة واجه رفض بعض الأصحاب واعتراضهم، وقالوا له: قد وليت علينا فظاً غليظاً.

٢. تسنم عثمان عرش الخلافة بشورى سداسية، عين أعضاءها عمر بن الخطاب، الذي تناسى الأصل في تعيين الخليفة من حديث البيعة ولما استتب لعثمان الأمر ارتكب أموراً كثيرة نقموا بها عليه:

منها: ردّه الحكم بن أمية إلى المدينة بعد أن طرده رسول الله ﷺ (وكان يسمى طريد رسول الله) وبعد أن تشفع إلى أبي بكر وعمر أيام خلافتها فما أجابا إلى ذلك، ونفاه عمر من مقامه باليمن أربعين فرسخاً.

ومنها: نفيه أبا ذر إلى الربرة.

ومنها: تزويجه مروان بن الحكم بنته وإعطاؤه خمس غنائم أفريقية وقد بلغ مائتي ألف دينار.

ومنها: إيواؤه عبد الله بن سعد بن أبي سرح (وكان رضيعه) بعد أن هدر النبي ﷺ دمه وتوليته إياه مصر بأعمالها.

ولما عاد الحق إلى نصابه وأخذ الإمام علي عليه السلام زمام الخلافة نكثت طائفة كالزبير وطلحة، وقسطن طائفة أخرى كمعاوية وأتباعه، ومرقت طائفة ثالثة وهم الخوارج، والحديث ذو شجون، والتاريخ متكفل لييانها.

المقام الثاني

بدايات المسائل الكلامية

إنّ ما ذكر كان إماماً عابراً بالخلافات التي سبّبت شقاق المسلمين واختلافهم، وحان الكلام في المقام الثاني وهو المسائل الكلامية التي أوجدت الفرق الكلامية، وإليك جذور هذه المسائل.

١ . الإمامة تنصيبية أو انتخابية؟

إنّ الاختلاف في الإمامة الذي نشب في السقيفة وحتى بعد زمن، كان اختلافاً سياسياً لا كلامياً، ولم يكن مبنياً على قاعدة دينية وجدال كلامي، يظهر ذلك من المحادثات التي جرت في السقيفة وبعدها، وكان الأنصار يرون أنفسهم أولى بإدارة الأمور لأنهم آووا النبي ونصروه، وكان المهاجرون يرون أنفسهم أولى بها لأنهم أصل النبي وعشيرته، إلى أن غلب منطق المهاجرين منطق الأنصار، فخرج أبو بكر من السقيفة ظافراً بعدما بايعته قبيلة الأوس وخمسة أشخاص من المهاجرين.

وأما في أواسط القرن الأول ، فقد أصبحت مسألة الإمامة مسألة كلامية، وأنّ الإمامة منصب تنصيبي أو منصب انتخابي.

٢. مسألة التحكيم

لما قَبِلَ عَلِيٌّ عليه السلام التحكيم تحت ضغط طائفة من أصحابه (الذين أصبحوا فيما بعدُ من الخوارج) ندم الذين فرضوا التحكيم على عليٍّ، وقالوا: إِنَّ تحكيم الرجال على خلاف القرآن الكريم لقوله سبحانه: ﴿إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ...﴾^(١) والفارق بين خلاف الناكثين والقاسطين وبين خلاف المارقين هو أَنَّ خلاف الطائفتين الأوليين لم يكن قائماً على أساس ديني أو قاعدة دينية، بخلاف الخوارج فَإِنَّ اختلافهم كان مبدئياً حيث كانوا يردّدون كلمة «لا حكم إلا لله» وكان عليٌّ عليه السلام وابن عباس يحتجان عليهم بالقرآن والسنة.

٣. حكم مرتكب الكبيرة

لما ظهر التطرف في خلافة عثمان ودب الفساد في أجهزة الحكم وأنصارهم نجمت مسألة كلامية ، تدور حول حكم مرتكب الكبيرة، وقد استفحل أمرها فيما بعد أيام محاربة الخوارج للأمويين الذين كانوا معروفين بالفسق والفجور، وسفك الدماء وغصب الأموال، فكان الخوارج يحاربونهم بحجة أنهم كفرة لا حرمة لدمائهم ولا لأعراضهم لاقترافهم الكبائر.

فاختلفوا إلى أقوال:

أ. مرتكب الكبيرة كافر.

ب. مرتكب الكبيرة فاسق منافق.

ج. مرتكب الكبيرة مؤمن فاسق.

د. مرتكب الكبيرة لا مؤمن ولا فاسق بل منزلة بين المنزلتين.
فالأول خيرة الخوارج، والثاني مختار الحسن البصري، والثالث مختار الإمامية وأهل الحديث وتبعهم الأشاعرة، والرابع نظرية المعتزلة.

٤. تحديد مفهوم الإيمان

وقد انبثق من النزاع السابق نزاع آخر يتعلق بتحديد مفهوم الإيمان، وهل أن العمل داخل في حقيقة الإيمان أو لا؟
فالخوارج والمعتزلة على الأول، فمن لا عمل له فلا إيمان له.
والشيعة ومن وافقهم على الثاني، وأن العمل وإن كان من أركان الإيمان إلا أن الإيمان يزيد وينقص، فالعمل شرط النجاة لا شرط تحقق الإيمان.

٥. الإرجاء والمرجئة

كان الخوارج يشنون الغارة على كل من ارتكب معصية كبيرة — ولو مرة واحدة — ويرونه كافراً فاقداً للإيمان، فكان لتلك الفكرة ردُّ فعل سيء وهو إيلاء الاهتمام بالإيمان القلبي وإقصاء العمل، فظهرت طائفة اشتهرت بالمرجئة وكانوا يهدفون إلى تقديم الإيمان وتأخير العمل، ويقولون «لا يضرّ مع الإيمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة».

وهذه الفكرة مع سذاجتها يوم نشوئها تحولت إلى الإباحية، وفتحت أبواب المعاصي أمام المسلمين بلا اكتراث.

٦. القضاء والقدر

قد ثبت في محله أن اليهود كانوا يولون اهتماماً واسعاً بالتقدير، وقد رسخت

الفكرة في الأوساط العربية في عصر الجاهلية حتى أن عمر بن الخطاب نسب انهزام المسلمين في يوم حنين إلى تقدير الله سبحانه.^(١) مع أن القرآن يشهد على خذلان الصحابة للنبي، وتوليهم في ميدان الحرب.^(٢)

قد كانت فكرة القدر راسخة في أذهان الصحابة، القدر الذي كان يُفسّر بسلب الاختيار عن الإنسان وتفويض مصير الإنسان إلى عالم التقدير فكأن الإنسان ريشة في مهبّ الريح العاصف، روى عبد الله بن عمر أنه جاء رجل إلى أبي بكر فقال: أرايت الزنا بقدر؟ قال: نعم. قال: الله قدره عليّ ثمّ يعذبني؟! قال: نعم، يابن اللخناء، أما والله لو كان عندي إنسان أمرته أن يجأ أنفك.^(٣)

لا شك أن القضاء والقدر من المعارف القرآنية التي لا يمكن لأحد إنكارها ولا تأويلها غير أن الكلام في موضعين:

١. هل القضاء والقدر يسلبان الاختيار عن الإنسان في الأعمال التي يُجازى بها الإنسان ويثاب عليها؟

٢. هل يحقّ للحكام تبرير أعمالهم الجنائية بالقضاء والقدر، مثلما كان الأمويون يفعلون ذلك؟

يقول أبو هلال العسكري: إن معاوية أول من زعم أن الله يريد أفعال العباد كلّها.^(٤)

١. الواقدي، المغازي: ٣/ ٩٠٤.

٢. التوبة: ٢٥.

٣. السيوطي، تاريخ الخلفاء: ٩٥.

٤. الأوائل: ٢/ ١٣٥.

٧. مسألة التشبيه والتنزيه

قد تقدّم أنّ التوراة ملئت بالمتشابهات مثل الصورة والمساواة والتكليم جهراً، والنزول على طور سيناء انتقالاً، والاستواء على العرش استقراراً، وجواز الرؤية، وغير ذلك.

فصار التشبيه والتجسيم شعاراً لليهود أو لصنوف منهم، ويكفيك أنّ التوراة تصف الله بصورة إنسان وله صورة، وتقول: خلق الله آدم على صورته وتقول: فرغ الله في اليوم السادس من عمله الذي عمل فاستراح في اليوم السابع، وأنه يمشي بين رياض الجنة وله نداء، إلى غير ذلك مما ورد في العهد القديم من التشبيه والتجسيم والتمثيل.^(١)

وقد دس الأخبار كثيراً من البدع بين الأحاديث لاعتماد الرواة على أناس؛ نظراً: كعب الأخبار، ووهب بن منبه، وقيم الداري، وغيرهم؛ وأصبحت مسألة التشبيه والصفات الخبرية ذات أهمية بين المسلمين، وقد أخذت طريقها إلى الصحاح والمسانيد وكتب التفسير.

٨. النسخ في الشريعة

قد سبق^(٢) أنّ اليهود تبنت امتناع النسخ في الشريعة، فقالوا: لا يكون بعد شريعة موسى آية شريعة، لأنّ النسخ بداء، والبداء لا يجوز على الله، وبذلك صارت مسألة النسخ مسألة كلامية.

١. التوراة، سفر التكوين: نشأة العالم والبشرية، ص ٧٠، ط دار المشرق، بيروت.

٢. راجع ص ٨٥.

٩. عصمة الأنبياء

إن أبرز ما يفترق فيه القرآن عن العهدين هو مسألة صيانة رجال الوحي والهداية عن الذنب والعصيان، خلافاً للتوراة وبعض ما ورد في الإنجيل، فقد جاء فيهما أساطير خيالية تمس كرامة الله أولاً، ثم كرامة الأنبياء ثانياً، فالأنبياء يشربون الخمر ويمكرون ويقتربون الزنا!!

١٠. حدوث القرآن وقدمه

إن مسألة حدوث القرآن وقدمه أو خلق القرآن وعدم خلقه طرحت في أيام المأمون وشقت عصا المسلمين ووحدتهم النسبية إلى طرفين، وكانت يد يوحنا الدمشقي تلعب بهذا الأمر من وراء الستار، وكان يحاول أن يثبت قدم عيسى - بما أنه كلمة الله - بالقول بقدم القرآن.

١١. التحسين والتقييح العقليان

شغلت قاعدة التحسين والتقييح العقليين بال كثيرين من أقدم العصور إلى يومنا هذا، إذ قلما يتفق لباحث أن يخوض في الكلام والأخلاق دون أن يشير إليها.

وقد صارت القاعدة أساساً لعدة مسائل كلامية، نأتي برؤوسها:

١. وجوب معرفة الله عقلاً.

٢. وصفه بالعدل والحكمة.

٣. لزوم اللطف على الله.

٤. بعثة الأنبياء.

٥. حسن التكليف.

٦. لزوم تزويد الأنبياء بالبينات والمعاجز.

٧. لزوم النظر في برهان مدّعي النبوة.

٨. العلم بصدق دعوى الأنبياء.

٩. الخاتمة واستمرار أحكام الإسلام.

١٠. الله عادل لا يجور.

١١. ثبات الأخلاق والقيم.

هذه بدايات علم الكلام في القرنين الأولين، وتوالى البحث حول مسائل أخرى إلى أن أصبح علماً متكامل الجوانب يواكب علم الفلسفة في بحوثه الثلاثة:

١. الأمور العامة.

٢. الطبيعيات والفلكيات.

٣. الإلهيات بالمعنى الأخص.

لا شك أن أكثر ما احتفلت به الكتب الكلامية في حقل الطبيعيات والكليات وما يرجع إلى الجوهر والعرض كان اقتباساً مما نقله المترجمون عن الإغريقين وغيرهم من الهنود والفرس، وأما ما يرجع إلى الإلهيات فللإسلاميين فيها دور فعال لا ينكر، خصوصاً الفلاسفة منهم، فقد أسسوا قواعد، وكشفوا أصولاً فلسفية لم يسبقهم إليها أحد.

هذا وقد نقل سيد مشايخنا العلامة الطباطبائي في مقال له ألقى في الذكرى المئوية لميلاد صدر المتألهين: «إن المسائل الفلسفية الموروثة عن اليونانيين وغيرهم لم تكن تتجاوز مائتي مسألة، وقد تكاملت بأيدي فلاسفة الإسلام ومتكلميهم إلى

أن بلغت سبعمائة مسألة»، لكنه ﷺ لم يشر إلى عناوين المسائل المنقولة، والمسائل المؤسسة، ويا ليتة كان يشير إلى عناوين هذه المسائل ليريح الآخرين من القيام بالعبء الثقيل في طريق تمييز هذين النوعين من المسائل.

قال الدكتور شبلي شميل: إن الفلسفة الإلهية بلغت بين المسلمين شأواً ولكن البيئات النصرانية لم تستطع أن تحتفظ بها، وصارت الفلسفة بعد الانتشار بينهم محكومة بالفناء والاندثار، حتى قام رجال الكنائس يكافحونها بكل قوة غير ما يرجع إلى لاهوتية المسيح.^(١)

لو كانت تلك الفلسفة الإسلامية (المشيّدة القواعد والمحزّرة المسائل) منتشرة بين أبناء الغرب لما ظهر بينهم ما ظهر من المسالك المتناقضة والمذاهب المتبدّدة التي يقضي الوجدان السليم ببطلانها.

ولو كانت الفلسفة الإسلامية دارجة يرجع إليها المادي في شبهاته وشكوكه والإلهي في تقويم عقائده وتحكيم مبانيه، لما ظهر سلطان المادي في البيئات العلمية.

ولو كانت الفلسفة الإسلامية سائدة على المفكرين من الغربيين لما تسنى للسوفسطائي أن يث تلك الدعاوي الفارغة والأساطير المكذوبة حينما قضى الدهر على أسلافهم بالفناء والهلاك، فجاء أخلافهم بعد لأي من الدهر يقتفون آثار آبائهم وأجدادهم البالية.

العوامل المؤثرة في نشوء

المدارس الكلامية

من أبرز العوامل التي أدت إلى نشوء المدارس الكلامية، هو الاختلاف في الأصول، الذي انتهى إلى تأسيس مسالك مختلفة مع اتفاق الكل على أنّ الغاية من تأسيس علم الكلام هي الذب عن الإسلام، أصوله وفروعه. وتتلخص الأصول التي أوجد الاختلاف فيها فجسوة كبيرة بين الآراء والأفكار، في أمور أهمها:

١. الصفات الذاتية

لا شك أنّه سبحانه موصوف بالعلم والقدرة والحياة وغيرها من الصفات الجمالية، والسؤال: هل هذه الصفات هي غير الذات مفهوماً وعينها ذاتاً ومصداقاً، أو هي غير الذات مطلقاً، مفهوماً ومصداقاً؟ فالعدلية على الأول، والأشاعرة على الثاني.

ثم إنّ القائلين بالوحدة على طائفتين:

الأولى: أنّ الصفات الجمالية متحققة في الذات، لكن لا تغاير بين الموصوف والوصف وجوداً، وإن كان بينهما تغاير مفهوماً، فالذات كلّها علم، وكلّها قدرة، وكلّها حياة وهكذا، ولا مانع من أن يكون قسم من الصفات - كالعلم - أمراً قائماً بالغير كما في الممكنات، وقسم منه أمراً قائماً بالذات كما في الواجب عز اسمه، وهذا مذهب الإمامية.

الثانية: أنّ الذات نائب مناب الصفات، فالذات ببساطتها، تقوم بكلّ ما تقوم به الأوصاف، فكما أنّ الذات الموصوفة بالعلم والقدرة، والحياة يصدر منها الفعل بالعلم والإتقان، وهكذا ذاته سبحانه، النائب مناب الصفات، يكون فاعلاً عاماً ومتقناً لفعله، وهذا هو القول بالنيابة، وبه قال بعض المعتزلة.

يقول الحكيم السبزواري:

والأشعري بازدياد قائله وقال بالنيابة المعتزله^(١)

٢. الصفات الخبرية

والمراد، ما وصف به سبحانه نفسه في القرآن والحديث فأثبت له اليد والاستواء والعين وغيرها، فقد أوجد تفسير هذه الصفات اختلافاً عظيماً بين المتكلمين؛ فالأشاعرة على حملها بمعانيها اللغوية على الله سبحانه غاية الأمر «يقولون كيف مجهول» وقد عُرِفُوا بالمشبهة، أي مثبتة الصفات؛ والمعتزلة على تأويل اليد بالقدرة، والاستواء على الاستيلاء وقد عرفوا بنفاة الصفات أو بالموؤلة.

وأما الإمامية فقد ذهبوا إلى أنّ المتبع هو الظهور التصديقي، لا التصوري،

١. شرح المنظومة للسبزواري: ١٥٦.

وإن شئت قلت: المتبع هو الظهور الجُملي لا الإفرادي، واليد والاستواء والعين وإن دلت بظهورها التصوريّ أو الإفرادي على التشبيه والتجسيم لكتّه ليس بمتّبع، بل المتّبع هو الظهور التصديقي، وهو المعاني التي كُتّي عنها بهذه الألفاظ، وكلام العرب مشحون بالكنايات، والتفصيل في محله.

٣. الصفات الفعلية

ما يصدر عنه سبحانه من الخلق والرزق، والرحمة والعذاب صفات فعلية، فوقع الكلام فيما يجوز عليه تعالى وما لا يجوز، فالمعتزلة والإمامية على تحديد فعله سبحانه من خلال الإمعان في بعض صفاته ككونه حكيمًا عادلاً، بالعدل والحكمة، فقالوا: يمتنع عليه سبحانه، التكليف بما لا يطاق، أو تعذيب المطيع، بخلاف الأشاعرة حيث إنّه سبحانه عندهم فوق أن يقع في إطار التحديد، حتّى يوصفَ بعض أفعاله بالوجوب والآخر بالامتناع، فيجوزون التكليف بالمحال، وتعذيب المطيع.

٤. العدل

اتّفق المتكلّمون على وصفه سبحانه بالعدل، إنّما اختلفوا في تفسيره، فالأشاعرة على أنّ الدليل على وصفه سبحانه به، هو السمع، وعلى ذلك فكلّ ما صدر منه سبحانه فهو عدل، سواء أكان عدلاً، عند العقل أم لا، خلافاً للإمامية والمعتزلة فإنّ الدليل على وصفه بالعدل هو العقل، ولو دلّ السمع على أنّه عادل فهو مؤيد له، و العقل بنفسه يميّز مصداق العدل عن خلافه؛ وعلى ضوء ذلك، يستحيل صدور ما يعد ظلماً في منطق الفعل، فتكليف العاجز وتعذيب الطفل الصغير، خلاف العدل، ونفس الظلم عند العدالة.

إنَّ الاختلاف في تفسير العدل ينشأ من الاختلاف في المسألة التالية، وكأنتها هي المصدر الوحيد، لنشوء أكثر المدارس الكلامية.

٥. التحسين والتقييح العقليان

إنَّ القائلين بذاتية التحسين والتقييح، يفسرونها بالقول: إنَّ الفعل الصادر من الفاعل المختار، سواء أكان واجباً أم ممكناً، إذا نظر إليه العقل وتجرّد عن كلّ شيء يستقلّ إمّا بحسنه وإنّه يجب أن يفعل، أو بقبحه وإنّه يجب أن يترك، بغضّ النظر عمّا يترتّب عليه من المصالح والمفاسد، أو بغضّ النظر عن موافقته لغرض الفاعل أو مخالفته، فإنّ كلّ هذه الضمائم ممّا لا حاجة إليها في قضاء العقل بالحسن والقبح، فكأنّ نفس الفعل علّة تامّة - عند اللّحاظ - لحكم العقل بالحسن أو القبح.

فإذا كان الشيء بذاته حسناً فهو حسن عند الكلّ يجب أن يفعل، وإذا كان الشيء قبيحاً فهو قبيح عند الكلّ يجب أن يترك، وبهذا يتميز ما يجب لله تعالى، عمّا لا يجوز عليه ويترتّب على ذلك:

١. قبح التكليف بغير المقدور، وبالتالي امتناعه.
٢. قبح تعذيب البريء وبالتالي امتناعه.
٣. قبح تزويد المتنبئ الكاذب بالمعجزة وبالتالي امتناعه.
٤. قبح تضليل العباد وبالتالي امتناعه.
٥. حسن العمل بالوعد، وبالتالي لزومه ووجوبه.
٦. حسن العصمة في الأنبياء، وبالتالي لزومه ووجوبه.
٧. حسن انتخاب الأصلح، وبالتالي لزومه ووجوبه.

إلى غير ذلك من الآثار المترتبة على التحسين والتقييح العقليتين، على خلاف القول بعجز العقل عن إدراك ما هو الحسن والقيح، فالقائل به لا يعترف بواحد من هذه الآثار وبذلك تتسع الفجوة بين القائلين، وتحدث مسالك ومدارس كلامية.

٦. القضاء والقدر

إن القضاء والقدر من المعارف العليا وقد تضافرت الآيات والروايات على وقوع كل ما في الكون في إطار التقدير والقضاء واعترف به العدلية من المتكلمين غير أن الكلام في تفسيرهما، فالأشاعرة يعطون للقدر سيادة على نحو يسلب الاختيار عن الإنسان، ويجعله كالريشة في مهب الريح اغتراراً ببعض الروايات المستوردة، فالقدر عندهم إله ثان والذي له السيطرة على الكون والإنسان، وليس للإنسان محيص إلا عن سلوك ما قُدر، وتطبيق العمل على ما قُضي سواء أكان حُلواً أم مُراً؛ غير أن العدلية، مع الاعتراف بعمومية القدر والقضاء لأفعال الإنسان، يفسرونها على نحو لا يسلب المسؤولية عن الإنسان، وذلك ببيان أن المقدر ليس صدور الفعل من الإنسان بأي نحو شاء، بل المقدر، صدوره منه عن إرادة واختيار، عن رؤية وتفكير.

هذه هي الأصول المكونة للمدارس الكلامية المختلفة عبر العصور، وقد اقتصرنا على الرئيسية منها:

وهناك عوامل أخرى غير رئيسية، انتهت إلى ظهور آراء في المسائل العقائدية، يرجع لُبها إما إلى إعوجاج في الفكر وتفسير الآيات والروايات على غير وجهها؛ أو تبني المدعى أولاً، ثم طلب الدليل ثانياً.

فنحن نشير إلى أُمّهات المدارس الكلامية حسب تاريخ تكوينها، ونترك الفروع المشتقة من كلّ مدرسة، ومن أراد التفصيل فليرجع إلى كتابنا «بحوث في الملل والنحل».

المدارس الكلامية

المهمة

نخصّ هذا الفصل بدراسة المدارس الكلامية بمناهجها المختلفة وهي كثيرة، ولكلّ منهج، أصول وكتب، وبُناة ودعاة، ولا يمكننا بسط الكلام فيها، فأنّه يحوجنا إلى تأليف كتاب خاص في ذلك، وقد قمنا به في موسوعتنا المنتشرة باسم «بحوث في الملل والنحل».

وإنّما الغاية في المقام، الإلماع إلى مؤسسي المدارس وأصولها وأعلامها على وجه موجز.

١

المحكّمة

ويعبّر عنهم بالخوارج، وقد انقضوا ولم يبق منهم إلا فرقة معتدلة وهي الإباضية.

إنَّ حركة الخوارج - يوم ظهرت - كانت حركة سياسية ولم يكن لها جذور كلامية خلافاً لسائر الفرق. والأصول التي كانوا يتبنونها، لا تعدو ثلاثة:

١. تكفير مرتكب الكبيرة.

٢. إنكار مبدأ التحكيم.

٣. تكفير عثمان وعلي ومعاوية وطلحة والزبير، ومن سار على دربهم ورضي بأعمال عثمان وتحكيم الإمام علي عليه السلام.

نعم إنَّ المحكِّمة عبر الاحتكاك بسائر الفرق تبيّنت أصولاً أخرى، وبذلك تأتست مدرسة كلامية في إطار خاص وهو:

١. عدم اشتراط القرشية في الإمام.

٢. صفاته سبحانه عين ذاته.

٣. امتناع رؤيته سبحانه في الآخرة.

٤. القرآن حادث غير قديم.

وفي هذه الأصول الثلاثة الأخيرة يتفقون مع العدلية بكلتا الفرقتين: الإمامية والمعتزلة.

٥. الشفاعة، وتعني: دخول الجنة بسرعة لا مغفرة الذنوب، وفي هذا الأصل يتفقون مع خصوص المعتزلة من العدلية.

٦. التولي والتبري.

٢

المرجئة

وهي مأخوذة من الإرجاء بمعنى التأخير، وهم يولون أهمية للإيمان القلبي ولا يهتمون بالعمل، وقد اشتهروا بتقديم الإيمان وتأخير العمل، فأخذوا من الإيمان جانب مجرد الإقرار بالقول الكاشف عن الإذعان قلباً وإن لم يكن مصاحباً مع العمل، فاشتهروا بالمرجئة، أي المؤخرة، وشعارهم: «لا تضرّ مع الإيمان معصية، ولا تنفع مع الكفر طاعة...» وهؤلاء والخوارج في مسألة العمل، على جانبي نقيض، فالمرجئة لا يشترطون العمل في حقيقة الإيمان، والخوارج يضيقون فيرون مرتكب الكبيرة كافراً مخلّداً في النار.

ويقال: إنّ أول من وضع الإرجاء الحسن بن محمد بن الحنفية (المتوفى ٩٩هـ) ولكن الإرجاء الذي قال به، ليس هو الإرجاء المصطلح.^(١)

٣

المعتزلة

المعتزلة بين المدارس الكلامية المختلفة مدرسة فكرية عقلية أعطت للعقل القسط الأوفر.

١. لاحظ تفصيل ذلك في موسوعتنا: بحوث في الملل والنحل: ج ٣، فصل المرجئة.

ومؤسس المذهب هو واصل بن عطاء تلميذ الحسن البصري، نقل الشهرستاني أنه دخل شخص على الحسن البصري فقال: يا إمام الدين! لقد ظهرت في زماننا جماعة يكفرون أصحاب الكبار، والكبيرة عندهم يُخرج بها عن الملة، وهم وعيدية الخوارج، وجماعة يُرجئون أصحاب الكبار ويقولون لا تضر مع الإيمان معصية، كما لا تنفع مع الكفر طاعة، وهم مرجئة الأمة، فكيف تحكم لنا في ذلك اعتقاداً؟

فتفكر الحسن في ذلك وقبل أن يجيب، قال واصل بن عطاء: أنا لا أقول إن صاحب الكبيرة مؤمن مطلقاً ولا كافر مطلقاً، بل هو في منزلة بين المنزلتين، لا مؤمن ولا كافر، ثم قام واعتزل إلى اسطوانة المسجد يقرر ما أجاب به على جماعة من أصحاب الحسن، فقال الحسن: اعتزل عنا واصل، فسمي هو وأصحابه: معتزلة^(١).

والأصول المهمة التي تعدّ عماداً للاعتزال لا تتجاوز الخمسة وهي:

الأصول الخمسة عند المعتزلة

١. التوحيد.
٢. العدل.
٣. الوعد والوعيد، أي يجب العمل بالوعيد كوجوبه بالوعد.
٤. المنزلة بين المنزلتين، فمرتكب الكبيرة لا مؤمن ولا كافر بل بين المنزلتين.
٥. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أي وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عقلاً.

وللمعتزلة أئمة نضج المذهب بأفكارهم وآرائهم ووصل إلى القمة في الكمال وفي مقابل هؤلاء مشايخهم الكبار الذين لهم دور في تبين المذهب دون أن يتركوا أثراً بارزاً يستحق الذكر، وإليك نزرًا من أئمتهم.

أئمتهم

١. واصل بن عطاء (٨٠-١٣١هـ).

٢. عمرو بن عبيد (٨٠-١٤٣هـ).

٣. أبو الهذيل العلاف (١٣٥-٢٣٥هـ).

وهذا الأخير من أعيان المعتزلة، ويصفه ابن خلكان بقوله: «كان حسن الجدل، قويّ الحجة، كثير الاستعمال للأدلة والإلزامات».

ويظهر من مناظرته مع صالح بن عبد القدوس أنّ حركة الشكّ كانت استفحلت في عصره حتّى ألف صالح بن عبد القدوس كتاباً حول الشكوك، يقول ابن خلكان: «لقي أبو الهذيل صالح بن عبد القدوس وقد مات له ولد وهو شديد الجزع عليه. فقال له أبو الهذيل: لا أعرف لجزعك عليه وجهاً، إذا كان الإنسان عندك كالزرع، قال صالح: يا أبا الهذيل: إنّما أجزع عليه، لأنّه لم يقرأ كتاب الشكوك فقال له: كتاب الشكوك ما هو يا صالح؟ قال: هو كتاب قد وضعت من قرأه يشك فيما كان، حتّى يتوهم أنّه لم يكن، ويشك فيما لم يكن، حتّى يتوهم أنّه قد كان، فقال له أبو الهذيل: فشكّ أنت في موت ابنك واعمل على أنّه لم يمّت وإن كان قد مات، وشكّ أيضاً في قراءة كتاب الشكوك وإن كان لم يقرأه»^(١).

١. وفيات الأعيان: ٤/ ٢٦٦، منشورات الشريف الرضي، قم.

٤. النظام (١٦٠-٢٣١هـ).

٥. أبو علي الجبائي (٢٣٥-٣٠٣هـ).

٦. أبو هاشم الجبائي (٢٧٨-٣٢١هـ).

٧. قاضي القضاة عبد الجبار (٣٢٤-٤١٥هـ).

إلى غير ذلك من الأئمة .

لقد ابتسم الدهر للمعتزلة في عصر أبي جعفر المنصور وامتد نشاطهم - إلا في عصر هارون - إلى خلافة الواثق (٢٢٧-٢٣٢هـ)، ولمّا قضى الواثق نحبه وأخذ المتوكل زمام أمر الخلافة أفل نجمهم شيئاً فشيئاً إلى أن انقضوا، وقد قتل كثير منهم بسيف محمود بن سبكتكين في أرض خراسان، ولم نعثر بعد الزمخشري (المتوفى ٥٣٨هـ) وابن أبي الحديد (المتوفى ٦٥٦هـ) على علم من أعلام المعتزلة سوى بعض الزيدية التابعين للمعتزلة في الأصول.

٤

الجهمية

الجهمية منسوبة إلى جهم بن صفوان السمرقندي الذي قتل في آخر دولة بني أمية عام ١٢٨هـ، وقاعدة مذهبه أمران:

الأول: الجبر ونفي الاستطاعة، فصار الجهم رأس الجبر وأساسه، ويطلق على أتباعه الجبرية الخالصة في مقابل غير الخالصة منها.

الثاني: تعطيل ذاته عن الوصف بصفات الجمال والكمال، ولأجل ذلك

سميت المعطلة أيضاً.

وقد نسب إليه أيضاً الأمور التالية:

١. كون القرآن الكريم مخلوقاً حادثاً.

٢. نفي رؤيته في الدنيا والآخرة.

٣. جواز الخروج على السلطان الجائر.

ولعله لهذا الأصل الثالث قتل بسيف بني أمية.

ثم إن كل من قال بنفي الصفات، أو بخلق القرآن، يرمى بالجهمية وإن لم يكن منهم، والجهمية في كلمات الإمام أحمد هم المعتزلة.^(١)

٥

المجسمة

إن إقصاء العقل عن ساحة العقائد، ألحق أضراراً جسيمة بالمجتمع الإسلامي فظهرت حركات هدامة ترمي إلى تقويض الأسس الدينية والأخلاقية، ومن هنا نجمت المجسمة التي رفع لواءها مقاتل بن سليمان المجسم (المتوفى عام ١٥٠هـ) فهو وجههم بن صفوان مع تشاطرها في دفع الأمة الإسلامية إلى حافة الجاهلية، لكنها في مسألة التنزيه والتشبيه على طرفي نقيض.

أما جهم بن صفوان فقد أفرط في التنزيه حتى عطل وصفه سبحانه بالصفات، وأما مقاتل فقد أفرط في التشبيه فصار مجسماً.^(٢)

٢. ميزان الاعتدال: ٤/ ١٧٣؛ تاريخ بغداد: ١٣/ ١٦٦.

١. السنة: ٤٩٠.

٦

الكرامية

إنّ الكرامية، مثل المجسّمة وهي أيضاً وليدة إقصاء العقل والمنطق عن ساحة العقائد والانكباب على الروايات المدسوسة المليئة بالأباطيل والترهات التي وضعتها الأهواء، والكرامية صنعة محمد بن كرام السجستاني (المتوفى عام ٢٥٥هـ)، الذي يعرفه ابن حبان بقوله: «التقط من المذاهب أرداها، ومن الأحاديث أوهّاها، وجعل الإيمان قولاً بل معرفة، ومن آرائه أنّه سبحانه جسم لا كالأجسام، ومن آرائه: أنّ النبي أخطأ في تبليغ قوله: ﴿ومناة الثالثة الأخرى﴾ حتّى قال بعده: «تلك الغرائيق العلى، وإنّ شفاعتها لترتجى».

والحاصل: أنّ الحركة الكرامية من أسوأ الحركات الرجعية التي ظهرت في القرن الثالث.^(١)

٧

الأشعرية

الأشعرية مدرسة كلامية أسسها أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق، من أحفاد أبي موسى الأشعري الصحابي المعروف، ولد عام ٢٦٠هـ، وتوفى سنة ٣٢٤هـ وعلى قول ٣٣٠هـ، وكان معتزلياً وتخرّج على يد أستاذه أبي علي الجبائي

١. ميزان الاعتدال: ٤/ ٢١١ الفرق بين الفرق: ٢٢٢.

(٢٣٥-٣٠٣هـ) ثم أعلن براءته من هذا المذهب - بعد وفاة أستاذه بستين - والتحق بمذهب الإمام أحمد، ونادى من على المنبر بأعلى صوته وقال: من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فأنا أعرفه بنفسه، أنا فلان بن فلان، كنت قلت بخلق القرآن وإن الله لا يرى بالأبصار، وإن أفعال الشر أنا أفعالها، وأنا تائب مقلع معتقد للرد على المعتزلة.^(١)

وهو وإن التحق بأهل الحديث لكنه قد امتاز عنهم باستحسان الخوض في المسائل الكلامية والبرهنة على العقيدة بالدليل العقلي، ولذلك رفضه بعض أتباع الإمام أحمد كالبرهاري.^(٢)

إن مذهبه وإن لم يتمتع بالانتشار في حياته، لكن تلاميذه وتلاميذ تلاميذه قد نضجوا الأصول الموروثة عنه، و نشروه إلى حد، صار المذهب الأشعري، هو المذهب الرسمي لأهل السنة.

يقول المقرئ بعد ذكر الأصول الكلامية للمذهب الأشعري: «فهذه جملة من أصول عقيدته التي عليها الآن جماهير أهل الأمصار الإسلامية، والتي من جهر بخلافها أريق دمه.^(٣)

وإليك أصول مذهبه المهمة:

١. الله سبحانه ليس بجسم. ٢. صفاته قديمة لا حادثة. ٣. صفاته زائدة على ذاته. ٤. الصفات الخبرية تحمل عليه سبحانه بلا كيف، مثلاً: له سبحانه يد، ووجه، بلا كيف. ٥. الله هو الخالق لأفعال العباد والعبد هو الكاسب. ٦.

١. فهرست النديم: ٢٧١؛ وفيات الأعيان: ٣/ ٢٨٥.

٢. تبين كذب المفترى قسم التعليق: ٣٩١.

٣. الخطوط: ٢/ ٣٦٠.

الاستطاعة مع الفعل لا قبله. ٧. رؤية الله سبحانه في الآخرة. ٨. كلام الله سبحانه، هو الكلام النفسي. ٩. كلامه قديم وليس بحادث. ١٠. الحسن والقبح شرعيان لا عقليان. لاحظ للوقوف على مصادر آرائه كتابي الإبانة واللمع، وهما من تأليفه.

وربما يتصور: أنّ الشيخ الأشعري أعلن الالتحاق بمذهب الإمام أحمد، ليُجري الإصلاح في مذهب أهل الحديث، الذين غلب عليهم يومذاك القول بالتجسيم والجهة والجبر، فحاول أن يصلح ما فسد. ولكن هذا التصور غير دقيق. وإذا افترضنا أنّ الشيخ كان يروم الإصلاح، فإنّ التوفيق لم يحالفه في ذلك للأسباب التالية:

١. إبقاء الأصول الفاسدة في مسلك أهل الحديث، نظير: أفعال الإنسان مخلوقة لله سبحانه مباشرة، فلا شك أنّ القول بهذا الأصل ينتهي إلى الجبر، لأنّ معناه أنّ المؤثر في فعل العبد هو قدرته سبحانه مباشرة ولا دور لإرادة العبد وقدرته المفاضة منه سبحانه إليه، وربما يعبر عنه بالجبر غير الخالص.
٢. تجويز رؤية الله يوم القيامة، وهو يلزم القول بالتجسيم وكونه سبحانه ذا جهة.

٣. قوله: إنّ القرآن قديم غير حادث، أو غير مخلوق لله سبحانه وذلك يؤدي في النهاية إلى فرض قديم ثان، وتصور ندّ له إلى غير ذلك من الأصول التي تركها الأشعري بحالها ولم يحدث فيها أي تغيير.

نفي السببية عن الأسباب

إنّ من أبرز سمات منهج الأشاعرة هو نفي السببية والعلية حتّى بالمعنى

الظلي عن غيره سبحانه، وأنه ليس في صحيفة الكون إلا علة واحدة وسبب فارد، هو المؤثر في الكون وبذلك شطبوا على تأثير العلل الطبيعية بعضها في بعض، ونفوا السببية في الكونيات وزعموا أن القول بذلك ينافي التوحيد في الخالقية والربوبية وبذلك نازعوا وجدانهم كما نازعوا الوحي المبين حيث إنه يثبت الأثر الطبيعي لكل سبب، وفي الوقت نفسه يربطهما بالله سبحانه، قال: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾^(١).

تجد أن الوحي اعترف بسببية الماء لخروج الثمرات الطيبة وليست هذه الآية وحيدة في هذا الباب، بل في القرآن الكريم نماذج من هذا النوع، قال سبحانه: ﴿وَفِي الْأَرْضِ قَطْعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفِّضُ لُبَّهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾^(٢).

فتستدل الآية على أن تدبيره سبحانه فوق تدبير الفواعل الطبيعية، وذلك بشهادة أن الجنات تثمر أثماراً مختلفة مع وحدة الشرائط والظروف المحيطة بها من وحدة الماء والأرض، وهذا يدل على أن وراء الأمور الطبيعية والأسباب المادية مدبراً فوقها، وعلى الرغم من هذا الاعتراف إلا أنه لا ينفي تأثير العوامل الطبيعية ولكن يراها غير كافية في خلق هذا التنوع.

وبذلك يظهر أن ما ذكره ابن خلدون حول تأثير الأسباب ولزوم الغض عنها دون شأنه جداً وكان المترقب منه غير ذلك، لكن سيطرة مذهب الأشعرية

١. البقرة: ٢٢.

٢. الرعد: ٤.

على العقول، أثرت على تفكيره فعاد يفكر كأنه شعري مطلق، بل حنبلي محض. يقول: تأمل من ذلك حكمة الشارع في نفيه عن النظر إلى الأسباب والوقوف معها فإنه واد يهيم فيه الفكر ولا يحلو منه بطائل ولا يظفر بحقيقته - إلى أن قال: - فوجه تأثير هذه الأسباب في الكثير من مسبباتها مجهول، لأنها إنما يوقف عليها بالعادة لا اقتران الشاهد بالاستناد إلى الظاهر وحقيقة التأثير وكيفيته مجهولة، فلذلك أمرنا بقطع النظر عنها وإلغائها جملة والتوجه إلى مسبب الأسباب كلها وفاعلها وموجدتها لترسخ صفة التوحيد في النفس.

فإن وقف عند تلك الأسباب فقد انقطع وحقّت عليه كلمة الكفر، وإن سبح في بحر النظر والبحث عنها وعن أسبابها وتأثيراتها واحداً بعد واحد فأنا الضامن له أن لا يعود إلّا بالخيبة، فلذلك نهانا الشارع عن النظر في الأسباب وأمرنا بالتوحيد المطلق.^(١)

يلاحظ عليه أولاً: ما هو الدليل أنّ الشارع نهانا عن النظر في الأسباب، فإن أراد النظر فيها بمعنى التوقف عند تلك الأسباب، وإضفاء الأصالة عليها وانقطاعها عن مسبب الأسباب، فذلك كما ذكره كفر محض، ولكن المؤمن الموحد لا ينظر إلى الأسباب بذلك المنظار.

وإن أراد النظر فيها بما فيها من نظام بديع حاك عن كونه مخلوقاً لموجود عالم قادر حكيم فالنظر فيها بهذا المنظار هو نفس التوحيد، فكيف نهانا الشارع عن النظر في الأسباب؟ هذا هو القرآن الكريم يشرح لنا نظام الكون بأدق الوجوه ويجعلها آية لتوحيد خالق العالم ومدبره.

يقول سبحانه: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمُوتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾^(١).

إنَّ قول الله - هذا - مضافاً إلى كونه مشيراً إلى برهان النظم يمكن أن يكون تلويحاً إلى عوامل استقرار الحياة على الأرض، ومذكراً للعقول بأنه لا يمكن أن تجتمع كلِّ العوامل - مع ما فيها من المحاسبات الدقيقة - عن طريق الصدفة العمياء دون أن يتدخل في ذلك تدبير «مدبر عاقل حكيم» ودون أن يكون قد جمعها على هذا النسق المناسب لظاهرة الحياة - «إله خالق عارف بالأمور، محيط بالمحاسبات والسنن».

كما يمكن أن يكون بعض الآيات الأخر مشيراً إلى هذا البرهان (برهان النظم) مثل قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمُوتَ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدِيرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾^(٢).

وثانياً: أنَّ قوله: «إنَّما يوقف عليها العلّية بالعادة لاقران الشاهد بالاستناد إلى الظاهر» يرمي إلى نفي العلّية والمعلولية ولو بنحو الظلّية بين الأسباب والمسببات، وأنَّ المشهود هو ظهور الحرارة مقترنة بوجود النار والبرودة مقترنة بوجود الماء دون أن يكون بين الأثر و ما هو المؤثر في الظاهر صلة وعلاقة. وهذا هو الذي يدّعيه الإمام الأشعري من نفي العلّية، وإنَّ ما نسمّيه علّية هو جريان

١. البقرة: ١٦٤.

٢. الرعد: ٢.

عادة الله على وجود الآثار بعد الأسباب من دون أن يكون للسبب أي تأثير.
أقول: إذا كان الداعي لنفي السببية بين الظواهر الكونية هو تقوية روح التوحيد في الخالق والربوبية وأن المؤثر الحقيقي هو الله سبحانه فهو أمر جميل؛ وإذا كان الداعي هو نفي السببية والعلية بين الأسباب والمسببات الطبيعية، فهو على خلاف الكتاب أولاً، والوجدان ثانياً، وتشويه لسمعة الإسلام ثالثاً.

أعيان الأشاعرة

ثم إن هناك رجالاً ارتبطت أسماؤهم ببلورة المذهب الأشعري، ولولاهم لما قام لهذا المذهب عمود ولا اخضر له عود، وإليك أسماء أعلامهم عبر التاريخ:

١. أبو بكر الباقلاني (المتوفى ٤٠٣هـ).
٢. أبو منصور عبد القاهر البغدادي (المتوفى ٤٢٩هـ).
٣. إمام الحرمين أبو المعالي الجويني (٤١٩-٤٧٨هـ).
٤. حجة الإسلام الإمام الغزالي (٤٥٠-٥٠٥هـ).
٥. أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني (٤٧٩-٥٤٨هـ).
٦. أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي، فخر الدين الرازي (٥٤٤-٦٠٦هـ).
٧. أبو الحسن علي بن أبي علي بن محمد بن سالم المعروف بسيف الدين الأملدي (٥٥١-٦٣١هـ).
٨. عبد الرحمن بن أحمد، عضد الدين الأيوبي (٧٠٨-٧٥٦هـ).

٩. مسعود بن عمر بن عبد الله المعروف بسعد الدين التفتازاني (٧١٢-٧٩١هـ).

١٠. السيد علي بن محمد بن علي الحسيني المعروف بالسيد الشريف (المتوفى ٨١٦هـ).

١١. علاء الدين علي بن محمد السمرقندي القوشجي (المتوفى ٨٧٩هـ).
هذا بعض الكلام في المذهب الأشعري، والذي صار مذهباً رسمياً لأكثر أهل السنة.

٨

الماتريدية

في الوقت الذي ظهر فيه مذهب الإمام الأشعري بطابع الفرعية لمذهب أهل الحديث، ظهر مذهب آخر، بهذا اللون والشكل لغاية نصره السنة وأهلها وبالتالي: إقصاء المعتزلة عن الساحة، وهو مذهب الإمام محمد بن محمد بن محمود الماتريدي السمرقندي (المتوفى سنة ٣٣٣هـ) أي بعد ثلاثة أو تسعة أعوام من وفاة الإمام الأشعري.

والداعيان كانا في عصر واحد ولم تكن بينهما أية صلة، فالأشعري كان يكافح الاعتزال ويُناصر السنة في البصرة متقلداً مذهب الشافعي في الفقه، والماتريدي يكافح الاعتزال في الشرق الإسلامي متقلداً رأي الإمام أبي حنيفة في الفقه؛ فكانت البصرة محط الأهواء ومقلها، كما كانت أرض خراسان مأوى أهل الحديث ومهبطهم.

ولم يكن الماتريدي نسيجَ وحده في هذا الأمر، بل معاصره أبو جعفر الطحاوي صاحب العقيدة الطحاوية (المتوفى سنة ٣٢١هـ) كان أيضاً يناصر السنة متقلداً مذهب أبي حنيفة في الفقه، وقد صدر رسالته المعروفة بالعقيدة الطحاوية بقوله:

بيان عقيدة فقهاء الملة: أبي حنيفة وأبي يوسف ومحمد بن الحسن.^(١)
اتفق المترجمون للماتريدي على أنه توفي عام ٣٣٣هـ ولم يعينوا ميلاده، لكن القرائن تشهد على أنه من مواليد عام ٢٤٨هـ. وقد أخذ العلم عن عدة من المشايخ، وهم:

١. أبو بكر أحمد بن إسحاق الجوزجاني.
 ٢. أبو نصر أحمد بن العياضي.
 ٣. نصير بن يحيى، تلميذ حفص بن سالم (أبي مقاتل).
 ٤. محمد بن مقاتل الرازي.
- وتخرج عليه عدة من العلماء، منهم:
١. أبو القاسم إسحاق بن محمد بن إسماعيل الشهير بالحكيم السمرقندي (المتوفى ٣٤٠هـ).
 ٢. أبو الليث البخاري.
 ٣. أبو محمد عبد الكريم بن موسى البزدوي، جد محمد بن محمد بن عبد الكريم البزدوي مؤلف «أصول الدين».
- إن منهج الماتريدي يتمتع بسمات ثلاث:

أولاً: أعطى للعقل سلطاناً أكبر ومجالاً أوسع، وذلك هو الحجر الأساس للسمتين الأخيرتين.

ثانياً: منهجه أبعد عن التجسيم والتشبيه من منهج الأشاعرة.

ثالثاً: منهجه أقرب إلى الاعتزال من منهج الإمام الأشاعرة.

وإليك بعض الفوارق بين المنهجين:

١. معرفته سبحانه واجبة عقلاً عند الماتريدية وسمعاً عند الأشاعرة.
 ٢. التحسين والتقبيح عقليان عند الماتريدية وسمعيان عند الأشاعرة.
 ٣. لا يجوز التكليف به إلا يطاق عند الماتريدية خلافاً للأشاعرة.
 ٤. أفعال الله تعالى معللة بالأغراض عند الماتريدية دون الأشاعرة.
 ٥. الصفات الخبرية كالاستواء واليد والعين تثبت على الله سبحانه بنفس معانيها اللغوية لكن بلا كيفية عند الأشاعرة، وأما الماتريدية فهي بين مفوضة معانيها إلى الله سبحانه، أو مفسرة لها بنفس ما تفسره العدلية.
 ٦. صفاته عين ذاته سبحانه عند الماتريدية، زائدة عند الأشاعرة.
- المذهب الماتريدي مذهب الأحناف خصوصاً في تركيا وآسيا الوسطى و شبه القارة الهندية، ومذهب الأشاعرة مذهب الشوافع غالباً.

أعيان الماتريدية

١. القاضي الإمام أبو اليسر محمد بن محمد بن عبد الكريم البزدوي (٤٢١هـ - ٤٩٣هـ)، له كتاب «أصول الدين».
٢. أبو المعين النسفي (المتوفى ٥٠٢هـ)، وهو من أعظم أنصار هذا المذهب، له كتاب «تبصرة الأدلة» الذي مازال مخطوطاً حتى الآن، ويعدّ ينبوع

الثاني بعد كتاب «التوحيد» للما تریدیة.

٣. الشيخ نجم الدين أبو حفص عمر بن محمد النسفي (المتوفى ٥٣٧هـ) مؤلف «العقائد النسفية»، وما زال هذا الكتاب محور الدراسة في الأزهر إلى يومنا هذا.

٤. الشيخ مسعود بن عمر التفتازاني (المتوفى ٧٩١هـ) أحد المتصلين في العلوم العربية والمنطق والكلام، وهو شارح «العقائد النسفية».

٥. الشيخ كمال الدين محمد بن همام الدين الشهير بابن الهمام (المتوفى ٨٦١هـ) صاحب كتاب «المسيرة» في علم الكلام، نشره وشرحه محمد محيي الدين عبد الحميد وطبع بالقاهرة.

٦. العلامة كمال الدين أحمد البياضي الحنفي مؤلف كتاب «إشارات المرام من عبارات الإمام» أحد علماء القرن الحادي عشر الهجري، ويعدّ كتابه هذا أحد مصادر الماتريديّة.

٧. الشيخ محمد زاهد بن الحسن الكوثري المصري (المتوفى ١٣٧٢هـ) وكيل المشيخة الإسلامية في الخلافة العثمانية، أحد المتصلين في الحديث والتاريخ والملل والنحل.

٩

الزیدیّة

الزیدیّة مذهب منتسب إلى الإمام زيد الشهيد بن زين العابدين علي بن الحسين بن مولى الموحدين علي بن أبي طالب، ولد عام ٧٥هـ واستشهد سنة

١٢١ هـ، وقد أدرك زيد ثلاثة أئمة من أهل البيت عليهم السلام، وهم:

١. والده الإمام علي بن الحسين عليهما السلام (٣٨-٩٤ هـ).
 ٢. أخوه الأكبر أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين عليهما السلام (٥٧-١١٤ هـ).
 ٣. ابن أخيه الإمام جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام (٨٣-١٤٨ هـ).
- أخذ عن أبيه، ثم عن أخيه محمد الباقر عليه السلام كما كانت أواصر الحب والود تجمعهم بالإمام الصادق، فلما بلغ نعيه إلى المدينة أخذ الناس يفسدون إلى الإمام الصادق يعزّونه.^(١)

وقد ترك آثاراً علمية، منها:

١. المجموع الفقهي.
 ٢. المجموع الحديثي.
 ٣. تفسير غريب الحديث.
 ٤. الصفوة، وهي دراسة قرآنية تتبني بيان فضائل أهل البيت عليهم السلام وتقديمهم على سائر الناس في مختلف المجالات.
- إلى غير ذلك من المسائل.

زعمت الزيدية أنه ادّعى الإمامة لنفسه، ولكن كلمات زيد تخلو من أية إشارة إلى ذلك، بل كلّها تعرب عن أنه دعا للرضا من آل محمد عليهم السلام.

لم يكن زيد الشهيد صاحب منهج كلامي أو فقهي مستقل، وإذا كان يقول بالعدل والتوحيد ويكافح الجبر والتشبيه فلاجل أنه ورثهما عن آبائه، وإذا كان يفتي في مورد ما، فإنما كان يصدر في ذلك عن الحديث الذي يرويّه

عن آباءه.

نعم جاء بعد زيد مفكرون وعامة، وهم بين دعاة للمذهب، أو بُناة للدولة في اليمن وطبرستان، فساهموا في إرساء مذهب باسم المذهب الزيدي، منفتحين في الأصول والعقائد على المعتزلة، وفي الفقه وكيفية الاستنباط على الحنفية، ولكن الصلة بين ما كان عليه زيد الشهيد في الأصول والفروع وما أرساه هؤلاء في مجالي العقيدة والشريعة منقطعة إلا في القليل منها.

وعلى أية حال، التقت الزيدية مع شيعة أهل البيت في العدل والتوحيد، كما التقوا مع المعتزلة في الأصول الثلاثة التالية:

١. الوعد والوعيد.
 ٢. المنزلة بين المنزلتين.
 ٣. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
- ولأجل إيقاف القارئ على الخطوط العريضة لعقائدهم التي يلتقون في بعضها مع المعتزلة وفي بعضها الآخر مع الإمامية نأتي بها:
١. صفاته تعالى عين ذاته، وفاقاً للإمامية.
 ٢. إن الله سبحانه لا يُرى ولا يجوز عليه الرؤية خلافاً للأشاعرة.
 ٣. العقل يدرك حسن الأشياء وقبحها.
 ٤. الله سبحانه يريد بإرادة حادثة.
 ٥. أنه سبحانه متكلم بكلام، وكلامه سبحانه فعله: الحروف والأصوات.
 ٦. أفعال العباد ليست مخلوقة لله سبحانه.
 ٧. تكليف ما لا يطاق قبيح، خلافاً للمجبرة والأشاعرة.

٨. المعاصي ليس بقضاء الله.
 ٩. الإمامة تجب شرعاً لا عقلاً خلافاً للإمامية.
 ١٠. النص على إمامة علي والحسين عند الأكثرية.
 ١١. القضاء في فدك صحيح خلافاً للإمامية.
 ١٢. خطأ المتقدمين على علي في الخلافة قطعي.
 ١٣. خطأ طلحة والزبير وعائشة قطعي.
 ١٤. توبة الناكثين صحيحة.
 ١٥. معاوية بن أبي سفيان فاسق لبغيه ولم تثبت توبته.
- هذه رؤوس عقائد الزيدية استخرجناها من كتاب «القلائد في تصحيح العقائد»، المطبوع في مقدمة البحر الزخار.^(١)

١٠

الإسماعيلية

الإسماعيلية، إحدى فرق الشيعة القائلة بأن الإمامة منصب تنصيصي من النبي ﷺ أو الإمام القائم مقامه، غير أن هناك خلافاً بين الزيدية والإمامية والإسماعيلية في عدد الأئمة ومفهوم التنصيص.

الإمام الأوّل للدعوة الإسماعيلية هو إسماعيل بن جعفر الصادق عليه السلام وكان

والده شديد المحبة له والإشفاق عليه، مات في حياة أبيه بالعريض وحمل على رقاب الرجال إلى أبيه بالمدينة حتى دفن بالبقيع^(١).

الخطوط العريضة للمذهب الإسماعيلي

إن للمذهب الإسماعيلي علائم وسمات نشير إليها:

١. انتماءهم إلى بيت الوحي والرسالة، وقد كان لهذه السمة رصيد شعبي وكان المسلمون يتعاطفون مع من ينتمي إلى أهل بيت النبي ﷺ.
٢. تأويل الظواهر، إن تأويل الظواهر وإرجاعها إلى خلاف ما يتبادر منها في عرف المشرعة هي السمة البارزة الثانية للدعوة الإسماعيلية، وهي إحدى الدعائم الأساسية لهذا المذهب، بحيث لو انسلخت الدعوة عن التأويل واكتفت بالظواهر لم تتميز عن سائر الفرق الشيعية إلا بصرف الإمامة عن الإمام الكاظم عليه السلام إلى أخيه إسماعيل بن جعفر.
٣. تطعيم مذهبهم بالمسائل الفلسفية حيث انجرفوا في تيارات المسائل الفلسفية وجعلوها من صميم الدين وجذوره، وانقلب المذهب إلى منهج فلسفي يتطور مع تطوّر الزمان، ويتبنى أصولاً لا تجد لها في الشريعة الإسلامية عيناً ولا أثراً.

هذه سمات مذهبهم، وإليك رؤوس عقائدهم:

أما التوحيد، فيصفونه سبحانه بأنه واحد لا مثل له ولا ضد.

وأما في مجال الصفات، فقد ذهبوا إلى نفي الصفات عنه على الإطلاق، واكتفوا في مقام معرفته بالقول بهويته وذاته، دون وصفه بصفات حتى الصفات

الجمالية والكمالية .

وأما عقيدتهم في العدل، فالإنسان عندهم مخير لا مسير، والقضاء والقدر لا يسلبان الاختيار.

وأما عقيدتهم في النبوة فإنها أعلى مراتب البشر والرسالة عندهم تنقسم إلى عامة وخاصة، وأن شريعة الأنبياء موافقة للحكمة، لكن لها ظاهر وباطن .

إن تقسيم الشريعة إلى ظاهرية وباطنية أعطى مبرراً لكل إمام من أئمتهم في أن يضع لكل ظاهر باطناً، ولكل واجب حقيقة يسمي أحدهما شريعة ظاهرية، والآخر باطنية من دون أن يستدل على تأويله بدليل عقلي أو نقلي .

أما عقيدتهم بالمعاد فهو روحاني لا جسماني، وأن التناسخ محال .

وأما عقيدتهم في الإمامة، فالحديث عنها ذو شجون، فقد ذكروا لها درجات خمس ربما تضيق المقدمة عن بيانها .^(١)

١١

الوهابية

الوهابية منسوبة إلى الشيخ محمد بن عبد الوهاب النجدي (١١١٥-١٢٠٦هـ). كان الشيخ منذ طفولته ذا رغبة شديدة في مطالعة كتب التفسير والحديث والعقائد، وقد درس الفقه الحنبلي عند أبيه الذي كان من علماء الحنابلة، وكان ابنه محمد يستقبح كثيراً من الشعائر الدينية التي كان يمارسها

١. لاحظ في عقائدهم: راحة العقل للكرماني، ص ٤٧؛ تاج العقائد ومعدن الفرائد، وقد ذكرنا تفصيل عقائدهم في موسوعتنا: بحوث في الملل والنحل، ج ٨.

أهالي نجد، ولم يقتصر تقبيحه على نجد، بل تعدّاه إلى المدينة المنورة بعد انصرافه من مناسك الحج، فقد كان ينكر على الزائرين التوسّل برسول الله ﷺ عند مرقد المقدّس.

وكان يكتّم عقائده هذه خوفاً من أبيه، ولما تُوفّي أبوه، أخذ بالدعوة والالتقاء برؤساء القبائل، والتقى أخيراً بمحمد بن سعود الجد الأعلى لآل سعود فاتّفقاً على نشر الدعوة، بشرط أن تكون القيادة الدينية لمحمد بن عبد الوهاب، والسياسية لمحمد بن سعود، ومن ذلك اليوم ابتلي المسلمون بزمرة يشنّون الغارات على القبائل النجدية وخارجها كاليمن والحجاز ونواحي سوريا والعراق لأجل أخذ الغنائم تحت غطاء الدعوة إلى التوحيد، وقد ضبط التاريخ حروبهم وغاراتهم على المناطق الإسلامية وكانت النتيجة هي الدمار وإراقة الدماء ونهب الأموال، إلى أن استولى آل سعود على الحرمين فساد الأمن في البلاد لكن مع الفقر المدقع، والجوع الأسود إلى أن اكتشفوا آبار الذهب الأسود، فعند ذلك استتب الأمر للوهابية مفتين وأمراء، وبذلك استغنوا عن شنّ الغارات والحروب الدامية.

میزاتهم عن سائر المسلمين

يختلف الوهابية مع المسلمين في مسائل فقهية تارة، ومسائل كلامية أخرى، ويغالون في المسائل الفقهية الخلافية ويعتبرونها خروجاً عن الدين والتوحيد، وإليك نبذاً من خصائصهم:

١. تحريم بناء القبور ولزوم هدم المشاهد عليها.
٢. حرمة بناء المساجد على القبور والصلاة فيها.
٣. حرمة شدّ الرحال لزيارة القبور والصلاة في المساجد.

٤. حرمة التوسل بالأنبياء والصالحين.
 ٥. حرمة طلب الشفاعة من النبي ﷺ.
 ٦. حرمة النذر للأنبياء والأولياء.
 ٧. حرمة التبرك بآثار الأنبياء والصالحين.
 ٨. حرمة الاحتفال بمواليد أولياء الله ووفياتهم.
- ولهم نشاطات تبشيرية، ومنشورات ودوريات مختلفة.

١٢

الشيعة الإمامية

الشيعة: من أحب علياً وأولاده عليه السلام باعتبارهم أهل بيت النبي ﷺ الذين فرض الله سبحانه مودتهم قال عز وجل: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾^(١) وينضوي تحت لواء الشيعة (بهذا المعنى) كل المسلمين إلا النواصب، بشهادة أنهم يصلّون على نبيهم وآله في صلواتهم وأدعيتهم ويتلون الآيات النازلة في حقهم صباحاً ومساءً، وهذا هو الإمام الشافعي يصفهم بقوله:

يا أهل بيت رسول الله حبكم فرض من الله في القرآن أنزله
كفاكم من عظيم الشأن أنكم من لم يصل عليكم لا صلاة له^(٢)
ولكن المراد من الشيعة في المقام من يشايح علياً وأولاده باعتبار أنهم خلفاء

١. الشورى: ٢٣.

٢. الصواعق: ١٤٨.

الرسول ﷺ وأئمة الناس بعده، نصبهم النبي لهذا المقام بأمر من الله سبحانه. وليس التشيع كسائر المذاهب الإسلامية من إفرازات الصراعات السياسية كما هو الحال في المحكّمة وغيرهم، ولا من نتائج الجدل الكلامي والصراع الفكري كما هو الحال في الأشعرية والمعتزلة.

بل الإسلام والتشيع وجهان لعملة واحدة، وتوأمين ولدا في يوم واحد، ولو أنّ كتاب العقائد درسوا تاريخ التشيع بدقة وموضوعية لعلموا أنّه ليس للتشيع تاريخ ولا مبدأ سوى تاريخ الإسلام ومبدئه، وأنّ النبي ﷺ هو الغارس لبذرة التشيع في صميم الإسلام من أوّل يوم أمر فيه بالصدع^(١) فأصبح بالحقيقة إلى أن لبي دعوة ربّه.

فالتشيع عبارة عن استمرار قيادة النبي ﷺ بعد وفاته عن طريق من نصبه إماماً للناس وقائداً للأمة حتّى يرشدها إلى النهج الصحيح والهدف المنشود، فإذا كان التشيع متبلوراً في استمرار القيادة بالوصي فلا نجد له تاريخاً سوى تاريخ الإسلام والنصوص الواردة عن رسوله.

فالشيعية هم المسلمون من المهاجرين والأنصار ومن تبعهم بإحسان، أعني: الذين بقوا على ما كانوا عليه في عصر الرسول ﷺ في أمر القيادة ولم يغيروا ولم يتعدّوا ما رسم لهم الرسول إلى غيره.

والميزة الهامة للشيعية على الإطلاق وللإمامية خصوصاً هي أنّ الإمامة عندهم منصب إلهي يتصدى النبي ﷺ وبأمر إلهي لتعيين من يتبوّؤه.

وقد أخبر النبي ﷺ عن إمامة اثني عشر رجلاً من أهل بيته وذكر أسماءهم

١. «فاصدع بما تؤمّر وأعرض عن المشركين» إنا كفيناك المستهزئين». (الحجر: ٩٤-٩٥).

أولهم علي بن أبي طالب وآخرهم الإمام المهدي عليه السلام. وقد ذكر أهل السنة روايات حول الأئمة الاثني عشر دون أن يذكروا أسماءهم.

أخرج مسلم عن جابر بن سمرة، قال: انطلقت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومعني أبي فسمعتة يقول: «لا يزال هذا الدين عزيزاً منيعاً إلى اثني عشر خليفة فقال كلمة صمّنيها الناس، فقلت لأبي: ما قال؟ قال: كلهم من قريش»^(١).

ولسنا في هذا المقام بصدد تحرير تاريخ التشيع ودلائل إمامة الأئمة الاثني عشر، بل الغاية الإلماع إلى أصولهم الكلامية.

والشيعة الإمامية تتفق مع الفرق الإسلامية - أعني: المعتزلة والأشاعرة والماتريدية - في أكثر المسائل العقائدية، ولكنهم يفترون عن الأشاعرة في مسائل، كما أنهم يفترون عن المعتزلة في مسائل أخرى.

ونحن نشير إلى بعض الفوارق بين هاتين الطائفتين (الشيعة والمعتزلة)، وما ذلك إلا لأنّ قسماً كبيراً من كتاب تاريخ العقائد جعلوا الشيعة من فرق المعتزلة مع أنّ بين المنهجين الكلاميين مشتركات ومفترقات.

الفوارق بين الشيعة والمعتزلة:

١. الشفاعة عند الشيعة والأشاعرة هي غفران الذنوب أو إخراج العصاة من النار بخلاف المعتزلة، فإنّ نتيجة الشفاعة هي ترفيع الدرجة.

٢. مرتكب الكبيرة عند الإمامية والأشاعرة مؤمن فاسق، وقالت المعتزلة: بل هو في منزلة بين المنزلتين.

٣. الجنة والنار عند الإمامية والأشاعرة مخلوقتان الآن بدلالة الشرع خلافاً للمعتزلة فأنهما غير موجودتين عندهم.

٤. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فريضتان واجبتان عند الإمامية والأشاعرة شرعاً، وعند المعتزلة عقلاً، نعم ذهب بعض الإمامية إلى وجوبها عقلاً أيضاً.

٥. اتفقت الإمامية والأشاعرة على بطلان الإحباط، خلافاً للمعتزلة، حيث قالوا: إن المعصية تُحبط الثواب المتقدم.

٦. اتفقت الإمامية والأشاعرة على أن قبول التوبة بفضل من الله ولا يجب عقلاً إسقاط التوبة للعقاب بخلاف المعتزلة فإن التوبة مسقطة للعقاب على وجه الوجوب.

٧. اتفقت الإمامية على أن الأنبياء أفضل من الملائكة، وأجمعت المعتزلة على خلاف ذلك.

٨. اتفقت الإمامية على أن الإنسان غير مُسَيَّر ولا مفوض إليه بل هو بين الجبر والتفويض، وأجمعت المعتزلة على التفويض.

٩. اتفقت الإمامية والأشاعرة على أنه لابد في بيان بعض التكاليف من دلالة الرسول، وخالفت المعتزلة وزعموا أن العقول تغني بمجردها عن السمع.

١٠. غالت المعتزلة في تمسكهم بالعقل وغالى أهل الظاهر في جمودهم على ظاهر النص، وأعطت الإمامية للعقل سهماً في ماله فيه مجال.

هذه هي الفوارق بين الشيعة الإمامية والمعتزلة وقد تبين أن الشيعة ليست فرعاً من المعتزلة وإن كانت الفرقتان تستمدان التوحيد والعدل من كلام الإمام علي بن أبي طالب.

فإذا تبينت الفوارق بين الطائفتين فلنذكر بعض الفوارق بين الإمامية والأشاعرة.

الفوارق بين الإمامية والأشاعرة:

إن الشيعة الإمامية تخالف الأشاعرة في أصول نذكر المهم منها:

١. صفاته سبحانه متحدة مع ذاته، فليس هناك ذات وعلم، بل الذات علم كله، خلافاً للأشاعرة، فإن الصفات زائدة على الذات.
٢. أفعال العباد عند الإمامية صادرة عن نفس العباد صدوراً حقيقياً بلا مجاز أو توسع.

فالإنسان هو الضارب والقاتل والمصلّي والقارئ، ولم يثبت في لغة العرب استعمال كلمة الخلق في الأفعال فلا يقال: خلقت الأكل والضرب والصوم والصلاة، وإنما يقال فعلتها، فالإنسان هو الفاعل لأفعاله بقدرة مفاضة من الله سبحانه، وأن قدرته المكتسبة هي المؤثرة بإذن من الله خلافاً للأشاعرة، إذ ليس لإرادة العبد ولا قدرته دور في إيجاد الأفعال.

٣. رؤية الله بالأبصار مستحيلة مطلقاً سواء أكان في الدنيا أم في الآخرة، خلافاً للأشاعرة حيث يجوزون رؤية الله في الآخرة.

٤. التحسين والتقيح عقليان عند الشيعة كما مرّ بيانه دون الأشاعرة فانتهما عندهم شرعيان .

هذه هي الأصول التي تخالف الإمامية فيها الأشاعرة وربما توافقهم المعتزلة في بعض الأصول.

الفوارق الرئيسية بين الشيعة وسائر الفرق:

هناك فوارق رئيسية بين الشيعة وسائر الفرق وأكثرها تعدد من خصائص الإمامية.

١. وجوب نصب الإمام على الله سبحانه.
 ٢. عصمة الإمام المنصوب من الله.
 ٣. الاعتقاد بالإمام المهدي المنتظر المولود عام (٢٥٥هـ) وهو حي يرزق.
 ٤. القول بالبداة، وهو تغيير المصير بالأعمال الصالحة أو الطالحة، والبداة بهذا المعنى عند التحقيق من العقائد المشتركة.
 ٥. الرجعة وهي عبارة عن عودة جماعة قليلة إلى الحياة الدنيوية قبل يوم القيامة ثم موتهم وحشرهم مجدداً يوم القيامة. ويشهد على إمكانها إحياء جماعة من بني إسرائيل^(١) وإحياء قتيلهم^(٢).
- هذه هي الخطوط العريضة للعقائد الكلامية عند الشيعة الإمامية، وبذلك تم بيان المدارس الكلامية الرائجة بين المسلمين، وبقي هناك مدارس كلامية أخرى لا حاجة لذكرها إما لضآلتها أو لانقراضها.

١. البقرة: ٥٥.

٢. البقرة: ٧٢-٧٣.

علم الكلام الجديد

أو

المسائل الجديدة في علم الكلام

لقد شاع على ألسن بعض الجامعيين الجُدُّد عنوانُ «علم الكلام الجديد» و هم يلهجون به بفم ملؤه الإعجاب والاعتبار، ويبدو لأوّل وهلة أنّ هناك علمين مختلفين أحدهما «الكلام القديم» والآخر «الكلام الجديد» ولكلّ تعريف وموضوع ومسائل وغاية.

ولكن الحقيقة غير ذلك، إذ ليس ثمة علمان مختلفان، من حيث الموضوع والغاية، بل هو علم واحد يتكامل عبْر الزمان حسب تكامل الحضارة وتفتح العقول، وليس ذلك أمراً شاذّاً في علم الكلام، بل هو جارٍ في سائر العلوم أيضاً، فعلم النحو مثلاً لم يكن يوم ظهوره إلّا عدّة مسائل ألّفها علي عليه السلام على تلميذه أبي الأسود الدؤلي وأمره بأن ينحو نحوها، ثم أُضيف إليه في كلّ عصر مسائل حتّى تكامل وصار علماً متكامل الأطراف.

وكذلك شأن علم الكلام، فلم يكن يوم ظهوره إلا عدة مسائل محدودة كالتمحييد والعدل والقضاء والقدر وما يشبهها، ولكنه أخذ بالتكامل والتطور بسبب الاحتكاكات الثقافية وفي ظل سائر العوامل المؤثرة في تكامله.

وعلى ذلك يكون التعبير الصحيح : المسائل الجديدة في علم الكلام لا علم الكلام الجديد.

وأظن - و ظنّ الألمي صواب - أنّ الغاية من وصف بعض المسائل بالكلام الجديد، هو تهميش الكلام الإسلامي الذي تكامل عبر الزمان بيد عمالقة الفن وأساتذته بزعم أنّ المدونات الكلامية لا تلبي حاجات العصر ولا تشبع رغبة الطالبين.

ولكنّه - يشهد الله - بخس لحق هذا العلم، فإنّ الكلام الإسلامي قادر على تلبية حاجات المتكلمين فيما يتبنونه في هذه الأيام باسم فلسفة الدين وما يرجع إلى المعرفة الدينية.

إنّ الفقه الأكبر (علم الكلام) كالفقه الأصغر يستطيع أن يحلّ المشاكل ويحيب عن عامة الأسئلة في حقل الدين، وقد قمنا بطرح هذه الأسئلة وتحريرها ضمن مقالات متنوعة نشرناها في مجلّتنا الفصلية عبر سنين، وقد طبع ما يرجع إلى هذا الموضوع في جزئين مستقلين وانتشر باللغة الفارسية باسم «مدخل مسائل جديد در علم كلام».

ولأجل إيقاف القارئ على نماذج من هذه المسائل التي عرقلت خطي بعض المفكرين، نذكر عناوينها مقرونة ببيان موجز:

١. ما هو السبب لنشأة الدين؟

لقد حاول بعض المفكرين تفسير نشأة الدين وتعليل ظهور الاعتقاد بالله سبحانه بين البشر، بوجوه وهمية صنعتها يد الخيال فهم - مكان أن يفسروه بالفطرة وأن الدين نداء يسمعه الإنسان من ضميره وباطن عقله - حاولوا أن يفسروه بعوامل مادية ألجأت البشر - حسب زعمهم - إلى اعتناقه .

فتارة يفسرونها بالخوف من الحوادث الطبيعية المُرعبة، قال ويل دورانت: «الخوف - كما قال لوكريشس - أول أمهات الآلهة و خصوصاً الخوف من الموت» . فهذا العامل وما يشبهه جعل البشر يلوذ إلى قوة عليا اخترعها ليسكن إلى حمايتها ويرتاح في كنفها .

وأخرى يفسرونها بالجهل بالعلل الطبيعية، وحاصلها أن الإنسان البدائي عندما واجه الحوادث الطبيعية كالزلازل والسيول والكسوف والخسوف التي تحيط به ، ولم يعرف عللها الطبيعية الواقعية ، لجأ - لجهله - إلى اختراع فاعل لها واعتبره العلة الوحيدة لكل شيء مباشرة .

فكان الاعتقاد بوجود الله وليد الجهل بأسباب الحوادث الكونية الطبيعية .

وثالثة يفسرونها بالعامل الاقتصادي ببيان أن أصحاب الرق والإقطاعيين والرأسماليين في عهود (الرق والإقطاع والرأسمالية) كلما خشوا ثورة العبيد والفلاحين والعمال في وجه المستغلين لهم بسبب ما يلاقونه من الضغوط، عمدوا إلى التوسل بالمفاهيم الدينية والروحية وترويجها بين المحرومين والكادحين الناقمين بهدف تخديرهم والتخفيف من غضبهم وصرفهم عن الانتفاضة والثورة .

ورابعة بأنّ التدنّين نزعة طفولية، وقد تنبّأها «فرويد» وقال: إنّ الحالة الطفولية لدى الإنسان والتي تتطلب له أبا رؤوفاً يأوي إليه في الأهوال، هي التي جرّته إلى أن يخترع فكرة الإله ليقيمه مقام الأب الحامي له في فترة الطفولة حتّى تحصل له الطمأنينة ويتوفّر له الاستقرار النفسي.

إلى غير ذلك من النظريات الساقطة التي لم تكن إلّا دعاوى فارغة من الدليل، ظهرت لغايات سياسية.

ونحن لا نذكر ما في هذه النظريات من إشكالات تجعلها عقيمة^(١)، وإنّما نلفت نظر القارئ إلى نكتة مهمة، وهي أنّ أصحاب هذه النظريات كأنّهم اتّفقوا على تغافل أنّ هناك لنشوء الاعتقاد بالله في حياة الإنسان عللاً طبيعية روحية كالفطرة، أو منطقية وعقلية كدلالة العقل الإنساني على وجود قوة عليا عندما يواجه هذا النظام البديع.

هذه العلل تكشف أنّ للاعتقاد جذوراً واقعية في العقل والنفس وهي التي دعت الإنسان في عامة القرون إلى الاعتقاد بالعوالم الغيبية غير عامل الخوف من الحوادث الطبيعية المرعبة أو الجهل بالعوامل الظاهرة أو نظرية الاستغلال أو الحالة الطفولية أو غير ذلك من الفروض التي حاكها الخيال وأبطلها المنطق والتاريخ والتجربة.

٢. ما هي الحاجة إلى التدنّين؟

هذه هي المسألة الثانية المطروحة باسم الكلام الجديد، وأكثر من يثيرها الماركسيون قبل انهيار الاتحاد السوفياتي، وبما أنّ القوم لم يدرسوا حاجة

١. راجع في نقد هذه النظريات كتاب «الله خالق الكون»: ١٩-٨٨.

البشر إلى التدين عاودوا يرونه أمراً زائداً في حياة المجتمع الإنساني اليوم بعد أن كان مفيداً في غابر الزمان .

ولكنهم جهلوا ما للدين من آثار بناءة لا يستغني عنها الإنسان في أية فترة من فترات حياته ، و نشير إلى بعضها ونحيل التفصيل إلى محله :

أ . التدين إجابة عملية لسؤال مطروح للإنسان من أقدم العصور حتى اليوم حيث كان يسأل نفسه في أنه :

من أين أتى؟

لماذا أتى؟

وإلى أين يذهب؟

ولم تزل هذه الأسئلة تطالبه بالجواب بالحاح شديد ... إنه لا يمكنه أن يمرّ على هذه الأسئلة دون اكتراث ، وهو يرى لكل ظاهرة حياتية سبباً ، فكيف بهذا الكون العظيم وهذا الفضاء الواسع العريض وما يتسمان به من جلال و إبداع؟ والدين يجيب على هذه الأسئلة بوضوح وإتقان .

ب . أنّ الدين يطرد القلق المحيط بالإنسان عندما يحتمل أن يكون هناك قوة عليا ولها عليه سلطة وتكاليف ربما يحاسب لأجلها ، ويشتد هذا القلق عندما يراجع التاريخ البشري ويواجه مجموعة كبيرة ممّن يطلق عليهم «الأنبياء» قد أخبروا بوجود إله خالق لهذا الكون ، وأنهم رسل الله إلى البشرية جاءوا ليخبروهم بأن ثمة واجبات وتكاليف ، وأنّ هناك حياة أخرى وحشراً ونشراً وحساباً وعقاباً ، وجنّة وناراً ، وأنّ الناس جميعهم مسؤولون محاسبون شاءوا أم أبوا .

إنّ هذا النوع من القلق هو الباعث على دراسة العقيدة والبحث عن الله

وما يتبع ذلك من العقائد والتكاليف ولا يرتاح إلا بالنزول على عتبة الدين .
ج . التدبّر مورث للطمأنينة : يواجه الإنسان في حياته أموراً عديدة تنغصص عليه عيشه وتسبب له أزمة روحية منها :

١ . هاجس الفناء .

٢ . المصائب والنكبات .

٣ . المطامح المادية غير المحققة .

إنّ العقيدة الدينية قادرة على مواجهة عوامل الاضطراب هذه وعلى تحقيق السكينة للإنسان والتخفيف من أزماته الروحية ، وذلك من خلال الإيمان بـ :
أولاً : أنّ الموت في العقيدة الدينية ليس فناء ، بل هو انتقال من عالم ضيق إلى عالم فسيح ومن حياة زائلة إلى حياة أبدية ، وعندئذ يتغيّر طعم الموت عند الإلهي عمّا هو عند المادي .

وثانياً : أنّ المصائب والآلام وإن كانت بظواهرها مرّة ، ولكنها لا تخلو من مصلحة وحكمة ، مادام خالق الكون عالماً حكيماً ، فإذا وقف الإنسان على أنّها من فعل الخالق الحكيم لم يحزن لما دهاه منها ، بل يزداد صلابة واستقامة .

وثالثاً : أنّ العقيدة بما أنّها تُقدّم للإنسان تعاليم أخلاقية ، تحد من سورة الحرص و فورة الطمع الذي يسبب الاضطراب نتيجة العجز عن تحقيق الطموحات المادية العريضة .

د . الاعتقاد بالله دعامة الأخلاق : الإنسان كتلة هائلة من الغرائز التي لا تعرف الحدود ، ومجموعة من الشهوات والمطامع والطموحات التي لا تعرف نهاية ، فإذا ترك وشأنه لينال ما تدفعه إليه شهواته وغرائزه جرّ على نفسه وعلى مجتمعه الفساد والفناء ، لتضارب المصالح والمطامع والطموحات ، ومن هنا

طرح المصلحون والاجتماعيون مسألة الأخلاق التي تهتم بتعديل هذه الغرائز.

ولكن الالتزام بالأخلاق لما كان يلزم التنازل عن بعض الطموحات لم تستطع التوصيات الأخلاقية وحدها من السيطرة على الغرائز، فلا بد هنا من شيء يعزز مكانة الأخلاق وهو أن يشعر الإنسان بأن هناك قوة عليا ناظرة لأعماله تثيب من التزم طريق العدالة وحفظ الحدود والحقوق، و تعاقب من خالف ذلك، وهذا لا يحصل إلا عن اعتقاد ديني.

هـ. الاعتقاد بالله ضماناً لتنفيذ القوانين: قد أثبت التاريخ والتجربة أن وجود القانون وحده ليس كافياً في توفير الأمن للمجتمع وإن كان مُدعماً بقوة جهاز الشرطة في الردع وفرض الغرامة والحكم بالسجن، بل لابد مع ذلك من رقيب (مشرف) داخلي يعمل حتى في حالة غفلة أجهزة الدولة والشرطة، وليس هو إلا الإيمان بالله واليوم الآخر ومخافة الحساب والعقاب وخشية المؤاخذه والمكافاة إلى غير ذلك من آثار بناءة للعقيدة الدينية.

٣. نطاق شمول الدين

وهذه هي المسألة الثالثة وهي تحديد دور الدين و هل هو رابطة روحية بين الخالق والمخلوق ويتلخص في تصفية الروح باتصاله بمبدأ الكمال، أو أن نطاقه يعم ذلك وغيره؟ فهو نظام شامل لحياة الإنسان في حقول مختلفة من غير فرق بين حقل السياسة والأخلاق والاقتصاد والاجتماع، فللدين بيان و بلاغ في كل واحد من هذه الحقول.

وهذا لا يعني أن الدين يغني عن التفكير في هذه المجالات ويجعل الإنسان مقلداً فارغاً عن التخطيط، بل بمعنى أن الأصول الكلية التي عليها مدار

السعادة في الدنيا والآخرة يبيّنها الدين ويترك التخطيط للإنسان على ضوء هذه الأصول المسلّمة .

نعم من يلخّص الدين في مجرّد الصلّة بين الخالق والمخلوق ويدعو الإنسان إلى الدعاء والمناجاة في الكنائس والمعابد ويترك باقي الأمور لهوى الإنسان، فمثل هذا الدين نطاقه ضيق غير شمولي وهذا كالمسيحية الموجودة في العصر الراهن، فإنّ الكنائس لخصت واجب الإنسان الديني في الدعاء والابتهاال إلى الله في ساعة واحدة من يوم واحد من الأسبوع .

ولعلّ ما يذكره القائل من تضيق نطاق الدين يجعل هذا النوع من الدين مقياساً لقضائه، أمّا لو عطف نظره إلى ما ورد في تلمود الكليم من الواجبات والمحرمات وما في الشريعة المحمّدية من آلاف الأحكام في حقول مختلفة لرجع القهقري من هذا النوع من التفكير .

٤ . هل النبوة موهبة إلهية أو نبوغ اجتماعي؟

إنّ النبوة عند الإلهيين موهبة إلهية يهبها سبحانه إلى صالحه عباده وأفضلهم، ويجهّزهم بالآيات والبيّنات ليقيموا الناس بالقسط والعدل ويهدوهم إلى الصراط السويّ على أصعدة مختلفة .

نعم هناك من لم يؤمن بالنبوة يفسرها بالنبوغ الاجتماعي، وأنّ الأنبياء دعاة ومفكّرون لهم من النجدة والفكر ما يميّزهم عن غيرهم، ولأجل إقناع الناس وإلفات نظرهم إلى خطابهم نسبوها إلى السماء وما وراء الطبيعة وإلى الله ليكون أوقع في النفوس .

وهذا النوع من التفسير للنبوة رمي للأنبياء بالكذب، وأيّ افتراء أكبر من أن

نصف عمالة الإصلاح وأتقياء المجتمع بالفرية والكذب ولو لغاية الإصلاح!!
إنّ الأنبياء قد ضحّوا بأنفسهم ونفائسهم في طريق إصلاح المجتمع،
أفهل يصحّ وصف هؤلاء بالكذب والدجل؟ وما هذا إلّا لأنّ القوم لم يدرسوا
حقيقة النبوة وشروطها وواقع الوحي وحدوده.

٥. خلود الشريعة وبقاؤها

هل الشريعة السماوية تصلح لأن تُسعد المجتمع الإنساني عبر القرون
وترتقي به إلى أرفع المستويات؟ أو أنّ تعاليم الأنبياء تعاليم زمنية وإصلاحات
وقتيّة تنتفع بها بعض المجتمعات في فترة حياة النبي أو بعدها بمدة يسيرة؟
إنّ السائل خلط بين ما هو ثابت في الشريعة وما هو متغيّر فيها، فإنّ
الأصول المبتنية على الفطرة الإنسانية ثابتة لا تتغيّر ولا تبدّل لثبات فطرتها.

نعم هناك مقرّرات في الشريعة تبدّل وتتغيّر حسب تغيّر الظروف
والحضارات، فالسائل لم يفرّق بين القوانين والمقرّرات، فالثابت هو الأوّل
والمتغيّر هو الثاني، ومثال ذلك أنّ فريضة التعليم والتعلّم والكتابة من الأصول
الإسلامية التي لا تتغيّر، فالمسلم هنا مطالب بتحصيل العلم، وبذل أقصى
الجهود في هذا المجال، وأمّا ما يتحقّق به هذا الأصل من الأدوات فهي تابعة
للظروف والحضارة كما هو واضح، وقس على ذلك كلّ ما ورد في الشريعة من
الأصول الثابتة والمقرّرات.

وفي مجال آخر، يُعدّ الدفاع عن كيان الإسلام وحفظ الاستقلال، استناداً
إلى قوله سبحانه: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾^(١) من الأصول الثابتة، وأمّا

كيفية الدفاع ونوع السلاح المستخدم وغير ذلك، فهي من الأصول المتغيرة التي تخضع لمقتضيات الزمان.

٦. الوحدة أو التعددية الدينية

التعددية الدينية Religious Pluralism من المسائل الكلامية الحديثة الظهور، وقد جرت مؤخراً على الألسن، وصدرت حولها كتب ومقالات مختلفة في بيانها أو نقدها، يتكون عنوان (البيلوراليزم الديني) من كلمتين هما «بيلوراليزم» و «ديني» و المفهوم الثاني واضح نوعاً ما، إلا أن المفهوم الأول يحتاج إلى بيان.

تستخدم كلمة Plural اسماً أو صفة، وكذلك تأتي بمعنى «الجمع أو الكثرة» والحقيقة أن الكلمة المذكورة تشير إلى «الكثرة» و«التعدد» وتكملتها ism تعني تياراً، من هنا استخدمت في مجالات مختلفة أعم من الدين، كالفلسفة، والأخلاق، والحقوق والسياسة، فمثلاً «البيلوراليزم السياسي» نوع من التعددية السياسية، كما تشير إلى تعدد الأحزاب والتشكيلات، والمقصود من التعددية الدينية ما يقابل الوجدانية والتفرد، أو ما يصطلح عليه الانحصارية في الدين في مقابل الشمولية.

إن التعددية الدينية لها تفسيران:

١. إن جميع أتباع الأديان (حسب تعبير المنظرين) أو الشرائع (في ضوء تعبيرنا) قادرون على التعايش على أساس ما لديهم من المشتركات، وأن يتحمل بعضهم البعض وهو ما يُعرف - لدى السياسيين - بالتعايش السلمي، فالتعددية الدينية بهذا المعنى مما نادى به الإسلام وقبلها المسلمون شعوباً وحكاماً حيث

يُتاح للجميع التعايش مع بعضهم البعض في ظل السلام والاحترام المتبادل.

٢. يكفي في سعادة الإنسان أن يؤمن بالله ويلتزم بإحدى الشرائع السابقة، وهذا التفسير من التعددية الدينية مردود بنصوص الشريعة، وإليك بعضها:

١. إن القول بخلود واستمرار كل شريعة يفضي إلى إلغاء فائدة تشريع الشرائع المتعددة وإرسال الرسل المحوريتين، وسوف لا نجني من ذلك شيئاً سوى التشويش وبث الفرقة.

٢. إذا قلنا بأنه يكفي في تحقيق السعادة اتباع أية شريعة، فلماذا تحدد مسؤولية كل نبي بمجيء النبي الآخر بل والتبشير به؟

٣. إذا كانت كل الشرائع خالدة فلا موجب لنسخ الأحكام، ولو بشكل إجمالي، ولما قال المسيح: ﴿وَأَجَلٌ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾^(١).

٤. إذا كانت شريعة عيسى صالحة ومعترفاً بها رسمياً حين نزول الشريعة اللاحقة، فلا وجه لدعوة اليهود والنصارى لاتباع دين محمد ﷺ، مع أن القرآن يصرح بضلال أهل الكتاب ما لم يؤمنوا بالدين الجديد: ﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ أَهْتَدُوا﴾^(٢).

٥. عندما نراجع نصوص الكتاب المقدس والقرآن الكريم وأقوال ورسائل النبي ﷺ نجد أن هذه النظرية من الهشاشة إلى درجة لا يصدقها إلا من يقضي ويرم جزافاً، ثم يبحث عن الدليل ويتشبث من أجل نجاته بكل غث فيؤمن بهذه النظرية.

٦. تتوقف حياة الإنسان في الآخرة على عقيدة صحيحة وعمل صالح،

وتحقّقهما موجب للشواب. وهنا نسأل: كيف يمكن للتضاد في العقيدة أو العمل بأمرين متضادين، أن يضمن الحياة المعنوية للإنسان؟ وكيف يُسعد الإنسان في الدارين بتبني التوحيد على جميع الأصعدة وفي الوقت نفسه يسعد بالإيمان بالتثليث وبتثليث الرب، أو يُسعد بتجنّب الخمر والربا وكذلك مع الإدمان وأكل الربا؟

٧. لو أعرضنا عن هذا، فإن واقعية السعادة التي ستوفّرها هذه الأديان ستكون مشروطة بعدم تحريفها، فهل هذا الشرط صادق في الأديان السابقة؟ فالإنجيل المتداول ليس هو كتاب الله المنزل على المسيح، بل هو من تحرير تلامذته بشهادة أنّ حياة المسيح قد سجّلت في آخر الأناجيل الأربعة ضبط حياته ﷺ بشكل خاص، وذكر صلبه ودفنه وعروجه إلى السماء.

فهل يمكن للإنجيل الذي خطّته يد البشر أن يُسعد جميع الناس على وجه الأرض؟ والتوراة أيضاً - مثل الإنجيل - حامت حولها الشكوك، فالتوراة الحالية قرئت وكتبت على يد أحد حفاظ التوراة في زمان نبوخذ نصر^(١) بعد اختفاء النسخة الأصلية، وهذه النسخة تعرضت بعد مرور سبعين سنة للتحريف، واشتملت على أحكام ونصوص تخالف العقل، وقد انتقدها القرآن باعتبارها عاجزة عن توفير السعادة والهداية.

٨. ولو أعرضنا عن كلّ ما تقدم نقول: «إنّ الأديان التاريخية الكبيرة هي بمنزلة مجموعة تتشكل من منظومة عقيدية واحدة» إلّا أنّنا متى شخصنا الأكمل من بينها فعلينا - بحكم العقل - اتّباعها، وهذه الحقيقة صرّح بها بعض أنصار البيلوراليزم. يقول «وليم نلسون»: أنا لا اعتقد أنّ جميع الأديان التي امتدت على

١. أي «بخت النصر» ملك بابل، وفي الكتاب المقدس «بنوكد نصر».

طول التاريخ حتى اليوم، متساوية من منظار علمي.

٧. تعارض الدين والعلم

لهذه المسألة (السابعة) جذور في القرون المتقدمة، فحينما ترجمت الكتب اليونانية والهندية والفارسية إلى اللغة العربية وانتشرت الفلسفة بين المسلمين، رأى غير واحد من المفكرين أن هناك تعارضاً بين السمع وبين ما في هذه الكتب، فعادوا يعبرون عن هذه الفكرة بتعارض الدين والفلسفة أو تعارض العقل والنقل. وعندما ارتج العالم بظهور الحضارة الصناعية وأخذ العلم زمام الحياة، وانتشرت نتائج التجارب في الأوساط وربما كان بعضها مخالفاً لما في الكتاب المقدس أخذت هذه المسألة لنفسها عنواناً آخر، وهو تعارض العلم والدين .

وحصيلة الكلام في نقد التعارض: أن المراد من الدين هو حصيلة الوحي الإلهي لا أخبار الآحاد المنتشرة بين الكتب والأفواه، والوحي إدراك قطعي لا يقبل الخطأ، فعند التعارض لابد من انتخاب أحد الأمرين:

ما تلقيناه ديناً وما فهمناه من الكتاب العزيز ليس بدين وإنما هو انتزاع ذهني وفهم خاطئ منا.

أو ما أثبتته التجربة ليس من الحقائق المسلّمة، بل فرضية سوف تتبدل إلى فرضية أخرى.

وعندما ظهرت نظرية «دارون» في أصول الإنسان، حسب المادّيون أنهم قد توسّلوا بسلاح حادّ لضرب المتدينين القائلين بخلق الإنسان من الطين، ولكن لم يلبث أن قامت الأدلة القاهرة على بطلان هذه النظرية وقامت مقامها نظرية أخرى، وهكذا تتابعت النظريات إلى يومنا هذا.

٨. صلة الدين بالأخلاق

إنّ الأخلاق جزء من الدين وليست شيئاً خارجاً عنه، وقد مرّ أن الاعتقاد بالله دعامة الأخلاق، بحيث لو انهارت هذه الدعامة لم يبق هناك ما يدعم القيم الأخلاقية، ولأجل إيضاح المقام نقول: إنّ الفضائل والسجايا الكريمة جزء من فطرة كلّ إنسان، وإنّ الميل إلى الخير وكراهة الشر أمران مغروسان في جبلّة البشر فهم يحبّون الخير وأهله ويكرهون الشر وأهله، ولكن هذه البذور والخمائر لا تستطيع مقاومة الغرائز ومزاحمة الشهوات إلّا إذا قويت ونمت، وهي لا تنمو إلّا في ظلّ الدين الذي ينطوي على الاعتقاد بالله واليوم الآخر وما وعد فيه من ثوابات عظيمة على الخيرات، أو عقوبات شديدة على ارتكاب الشرور والآثام، وبهذا تكون العقيدة خير وسيلة لتنمية السجايا النبيلة في الكيان الإنساني وخير سبيل إلى تقويتها ودعمها.

وقد سبق منّا: أنّ الدين دعامة الأخلاق ولنعم ما قاله الشاعر:

وإنّما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن هُم ذهبَتْ أخلاقُهم ذهبوا

فإذا كانت هذه مكانة الأخلاق، فما هي مكانة الدين الذي هو دعامتها؟

٩. حرية الإنسان في سلوكه الفردي والاجتماعي

إنّ الفيلسوف الطائر الصيت «سارتر» ومن نحا نحوه أعطوا للحرية مكانة مرموقة، وكأنّ الإنسان خلق للحرية وفي خدمتها، وهم — لأجل ذلك — يرفضون الدين لأنّه يحدد حرية الإنسان ويضاعفها، وينكرون كلّ أمر فطري أطبق عليه العقلاء في كلّ قرن كحسن العدل وقبح الظلم، بحجة أنّ الاعتراف بوجود هذا الميل الفطري، يحدد حرية الإنسان ويضع لها إطاراً خاصاً، فصارت الحرية

عند هؤلاء، إلهاً يعبد مكان إله العالم.

وقد أخذ الإسلام من الحرية، الجانب الأوسط، فرأى كرامة الإنسان في الحفاظ على حرته، ولكن لا على نحو تكون ذريعة للانحلال الأخلاقي فتصبح وبئالاً عليه، وتجعل الإنسان عبداً خاضعاً، للميول والغرائز تحت غطاء، صيانة الحرية. فالحرية بهذا المعنى، تذليل للإنسان وهدم لكرامته ونوع من العبودية للشهوات والغرائز الجامحة كما حدّد حرّيته بعدم الإضرار بمصالح الآخرين، وإن أردت التفصيل فنقول:

يتميّز الإنسان عن سائر الموجودات بالتفكير العقلاني، والحرية في السلوك، وكان هذين العنصرين: التفكير والحرية، جوهر الحياة الإنسانية.

أما التفكير فقد دعا إليه الإسلام في العديد من آياته إلى درجة عُدّت تنمية القوة العقلية والتفكير في مظاهر الكون من سمات ذوي الألباب، قال سبحانه: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاختلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ* الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً﴾. (١)

وقد نهى الإسلام عن كلّ عمل أو سلوك يضاد التفكير العقلاني، فنهى عن الخمر، وكلّ مسكر يزيل العقل، كما نهى عن التقليد الأعمى، والاتباع غير المدروس للأبناء والأجداد.

وأما الحرية فإنّ الإسلام حدّر الإنسان من استعباد أخيه الإنسان وقهره وإذلاله، كما حدّر من الخضوع للقهر والتسلّط، فليس للإنسان إلّا أن يعيش حرّاً كريماً بعيداً عن أيّ شكل من أشكال الذلّ والصغار، قال الإمام علي عليه السلام: «لا

تكن عبد غيرك وقد جعلك الله حرّاً»^(١).

وقد روي عنهم عليهم السلام: «إن الله تبارك وتعالى فوّض إلى المؤمن كلّ شيء إلاّ إذلال نفسه»^(٢).

نعم الحرية موهبة إلهية منحها الله للإنسان لحفظ كرامته وعزته وشرفه، فلو استخدمها في هدم كرامته وشرفه، فقد خالف السنّة الإلهية، ولذلك صارت الحريات الفردية الشخصية في المجالات الاقتصادية أو السياسية محدّدة بعدم منافاتها لتكامله المعنوي، كما هي مقيدة بعدم إضرارها بالمنافع العامة.

فالحرية أصل أساسي في حياة الإنسان محدّدة باستخدامها في طريق رُقيّه وتكامله، وعدم إضرارها بمصالح العامة، لكي تكون في خدمة الإنسان ومصلحه، ومصالح المجتمع.

١٠. الهرمنوتيك أو تفسير النصوص

الهرمنوتيك كلمة يونانية بمعنى تفسير النصوص، والغاية من طرح هذه المسألة هو أنّ النصوص الدينية لا يمكن تفسيرها تفسيراً قطعياً، وأنّه يتعدّر اتخاذ رأي نهائي وقطعيّ في المفاهيم الدينية المأخوذة من الكتاب والسنّة.

قالوا في ذلك: «لا يوجد أي رأي نهائي وقطعي في الشؤون الدينية، لأنّ الخطاب الديني يجد معناه في نهاية الأمر عبر الارتباط بالله، فلا توجد لدينا فتوى قطعية ولا نظرية عقائدية نهائية وإنّما نعيش مساراً تفسيرياً دائماً...».

إنّ هذا القائل وإن خصّ النظرية بالنصوص الدينية، ولكنّ مؤسسي

١. نهج البلاغة، قسم الرسائل، رقم ٣٨.

٢. وسائل الشيعة: ١١/ ٤٢٤، كتاب الأمر بالمعروف، الباب ١٢، الحديث ٤.

النظرية في الغرب، أعني: «شلاير ماخر» (١٧٦٨-١٨٤٤م) و«مارتين هايدغر» (١٨٧٩-١٩٧٤م) و من تقدّم عليهما أو تأخر عنهما، تبوّها على نطاق واسع، وقاموا بتعميمها على كلام كلّ متكلم وأثر كلّ مؤلف، وأنه لا يمكن أن يصل المخاطب إلى المقصود النهائي منها أبداً.

وقد أفردنا رسالة في نقد هذه النظرية وانتشرت انتشاراً واسعاً، فلا نعود إليها، إلا أننا نودّ أن نلفت نظر القارئ إلى أمور:

أولاً: أنّ أصحاب تلك النظرية يتكلّمون عن أصحاب الكتب السماوية، وهم لا يعترفون بتلك النظرية بل يكذبونها، فإنّ القرآن الكريم يقسم آياته إلى قسمين: محكم ومتشابه، فيرى المحكم أم الكتاب، وأنّ عقدة المتشابه تنحلّ بالرجوع إليه، يقول سبحانه: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدَ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾. (١)

فالمحكمات من الآيات ما أحكمت دلالتها، واتضحت معالمها، وتبيّنت مقاصدها، أفهل يصحّ وصف هذه الآيات بعدم وجود أي رأي نهائي في تفسيرها وتبيينها؟!

إنّ النظرية تعني أنّ النصوص الدينية مجموعة رموز وألغاز يفسره كلّ إنسان، حسب ما أوتي من مواهب وحسب ما لذهنه من طابع مع أنّه تبارك و تعالى يصف كتابه بأنّه أنزل بلسان عربي مبين: ﴿نَزَّلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾. (٢)

إلى غير ذلك من الآيات الآمرة باستماع القرآن والإنصات إليه لفهم مقاصده السامية.

وثانياً: أن القول بعدم وجود رأي نهائي وقطعي في الشؤون الدينية ناجم عن القول بنسبية الإدراكات التي ورثها الغرب عن «إيمانويل كانت» الذي أعاد السفسطة اليونانية - التي تهدمت بجهود حكماء كبار كسقراط وأفلاطون وأرسطاطاليس - إلى الساحة العلمية في الغرب، قائلاً بأن ما يدركه الإنسان لا يحكي عن الواقع مائة بالمائة وإنما يحكي عنه بنسبة خاصة، وذلك لأن القوى المدركة في الإنسان مقرونة بقوالب لها طابعها الخاص ترد إليها المفاهيم والصور من الخارج لكن لا تبقى على سذاجتها، بل تنصغ بصبغة الذهن وتنطبع بتلك الطوابع، وهذا نظير من نظر إلى غابة خضراء بمنظار أصفر فيراها بلون المنظار مع أنها على خلافه.

وقد أثبتنا في محاضراتنا حول نظرية المعرفة، أن هذه الفكرة تنتهي إلى السفسطة مائة بالمائة، والفرق بين ما تبناه «كانت» وما تبناه بعض الإغريق هو أن الفرق الثانية كانوا يطرحون أنظارهم ببساطة وسذاجة ويدعون أنه ليس لنا علم بالخارج، ولكن الغرب وعلى رأسهم «كانت» يعرض تلك النظرية بثوب علمي يغري الجاهل.

وإذا كانت مدركات الإنسان تأخذ لنفسها أشكال القوالب الذهنية، فمن أين نعلم أن هناك عالماً وراء ذهننا ومدركاتنا ونحن ندركه ونعرف آثاره؟ لأن هذه الفكرة (وجود العالم الخارج عن الذهن) لا يمكن أن تعبر عن الواقع مائة بالمائة لأنها انصبغت بصبغة الذهن وأخذت شكل القوالب الذهنية.

٣. أن المطلوب في الدين هو الإيمان الجازم والتصديق القاطع، وقد بعث

الأنبياء لتلك الغاية السامية، يقول سبحانه: ﴿أَمَّنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾^(١).

فلو كانت المفاهيم الدينية مفاهيم غير قطعية وإدراكات متزلزلة تتبدل كل يوم إلى معنى يغاير الأول، فلا تحصل الغاية السامية من إنزال الكتب وبعث الرسل، لأنهم بعثوا لإيجاد الإيمان القاطع بالله سبحانه وكتبه ورسله.

نعم إن هذه المسائل وأشباهها التي اشتهرت باسم الكلام الجديد، وذكرنا في المقام نماذج منها، كانت تبلور في الغرب وتمز أركان الكنائس وتضعف قدرتهم، وقد قوبلت في الغرب بقيام رجال مخلصين، تصدّوا لهذه الشبه ونقدوها أفضل النقد، وقد ألفوا في ذلك مئات الكتب، ولا يزال يتشر في كل شهر أو أسبوع حول المواضيع المذكورة كتاب أو رسالة، وقد وصلت موجة هذه الشبه إلى الشرق عبر من تخرج من المعاهد الغربية دون أن ترسخ في أذهانهم المبادئ الدينية والعلمية، فتأثروا بذلك وحسبوها حقائق راهنة، وأخذوا ينشرونها في الجامعات زاعمين أنها منهاج فلسفي ثمين، غفل عنه الإسلاميون وانتبه له الغربيون.

مخطط الغربيين لضرب الثقافة الإسلامية

بدأ الغربيون يسيطرون على البلاد الإسلامية بفضل تفوقهم الصناعي، يقودهم جند الاستشراق الذين يعرفون ما يملك المسلمون من طاقات مادية ومعنوية.

ولذلك فقد عملوا على صعيدين:

١. تصدير الصناعة بشكل ناقص بحيث يكون الشرق محتاجاً إلى الغرب في كل حين وزمان، وبالتالي تكون لهم السيادة وللآخرين الفقر والحاجة.

٢. إرسال البعثات التبشيرية إلى البلاد الإسلامية النائية، والبعيدة عن العواصم الإسلامية، كدول أفريقيا ودول شرق آسيا الذين أسلموا طوعاً وورغبة دون أن يكون عندهم علماء أقوياء في مواجهة التبشير. وقد نجحوا بعض النجاح في ذلك المجال، حتى رفع البابا عقيرته قبل سنين بأن أفريقيا على رأس القرن الحادي والعشرين قارة مسيحية خالصة وليس للإسلام هناك أي شأن وقدرة، ولكنها كانت مجرد أمنية لم يكتب لها النجاح.

وقد أحس الاستعمار أن السيطرة على البلاد الإسلامية التي ضرب الإسلام فيها بجراحه، ليس أمراً سهلاً، فدخلوا من باب آخر وهو بث الشكوك والشبهات عن طريق المسائل الفلسفية والكلامية في المدارس والجامعات حتى يخرج الإيمان من قلوبهم فيصبحوا شكّاكين حيارى، غير باذلين أي اهتمام في الدفاع عن الدين، فعند ذلك يسهل استعمارهم، وذوب ثقافتهم في ثقافة المستعمرين.

ولتنفيذ هذا المخطط فتحوا فروعاً لجامعاتهم في العواصم الإسلامية، وربما نفذوا هذا المخطط أيضاً عن طريق بعث رجال العلم إلى الجامعات الإسلامية - وهم يحملون شهادات علمية - لغاية إيجاد الشك والتزلزل في قلوب الطلاب والطالبات.

وعلى ضوء ذلك نرى أن الفلسفة الغربية والكلام المسيحي أخذ ينتشر ويتعش في البلاد الإسلامية وخاصة في الجمهورية الإسلامية الإيرانية، والغاية من نشر هذه الأفكار هي إزالة الإيمان عن قلوبهم الذي أصبح سداً منيعاً أمام أطماع

المستعمرين، وهاهنا نشير إلى بعض المسائل الكلامية التي طرحت لغرض إيجاد البلبلة الفكرية وتشويش أذهان الجامعيين وسوقهم إلى الشك والإلحاد.

١. فصل السياسة عن الدين

إن فصل السياسة عن الدين من أهم خططهم حتى يمحروا علماء الدين في زوايا المساجد لكي لا يكون لهم شأن سوى الدعاء والأوراد، وعند ذلك يسهل لهم السيطرة على العباد والبلاد.

فلو أريد من الدين، الدين الرائج في البلاد المسيحية حيث إن أصحاب الكنائس ليس لهم شأن إلا الدعاء وقراءة الأوراد في يوم واحد من أيام الأسبوع وترك الناس على أحوالهم دون تدخل في شأن من شؤون حياتهم، فالحق عدم وجود الصلة بين السياسة والدين.

ولو أريد منه، خاتمة الشرائع - أعني: شريعة الإسلام - فكتابها وستتها يصوران السياسة والدين لحمية وسدى للشريعة، ففصل أحدهما عن الآخر محو لها، فكيف يمكن فصلها عن الدين إذا فسرت السياسة بتدبير أمور الأمة في معاشهم ومعادهم، وقد طفح الكتاب والسنة بأصول تتكفل بتدبير حياة المسلمين. يقول سبحانه: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَاللَّهُ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾^(١).

فالصلاة صلة العبد بالله سبحانه، والزكاة صلة الإنسان بالمجتمع، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو تدبير حياة الأمة بدفعها إلى المعروف ونهيها عن المنكر بأساليب مختلفة تقتضيها مصالح العصر.

٢. تعدّد القراءات

إنّ مسألة تعدّد القراءات للدين من أخطر المصائد التي نصبها المستعمرون في سبيل مسح الهوية الإسلامية، لأنّ مغزاه أنّ كلّ ما ورد في الكتاب والسنة ليس له معنى واحد وقراءة واحدة، بل يمكن تفسيرها بطرق مختلفة، ولكلّ إنسان قراءته الخاصة في الدين، فربّما تكون نتيجة قراءة فرد فصل السياسة عن الدين والآخر ضمها إليه، وهكذا دواليك.

فإذا قام الخطيب بتفسير آية أو رواية في جانب من الجوانب الدينية والذي لا يناسب أذواق المستعمرين وأذنانهم قاموا بوجهه قائلين بأنّ ما فهمته من الدين قراءة تختص بك وللآخرين من العلماء قراءة أخرى، فلا يكون فهمك حجة على الكل. وعند ذلك يصبح الإسلام بكتابه وسنته وكلمات علمائه مفاهيم غير واضحة، بل العوبة بيد المنحرفين.

٣. حصر الشريعة بفترة خاصة

الشريعة الإسلامية بفضل نصوصها شريعة خاتمة للشرائع، وكتابتها خاتم الكتب، ونبّأها خاتم النبيّين، وقد جاء بسنن وقوانين تستطيع أن تلبي حاجات الإنسان فردية واجتماعية مادام هو يعيش في هذا الكوكب، ولما كان القول بالخاتمية ودوام الشريعة سداً منيعاً أمام أطماع المستعمرين حاولوا أن يحدّوا شريعته بأجيال ماضية قد قضى عليها التاريخ، فعلى الإنسان أن يمهد طريقه في الحياة بأفكاره وآرائه، أو بما يمليه العلم في مختلف الجوانب دون أية حاجة إلى الوحي والشريعة.

هذه هي الأصول المخططة لتضعيف الإيمان وسوق المجتمع إلى اللادينية

والانحراف عن التمسك بالشرعية، فعندئذ تسهل السيطرة على منافع البلاد وأرباحها ونفوسها ومصيرها ومستقبلها، فعلى علماء الإسلام ومحققهم رصد هذه المناهج الضالة والدفاع عن حياض الإسلام بتحليل هذه المناهج بالمشراط العلمي حتى لا يذوب الإيمان في قلوب الناشئة وتصبح سداً منيعاً أمام هذه التيارات الضالة.

وهذه دراسة إجمالية تدفع المفكر الإسلامي إلى بذل التوجه والاهتمام بالفقه الأكبر وأنه ينال الدرجة الأولى من الحاجات العلمية.

الكلام الشيعي الإمامي

في قفص الاتهام

الكلام الإمامي في مراحلہ التي مرّ بها، كان يسير على ضوء الكتاب، والسنة الصحيحة المأخوذة عن أئمة أهل البيت عليهم السلام، والعقل الحصيف، ولم يكن فيما يرم وينقض، أو يعتقد ويرفض عيالاً على منهج من المناهج الكلامية خصوصاً الاعتزال، من غير فرق بين أهل الحديث والأثر منهم، كالشيخ الصدوق (المتوفى ٣٨١هـ)، ومن تقدّم عليه كأستاذه ابن الوليد (المتوفى ٣٤٣هـ) وأحمد بن محمد بن عيسى الأشعري (المتوفى حدود ٢٨٠هـ) وسعد بن عبد الله القمي (المتوفى ٣٠١هـ)، وأهل البرهنة والاستدلال كعيسى بن روضة حاجب المنصور، وعلي بن إسماعيل بن ميثم التمار البغدادي، وأبي جعفر مؤمن الطاق، وهشام بن الحكم، وهشام بن سالم، ومن يليهم إلى عصر المفيد والمرتضى والشيخ الطوسي، والجميع على اختلاف مشاربهم درسوا العقيدة الإسلامية على ضوء ما ذكرنا، خصوصاً خطب الإمام علي عليه السلام وكلماته، فلو قالوا بالتوحيد، والعدل، والتنزيه، ونفي الرؤية، والقدرة، والاستطاعة فإنّ جميع هذه المفاهيم مستقاة من

عين صافية، وهي أحاديث أئمة أهل البيت في مقدمهم، خطب الإمام علي عليه السلام. فلو اتفقوا مع المعتزلة في قسم من الأصول المذكورة، فلا يُعدّ هذا دليلاً على أنهم أخذوه عن المعتزلة، بل الطائفتان اجتمعتا على مائدة واحدة وانتهلتا من معين واحد.

وقد ذكرنا في موسوعتنا^(١) نصوص أئمة الاعتزال على أن مذهبهم يتصل بالإمام علي عليه السلام، ونأتي هنا بنموذجين:

قال القاضي عبد الجبار: فأما أمير المؤمنين عليه السلام فخطبه في بيان نفي التشبيه وإثبات العدل أكثر من أن تحصى.^(٢)

وقال أيضاً: وأنت إذا نظرت في خطب أمير المؤمنين وجدت مشحونة بنفي الرؤية عن الله تعالى.^(٣)

وهذا هو ابن المرتضى يقول: وسند المعتزلة لمذهبهم أوضح من الفلق، إذ يتصل إلى واصل وعمرو اتصالاً ظاهراً، وهما أخذوا عن محمد بن علي بن أبي طالب وابنه أبي هاشم عبد الله بن محمد، ومحمد هو الذي رتب واصلاً وعلمه حتى تخرج واستحكم، ومحمد أخذ عن أبيه علي بن أبي طالب عليه السلام من رسول الله صلى الله عليه وآله.^(٤)

وهانحن نذكر خطبة من خطب الإمام، وهي جواب لسؤال من قال: صِفْ لَنَا رَبَّنَا مِثْلَ مَا نَرَاهُ، فغضب عليه السلام، ونادى الصلاة جامعة، فاجتمع إليه الناس حتى غص المسجد بأهله فقال كما يرويه الشريف الرضي:

وَأَشْهَدُ أَنَّ مَنْ شَبَّهَكَ بِتَبَائِنِ أَعْضَاءِ خَلْقِكَ، وَتَلَاحُمِ حِقَاقِ مَفَاصِلِهِمْ

١. بحوث في الملل والنحل: ٣/ ١٨٨-١٩٠.

٢. فصل الاعتزال وذكر المعتزلة: ١٦٣.

٣. شرح الأصول الخمسة: ٢٦٨.

٤. المنية والأمل: ٦٥.

الْمُحْتَجِبَةِ لِتَذِيرِ حِكْمَتِكَ، لَمْ يَعْقُدْ غَيْبَ ضَمِيرِهِ عَلَى مَعْرِفَتِكَ وَلَمْ يُبَاشِرْ قَلْبُهُ
الْيَقِينَ بِأَنَّهُ لَا نِدَّ لَكَ، وَكَأَنَّهُ لَمْ يَسْمَعْ تَبَرُّؤَ التَّابِعِينَ مِنَ الْمُتَبُوعِينَ إِذْ يَقُولُونَ: ﴿تَاللَّهِ
كُنَّا لِفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ * إِذْ نُسَوِّيَكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١﴾.

كَذَبَ الْعَادِلُونَ بِكَ إِذْ شَبَّهُواكَ بِأَصْنَامِهِمْ وَنَحَلُوكَ حِلْيَةَ الْمُخْلُوقِينَ
بِأَوْهَامِهِمْ. وَجَزَّأوكَ تَجْرِئَةَ الْمُجَسَّمَاتِ بِخَوَاطِرِهِمْ، وَقَدَّرُوكَ عَلَى الْخِلْقَةِ الْمُخْتَلِفَةِ
الْقُوَى بِقِرَائِحِ عُقُولِهِمْ.

وَأَشْهَدُ أَنَّ مَنْ سَأَلَكَ بِشَيْءٍ مِنْ خَلْقِكَ فَقَدْ عَدَلَ بِكَ، وَالْعَادِلُ بِكَ كَافِرٌ
بِمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ مُحْكَمَاتُ آيَاتِكَ، وَنَطَقَتْ عَنْهُ شَوَاهِدُ حُجَجِ بَيِّنَاتِكَ، وَإِنَّكَ أَنْتَ اللَّهُ
الَّذِي لَمْ تَتَّهَ فِي الْعُقُولِ فَتَكُونَ فِي مَهَبٍّ فِكْرَهَا مُكَيِّفًا وَلَا فِي رَوِيَّاتِ خَوَاطِرِهَا
فَتَكُونَ مُحْدُودًا مُصَرِّفًا.

ومن كان عنده هذا الكنز الثمين وأمثاله فهو في غنى عن التطفل على
موائد الآخرين، وفي متددح عن أن يتفوه بالتجسيم والتشبيه أو بالجهة والرؤية، أو
يصير عيالاً على غيره.

ومع هذا التاريخ الوضاح لكلام الشيعة الإمامية فقد اتهموه ببعض التهم:
نذكر منها أمرين:

١. اتهام الشيعة بالتجسيم

إن مشايخ الإمامية كانوا على عقيدة التشبيه والتجسيم والجهة والرؤية، إلا
نفرأ قليلاً عدلوا إلى التنزيه والعدل، لأجل مصاحبتهم المعتزلة.

وحاصل التهمة: أن الشيعة الإمامية، كانوا مجسمة غير أن أقلية منهم
اتصلت بالمعتزلة فتأثروا بعقائدهم وصاروا من أصحاب التوحيد والعدل.

يقول أبو الحسين الخياط (المتوفى ٣١١هـ): «وأما جملة قول الرافضة، فهو: إنَّ الله عزَّ وجلَّ ذو قَدٍّ، وصورة، وحدٌّ يتحرَّك ويسكن، ويدنو ويبعد، ويخفَّ ويثقل...» هذا توحيد الرافضة بأسرها، إلَّا نفرأ منهم يسيراً صحبوا المعتزلة واعتقدوا التوحيد، فنفتهم الرافضة عنهم، وتبرأت منهم، فأما جملتهم ومشايخهم، مثل: هشام بن سالم، وشيطان الطاق، وعلي بن ميثم، وهشام بن الحكم، وعلي بن منصور، والسكاك، فقولهم ما حكيت عنهم...»^(١).

و يقول ابن تيمية: ومعلوم أنَّ المعتزلة هم أصل هذا القول (العدل الإلهي)، وأنَّ شيوخ الرافضة كالنفيد (٣٣٦-٤١٣هـ) والسيد المرتضى (٣٥٥-٤٣٦هـ) والطوسي (٣٨٥-٤٦٠هـ) والكراچكي (المتوفى ٤٤٩هـ) إنَّما أخذوا ذلك من المعتزلة، وإلَّا فالشيعة القدماء لا يوجد في كلامهم شيء من هذا.

ويقول الذهبي، زميل ابن تيمية: ومن حدود سنة ٣٧٠هـ إلى زماننا هذا تضاد الرافض والاعتزال وتواخيا.^(٢)

يقول ابن حجر - موسّعاً زمان التأخي -: وإنَّ الطائفتين لم يزالا متواخيتين من زمان المأمون العباسي.^(٣)

أقول: وأتَّى لأبي الحسين الخياط وابن تيمية والذهبي وأشباههم الإمام بتاريخ الشيعة، وتقييم عقائدهم، وهم يكتبون تاريخ الشيعة بنفسية خاصة وبعقيدة مسبقة في حقهم.

كيف يكون الشيعة عيالاً على المعتزلة من عصر اتصال المفيد بهم مع أنَّ

١. الانتصار: ١٤.

٢. ميزان الاعتزال: ٣/ ١٤٩.

٣. لسان الميزان: ٤/ ٢٤٨.

مشايخ الشيعة، قد رفعوا لواء التوحيد في القرون المتقدمة على المفيد.
وها نحن نذكر لفيفاً من مشايخ الشيعة (في القرنين الثاني والثالث) الذين
ألفوا كتباً حول التوحيد، منهم:

١. علي بن منصور الكوفي، البغدادي.

له كتاب التدبير في التوحيد والإمامة.

وكان من حضار مجلس يحيى بن خالد البرمكي الذي كان يعقده للمناظرة.
قال المسعودي: كان إمامي المذهب، ومن نظار الشيعة في وقته.
فمن كان يناظر في المسائل الكلامية والفلسفية بمحضر جمع من متكلمي
الإسلام، هل يتصور أن يقول بالتجسيم والتشبيه والجهة؟!

٢. محمد بن الخليل البغدادي، أبو جعفر السكاك (المتوفى بعد ٢٠٨ هـ).

له كتاب باسم التوحيد وآخر باسم المعرفة.

وهو من المتكلمين المرموقين في عصر هارون الرشيد، وكان يرتاد الندوة التي
كان يعقدها خالد بن يحيى البرمكي ببغداد.

٣. محمد بن أبي عمير البغدادي (المتوفى ٢١٧ هـ).

له كتاب التوحيد.

كان من مشايخ الشيعة، ولذلك اعتُقل في أيام هارون الرشيد وكفى في
مقدرته العلمية أن هشام بن الحكم وهشام الجواليقي لما أرادا المناظرة في بعض
المسائل العلمية، اشترط الجواليقي أن تجري المناظرة بينهما بحضور ابن أبي عمير.

٤. علي بن الحسن بن محمد الكوفي، المعروف بالطاطري (المتوفى بعد

٢٣٠ هـ).

ألف في الكلام كتاب التوحيد.

وهو أحد أقطاب الشيعة في عصره.

٥. محمد بن الحسين بن أبي الخطاب (المتوفى ٢٦٢هـ).

ألف كتباً، منها: كتاب التوحيد، وكتاب الرد على أهل القدر.

وهو صاحب الباع الطويل في الفقه والحديث والكلام.

٦. سهل بن زياد الأدمي (المتوفى بعد ٢٦٠هـ).

عاصر الإمامين محمد الجواد وعلي الهادي عليهما السلام.

صنف كتاب التوحيد.

وهو يروي مناظرة موسى بن جعفر عليه السلام مع أبي حنيفة، وهي بصدد نفي

الجبر عن العبد، وتصحيح التقدير على نحو لا يخالف حرية الإنسان.^(١)

هذه نماذج من مشايخ الشيعة الذين عاشوا في القرنين الثاني والثالث،

وقبل أن يولد الشيخ المفيد بسنين متطاولة، فكيف يصح هؤلاء المتسرّعين ذلك

القضاء الباطل الذي يبخس حق الشيعة، ويتنكّر لأصالة آرائهم ونظرياتهم

الكلامية؟!

والعجب العجيب أن تصبح شيعة أمير المؤمنين (الذي منه عليه السلام انتشر

التوحيد والعدل) مجسّمة مجبّرة، ويكون الأغيار أهل التنزيه والعدل!!

وليس هذا من خصائص الكلام الإمامي وحسب، فإنّ الزيدية المقتفية أثر

خُطب الإمام وكلما ته، رفعت أيضاً لواء التوحيد والعدل منذ زمن قديم، منهم:

أبو محمد القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل الرّبيّ الحسني (١٦٩-٢٤٦هـ)

فقد ألف كتاب التوحيد والعدل الصغير، طبع في بيروت، دار مكتبة الحياة ضمن

مجموعة رسائل من العدل والتوحيد.

١. انظر تراجم هؤلاء الأعلام في هذا الجزء من الكتاب.

كما ألف كتاب التوحيد والعدل الكبير وهو ردود على المشبهة والمجبرة والقدرية والمرجئة طبع أيضاً في بيروت في نفس الدار.

يحيى بن الحسين الزيدي (٢٢٠-٢٩٨هـ) له العدل والتوحيد كما في الجامع الكبير.^(١)

إلى غير ذلك من الكتب المؤلفة حول التوحيد والعدل بيد مشايخ الشيعة إماميهم وزيديهم وقد اشتهر بين المتكلمين: العدل والتوحيد علويان، والجبر والتشبيه أمويان.

إن كتاب الكافي لمؤلفه الشيخ الكليني (٢٦٠-٣٢٩هـ) يزخر بالأحاديث الدالة على نفي التشبيه والتجسيم والجبر، ويليه كتاب التوحيد للشيخ الصدوق (٣٠٦-٣٨١هـ) فقد أخرج فيه ما روي عن أئمة أهل البيت عليهم السلام في مجال التوحيد والعدل، وقد جمع العلامة المجلسي (١٠٣٧-١١١٠هـ) في موسوعته الحديثية «بحار الأنوار»، كل ما ورد حولها من الأثر عن النبي وأهل بيته فاستغرق ستة أجزاء من كتابه.

أبعد هذه الأحاديث المتوافرة تُتهم، شيعة آل البيت بسالتجسيم والتشبيه، ظلماً وعدواناً؟! ولأجل الملازمة بين التشيع وحب آل البيت وبين العدل والتوحيد يقول صاحب بن عباد:

لو شقَّ عن قلبي يُرى وسطه سطران قد خُطَّ بلا كاتب

العدل والتوحيد في جانب وحب أهل البيت في جانب

والعجب من ابن تيمية يرى القذى في عين غيره، ولا يرى الجذع في عينه، فهو وزميله الذهبي ينسبان للشيعة ما عرفت، مع أن كتب الحنابلة مكتظة بأخبار

التجسيم والجبر وهذا هو محمد بن إسحاق بن خزيمة (المتوفى ٣١١هـ) ألف كتاباً باسم «التوحيد وإثبات صفات رب العالمين»، جمع فيه من هنا وهناك روايات التجسيم، وقد أصبح هذا الكتاب وكتاب «السنة»، لعبد الله بن أحمد بن حنبل (٢١٣-٢٩٠هـ)، مرجع المجسمة، فقد جاء فيهما ضحك ربنا، واصبعه، ويده، ورجله، وذراعيه وصدره إلى غير ذلك من الإسرائيليات والمسيحيات التي خدع بها المغفلون من الحشوية، فملأوا بها كتبهم، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا.

وقد نال توحيد ابن خزيمة مكانة عظيمة لدى الحنابلة، وصار مصدر العقيدة الإسلامية عندهم.

قال ابن كثير في حوادث ٤٦٠هـ: وفي يوم النصف من جمادى الأولى قرئ «الاعتقاد القادري» الذي فيه مذهب أهل السنة والإنكار على أهل البدع وقرأ أبو مسلم الكجي البخاري، المحدث، كتاب «التوحيد» لابن خزيمة على الحاضرين وذكر بمحضر من الوزير ابن جهير وجماعة الفقهاء وأهل الكلام، واعترفوا بالموافقة.^(١)

وقد وقف الرازي على ما في الكتاب من الشرك والبدع، فشطب عليه، وقال في تفسير قوله سبحانه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾: واعلم أن محمد بن إسحاق بن خزيمة أورد استدلال أصحابنا بهذه الآية في الكتاب الذي سماه بـ «التوحيد» - وهو في الحقيقة كتاب الشرك - واعترض عليها وأنا أذكر حاصل كلامه بعد حذف التطويلات، لأنه كان رجلاً مضطرب الكلام، قليل الفهم، ناقص العقل.^(٢)

ولما وقف شيخنا الصدوق على اتهام قدماء أصحابنا بالتجسيم والتشبيه،

ألف كتاب «التوحيد»، في ردّ هذه الوصمة فقال في مقدّمة الكتاب: إنّ الذي دعاني إلى تأليف كتابي هذا، إنّني وجدت قوماً من المخالفين لنا ينسبون عصابتنا إلى القول بالتشبيه والجبر، لما وجدوا في كتبهم من الأخبار التي جهلوا تفسيرها ولم يعرفوا معانيها، ووضعوها في غير مواضعها، ولم يقابلوا بألفاظها، ألفاظ القرآن فقبّحوا بذلك عند الجهال مذهبنا، ولبسوا عليهم طريقتنا، وصدّوا الناس عن دين الله، وحملوهم على جحود حجج الله، فتقربت إلى الله تعالى ذكره بتصنيف هذا الكتاب في التوحيد ونفي التشبيه والجبر.

اتهام هشام بن الحكم بالتجسيم

اتهم أبو الحسين الخياط «الهشامين: هشام بن الحكم، و هشام بن سالم» و مؤمن الطاق وغيرهم بالتجسيم والتشبيه وتبعه غيره، لكنّها شنشنة أخزمية، نسمعها من كلّ من يكرّ العداء لشيعّة آل البيت. ومن وقف على جانب من جوانب شخصية «هشام بن الحكم» و أنّه كان رائد الدليل والبرهان في الأندية الكلامية لأدّعن بأنّ نسبة التجسيم إليه وإلى نظرائه، فرية بلا مرية.

وهذا هو المسعودي يعرفنا مكانته بين أعلام عصره، ونبوغه في الجدل والبرهان، فيقول: وقد كان يحيى بن خالد ذا علم ومعرفة وبحث ونظر، وله مجلس يجتمع فيه أهل الكلام من أهل الإسلام وغيرهم من أهل الآراء والنحل، فقال لهم يحيى وقد اجتمعوا عنده: قد أكثرتم الكلام في الكمون والظهور، والقدم والحدوث، والإثبات والنفي، والحركة والسكون، والمماسّة والمباينة، والوجود والعدم، والجبر والطفرة، والأجسام والأعراض، والتعبديل والتجريح، ونفي الصفات وإثباتها، والاستطاعة والأفعال، والكمية والكيفية، والمضاف، والإمامة أنص هي أم اختيار، وسائر ما توردونه من الكلام في الأصول والفروع، فقولوا الآن

في العشق على غير منازعة، وليورد كلّ واحد منكم ما سنع له فيه، وخطر إيراد
بياله.

فقال علي بن ميثم وكان إمامي المذهب من المشهورين من متكلمي
الشيعة: أيها الوزير العشق ثمرة المشاكلة

وقال الثالث: وهو محمد بن الهذيل العلاف، وكان معتزلي المذهب وشيخ
البصريين: أيها الوزير، العشق يختم على النواظر، ويطلع على الأفئدة، مرتقى في
الأجساد

وقال الرابع: وهو هشام بن الحكم الكوفي شيخ الإمامية في وقته وكبير
الصنعة في عصره - : أيها الوزير، العشق جباله نصبها الدهر فلا يصيد بها إلا أهل
التخالص في النوائب

وقال النظام إبراهيم بن سيار المعتزلي وكان من نظار البصريين في عصره:
أيها الوزير العشق أرق من السراب وأدب من الشراب

ثم قال السادس والسابع والثامن والتاسع والعاشر ومن يليهم، حتى طال
الكلام في العشق بألفاظ مختلفة ومعان تتقارب وتناسب، وفيها مر دليل عليه.^(١)
أفيصح بعد هذا أن نتهمه بأنه كان يقول بأن معبوده سبعة أشبار بشبر نفسه
وأنه في مكان مخصوص وجهة مخصوصة، وأنه يتحرك وحركته ... وليست من
مكان إلى مكان و قال: هو متناه بالذات غير متناه بالقدرة.

وحكى عبد الله عيسى الوراق أنه قال: إنّ الله تعالى محاس لعرشه، لا يفضل
منه شيء عن العرش ولا يفضل من العرش شيء منه.^(٢)

١. مروج الذهب: ٣/ ٣٧٢ طبعة دار الأندلس، بيروت.

٢. الشهرستاني، الملل والنحل: ١/ ١٤٩، طبعة المكتبة النصرية، بيروت.

إنّ هذه الأفكار ألصق بالحشوية منها بشيعة آل البيت الذين تربّوا في أحضان التوحيد و العدل.

إنّ أفضل السُّبُل للوقوف على شخصية إنسان وأفكاره ونزعاته هو تسليط الضوء على الآثار التي تركها بعد رحيله، فالمرجعون له، يذكرون له كتباً، منها:

١. كتاب التوحيد.
 ٢. كتاب المجالس في التوحيد.
 ٣. كتاب الشيخ والغلام في التوحيد.
 ٤. كتاب الردّ على أرسطاطاليس في التوحيد.
 ٥. كتاب الدلالات على حدث (حدوث) الأجسام.
 ٦. كتاب الردّ على الزنادقة.
 ٧. كتاب الردّ على أصحاب الاثنين.
 ٨. كتاب الردّ على أصحاب الطبائع.
 ٩. كتاب في الجبر والقدر.
 ١٠. كتاب القدر.
 ١١. كتاب الاستطاعة.
 ١٢. كتاب المعرفة.
 ١٣. كتاب الألفاظ.
 ١٤. كتاب الألفاظ، ولعله كان يعني شرح المصطلحات التي كان يستعملها هو أو كانت تستعمل في الكلام.
- إنّ من يرد على أرسطاطاليس في التوحيد، ويناضل ذلك المعلم الأول،

يستحيل عليه أن يقدر ربه بأشبار نفسه، أو يجلسه على عرشه الذي لا يزيد عليه ولا ينقص منه.

وقد كفانا في دفع هذه السهام المرشوقة على شخصية مثل هشام بن حكم، أو هشام بن سالم أو مؤمن الطاق، ما قام به القدامى من علمائنا، منهم الشريف المرتضى، حيث يقول:

«... فأما ما رُمي به هشام بن الحكم من القول بالتجسيم، فالظاهر من الحكاية عنه القول بـ «جسم لا كالأجسام»، ولا خلاف في أن هذا القول ليس بتشبيه، ولا ناقض لأصل، ولا معترض على فرع، وأنه غلط في عبارة، يرجع في إثباتها ونفيها إلى اللغة، وأكثر أصحابنا يقولون: إنه أورد ذلك على سبيل المعارضة للمعتزلة، فقال لهم: إذا قلتم: إن القديم تعالى شيء لا كالأشياء، فقولوا: إنه جسم لا كالأجسام، وليس كل من عارض بشيء وسأل عنه أن يكون معتقداً له ومتديناً به، وقد يجوز أن يكون قصد به إلى استخراج جوابهم عن هذه المسألة ومعرفة ما عندهم فيها، أو إلى أن يُبين قصورهم عن إيراد المرتضى في جوابها، إلى غير ذلك مما لا يتسع ذكره.

فأما الحكاية أنه ذهب في الله تعالى أنه جسم له حقيقة الأجسام الحاضرة، وحديث (الأشبار) المدعى عليه فليس نعرفه إلا من حكاية الجاحظ عن النظام، وما فيها إلا متهم عليه غير موثق بقوله، وجملة الأمر: أن المذاهب يجب أن تؤخذ من أفواه قائلها وأصحابهم المختصين بهم ومن هو مأمون في الحكاية عنهم، ولا يرجع إلى دعاوي الخصوم....

ومما يدل على براءة هشام من هذه التهم، ما روي عن الإمام الصادق عليه السلام في قوله: «لا تزال يا هشام مؤيداً بروح القدس ما نصرتنا بلسانك».

وأما الجبر وتكليفه [تكليف الله] به لا يطاق ممّا لا نعرفه مذهباً له...»^(١).

وفي معالم ابن شهر آشوب، قال الصادق عليه السلام: «هشام رائد حقنا، وسائق قولنا، المؤيد لصدقنا، والدامغ لباطل أعدائنا، من تبعه وتبع أثره تبعنا، ومن خالفه وألحد فقد عادانا وألحد فينا»^(٢).

ولا ريب في أنّ العارف بفنّ المناظرة والأساليب المتبعة في هذا الفنّ، يدرك ما يرمي إليه المناظر القدير من مقاصد في كلامه، ويبدو أنّ أبا الفتح الشهرستاني (المتوفى ٥٤٨ هـ)، قد فهم هذا المعنى، وأدرك مغازي تلك المناظرات، فقال: وهذا هشام بن الحكم صاحب غور في الأصول، لا يجوز أن يُغفل عن إلزاماته على المعتزلة، فإنّ الرجل وراء ما يلزمه على الخصم، ودون ما يظهره من التشبيه، وذلك أنّه ألزم العلاف، فقال: إنك تقول الباري عالم بعلم وعلمه ذاته، فيشارك المحدثات في أنّه عالم بعلم، ويباينها في أنّ علمه ذاته، فيكون عالماً لا كالعالمين، فلم لا تقول هو جسم لا كالأجسام، وصورة لا كالصور، وله قدر لا كالأقدار، إلى غير ذلك.

ويقول أحمد أمين: إنّ هشام بن الحكم أكبر شخصية شيعية في الكلام، وكان جداً قوياً الحجّة، ناظر المعتزلة وناظروه، ونقلت له في كتب الأدب مناظرات كثيرة متفرقة تدل على حضور بديهيته وقوة حججه.

١ الشافي: ١/٨٣.

٢. معالم العلماء: ١٢٨. وقد قام المحقق المعاصر الشيخ محمد رضا الجعفري (حفظه الله) بالدفاع العلمي عن شيخ الشيعة ومتكلمهم هشام بن الحكم في مقال خاص نشره في مجلة تراثنا العدد ٣٠، ط قم فلاحظ.

وأقصى ما يمكن أن يقال: إن الرجل كان في بداية أمره من تلاميذ أبي الشاكر الديصاني، صاحب النزعة الإلحادية في الإسلام، ثم تبع الجهم بن صفوان، الجبري المتطرف المقتول بترمز عام ١٢٨ هـ، ثم لحق بالإمام الصادق عليه السلام ودان بمذهب الإمامية، وما تنقل منه من الآراء التي لا توافق أصول الإمامية، فإنها هي راجعة إلى العصرين اللذين كان فيهما على النزعة الإلحادية أو الجهمية، وأما بعد ما لحق بالإمام الصادق عليه السلام فقد انطبعت عقليته بمعارف أهل البيت إلى حد كبير، حتى صار أحد المناضلين عن عقائد الشيعة الإمامية.^(١)

وإنني أعتقد أن هذا الكلام الواضح كالشمس في رابعة النهار، يبدد كل السحب السوداء التي أحاطت بآراء ومقالات هشام، ولم يبق لطلاب الحقيقة من عذر في جهل شخصية هشام، وسمو منزلته في العلم والإيمان والعقائد الصحيحة.

٢. الشيعة ورثة المعتزلة

هذه هي التهمة الأخرى التي ألصقها خصوم الشيعة بهم، وقد مرّ في كلام الخياط وغيره الإشارة إليها واجترأها الباحث الغربي «آدم متز» في كتابه «الحضارة الإسلامية في القرن الرابع»، وقد خصّص الفصل الخامس من كتابه للشيعة، ولم يكن عنده - حسب اعترافه - إلا مخطوط علل الشرائع للصدوق (٣٠٦-٣٨١ هـ) وقد عثر عليه في مكتبة برلين، ولم يذكر في هذا الفصل شيئاً مهماً عن الشيعة سوى الصراعات والفتن التي دارت في هذا القرن وما قبله بين السنة والشيعة في بغداد وغيرها، وقد جمع تلك الصفحات بجذّ وحاس، وكأنه يريد أن يلخص الشيعة في

١. راجع بحوث في الملل والنحل: ٥٧٨/٦.

إثارة الفتنة والفساد، متناسياً دورهم الكبير في الدين والأدب، ومشاركتهم سائر المسلمين في بناء الحضارة الإسلامية، وإن أشار في ثنايا كتابه إلى بعض الشخصيات اللامعة منهم كنصير الدين الطوسي، وليته اكتفى في رسم صورة تلك الطائفة بما ذكره، ولم يتهمهم بكونهم تبعاً للمعتزلة في الأصول والآراء، وإنه لم يكن لهم في القرن الرابع مذهب كلامي مدون، وإليك نص كلامه:

إن الشيعة هم ورثة المعتزلة، ولا بد أن تكون قلة اعتداد المعتزلة بالأخبار الماثورة مما لاءم أغراض الشيعة، ولم يكن للشيعة في القرن الرابع (٣٠٠-٤٠٠هـ) مذهب كلامي خاص بهم، فتجد مثلاً أن عضد الدولة (المتوفى ٣٧٢هـ) وهو من الأمراء المتشيعين يعمل على حسب مذهب المعتزلة، ولم يكن هناك مذهب شيعي للفاطميين، ويصرح المقدسي بأنهم يوافقون المعتزلة في أكثر الأصول، وعلى العكس من هذا نجد الشيعة الزيدية يرتقون بسند مذهب المعتزلة حتى ينتهي إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ويقولون: إن واصلاً أخذ عن محمد بن علي بن أبي طالب، وأن محمداً أخذ عن أبيه، والزيدية يوافقون المعتزلة في أصولهم إلا في مسألة الإمامة، ويدل على العلاقة الوثيقة بين المعتزلة والشيعة أن الخليفة القادر جمع بينهما حينما نهي في عام (٤٠٨هـ) عن الكلام والمناظرة في الاعتزال والرفض (مذهب الشيعة) والمقالات المخالفة للإسلام.

ثم إن الطريقة التي سار عليها ابن بابويه القمي أكبر علماء الشيعة في القرن الرابع الهجري في كتابه المسمى بكتاب «العلل» تذكرنا بطريقة علماء المعتزلة الذين يبحثون عن علل كل شيء.^(١)

إن في كلام هذا الباحث مناقشات كثيرة قد أشرنا إليها في مقال تحت عنوان

« الشيعة وعلم الكلام عبر القرون الأربعة »، نشر بمناسبة الذكرى الألفية لوفاة الشيخ المفيد برقم ٣٢ لكن نشير في المقام إلى الغرض الأسنى من هذا البحث.

من قرأ تاريخ التشيع والاعتزال يقف على أن الطائفتين تتصارعان صراع الأقران في المسائل التي اختلفتا فيها، فكيف يمكن أن تكون الشيعة عالة على المعتزلة في عقائدها؟ فأين مبادئ الشيعة من مبادئ الاعتزال والطائفتان وإن كانتا تشتركان في التوحيد والعدل وبالتالي في نفي التجسيم والرؤية والجبر والقول بالتحسين والتقبيح العقليين، لكنهما تفرقان في كثير من الأصول، وكفاك في هذا المضمار ما ألفه الشيخ المفيد باسم «أوائل المقالات في المذاهب والمختارات».

يقول في ديباجة كتابه: «فإني بتوفيق الله ومشيته مثبت في هذا الكتاب ما أثر إثباته من فرق ما بين الشيعة والمعتزلة، وفصل ما بين العدلية من الشيعة ومن ذهب إلى العدل من المعتزلة، والفرق ما بينهم من بعد، وما بين الإمامية فيما اتفقوا عليه من خلافهم فيه من الأصول، وذاكر في أصل ذلك ما اجتبيته أنا من المذاهب المتفرعة عن أصول التوحيد والعدل والقول من اللطيف في الكلام وما كان وفاقاً منه لبني نوبخت رحمهم الله، وما هو خلاف لأرائهم في المقال وما يوافق ذلك مذهبه^(١) من أهل الاعتزال وغيرهم من أصحاب الكلام ليكون أصلاً معتمداً فيما يمتحن للاعتقاد، وبالله استعين على تبين ذلك وهو بلطفه الموفق للصواب»^(٢).

وقد سبق منا في الفصل التاسع الفوارق بين المنهجين في الكلام.^(٣)

١. الضمير يرجع إلى الشريف الرضي حيث أشار إليه فيما سبق من كلامه هذا.

٢. أوائل المقالات: ١-٢، طبعة تبريز.

٣. لاحظ ص ١٤٩-١٥٠ من هذه المقدمة.

إن المناظرات التي دارت بين الشيعة والمعتزلة من عصر الإمام الباقر عليه السلام إلى العصر الذي ارتمت فيه المعتزلة في أحضان آل بويه، أدل دليل على أن النظام الفكري للشيعة لا يتفق مع المعتزلة.^(١)

وأما ردود الشيعة على المعتزلة فحدث عنها ولا حرج، وإليك أساء بعضها:

١. محمد بن علي بن النعمان، مؤمن الطاق (المتوفى نحو ١٦٠ هـ): أحد المتكلمين البارزين، وله مجالس مع الآخرين، له كتب، منها: الرد على المعتزلة في إمامة المفضل، وكتاب الجمل في أمر طلحة والزبير وعائشة.^(٢)

٢. هشام بن الحكم (المتوفى ١٩٩ هـ): متكلم الشيعة في عصره. له ردود على مختلف الفرق، منها: كتاب الرد على المعتزلة، وكتاب الرد على المعتزلة وطلحة والزبير.^(٣)

٣. الفضل بن شاذان الأزدي النيسابوري (المتوفى ٢٦٠ هـ): فقيه متكلم بارع. له ردود، منها: النقص على الاسكافي، الرد على الأصم، كتاب في الوعد والوعيد.^(٤)

٤. الحسن بن موسى بن الحسن بن محمد بن العباس النوبختي (المتوفى حدود ٣١٠ هـ) له ردود على المعتزلة نذكر منها ما يلي:

النقص على أبي الهذيل العلاف في المعرفة (أبو الهذيل متكلم معتزلي توفي

١. لاحظ هذه المناظرات في الكتابين التاليين: ١. الفصول المختارة من العيون والمحاسن، ٢. كثر

الفوائد، للكراچكي (المتوفى ٤٤٩ هـ).

٢. فهرست الطوسي، رقم ٥٩٥.

٣. رجال النجاشي: ٣٩٧/٢ برقم ١١٦٥.

٤. رجال النجاشي: ١٦٨/٢ برقم ٨٣٨.

سنة ٢٣٥هـ)، النقض على جعفر بن حرب في الإمامة (وهذا متكلّم معتزلي توفي سنة ٢٣٦هـ)، نقض العثمانية للجاحظ، الردّ على أصحاب المنزلة بين المنزلتين في الوعيد، إلى غير ذلك من آثاره.

٥. محمد بن عبد الرحمن بن قبة المتكلّم المعزوف، المتوفى قبل سنة (٣١٩هـ)، له كتاب الردّ على الجبائي، ونقل النجاشي عن أبي الحسين السوسنجردي، أنّه قال: مضيت إلى أبي القاسم البلخي إلى بلخ بعد زيارتي الرضا عليه السلام بطوس فسلمت عليه وكان عارفاً بي ومعني كتاب أبي جعفر ابن قبة في الإمامة المعروف بالإنصاف، فوقف عليه ونقضه بـ«المسترشد في الإمامة»، فعدت إلى الري فدعت الكتاب إلى ابن قبة فنقضه بـ«المستثبت في الإمامة»، فحملته إلى أبي القاسم فنقضه بـ«نقض المستثبت»، فعدت إلى الري فوجدت أبا جعفر قد مات.^(١)

وأخيراً قام الشيخ المفيد بنقض كثير من كتب المعتزلة، فله الكتب التالية وكلّها ردود عليهم:

١. الرد على الجاحظ العثمانية.
٢. نقض المروانية.
٣. نقض فضيلة المعتزلة.
٤. النقض على ابن عبّاد في الإمامة.
٥. النقض على عليّ بن عيسى الرمانى.
٦. النقض على أبي عبد الله البصري في المتعة.

٧. نقض الخمس عشرة مسألة للبلخي.

٨. نقض الإمامة على جعفر بن حرب.

٩. الكلام على الجبائي في المعدوم.

١٠. نقض كتاب الأصم في الإمامة.

١١. كتاب الرد على الجبائي في التفسير.

١٢. عمد مختصرة على المعتزلة في الوعيد.

إن تلميذه الفارس البطل في حقل الكلام السيد المرتضى (٣٥٥-٤٣٦هـ)

نقض بعض كتب المعتزلة فألف الشافي ردّاً على الجزء العشرين من كتاب

«المغني» للقاضي عبد الجبار (المتوفى ٤١٥هـ).

كل ذلك يعرب عن أنّ الطائفتين تتفقان في أصول وتختلفان في أصول

أخرى وليست إحداهما فرعاً للأخرى، بل الجميع يصعدون في قسم من

الأصول عن عين صافية، أعني: خطب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ويختلفون في أصول

كلامية.

إلى هنا تمّ تبين بعض التهم المرمية بها الكلام الإمامي وتركنا بعض التهم

الجزئية لضآلتها، والله الحمد.

المراحل الأربع

التي مرّ بها الكلام الإمامي

قد أصبح اليوم تاريخ كلّ علم موضوعاً مستقلاً وراء العلم حتّى غلا بعضهم في القول بأنّه ليس للعلم حقيقة سوى تاريخه ومراحله التي مرّ بها العلم عبر قرون، والفرق بين ذات العلم ودراسة تاريخه ومراحله يتجلّى في المثال التالي:

هناك من يبحث في علم الطب من منظار داخلي وثثمر جهوده في نفس ذلك العلم، وتتبعه اكتشافات في الداء والدواء، وهناك من يبحث في ذلك العلم من منظار خارجي وتنصب جهوده في تاريخه والمراحل التي مرّ بها العلم، وما أعقبه من نضوج وتكامل، وهذا ما نهدف إليه في هذا الفصل الذي هو خاتمة المطاف في هذا التقديم.

المرحلتان المتواكبتان

إنّ الشيعة الإمامية منذ عصر الإمامين الباقر والصادق عليه السلام إلى عصر الشيخ المفيد كانوا على منهجين متقاربين لا متضادين:

١. منهج جمع الحديث وتدوينه مجرداً عن التعمق والتمحيص إلا قليلاً.
 ٢. منهج تدوين الحديث مع تمحيص السنة الصحيحة عن الموضوعية.
 وكانت الطائفتان على ذينك المنهجين وكلّ يدافع عن منهجه بجدة وحماس
 إلى أن وصل دور الرئاسة إلى الفارس الباسل في ميدان العلوم والمعارف: الشيخ
 المفيد فأطفأ ثورة الطائفة الأولى وقلع فكرة الجمود على النقل من دون تمحيص
 ونظر.

نعم كان المنهجان يتواكبان في عصر واحد دون أن يكون لواحد تقدّم زمني
 على الآخر، وقد اتخذت الطائفة الأولى بلدة قم والريّ مركزاً لتعاليمها وثقافتها، كما
 كانت الكوفة وبغداد مركزاً للطائفة الثانية، وستقف على أعلام كلّ طائفة على
 وجه الإجمال.

جدير بالذكر أنّ اختلاف المنهجين في المسائل الكلامية التي لا يجب
 الاعتقاد فيها بواحد من القولين، رغم أنّهم كانوا متفقين في الأصول التي تناط بها
 السعادة كالتوحيد والعدل ونفي الرؤية، وعينية الصفات للذات وحدوث القرآن
 ونفي الجبر عن أفعال العباد، وهانحن نشير إلى أعلام كلّ منهج بإيجاز:

أعلام المنهج الأول

١. سعد بن عبد الله بن أبي خلف الأشعريّ. يقول النجاشي: شيخ هذه
 الطائفة وفقهها ووجهها، كان سمع من حديث العامة شيئاً كثيراً وسافر في
 طلب الحديث، لقي من وجوههم: الحسن بن عرفة ومحمد بن عبد الملك الدقيقي
 وأبا حاتم الرازي وعباس الترقفي، ولقي مولانا أبا محمد عليه السلام (توفي سنة ٣٠١ هـ
 وقيل ٢٩٩ هـ).^(١)

١. رجال النجاشي، رقم ٤٦٥.

٢. سهل بن زياد أبو سعيد الأدمي الرازي، كان ضعيفاً في الحديث غير معتمد فيه، له كتاب التوحيد، تُوفي بعد ٢٥٥. (١)
٣. محمد بن الحسن الصفّار، يقول النجاشي: كان وجهاً في أصحابنا القميين، ثقة، عظيم القدر، راجحاً، قليل السقط في الرواية. توفي عام ٢٩٠ هـ. له كتاب الردّ على الغلاة، وغير ذلك. (٢)
٤. أحمد بن محمد بن خالد البرقي، أبو جعفر، نقل العلامة الحلّي عن ابن الغضائري: طعن عليه القميّون وليس الطعن فيه، وإنّما الطعن فيمن يروي عنه، فإنّه كان لا يبالي عمّن أخذ على طريقة أهل الأخبار، توفي عام ٢٧٤ هـ. (٣)
٥. عبد العزيز بن يحيى بن أحمد بن عيسى الجلودي البصري أبو أحمد، شيخ البصرة وأخباريّها، وكان عيسى الجلودي من أصحاب أبي جعفر الجواد عليه السلام. (٤)
٦. محمد بن زكريا بن دينار مولى بني غلاب، قال النجاشي: كان هذا الرجل وجهاً من وجوه أصحابنا في البصرة، وكان أخباريّاً واسع العلم وصنّف كتباً كثيرة، توفي عام ٢٩٨ هـ. (٥)
٧. أحمد بن إبراهيم بن معلّى بن أسد العمّي، قال النجاشي: كان ثقة في حديثه، حسن التصنيف، وأكثر الرواية عن عامّة الأخباريين. (٦)

١. رجال النجاشي، رقم ٤٨٨.

٢. رجال النجاشي، رقم ٩٥٠.

٣. رجال النجاشي رقم ١٨٠ وخلاصة الرجال، للعلامة، قسم المعتمدين، باب أحمد، برقم ٧.

٤. رجال النجاشي رقم ٦٣٨.

٥. رجال النجاشي رقم ٩٣٧.

٦. رجال النجاشي رقم ٢٣٧.

وأخيرهم لا آخرهم:

٨. أبو جعفر محمد بن علي بن بابويه المعروف بالصدوق القمي أبو جعفر نزيل الريّ. قال النجاشي: شيخنا وفقهنا ووجه الطائفة بخراسان، وكان ورد بغداد سنة ٣٥٥ هـ وسمع منه شيوخ الطائفة وهو حدث السن^(١).

هؤلاء هم مشاهير المقتفين للمنهاج الأول، وقد مرّ أنّ النجاشي يصف أكثرهم بالأخباريّة، وقد مرّ أنّهم كانوا يسكنون مدينة قم أو الريّ، ويُستتج ممّا جاء في تراجمهم أنّهم كانوا يتميزون بأمور:

١. كانوا يمارسون الأخبار ويروونها لكن بلا تمحيص، ومع ذلك لم يكن الجميع على منزلة واحدة من هذه الجهة للفرق الواضح بين ما ألفه الصدوق وغيره.

٢. كانوا يعتمدون على العقل بأقلّ ما يمكن.

٣. يرون أنّ خبر الأحاد حجة في العقائد والمعارف كما هو حجة في الفقه والأحكام.

أعلام المنهج الثاني

وأما أعلام المنهج الثاني الذين كانوا أكثر اعتماداً على العقل والبرهان من الطائفة الأولى، فقد ورثوا هذا الخط من عصر الإمام الصادق عليه السلام، ونبغ في أحضانه متكلمون واعون نشير إلى بعضهم:

١. زرارة بن أعين. يقول النجاشي: شيخ أصحابنا في زمنه ومتقدّمهم كان

١. رجال النجاشي برقم ١٠٥٠.

قارئاً، فقيهاً، متكلماً، شاعراً، أديباً، قد اجتمع فيه خصال الفضل والدين، له كتاب في الاستطاعة والجبر^(١).

٢. محمد بن أبي عمير زياد بن عيسى. يقول النجاشي: بغدادى الأصل والمقام؛ جليل القدر، عظيم المنزلة فينا وعند المخالفين. له من الكتب: كتاب الكفر والإيمان، كتاب البداء، كتاب الاحتجاج في الإمامة، توفي عام ٢١٧هـ.^(٢)

٣. يونس بن عبد الرحمن مولى علي بن يقطين. يقول النجاشي: كان وجهاً في أصحابنا، متقدماً، عظيم المنزلة، روى عن الكاظم والرضا عليهما السلام. له كتاب المثالب، كتاب البداء، كتاب الردّ على الغلاة، كتاب الإمامة.^(٣)

٤. الفضل بن شاذان، أبو محمد الأزدي. كان أبوه من أصحاب يونس، وكان ثقة، أحد أصحابنا الفقهاء والمتكلمين، وله جلالة في هذه الطائفة، ومن كتبه: كتاب النقض على الاسكافي في تقوية الجسم، كتاب الوعيد، كتاب الردّ على أهل التعطيل، كتاب الاستطاعة، كتاب الأعراض والجواهر، إلى غير ذلك من كتبه.^(٤)

٥. أبو محمد حسن بن موسى النوبختي. يقول النجاشي: الحسن بن موسى أبو محمد النوبختي شيخنا المتكلم المبرز على نظرائه في زمانه قبل الثلاثمائة وبعدها. له على الأوائل كتب كثيرة، منها: كتاب الآراء والديانات، كتاب كبير حسن محتوى على علوم كثيرة، قرأت هذا الكتاب على شيخنا أبي عبد الله. ثم ذكر

١. رجال النجاشي، برقم ٤٦١.

٢. رجال النجاشي، برقم ٨٨٨.

٣. رجال النجاشي، برقم ١٠٢٩.

٤. رجال النجاشي، برقم ٨٣٨.

فهرس كتبه الكثيرة عامتها في الكلام وقسم منها نقوض وردود. توفي حوالي ٣١٠هـ.^(١)

٦. أبو سهل إسماعيل بن علي بن إسحاق النوبختي. يقول النجاشي: كان شيخ المتكلمين من أصحابنا وغيرهم، له جلالة في الدنيا والدين، يجري مجرى الوزراء في جلالة الكتاب. صنف كتباً كثيرة، منها: الاستيفاء في الإمامة، وكتاب التنبيه في الإمامة، إلى غير ذلك من النقوض والردود.^(٢)

٧. أبو الجيش مظفر بن محمد البلخي. يعرفه النجاشي بقوله: متكلم مشهور الأمر سمع الحديث فأكثر، له كتب كثيرة، منها: نقض العثمانية على الجاحظ، كتاب مجالسة مع المخالفين، إلى غير ذلك من الكتب، توفي عام ٣٦٧هـ، وقد قرأ على أبي سهل النوبختي.^(٣)

أخيرهم لا آخرهم:

٨. محمد بن محمد بن النعمان المفيد، الغني عن التعريف، كان فارس ميدان العلوم والمعارف، ومن أبرز تخصصاته أنه كان متكلماً بارعاً ذا منهج خاص ومناظراً منقطع النظر، انتهت إليه رئاسة كلام الشيعة في أواخر القرن الرابع، توفي عام ٤١٣هـ.

هذه إشارة عابرة إلى رجال المنهجين، والطابع الغالب على الأول التحديث والعمل بخبر الأحاد في العقائد والمعارف، كما أن الطابع العام لمقتضي المنهج الثاني هو العمل بالكتاب والسنة المتضافرة والعقل الحصيف.

١. رجال النجاشي، برقم ١٤٦.

٢. رجال النجاشي، برقم ٦٧.

٣. رجال النجاشي، برقم ١١٣١.

وهناك سبب آخر لثمايز المنهجين، وهو أنّ رواد المنهج الأول كانوا في منطقة طابعها العام هو التشيع وكانت السنة بينهم في قلة، فلم يكن هناك ما يحفز كثيراً على إعمال العقل والنظر والاحتجاج، لكن رواد المنهج الثاني كانوا يتواجدون في بغداد والكوفة وفيها السنة بطوائفها، و كان الاحتكاك الثقافي يلزمهم بالجدل والمناظرة وإعمال الفكر لتحسين العقائد.

ومع سيادة طابعين مختلفين على أصحاب هذين المنهجين إلا أنهم لم يختلفوا في الأصول وإنّما اختلفوا في مسائل كلامية، تظهر بمراجعة كتاب «تصحيح الاعتقاد» للشيخ المفيد، وهو تعليقات على كتاب «عقائد الإمامية» للشيخ الصدوق، ناقشه في عدّة من المسائل الكلامية.

وبالرجوع إلى «تصحيح الاعتقاد» تظهر مواقع الاختلاف بين المنهجين، وبما أنّ «تصحيح الاعتقاد» طبع وانتشر على نطاق واسع، فإنّنا لا نجد هنا ما يلزم لبيان الفوارق بينهما.

ولأجل إعلام القارئ بوجود النقاش بين أصحاب المنهجين نذكر عبارة المفيد التي سطرها في بعض فصول هذا الكتاب يقول:

«لكن أصحابنا المتعلّقين بالأخبار، أصحاب سلامة وبعد ذهن وقلة فطنة، يمرّون على وجوههم فيما سمعوه من الأحاديث ولا ينظرون في سندها، ولا يفرقون بين حقّها وباطلها، ولا يفهمون ما يدخل عليهم في إثباتها، ولا يحصلون معاني ما يطلقونه منها...»^(١).

نقل الشيخ المفيد آراء بعض المحدّثين بما لا يوافق مذهب الإمامية، ولأجل

ذلك خطأهم ونسبهم إلى التقصير قال: وقد سمعنا حكاية ظاهرة عن أبي جعفر محمد بن الحسن بن الوليد^(١) لم نجد دافعاً في التقصير، وهي ما حكى عنه أنه قال: أول درجة في الغلو نفي السهو عن النبي والإمام، فإن صحت هذه الحكاية فهو مقصر مع أنه من علماء القميين ومشيختهم.

قد وجدنا جماعة وردوا إلينا من قم يقصرون تقصيراً ظاهراً في الدين، وينزلون الأئمة عن مراتبهم، يزعمون أنهم كانوا لا يعرفون كثيراً من الأحكام الدينية حتى ينكت في قلوبهم.

ورأينا في أولئك من يقول: إنهم ملتجئون في حكم الشريعة إلى الرأي والظنون، ويدعون مع ذلك أنهم من العلماء، وهذا هو التقصير الذي لا شبهة فيه.^(٢)

وهنا نحن نأتي ببعض المسائل التي اختلف فيها العلماء، وهي إمّا موضوعات قرآنية أو مسائل كلامية.

١. معنى كشف الساق

قال سبحانه: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾.^(٣)

قال الصدوق: الساق وجه الأمر وشدته.

وفسره الشيخ المفيد بأنه سبحانه يريد به يوم القيامة ينكشف فيه عن أمر شديد صعب عظيم، وهو الحساب والمدقة على الأعمال والجزاء على الأفعال، وظهور السرائر وانكشاف البواطن...

١. شيخ القميين وفقههم ومتقدمهم ووجههم، نزيل قم، مات سنة ٣٤٣.

٢. تصحيح الاعتقاد: ٦٦.

٣. القلم: ٤٢.

ترى أنّ الاختلاف بين العلمين بسيط، وبيان الشيخ توضيح لما ذكره الصدوق في تفسير الآية.

٢. تأويل اليد

قال سبحانه: ﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾^(١).

قال الصدوق: معنى الآية: ذو القوة، وقال الشيخ المفيد: فيه وجه آخر وهو أنّ اليد عبارة عن النعمة. قال الشاعر:

له عليّ أيادٍ لست أكفرها وإنما الكفر أن لا تُشكر النعم

٣. نفخ الأرواح

قال سبحانه: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾^(٢).

قال الصدوق: هي روح مخلوقة أضافها إلى نفسه كما أضاف البيت إلى نفسه، حيث قال: ﴿وَطَهَّرَ بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ﴾^(٣).

قال الشيخ المفيد: ليس وجه إضافة الروح [والبيت] إلى نفسه والنسبة إليه، من حيث الخلق فحسب، بل الوجه في ذلك التمييز لهما بالإعظام والإجلال، والاختصاص بالإكرام....

٤. الخدعة والمكر والنسيان

قال سبحانه: ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾^(٤).

وقال سبحانه: ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ﴾^(١).

قال سبحانه: ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾^(٢).

قال الصدوق: إن المراد بذلك كله جزاء الأعمال.

وقال المفيد: هو كما قال، إلا أنه لم يذكر الوجه في ذلك. ثم ذكر الوجه.

٥. خلق أفعال العباد

قال الصدوق: أفعال العباد مخلوقة خلق تقدير لا خلق تكوين، ومعنى ذلك أنه تعالى لم يزل عالماً بمقاديرها.

وخالفه المفيد، وقال: إن العلم بالشيء لا يعدّ خلقاً له. ثم هو نفى كون أفعال العباد مخلوقة لله بأيّ نحو كان، واستدلّ بما روي عن أبي الحسن الثالث أنه سئل عن أفعال العباد؟ ف قيل له: هل هي مخلوقة لله تعالى، فقال ﷺ: لو كان خالقاً لها لما تبرا منها، قال سبحانه: ﴿أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾^(٣).

٦. الجبر والتفويض

ورد عن أئمة أهل البيت ﷺ: «لا جبر ولا تفويض بل أمر بين الأمرين»، ففسره الصدوق بنحو والشيخ بنحو آخر.

٧. المشيئة والإرادة

قال الصدوق: «شاء الله وأراد، ولم يحب ولم يرض، وشاء عز اسمه ألا يكون شيء إلا بعلمه، وأراد مثل ذلك». وحاصله: أن أفعال العباد تعلقت بها إرادة الله

٢. التوبة: ٦٧.

١. آل عمران: ٥٤.

٣. التوبة: ٣.

ومشيئته ولكنها غير محبوبة ولا مرضية.

وخالفه الشيخ المفيد وقال: إنّ الله تعالى لا يريد إلّا ما حسن من الأفعال، ولا يشاء إلّا الجميل من الأعمال ولا يريد القبائح ولا يشاء الفواحش. يقول سبحانه: ﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ﴾^(١).

٨. الكلام في القضاء والقدر

قال الصدوق: الكلام في القدر منهي عنه.

وخالفه الشيخ المفيد وحمل الأخبار الناهية على وجهين:

١. أن يكون النهي خاصاً بقوم كان كلامهم في ذلك يفسدهم ويضلّهم عن الدين ولا يصلحهم في عبادتهم إلّا الإمساك عنه وترك الخوض فيه ولم يكن النهي عنه عامّاً لكافة المكلفين.

٢. النهي عن الكلام في ما خلق الله تعالى وعن علله وأسبابه وعمّا أمر به وتعبّد وعن القول في علل ذلك، إذ كان طلب علل الخلق والأمر محظوراً، لأنّ الله تعالى سترها عن أكثر خلقه.

٩. معنى فطرة الله

قال الصدوق: إنّ الله تعالى فطر جميع الخلق على التوحيد.

ووافقه الشيخ، ولكن فسر معنى ذلك.

١٠. الجدل في الله

ذهب الصدوق إلى أنّ الجدل في الله منهي عنه، لأنّه يؤدّي إلى ما لا يليق به.

قال الشيخ المفيد: الجدل على ضربين: أحدهما بالحق والآخر بالباطل، فالحق منه مأمور به ومرغّب فيه، والباطل منه منهي عنه ومزجور عن استعماله، ثم استشهد ببعض الآيات.

هذه نماذج مما اختلف فيه العلمان، وربما ذكر الشيخ المفيد عقيدة الصدوق ولم يخالفه بشيء، وربما اتفقا في المعنى لكن أجمل الصدوق وأفصح المفيد، وثالثة اختلفا جوهرًا ولبًا، والاختلاف في هذه المسائل إمّا اختلاف في تفسير الآية، أو في مسألة كلامية لا تمت إلى صميم العقيدة بصلة.

وإليك قائمة بما لم نذكر كلامهما فيه:

١١. معنى الاستطاعة، ١٢. معنى البداء، ١٣. اللوح والقلم والعرش، ١٤. النفوس والأرواح، ١٥. الموت، ١٦. سؤال القبر، ١٧. العدل، ١٨. الأعراف، ١٩. الصراط، ٢٠. العقبات، ٢١. الحساب والميزان، ٢٢. الجنة والنار، ٢٣. حدّ التكفير، ٢٤. نزول الوحي والقرآن، ٢٥. العصمة، ٢٦. الغلو والتفويض، ٢٧. التقيّة، ٢٨. آباء النبي، ٢٩. تفسير قوله سبحانه: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾^(١)، ٣٠. الحظر والإباحة، ٣١. الطب، ٣٢. حكم الأحاديث المختلفة.

وهذه المقدار من الاختلاف في جنب ما اتفقا عليه من الأصول والأهمّات، أمر طفيف.

المرحلة الثالثة: تجديد المنهج الحديثي

قد سبق أنّه كان بين محدّثي مدرسة قم ومحدّثي مدرسة بغداد اختلاف في

بعض المسائل الكلامية خصوصاً في ما يرجع إلى مقامات النبي ﷺ والأئمة عليهم السلام.

وكان النزاع بين أصحاب المنهجين قائماً على قدم وساق إلى أن حسمه الشيخ المفيد عندما انتهت إليه رئاسة الإمامية في الكلام والفقه، فقد جمع أصحاب المنهجين على مائدة واحدة بتأليف كتابين:

١. أوائل المقالات في المذاهب والمختارات.

٢. تصحيح الاعتقاد.

وقد علّق على عقائد الإمامية للصدوق وأثبت أن بعض ما ذكره الصدوق ليس من عقائد الإمامية وإنما هو نتيجة استخراجها من أخبار الآحاد.

وبما أن الشيخ ربّي جيلاً عظيماً كالشريفين: المرتضى والرضي والشيخ الطوسي والكراجكي والديلمي وغيرهم، فقد أخذ تلامذة الشيخ زمام البحوث بعد رحيله، وجمعوا الإمامية على أصول موحّدة، ولم ينجم بينهم خلاف مُعتبر إلى أن ظهرت الحركة الأخبارية.

كان مطلع القرن الحادي عشر مسرحاً للتيارات الفكرية المختلفة، فمن مكتب على العلوم الطبيعية كالنجوم والرياضيات، والطب والتشريع، إلى آخر متوغّل في الحكمة والعرفان، إلى ثالث مقبل على علم الشريعة كالفقه والأصول.

في تلك الأجواء ظهرت المدرسة الأخبارية التي شطبت على العلوم العقلية بقلم عريض، ولم تر للعقل أيّ وزن وقيمة لا في العلوم العقلية، ولا في العلوم النقلية، وقد رفع راية تلك الفكرة الشيخ محمد أمين بن محمد شريف الاسترابادي (المتوفى ١٠٣٦ هـ).

وأما ما هو السبب لظهور ذلك التيار في ربوع الشيعة، فقد ذكروا هنا فروعاً مختلفة وذكرنا ما هو الحق بين تلك الفروض.^(١)

وعلى كل تقدير فقد تأثرت الأوساط العلمية بالتيار الأخباري وذاع صيته وكثر أتباعه، وهم بين متطرف - كمؤسسه - يطعن على العلماء، ومعتدل يحترم المخالف.

ومن أصول ذلك المنهج: نفي حجية حكم العقل في المسائل الأصولية، وعدم الملازمة بين حكم العقل والنقل، وإدعاء قطعية صدور أحاديث الكتب الأربعة، وأنه عند تعارض العقل والنقل يؤخذ بالنقل.

وهذا الأصل الأخير صار سبباً لتقديم أخبار الأحاد على أحكام العقل في باب المعارف والمسائل الكلامية.

ولذلك نرى أن المجلسي الأول (١٠٠٣-١٠٧٠هـ) وكذا ولده المجلسي الثاني (١٠٣٧-١١١٠هـ) والفيض الكاشاني (١٠٠٧-١٠٩١هـ) والمحدث الحر العاملي (١٠٣٣-١١٠٤هـ) وغيرهم ممن تأثروا بالمنهج الأخباري إلى ظهور المحقق البهبهاني (١١١٨-١٢٠٦هـ) نبذوا كل ألوان التفكير العقلي في أصول الفقه على الإطلاق وفي مجال العقائد على نحو خاص حتى أنكروا تجرد النفس الإنسانية.

ولما كان المظهر الأتم لهذا التفكير في العقائد هو كتاب «بحار الأنوار» الذي جمع درر أخبار الأئمة الأطهار بلا تمحيص ولا تنقيح، فقد قام أستاذنا العلامة الطباطبائي بالتعليق على مواضع من بيانات العلامة المجلسي حول

١. لاحظ تاريخ الفقه الإسلامي وأدواره: ٣٨٦-٣٩٠.

الروايات، ولكنه عليه السلام توقف عن العمل بسبب الضغوط التي مورست عليه، وبذلك خسر العلم والدين ثروة زاخرة في مجال تمحيص روايات ذلك الكتاب على ضوء الكتاب العزيز والسنة القطعية والعقل الحصيف.

المرحلة الرابعة: إحياء المنهج العقلي

كان للمحقق البهبهاني الدور الرئيسي في إرجاع العقل إلى الساحة في مجالي أصول الفقه والعقائد، وقد أُلّف في التحسين والتفحيح العقليين وأثبت فيه حجّة العقل في المستقلات العقلية.

وأصبح المحقق البهبهاني رائد الحركة الفكرية في النصف الثاني من القرن الثاني عشر وأوائل القرن الثالث عشر، ثمّ قاد هذه الحركة لفيف من تلامذته وتلامذة تلامذته، الأمر الذي مكّن من إعادة العقل إلى الساحة في مجال الاستنباط والمعارف العقلية، ولذلك ترى أنّ ما أُلّف حول المسائل الكلامية يختلف عمقاً واعتباراً عما أُلّف في عهد المجلسيين أو قبلهما أو بعدهما.

هذه إشارة عابرة إلى المراحل الأربع التي مرّ بها الكلام الإمامي، وليعذرني إخواني في هذا الإيجاز في بيان المرحلتين الثالثة والرابعة.

خاتمة المطاف

دور أئمة أهل البيت عليهم السلام

في تبين العقيدة الإسلامية

إنّ للأئمة الاثني عشر عليهم السلام دوراً كبيراً في بيان العقيدة الإسلامية، وإرساء قواعدها، وترسيخ جذورها من خلال بثّ الآراء والأفكار المعبرة عن روح الإسلام ونهجه السامي.

كما قاموا ... هم وتلامذتهم - بدور بالغ الأهمية في صيانة العقيدة والدفاع عنها، ومواجهة التيارات المنحرفة والأفكار الضالة، والتصدي للثقافات الأجنبية والمذاهب الفاسدة المتأثرة بالفلسفة الإلحادية وإسرائيليات اليهود وآراء النصاري وغيرها، ومناقشتها وبيان هشاشتها على ضوء البراهين والحجج العقلية الرصينة، والنصوص الدينية الصحيحة.

وقد أخبر رسول الله صلى الله عليه وآله عن نشاط هؤلاء الرساليين حين قال: «يحمل هذا الدين من كلّ قرن عدول، ينفون عنه تأويل المبطلين وتحريف الغالين، وانتحال الجاهلين، كما ينفي الكثير خبث الحديد».^(١)

وقبل أن نذكر - بإيجاز - ما قاموا به في مجال صيانة العقيدة الإسلامية في أدوار مختلفة ، نودّ أن نذكر مقدّمة لها صلة بالموضوع وهي:

إنّ الدين السائد في الجزيرة العربية - وخاصة منطقة أمّ القرى - قبل بزوغ شمس الإسلام كان هو الشرك بالله في التدبير والعبادة، وهذا أمر واضح لا يرتاب فيه ذو مسكة، وكان العرب في تلك المناطق يعيشون في خِصَمِّ الخرافات، ويستسلمون في مجال العقيدة إلى الأساطير والقصص الخرافية إلى حدّ لا يمكن أن نذكر معشار ما دونه المؤرّخون في ذلك المجال، لكنّا نشير إلى بعض أفكارهم التي بقيت رواسبها في أذهان بعض المسلمين حتّى بعد بزوغ الإسلام:

١. كانوا يدينون الله تبارك وتعالى بالجبر وسلب الاختيار عن الإنسان، وكانوا يبرّرون شركهم وعبادتهم للأصنام بمشيئة الله تبارك وتعالى قائلين: ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ﴾^(١) ونظيره قوله: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ﴾^(٢) إلى غير ذلك من الآيات المعربة عن عقيدتهم الراسخة في الجبر وأنّ كلّ المعاصي والمحرمات بمشيئة من الله سبحانه على نحو تسلب الاختيار عن الإنسان، وبالتالي فالله هو المسؤول عن أعمالنا لا نحن أنفسنا، وقد بقيت رواسب هذه العقيدة في أذهان بعض الصحابة ويشهد له ما رواه الواقدي في مغازيه عن أمّ الحارث الأنصارية وهي تحدّث عن فرار المسلمين يوم حنين. قالت: مرّ بي عمر بن الخطاب منهزماً فقلت: ما هذا؟! فقال عمر: أمر الله.^(٣)

وهذا هو السيوطي ينقل عن عبد الله بن عمر أنّه جاء رجل إلى أبي بكر فقال: رأيت الزنا بقدر؟ قال: نعم، قال: فإنّ الله قدّره عليّ ثمّ يعذّبني؟ قال: نعم

يابن اللخناء، أما والله لو كان عندي إنسان أمرته أن يجأ أنفك.^(١)
 لقد كان السائل في حيرة من أمر القدر فسأل الخليفة عن كون الزنا مقدراً
 من الله أم لا؟ فلما أجاب الخليفة بنعم، استغرب من ذلك، لأنّ العقل لا يسوّغ
 تقديره سبحانه شيئاً بمعنى سلب الاختيار عن الإنسان في فعله أو تركه ثمّ
 تعذيبه عليه، ولذلك قال: فإنّ الله قدّره عليّ ثمّ يعذبني؟! فعند ذاك أقرّه الخليفة
 على ما استغربه وقال: «نعم يابن اللخناء...».

٢. كانت العرب تدين بالتجسيم والتشبيه، وتعتقد أنّ إله العالم بصورة
 الصنم والوثن الذي يُعبد حتّى اتخذت كلّ قبيلة لنفسها ربّاً، وصارت الجزيرة
 العربية مسرحاً للأصنام ومستودعاً للأوثان، ويتجلّى هذا الأمر من قول شاعرهم
 الذي أسلم وراح يستنكر التجسيم وعبادة الأصنام المتعدّدة الخارجة عن العدد
 والإحصاء:

أربّاً واحداً أم ألف ربّ
 أدين إذا تقسّمت الأممُ ————
 عزلت الّلات والعزى جميعاً
 كذلك يفعل الجليدُ الصّبُور
 ولكن اعبد الـــــــرحمن ربّي
 ليغفر ذنبي الــــربّ الغفور^(٢)

إلى غير ذلك من العقائد الفاسدة التي كانت العرب تدين بها، وهذا

١. تاريخ الخلفاء: ٩٥.

٢. بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب: ٢/٢٤٩. والأبيات لزيد بن نفيّل الذي فارق الوثنية قبل البعثة.

الإمام علي أمير المؤمنين يصف عقائدهم في بعض خطبه ويقول:

«وأهل الأرض يومئذ ملل متفرقة، وأهواء متشعبة، وطرائق متشتتة، بين مشبه لله بخلقه أو ملحد في اسمه أو مشير إلى غيره، فهذه هم به من الضلالة، وأنقذهم بمكانه من الجهالة»^(١).

وفي خطبة أخرى له:

«إِنَّ اللَّهَ بعث محمداً عليه السلام نذيراً للعالمين وأميناً على التنزيل، وأنتم معشر العرب على شر دين، وفي شر دار منيخون بين حجارة خشن، وحيات صمّ تشربون الكدر وتأكلون الجشب، وتسفكون دماءكم وتقطعون أرحامكم، الأصنام فيكم منصوبة والآثام بكم معصوبة»^(٢).

وللأسف أنّ هذه العقائد الباطلة بعدما شطب الإسلام عليها جميعاً عادت - بعد رحيل الرسول - إلى الساحة الإسلامية بثوب آخر وبغطاء جديد. وقد بذل أئمة أهل البيت عليهم السلام جهوداً مضيئة في طريق تثبيت العقيدة الإسلامية، وصيانتها عن الانحراف، بما وصل إليهم من آبائهم، وإليك نماذج منها:

١. مكافحة الجبر والتفويض

قد عرفت أنّ العرب في العصر الجاهلي كانوا يدينون بالجبر وأنّ القرآن ندد به وعزّف الإنسان بأنّه مختار في مصيره، يقول سبحانه: ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾^(٣).

ولله در الشهيد السعيد زين الدين العاملي في قوله:

١. نهج البلاغة، الخطبة رقم ١، ط صبحي الصالح.
٢. نهج البلاغة، الخطبة ٢٥.
٣. الكهف: ٢٩.

لقد جاء في القرآن آية حكمة
تدمر آيات الضلال ومن يُجبر
وتخبر أن الاختيار بأيدينا
فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر

وقد اعتنق الجبر طائفة كبيرة من المسلمين وألفوا في ذلك رسائل ذهبوا فيها إلى القول بأن من قال بالقدر والاختيار يُجلد ويوثق، وقد بلغ حماس الأمويين في ترسيخ الجبر بين المسلمين إلى حدّ كُبحت معه ألسن الخطباء عن الإصحاح بالحقيقة، فهذا الحسن البصري الذي يُعدّ من مشاهير الخطباء ووجوه التابعين كان يسكت عن أعمالهم الإجرامية، غير أنّه كان يخالفهم في القول بالقدر بالمعنى الذي كانت السلطة تروجه آنذاك، فلما خوفه بعض أصدقائه من السلطان، وعد أن لا يعود. روى ابن سعد في طبقاته عن أيّوب قال: نازلت الحسن في القدر غير مرة حتى خوفته من السلطان، فقال: لا أعود بعد اليوم.^(١)

ولم يسلم محمد بن إسحاق صاحب السيرة النبوية المعروفة من الجلد لمخالفته القدر، قال ابن حجر: إنّ محمد بن إسحاق اتهم بالقدر وقال الزبير عن الدراوردي «وجلد ابن إسحاق يعني في القدر».^(٢)

وقد ألف عمر بن عبد العزيز رسالة في الردّ على القدرية القائلين بالاختيار نقلها أبو نعيم الاصفهاني في ترجمة عمر بن عبد العزيز.^(٣)

كما انتشر التفويض في عصر الإمام الصادق عليه السلام بمعنى إيكال الأمور إلى

١. الطبقات الكبرى: ١٦٧/٧، ط بيروت.

٢. تهذيب التهذيب: ٩/٣٨ و٤٦.

٣. حلية الأولياء: ٥/٣٥٣.

البشر واستغنائهم في أفعالهم عن الله سبحانه، ويظهر من بعض الروايات أن فكرة التفويض استولت على بعض المفكرين في عصر عبد الملك بن مروان على نحو أعجز العلماء في الشام، فكتب عبد الملك رسالة إلى الإمام الباقر عليه السلام يدعوه لنزول أرض الشام، ومناظرة ذلك الرجل القدري (التفويضي)، فلما جاءت الرسالة كتب إليه الإمام بقوله: إني شيخ كبير لا أقوى على الخروج، وهذا جعفر ابني يقوم مقامي فوجهه إليه، فلما قدم على الأموي أزراه لصغره، وكره أن يجمع بينه وبين القدري مخافة أن يغلبه، وتسامع الناس بالشام بقدوم جعفر لمخاصمة القدرية، فلما كان من الغد اجتمع الناس بخصوصيتهما، فقال الأموي لأبي عبد الله عليه السلام إنه قد أعيانا أمر هذا القدري، وإنا كتبت إليه^(١) لأجمع بينه وبينه، فإنه لم يدع عندنا أحداً إلا خصمه، فقال: إن الله يكفيناه.

قال: فلما اجتمعوا قال القدري لأبي عبد الله عليه السلام: سل عما شئت! فقال له: «اقرأ سورة الحمد»، قال: فقرأها، وقال الأموي وإنا معه: ما في سورة الحمد؟! «غلبنا، إنا لله وإنا إليه راجعون!! قال: فجعل القدري يقرأ سورة الحمد حتى بلغ قول الله تبارك وتعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ فقال له جعفر: «قف؛ مَنْ تستعين؟ وما حاجتك إلى المؤونة إن الأمر إليك؟» فبهت الذي كفر، والله لا يهدي القوم الظالمين.^(٢)

كان الطابع العام على السلفية وأهل الحديث، هو الجبر ونفي القدر بمعنى الاختيار إلى أن جاء الإمام الأشعري فأحس بخطورة الموقف وأن القول بالجبر يساوي بطلان التكليف ولغوياً بعثة الأنبياء، فحاول أن يصحح عقيدة أهل

١. الضمير يعود إلى أبي جعفر الباقر عليه السلام.

٢. بحار الأنوار: ٥/ ٥٥، رقم الحديث ٩٨ نقلاً عن تفسير العياشي.

الحديث بإضافة الكسب على عقيدتهم، فقال: إنه سبحانه خالق لأفعالنا والعبد كاسب، فهو حاول أن يخرج أهل الحديث عن الجبر الخالص إلى فسيح الاختيار، لكنه أضاف عقدة إلى عقدة، فلم يُعَلِّم ما هو مراده من الكسب؟! إلى حد صار أحد الألفاظ في جنب سائرهما، يقول الشاعر:

مما يقال ولا حقيقة عنده

معقودة تدنو إلى الأفهام

الكسب عند الأشعري والحال

عند البهشمي وطفرة النظام^(١)

ففي خضم هذه التيارات الضالّة شمّر أئمة أهل البيت عليهم السلام عن ساعد الجذّ، فنشروا فكرة الأمر بين الأمرين وأنه لا جبر ولا تفويض بل أمر بين الأمرين، وبذلك فسروا الآيات الواردة في الجبر والتفويض وقضوا على الفكرتين، فكرة الجبر التي تساوق بطلان التكليف، وفكرة التفويض التي تساوق الشرك واستغناء الممكن في فعله عن الله سبحانه، ولهم في ذلك بيانات شافية لا يمكننا نقل معشار ما ذكره.

إن فكرة الأمر بين الأمرين مستنتجة من القرآن الكريم. يقول سبحانه:

﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ ﴾^(٢)

إنه سبحانه ينسب الفعل (الرمي) إلى العبد وفي الوقت نفسه يسلبه عنه وينسبه إلى الله سبحانه، وهو نفس الأمر بين الأمرين، فالفعل مستند إلى العبد، وفي الوقت نفسه إلى الله سبحانه، وقد كتب الإمام الهادي عليه السلام رسالة في نفي

١. القضاء والقدر لعبد الكريم الخطيب المصري: ١٨٥.

٢. الأنفال: ١٧.

الجبر والتفويض نقلها المجلسي في موسوعته.^(١)
 وقال الإمام الصادق ﷺ في ردّ كلا المنهجين:
 «إنّ الله أكرم من أن يكلّف الناس مالا يطيقون، والله أعز من أن يكون في
 سلطانه مالا يريد».^(٢)

٢. مكافحة التجسيم والتشبيه

اتّفق الإلهيون على كونه تعالى موصوفاً بصفات الكمال والجمال من العلم
 والقدرة والحياة ولكنهم اختلفوا في كيفية إجرائها عليه سبحانه.
 ذهب أكثر المعتزلة إلى نيابة الذات عن الصفات من دون أن يكون هناك
 صفة، وإنّما ذهبوا إلى ذلك لأجل أنّهم رأوا أنّ الاعتراف بأنّ هناك ذاتاً وصفة هو
 التركيب، لأنّ الصفة غير الموصوف، والتركيب آية الإمكان، فلذلك ذهبوا إلى نفي
 الصفات، ولما رأوا أنّ ذلك يجرّهم إلى القول بخلوّ الذات عن الكمال قالوا: إنّ
 الذات تنوب مناب الصفات وإن لم تكن هناك واقعية للصفات وراء الذات.
 وأمّا الأشاعرة فقد ذهبوا إلى زيادة الصفات على الذات، وبذلك صاروا
 معترفين بالقدماء الثمانية، نظير التثليث الذي اعتنقه النصارى، بل أسوأ منه.
 ومن المعلوم أنّ لازم ذلك هو تركيب الذات من أمور مختلفة والتركيب آية
 الإمكان والافتقار. وأمّا أئمة أهل البيت ﷺ فاعترفوا بأنّ الله سبحانه صفات
 كمالية، ولكنها ليست زائدة على الذات، بل هي عينها.
 صحيح أنّ الصفة غير الموصوف، ولكن هذا في الموجودات الإمكانية، وأمّا

١. بحار الأنوار: ٥/ ٧١-٧٥، كتاب العدل والمعاد، الباب ٢، الحديث ١.

٢. بحار الأنوار: ٥/ ٤١.

الواجب بالذات فكما هو واجب في ذاته واجب في صفاته، فلا مانع من أن تكون صفاته عين ذاته دون أن يكون هناك تركيب أو تشبيه . يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «وكما لا الإخلاص له نفي الصفات عنه، لشهادة كل صفة أنها غير الموصوف وشهادة كل موصوف أنه غير الصفة، فمن وصف الله فقد قرنه، ومن قرنه فقد ثناه، ومن ثناه فقد جزّاه، ومن جزّاه فقد جهله»^(١).

وفي هذا الكلام تصريح بعينية الصفات للذات، وفيه إشارة إلى برهان الوحدة، وهو أن القول باتحاد صفاته مع ذاته يوجب تنزيهه عن التركيب والتجزئة ونفي الحاجة عن ساحته، ولكن إذا قلنا بالتعدد والغيرية فذلك يستلزم التركيب ويتولد منه التشنية، والتركيب آية الحاجة، والله الغني المطلق لا يحتاج إلى من سواه. وقال الإمام الصادق عليه السلام: «لم يزل الله جلّ وعزّ ربنا والعلم ذاته ولا معلوم، والسمع ذاته ولا مسموع، والبصر ذاته ولا مبصر، والقدرة ذاته ولا مقدور»^(٢). والإمام عليه السلام يشير إلى قسم خاص من علمه سبحانه - وراء عينية صفاته وذاته - وهو وجود علمه بلا معلوم وسمعه بلا مسموع. وما هذا إلا لأجل أن ذاته من الكمال والجمال بلغت إلى حد لا يشذ عن حيطة وجوده أي شيء، وتفصيل هذا القسم من العلم يُطلب من محالّه.

٣. مكافحة فكرة رؤية الله

اتفقت العدلية على أنه سبحانه لا يُرى بالأبصار لا في الدنيا ولا في الآخرة، وأما غيرهم فالكرامية والمجسمة فقد جوزوا رؤيته في الدارين بلا إشكال، وأما أهل الحديث وبعدهم الأشاعرة فمع أنهم يصفون أنفسهم بالتنزيه ويتبرّأون من التجسيم والجهة، لكن قالوا برؤيته سبحانه يوم القيامة خضوعاً للرواية التي رواها

١. نهج البلاغة، الخطبة رقم ١.

٢. التوحيد للصدوق: ١٣٩.

الإمام البخاري في صحيحه.

وهؤلاء تركوا صحيح النص في القرآن الكريم، أعني: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾^(١)، كما تركوا قضاء العقل الصريح وأخذوا بالرواية، ولولا وجود هذا الحديث في الصحيح لما أخذوا بهذا القول، ولكنهم غفلوا عن أبسط الدلائل على امتناع الرؤية، لأن الرؤية لا تخلو عن حالتين: إما تقع على الذات كلها، أو على البعض؛ فعلى الأول يلزم أن يكون المرئي محدوداً متناهياً محصوراً شاغلاً لناحية من النواحي وتخلو النواحي الأخرى منه، وعلى الثاني يلزم أن يكون مركباً متحيزاً ذا جهة.

إن فكرة الرؤية فكرة مستوردة جاءت من جانب الأخبار والرهبان بتدليس خاص. فإن أهل الكتاب يدينون برؤيته سبحانه، وقد تصدى أئمة أهل البيت عليهم السلام لتلك الفكرة بخطبهم وأحاديثهم التي لا يسعنا إيرادها في هذا البحث. قال الإمام علي عليه السلام في خطبة الأشباح:

«الأول الذي لم يكن له قبل فيكون شيء قبله، والآخر الذي ليس له بعد فيكون شيء بعده، والرادع أناسي الأبصار عن أن تناله أو تدركه»^(٢).

وقد سأله ذعلب اليماني فقال: هل رأيت ربك يا أمير المؤمنين؟ فقال عليه السلام: «أفأعبد ما لا أرى؟» فقال: كيف تراه؟ فقال: «لا تدركه العيون بمشاهدة العيان ولكن تدركه القلوب بحقائق الايمان، قريب من الأشياء غير ملابس، بعيد منها غير مبائن»^(٣).

١. الأنعام: ١٠٣.

٢. نهج البلاغة، الخطبة ٨٧، ط عبده.

٣. نهج البلاغة، الخطبة ١٧٤.

٤ . مكافحة قدم غيره سبحانه

ذهبت النصارى إلى قدم الأقانيم الثلاثة، فقالوا بالتثليث و قدم الأب والابن وروح القدس، وبذلك خرجوا عن عداد الموحدين، والأسف أن أهل الحديث تأثروا بدون وعي بالمسيحيين فقالوا بقدم القرآن و نفى حدوثه وبذلك اعترفوا بقدم غيره سبحانه، وقد بذلوا جهودهم على طريق ترسيخ هذه العقيدة التي لا يعلم مرامها وما هو المقصود منها، فإن محل البحث والنزاع لم يحرر بشكل واضح بحيث يمكن تحليله. فهاهنا احتمالات يمكن أن تكون محط النظر لأهل الحديث والأشاعرة عند توصيف كلامه سبحانه بالقدم، نظرحها على بساط البحث ونطلب حكمها من العقل و القرآن.

أ. الألفاظ والجمال الفصيحة البليغة التي عجز الإنسان في جميع القرون عن الإتيان بمثلها، وقد جاء بها أمين الوحي إلى النبي الأكرم، وقرأها الرسول فتلقتهما الأسماع وحررتها الأقلام على الصحف المطهرة، ومن الواضح أنها مخلوقة على الإطلاق لله سبحانه.

ب. المعاني السامية والمفاهيم الرفيعة في مجالات التكوين والتشريع والحوادث، وأشار إليها بألفاظه وجمله وهي حادثة بلا ترديد.

ج. ذاته سبحانه وصفاته من العلم والقدرة والحياة التي بحث عنها القرآن، ومن المعلوم أن ذاته وصفاته قديمة ولكن الألفاظ التي أشار بها إليها حادثة.

د. علمه سبحانه بكل ما ورد في القرآن الكريم. ولو كان المراد هذا، فلا شك أنه قديم و البحث فيه بلا طائل.

هـ. الكلام النفسي القائم بذاته الذي هو أحد الألفاظ.

و. القرآن ليس مخلوقاً، أي مصنوعاً للبشر وإن كان مخلوقاً لله.

وقد جرّت هذه العقيدة ويلات على المسلمين وسفكت فيها الدماء وحبس فيها الأبرياء، وقد أدرك أئمة أهل البيت عليهم السلام أنّ المسألة اتخذت لنفسها طابعاً سياسياً فامتنعوا عن الخوض فيها ومنعوا أصحابهم أيضاً، فقد سأل الريان بن الصلت الإمام الرضا عليه السلام وقال له: ما تقول في القرآن؟ فقال عليه السلام: «كلام الله لا تتجاوزوه، ولا تطلبوا الهدى في غيره فتضلّوا».^(١)

نعم في بعض المواقف الخاصة التي يأمن فيها الأئمة من الفتنة أدلوا برأيهم في الموضوع وصرّحوا بأنّ الخالق هو الله وغيره مخلوق، والقرآن ليس نفسه سبحانه، وإلاّ يلزم اتحاد المنزّل والمنزّل فهو غيره، فيكون لا محالة مخلوقاً.

روى محمد بن عيسى بن عبيد اليقطيني أنّه كتب علي بن محمد بن علي بن موسى الرضا عليه السلام إلى بعض شيعته ببغداد: «بسم الله الرحمن الرحيم، عصمنا الله وإياك من الفتنة، فإن يفعل فقد أعظم بها نعمة، وإن لا يفعل فهي الهلكة، نحن نرى أنّ الجدال في القرآن بدعة، اشترك فيها السائل والمجيب، فيتعاطى السائل ما ليس له، ويتكلّف المجيب ما ليس عليه، وليس الخالق إلّا الله عزّ وجلّ، وما سواه مخلوق، والقرآن كلام الله، لا تجعل له اسماً من عندك فتكون من الضالين، جعلنا الله وإياك من الذين يخشون ربهم بالغيب وهم من الساعة مشفقون».^(٢)

٥. مكافحة الغلو والنصب

الغلاة هم الذين غلّوا في حقّ النبي وآله حتّى أخرجوهم من حدود الخليفة، والخطابية والمغيرية من هذه الصنوف، كما أنّ القول بالتفويض وهو تفويض تدبير

١. التوحيد للصدوق: ٢٢٣، باب القرآن ما هو، الحديث ٢.

٢. التوحيد للصدوق: ٢٢٤، باب القرآن ما هو، الحديث ٤.

العالم إلى النبي والأئمة وأنهم هم الخالقون والرازقون والمدبرون للعالم، شعبة من الغلو.

ويقابله النصب وهو تنقيص أئمة أهل البيت عليهم السلام ونصب العداء لهم، وقد كافح أئمة أهل البيت عليهم السلام هاتين الفكرتين الهدامتين، فبينوا أن الغلو كفر وخروج عن الإسلام كما كشفوا عن فضيحة أهل النصب، وها نحن نذكر حديثين في هذا المجال:

قال أمير المؤمنين عليه السلام في حديث الأربعاء: «إياكم والغلو فينا، قولوا: عبید مربوبون وقولوا في فضلنا ما شئتم، من أحبنا فليعمل بعملنا ويستعن بالورع»^(١)
وقال الإمام الصادق عليه السلام: «لعن الله من قال فينا ما لا نقوله في أنفسنا، لعن الله من أزالنا عن العبودية لله الذي خلقنا، وإليه مآبنا ومعادنا، وبيده نواصينا»^(٢)
وقد أوضح الإمام أمير المؤمنين عليه السلام موقف أئمة أهل البيت عليهم السلام في خطبته: «لا يقاس بآل محمد عليهم السلام من هذه الأمة أحد، ولا يسوّى بهم من جرت نعمتهم عليه أبداً، هم أساس الدين وعماد اليقين، إليهم يفيء الغالي وبهم يلحق التالي، وهم خصائص حق الولاية، وفيهم الوصية والوراثة، الآن إذ رجع الحق إلى أهله، ونقل إلى منتقله»^(٣).

وفي كلام له عليه السلام: «نحن آل محمد النمط الأوسط، الذي لا يدركنا الغالي ولا يسبقنا التالي»^(٤).

وقال أيضاً: «سيهلك في صنفان: محب مفرط يذهب به الحب إلى غير

١. الخصال للصدوق: ٢/ ٦١٤.

٢. الكشي، الرجال: ١٥٩ في ترجمة المغيرة بن سعيد.

٣. نهج البلاغة، الخطبة رقم ٢.

٤. الكافي: ١/ ١٠١، رقم الحديث ٣.

الحق، ومبغض مفرط يذهب به البغض إلى غير الحق، وخير الناس في حالاً النمط الأوسط فالزموه»^(١).

إلى غير ذلك من الكلمات التي ترشد الأمة الإسلامية إلى ما لهم من المكانة الرفيعة دون الغلو وفوق ما يزعمه النصاب - أعداء أهل العصمة.

٦. عصمة الأنبياء

النسوة سفارة بين الله وبين ذوي العقول من عباده لإزاحة علتهم في أمر معادهم ومعاشهم، والنبى هو الإنسان المخبر عن الله تعالى بإحدى الطرق المعروفة، والأنبياء هم الصفوة من الناس الذين تحلوا بزينة التقوى والعصمة، حتى صاروا أهلاً لحمل الرسالة الإلهية إلى عباده والله سبحانه يصفهم بقوله: ﴿إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ * وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمَنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ﴾^(٢) وبقوله: ﴿وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾^(٣).

فمن يصفه سبحانه بأته من المصطفين الأخيار يستحيل عادة أن يعصي الله سبحانه ويخالفه، ولذلك اتفق أهل العدل على عصمة الأنبياء في المرحلتين قبل البعثة وبعدها، واستدلوا على ذلك بأدلة عقلية وآيات قرآنية، غير أن لفيفاً من أهل الحديث اغتروا بروايات رواها مستسلمة أهل الكتاب في حق بعض الأنبياء كداود وسليمان وغيرهما، وقد ملأت هذه الروايات المدسوسة كتب التفسير التي يندى الجبين من نقلها ونشرها في حياة هذين النبیین الكريمين.

والعجب أن أهل السنة قالوا بعدالة الصحابة من أولهم إلى آخرهم، بل

١. نهج البلاغة، الخطبة ١٢٧.

٢. ص: ٤٦-٤٧.

٣. الأنعام: ٨٧.

بعضمتهم وإن لم يتفوهوا بها، فلو سمعوا من باحث موضوعي شيئاً يمس كرامة صحابي كفسق الوليد بن عقبة الذي جاء وصفه بالفسق في الذكر الحكيم^(١)، لطاشت عقولهم ورموا القائل بالحق والعداء للصحابية، بل إلى قلة الدين وعدم الإيمان.

وبما أن أهل الحديث اغتروا ببعض ظواهر الآيات من دون أن يقفوا على مغزاها، فقد قام أئمة أهل البيت عليهم السلام بتفسيرها وتبيين مقاصدها، فمن حاول الوقوف على كلماتهم في هذا الموضوع فليرجع إلى كتاب «الاحتجاج» للشيخ الطبرسي.

ولعل ما ذكرنا كاف في تبلور دور أئمة أهل البيت عليهم السلام في صيانة العقيدة السامية، والدفاع عن حياض الدين بالبرهنة والخطابة.

لكن إكمالاً للبحث نأتي ببعض المناظرات التي دارت بينهم وبين أهل الضلال عملاً بقوله سبحانه: ﴿أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِ لَهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾^(٢).
إن الدعوة الصحيحة تتحقق بأمر ثلاثة:

١. الدعوة بالحكمة والحجة العقلية التي تفيد العلم والإذعان بالمدعى، وقد استخدمها القرآن الكريم في مجال التنديد بالوثنية ودحض الشرك، يقول سبحانه: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ﴾^(٣).

٢. الدعوة بالموعظة الحسنة، وهي البيان الذي تلين به النفس ويرق له القلب لما فيه صلاح حال السامع، ويستخدمه الآباء عند إرشاد الأبناء، والخطباء

عند الجلوس على منصة الخطابة.

٣. الجدل وهو الحجة التي تستعمل لإفحام الخصم باستخدام مسلماته، غير أن القرآن يدعو إلى العظة بالتي هي أحسن، وبالطبع إلى الجدل مثلها، وقد استخدمها العترة الطاهرة في أكثر المجالات، ولأجل إيقاف القارئ على قسم من مناظراتهم التي صانوا بها العقيدة الإسلامية عن الانحراف، نأتي ببعضها:

الأولى: تفسير القضاء والقدر

كانت العرب في العصر الجاهلي قائلة بالقضاء والقدر بمعنى كون الإنسان مسيراً لا مختاراً، وأنه أمام الحوادث مكتوف اليدين، ولا محيص له عن التسليم لما قُضي. وقد كانت هذه العقيدة راسخة في أذهان كثير من المسلمين في عصر النبي وبعده، حتى روي أن رجلاً سأل علياً عليه السلام بعد انصرافه من الشام فقال: يا أمير المؤمنين أخبرنا عن خروجنا إلى الشام أبقضاء وقدر؟

فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: «نعم يا شيخ، ما علوتم تلعة ولا هبطتم بطن واد إلا بقضاء من الله وقدر».

فقال الرجل: عند الله أحاسب عنائي، والله ما أرى لي من الأجر شيئاً!! فقال علي عليه السلام: «بلى، فقد عظم الله لكم الأجر في مسيركم وأنتم ذاهبون، وعلى منصرفكم وأنتم منقلبون، ولم تكونوا في شيء من حالاتكم مكرهين، ولا إليه مضطرين».

فقال الرجل: فكيف لا نكون مضطرين والقضاء والقدر ساقانا، وعنهما كان مسيرنا؟!

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: «لعلك أردت قضاء لازماً، وقدرًا حتمًا، لو كان ذلك كذلك لبطل الثواب والعقاب، وسقط الوعد والوعيد، والأمر من الله والنهي،

وما كانت تأتي من الله لائمة لمذنب، ولا محمداً لمحسن، ولا كان المحسن أولى بشواب الإحسان من المذنب، ولا المذنب أولى بعقوبة الذنب من المحسن، تلك مقالة إخوان عبدة الأوثان، وجنود الشيطان، وخصماء الرحمن، وشهداء الزور والبهتان، وأهل العمى والطغيان، هم قدرية هذه الأمة ومجوسها، إن الله تعالى أمر تخيراً، ونهى تحذيراً، وكلف يسيراً، ولم يعص مغلوباً، ولم يطع مكرهاً، ولم يرسل الرسل هزلاً، ولم ينزل القرآن عبثاً، ولم يخلق السماوات والأرض وما بينهما باطلاً، ذلك ظن الذين كفروا، فويل للذين كفروا من النار.

قال: ثم تلى عليهم: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾^(١). قال: فنهض الرجل مسروراً وهو يقول:

أنت الإمام الذي نرجو بطاعته يوم النشور من الرحمن (رضواناً)^(٢)

الثانية: عدم احتجابه سبحانه بالسماوات السبع

لقد كان التجسيم والاعتقاد بوجود الجهة لله من عقائد اليهود، وقد تسربت تلك العقيدة عن طريق مستسلمة أهل الكتاب إلى أوساط المسلمين، فحسبه أهل الحديث أنه سبحانه فوق السماوات السبع، وأنه جالس على عرشه، والعرش يسط أطياف الرحل، ولم تزل هذه العقيدة محفوظة عند ابن تيمية وأتباعه.^(٣) وهي عقيدة سخيفة ساقطة تضاد القرآن الكريم والعقل الحصيف.

وقد كافح أئمة أهل البيت عليهم السلام هذه الفكرة المستوردة، وهذا هو الإمام علي ابن أبي طالب عليه السلام سمع رجلاً يقول: «والذي احتجب بسبع طباق» فعلاه بالذرة، ثم قال له: «يا ويلك! إن الله أجل من أن يحتجب عن شيء، أو يحتجب عنه شيء».

١. الإسراء: ٢٣.

٢. الاحتجاج: ١/ ٤٩٠.

٣. العقيدة الواسطية، الرسالة التاسعة من مجموع الرسائل الكبرى: ٣٩٨.

سبحان الذي لا يحويه مكان، ولا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء».

فقال الرجل: أفأكفر عن يميني يا أمير المؤمنين؟

قال: «لا، لم تحلف بالله فيلزمك كفارة، وإنما حلفت بغيره»^(١).

الثالثة: اتحاد الصفات مع الذات

المتسالم عند الناس هو أنّ الصفة غير الموصوف وإنّ الأولى عارضة للثاني، وقد اختمرت تلك الفكرة في أذهان العامة حسب احتكاكهم بالماديات، فهناك إناء وله لون، وإنسان وله علمه، وعلى ضوء ذلك زعموا أنّ علمه سبحانه زائد على ذاته وإنّ مقتضى الصفة هو الاثنينية.

ولما كان هذا القول مؤدياً إلى الشرك وتعدّد القدماء قام أئمة أهل البيت عليهم السلام بوجه تلك الفكرة الخاطئة في بعض مناظراتهم.

روى محمد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام قال: في صفة القسديم: إنه واحد صمد، أحديّ المعنى، ليس بمعانٍ كثيرة مختلفة.

قال: قلت: جعلت فداك إنه يزعم قوم من أهل العراق أنّه يسمع بغير الذي يبصر، ويبصر بغير الذي يسمع؟

قال: فقال: «كذبوا وألحدوا، وشبّهوا الله تعالى، إنه سميع بصير، يسمع بما به يبصر، ويبصر بما به يسمع».

قال: فقلت: يزعمون أنّه بصير على ما يعقله؟

قال: فقال: تعالى الله إنّما يعقل من كان بصفة المخلوق، وليس الله

كذلك»^(٢).

١. الاحتجاج: ١/ ٤٩٦؛ التوحيد للصدوق، ص ١٧٤ الباب ٢٨، الحديث ٣.

٢. الاحتجاج: ٢/ ١٦٧-١٦٨.

الرابعة: البرهنة على أَنَّ الحسين من أبناء رسول الله ﷺ

لقد أراد أهل النصب وأصحاب العداء أن ينكروا كون الحسين من أبناء رسول الله ﷺ، وقد أشاعوا تلك الفكرة، لأنَّ الولد عندهم عبارة عمّن يتنسب إلى الرجل بنفسه أو عن طريق ابنه لا بنته، أخذوا بالرأي الجاهلي في تفسير الولد، قالوا:

بنونا بنو أبائنا وبناتنا بنوهن أبناء الرجال الأبعد

وبما أَنَّ الحسين كانا يتصلان بالنبي عن طريق بنته فاطمة عليها السلام فلا يصح وصفها بأبائها من أبناء رسول الله ﷺ.

وقد رد على تلك الفكرة، تلاميذ أبي جعفر الباقر عليه السلام ببعض الآيات القرآنية، حيث عدَّ القرآن عيسى بن مريم من آل إبراهيم وقال: ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ [إبراهيم] دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾^(١) حيث عدَّ «عيسى» من ذرية إبراهيم وهو يتصل به من جانب الأم.

كما احتجوا عليهم بقوله سبحانه: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾^(٢)، وقد اتفق المفسرون على أَنَّ المراد من قوله: ﴿أَبْنَاءَنَا﴾ هو الحسان.

هذا هو الذي احتج به تلاميذ الإمام و من تربى في حجره، لكن الإمام الباقر عليه السلام احتج بشكل آخر فقال مخاطباً أبا الجارود: «والله يا أبا الجارود! لأعطينكها من كتاب الله آية تسميها أنهما لصلب رسول الله ﷺ لا يردها إلا كافر».

قال: قلت: جعلت فداك وأين؟

قال: «حيث قال الله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ - إِلَى قَوْلِهِ: - وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ﴾»^(١)، فسلهم يا أبا الجارود هل يحل لرسول الله صلى الله عليه وآله نكاح حليلتيهما؟ فإن قالوا: نعم، فكذبوا والله، وإن قالوا: لا، فهما والله ابنا رسول الله صلى الله عليه وآله لصلبه، وما حرّم عليه إلّا للصلب»^(٢).

الخامسة: النظام الهادف آية وجود الخالق

لم يزل برهان النظام دليلاً واضحاً ومقنعاً لعامة الناس، بالأخص إذا كان هادفاً لغاية خاصة، إذ لا تخضع الهادفية للصدفة، بل هي تكشف عن خضوع النظام لخالق مدبر عالم، أوجد مصنوعه، لغاية عقلانية.

وهذا النوع من البرهان كثير الدوران في الذكر الحكيم والروايات الشريفة نذكر منها ما يلي:

دخل أبو شاعر الديصاني على أبي عبد الله عليه السلام وقال يا جعفر بن محمد: دلّني على معبودي!

فقال له أبو عبد الله عليه السلام: «اجلس!» فإذا غلام صغير في كفّه بيضة يلعب بها، فقال أبو عبد الله عليه السلام: «ناولني يا غلام البيضة!» فناوله إياها، فقال أبو عبد الله عليه السلام: «يا ديصاني! هذا حصن مكنون، له جلد غليظ، وتحت الجلد الغليظ جلد رقيق، وتحت الجلد الرقيق ذهب مایعة، وفضة ذاتبة، فلا الذهب المائعة تختلط بالفضة الذاتية، ولا الفضة الذاتية تختلط بالذهب المائعة، فهي على حالها، لم يخرج منها خارج مصلح فيخبر عن إصلاحها، ولم يدخل فيها داخل مفسد فيخبر عن

إفسادها، لا يدري للذكر خلقت أم للأنثى، تنفلق عن مثل ألوان الطواويس، أترى له مدبراً؟».

قال: فأطرق ملياً ثم قال: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وأنتك إمام وحجة من الله على خلقه، وأنا تائب [إلى الله تعالى] مما كنت فيه.^(١)

السادسة: قياس الخالق بال مخلوق

قد تعرفت على أن التجسيم والجهة كان مختمراً في أذهان المسلمين وقلما يتفق لأحد منهم أن يتصور تصوراً صحيحاً من إحاطته سبحانه بالعالم إحاطة قيومية.

وهذا ابن أبي العوجاء زنديق عصره بعدما سمع كلمة «الله» سبحانه عن الصادق عليه السلام قال له:

ذكرت الله فأحلت على غائب، فقال أبو عبد الله عليه السلام: «ويلك! كيف يكون غائباً من هو مع خلقه شاهد، وإليهم أقرب من جبل الوريد، يسمع كلامهم ويرى أشخاصهم ويعلم أسرارهم؟» فقال ابن أبي العوجاء: فهو في كل مكان، أليس إذا كان في السماء كيف يكون في الأرض، وإذا كان في الأرض كيف يكون في السماء؟!

فقال أبو عبد الله عليه السلام: «إنما وصفت المخلوق الذي إذا انتقل من مكان اشتغل به مكان، وخلا منه مكان، فلا يدري في المكان الذي صار إليه ما حدث في المكان الذي كان فيه، فأما الله العظيم الشأن، الملك الديان، فلا يخلو منه مكان ولا يشتغل به مكان، ولا يكون إلى مكان أقرب منه إلى مكان».^(٢)

فقد استدلل الإمام بأن إنكار إله محيط بالعالم نابع عن قياس الممكن بالواجب والمخلوق بالخالق. فالممكن لأجل كونه محدوداً إذا وقع في مكان يخلو عنه مكان آخر، وأما الواجب لأجل سعة وجوده وعدم تحديده يكون حاضراً في كل مكان، لا حضوراً حلولياً، بل قِيُومِيّاً، لقيام كل ممكن بوجوده قيام المعنى الحر في بالمعنى الاسمي.

السابعة: إبطال القياس

لقد شاع العمل بالقياس بعد رحيل النبي الأكرم عليه السلام، لقلة النصوص في المسائل المستجدة، فلم يجدوا بداً من العمل بالقياس والاستحسان وسائر القواعد التي لم يدل على حجيتها الكتاب والسنة، وإنما التجأوا إليها لإعواز النصوص والإعراض عن أئمة أهل البيت عيبة علم الرسول عليه السلام.

كان أبو حنيفة من أعلام العاملين بالقياس، ولذلك عُرف فقهاء العراق بأهل القياس، وفيما دار بينه وبين أبي عبد الله عليه السلام من المناظرة يظهر قوة منطق المناظر ورجوع الخصم إلى الحق.

قال أبو عبد الله عليه السلام: «فانظر إلى قياسك إن كنت مقيساً أيّاً أعظم عند الله: القتل أم الزنا؟»

قال: بل القتل.

قال: «فكيف رضى الله تعالى في القتل بشاهدين، ولم يرض في الزنا إلا بأربعة؟» ثم قال له: «الصلاة أفضل أم الصيام؟» قال: بل الصلاة أفضل.

قال عليه السلام: «فيجب على قياس قولك على الحائض قضاء ما فاتها من الصلاة في حال حيضها دون الصيام، وقد أوجب الله تعالى عليها قضاء الصوم دون

الصلاة».

قال له: «البول أقدر أم المني؟».

قال: البول أقدر.

قال عليه السلام: «يجب على قياسك أن يجب الغسل من البول دون المني، وقد أوجب الله تعالى الغسل من المني دون البول»^(١).

الثامنة: إبطال الرؤية يوم القيامة

إنَّ أبا قرة كان أحد المحدثين الكبار في عصر الإمام أبي الحسن الرضا عليه السلام فدخل عليه ودار بينهما كلام طويل، نورد منه ما يلي:

قال أبو قرة: فإنَّا زوينا أنَّ الله قَسَمَ الرؤية والكلام بين نبيين، فقَسَمَ لموسى عليه السلام الكلام ولمحمد عليه السلام الرؤية.

فقال أبو الحسن عليه السلام: «فمن المبلغ عن الله إلى الثقليين الجن والإنس أنَّه لا تدركه الأبصار ولا يحيطون به علماً وليس كمثله شيء، أليس محمد عليه السلام؟! قال: بلى».

قال أبو الحسن عليه السلام: «فكيف يحییء رجل إلى الخلق جميعاً فيخبرهم أنَّه جاء من عند الله، وأنَّه يدعوهم إلى الله بأمر الله، ويقول: إنَّه لا تدركه الأبصار، ولا يحيطون به علماً وليس كمثله شيء، ثمَّ يقول: أنا رأيتُه بعيني وأحطتُ به علماً وهو على صورة البشر، أما تستحيون؟! ما قدرت الزنادقة أن ترميه بهذا: أن يكون أتى عن الله بأمر ثمَّ يأتي بخلافه من وجه آخر»^(٢).

١. الاحتجاج: ٢/ ٢٦٩، المناظرة ٢٣٧.

٢. الاحتجاج: ٢/ ٣٧٥، المناظرة ٢٨٥.

التاسعة: تصحيح فهم الحديث النبوي

لم يزل أصحاب الحديث يستدلّون على التجسيم بالحديث المروي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن الله خلق آدم على صورته».

فالضمير حسب زعمهم يرجع إلى الله، فتكون النتيجة أن الله سبحانه صورة كصورة الإنسان وقد خلق آدم على غرار صورته.

فلما سُئل الإمام الرضا عليه السلام عن هذا الحديث قال:

«قاتلهم الله لقد حذفوا أول الحديث، إن رسول الله ﷺ مرّ برجلين يتسابقان، فسمع أحدهما يقول لصاحبه: «قبح الله وجهك ووجه من يُشبهك». فقال له ﷺ: «يا عبد الله لا تقل هذا لأخيك! فإن الله عزّ وجلّ خلق آدم على صورته».^(١)

العاشرة: مكافحة الغلو

كانت ظاهرة الغلو فاشية في عصر الإمام الصادق عليه السلام وبعده إلى أن بلغت أوجها في عصر الإمام العسكري عليه السلام.

وإليك مناظرة دارت بين الإمام الرضا عليه السلام وأحد السائلين، قال السائل: بأبي أنت وأُمّي يابن رسول الله ﷺ! فإنّ معي من يتحلّ موالاةكم ويزعم أنّ هذه كلّها من صفات علي عليه السلام، وأنّه هو الله ربّ العالمين.

قال: فلما سمعها الرضا عليه السلام ارتعدت فرائضه وتصيب عرقاً وقال: «سبحان الله عما يقول الظالمون والكاغرون علواً كبيراً! أو ليس عليّ كان آكلاً في الآكلين، وشارباً في الشاربين، وناكحاً في الناكحين، ومحدثاً في المحدثين؟ وكان مع ذلك مصلياً خاضعاً، بين يدي الله ذليلاً، وإليه أوهاً منيباً، أفمن هذه صفته يكون

إلهاً؟! فإن كان هذا إلهاً فليس منكم أحد إلا هو إله لمشاركته له في هذه الصفات الدالات على حدوث كل موصوف بها»^(١).

الحادية عشرة: استنطاق القرآن في مورد إسلام الذمّي

قدم إلى المتوكل رجل نصراني فجر بامرأة مسلمة، فأراد أن يقيم عليه الحد فأسلم.

فقال يحيى بن أكثم: قد هدم إيمانه شركه وفعله، وقال بعضهم: يضرب ثلاثة حدود، وقال بعضهم: يفعل به كذا وكذا.

فأمر المتوكل بالكتاب إلى أبي الحسن العسكري رحمته وسأله عن ذلك.

فلما قرأ الكتاب كتب رحمته: «يضرب حتى يموت»، فأنكر يحيى وأنكر فقهاء العسكر ذلك، فقالوا: يا أمير المؤمنين! سله عن ذلك فإنه شيء لم ينطق به كتاب، ولم يحيى به سنة.

فكتب إليه: إن الفقهاء قد أنكروا هذا، وقالوا: لم يحيى به سنة ولم ينطق به كتاب، فبين لنا لم أوجب عليه الضرب حتى يموت؟

فكتب: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَخَدَّهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ﴾ * فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا ﴿ الآية. ^(٢) قال: فأمر به المتوكل فضرب حتى مات. ^(٣)

١. الاحتجاج: ٢/ ٤٥٤، المناظرة ٣١٤.

٢. غافر: ٨٤-٨٥.

٣. الاحتجاج: ٢/ ٤٩٨-٤٩٩.

الثانية عشرة: اعتراف الزنادقة بعجزهم عن نقض القرآن

اجتمع ابن أبي العوجاء وأبو شاكر الديصاني الزنديق وعبد الملك البصري وابن المقفع عند بيت الله الحرام، يستهزئون بالحاج ويطعنون على القرآن. فقال ابن أبي العوجاء: تعالوا لنقض كل واحد منا ربع القرآن وميعادنا من قابل في هذا الموضع، نجتمع فيه وقد نقضنا القرآن كله، فإن في نقض القرآن إبطال نبوة محمد، وفي إبطال نبوته إبطال الإسلام وإثبات ما نحن فيه، فاتفقوا على ذلك وافترقوا، فلما كان من قابل اجتمعوا عند بيت الله الحرام، فقال ابن أبي العوجاء:

أما أنا فمفكر منذ افترقنا في هذه الآية: ﴿فَلَمَّا اسْتِأْذِنُوا مِنْهُ خَالَصُوا نُجِيًّا﴾^(١)، فما أقدر أن أضمر إليها في فصاحتها وجمع معانيها شيئاً، فشغلتني هذه الآية عن التفكير فيما سواها.

فقال عبد الملك: وأنا منذ فارقتم مفكر في هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاستَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَاباً وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئاً لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾^(٢)، ولم أقدر على الإتيان بمثلهما.

فقال أبو شاكر: وأنا منذ فارقتم مفكر في هذه الآية: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾^(٣)، لم أقدر على الإتيان بمثلهما.

فقال ابن المقفع: يا قوم! إن هذا القرآن ليس من جنس كلام البشر، وأنا منذ

فارتكم مفكر في هذه الآية: ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ اقْلَعِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾^(١)، لم أبلغ المعرفة بها، ولم أقدر على الإتيان بمثلها.

قال هشام بن الحكم: فبينما هم في ذلك. إذ سرّ بهم جعفر بن محمد الصادق عليه السلام فقال: ﴿قُلْ لِّئِنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُوا بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾^(٢)، فنظر القوم بعضهم إلى بعض وقالوا: لئن كان للإسلام حقيقة لما انتهت أمر وصية محمد ﷺ إلا إلى جعفر بن محمد، والله ما رأيناه قط إلا هيناه واقشعرت جلودنا لهيبته، ثم تفرقوا مقرّين بالعجز.^(٣)

هذه نماذج من مناظرات أئمة أهل البيت في مجالات مختلفة، ومن أراد التفصيل فليرجع إلى كتاب «الاحتجاج» للعلامة الطبرسي و«بحار الأنوار» للعلامة المجلسي.

وقد تربى في أحضانهم رجال صاروا أبطال المناظرة، فخرجوا في حلبة الجدل العلمي بوجوه مشرقة، منهم: هشام بن الحكم، مؤمن الطاق، فضال بن حسن بن فضال، إلى غير ذلك من متكلمي عصر الأئمة الذين تقرأ تفاصيل حياتهم في هذه الموسوعة.

١. هود: ٤٤.

٢. الإبراء: ٨٨.

٣. الاحتجاج: ٢/ ٣٠٦ و ٣٠٧، المناظرة ٢٥٧.

ختامه مسك

هذه مقدّمة متواضعة لعلم الكلام وعلل نشوئه ومناهجه ومسائله إلى غير ذلك، قدّمتها إليك أيّها القارئ الكريم لتكون على بصيرة من سير هذا العلم، وتكون تمهيداً لما سيوافيك من حياة رواد هذا العلم من المتقدّمين والمتأخّرين، الذين بذلوا جهوداً جبارة في إرساء قواعد هذا العلم وردّ الشبهات والتمويهات عن وجه الدين القويم.

وأنا أختتم مقدّمتي هذه بما ختم به الشيخ أحمد التلمساني مؤلف «نفع الطيب»، مقدّمة كتابه حتّى يكون ختامه مسك.

ومن يتوسّل بالنبيّ محمّد

شفيع البرايا السيّد السند الأسنى

فذاك جدير أن يكفر ذنبه

ويمنح نيل القصد والختم بالحسنى

تمّ تحرير هذه المقدّمة، يوم ميلاد النبيّ الأعظم، محمد المصطفى وسبطه الإمام الصادق عليه السلام السابع عشر من شهر ربيع الأوّل من شهور عام ١٤٢٤ من الهجرة النبوية.

والحمد لله ربّ العالمين

جعفر السبحاني

قم - مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام

متكلمو الشيعة

في

القرن الأول

أبوذر الغفاري *

(....-٣٢٢هـ)

جندب بن جُنادة الغفاري، أحد الصحابة الأجلاء السابقين إلى الإسلام، كان يتأله في الجاهلية ويوحّد، ولا يعبد الأصنام.

قدم على النبي ﷺ وهو بمكة فأسلم، ثم انصرف إلى بلاد قومه، فأقام بها

* طبقات ابن سعد ٢/٣٥٤، التاريخ الكبير ٢/٢٢١، المعارف ١٤٢، تاريخ يعقوبي ٢/١٧١- ١٧٣ (ط. دار صادر)، رجال الكشي ٢٧ برقم ٢ (مؤسسة الأعلمي - كربلاء)، الثقات لابن حبان ٣/٥٥، مشاهير علماء الأمصار ٣٠ برقم ٢٨، مستدرك الحاكم ٣/٣٣٧، حلية الأولياء ١/٢٥٢ برقم ٢٦، رجال الطوسي ١٣، ٣٦، فهرست الطوسي ٤٥، الاستيعاب ١/٢٥٢ برقم ٣٣٩، معالم العلماء ٣٢، صفة الصفوة ١/٥٨٤، أسد الغابة ٥/١٨٧، شرح النهج لابن أبي الحديد ٨/٢٥٢، رجال ابن داود ٦٧، رجال العلامة الخلي ٣٦، تهذيب الكمال ٣٣/٢٩٤ برقم ٧٣٥١، سير أعلام النبلاء ٢/٤٦ برقم ١٠، العبر ١/٢٤، تذكرة الحفاظ ١/١٧، الوافي بالوفيات ١١/١٩٣، مرآة الجنان ١/٨٨، البداية والنهاية ٧/١٧١، الجواهر المضية ٢/٤١٥، تهذيب التهذيب ١٢/٩٠ برقم ٤٠١، الإصابة ٤/٦٣، النجوم الزاهرة ١/٨٩، شذرات الذهب ١/٣٩، الدرجات الرفيعة ٢٢٥، تنقيح المقال ١/٢٣٤ برقم ١٩٦٧، تأسيس الشيعة ٢٨١، أعيان الشيعة ٤/٢٢٥، الغدير ٨/٢٩٢، الأعلام ٢/١٤٠، معجم رجال الحديث ٤/١٦٤ برقم ٢٣٨٥، موسوعة طبقات الفقهاء ١/٦٤ برقم ١٢.

حتى قدم على النبي ﷺ المدينة، فلأزمه، وجاهد معه، وحمل راية غفار يوم حُنين.
قال أبو نعيم الأصبهاني:.... رابع الإسلام، ورافض الأزمات قبل نزول الشرع
والأحكام.... أول من تكلم في علم البقاء، وثبت على المشقة والعناء، وحفظ
العهود والوصايا، وصبر على المحن والرزايا. ثم قال: كان للرسول ﷺ ملازماً
وجليساً، وعلى ملازمته والاقتباس منه حريصاً... سأله عن الأصول والفروع...
وسأله عن كل شيء حتى عن مس الحصى في الصلاة.^(١)

وقال ابن عبد البر: كان من أوعية العلم المبرزين في الزهد والورع والقول
بالحق، سُئل علي رضي الله عنه عن أبي ذر؟ فقال: ذلك رجل وعى علماً عجز عنه
الناس ثم أوكأ عليه، ولم يُخرج شيئاً منه.^(٢)

وقد عُرف أبو ذر بالصدق والجرأة والصراحة، والدعوة إلى الوقوف عند
حدود الشريعة، وإلى إصلاح المجتمع وتطهيره من الزيغ والانحراف والتلاعب
بالأحكام والأموال.

وكان يخطب الناس في عهد عثمان بن عفان، فينبههم على ما شاع من
المنكرات، وينعى عليهم الابتعاد عن العترة الطاهرة، وإقصاء أمير المؤمنين ﷺ
عن ولاية الأمر، وكان يعتقد أنه ﷺ أولى الناس بالإمامة بعد رسول الله ﷺ^(٣)
ويقول: أيتها الأمة المتحيرة بعد نبيها! أما لو قدّمتم من قدّم الله، وأخترتم من أختار
الله، وأقررتم الولاية والوراثة في أهل بيت نبيكم لأكلتم من فوق رؤوسكم ومن

١. حلية الأولياء.

٢. الاستيعاب.

٣. وكان أبو ذر قد تحلف - فيمن تحلف من المهاجرين والأنصار - عن بيعة أبي بكر، و مال مع علي
ابن أبي طالب ﷺ. انظر تاريخ اليعقوبي: ١٢٤ / ٢.

تحت أقدامكم، ولما عال وليّ الله، ولا طاش سهم من فرائض الله، ولا اختلف
اثنان في حكم الله، إلّا وجدتم علم ذلك عندهم من كتاب الله وسنة نبيه....^(١)

وضاق به عثمان، فسيّره إلى الشام إلى معاوية، وهناك واصل جهاده في
الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتحريض الفقراء، والتنديد بالمترفين وطواغيت
بني أمية الذين (اتخذوا بلاد الله دولاً، وعباد الله خولاً).

وكان ينكر على معاوية مزاعمه بأنّ ما يجري على يديه إنّما هو من قضاء
الله، فقد ذكر أنّ معاوية قال في بعض خطبه: أنا خازن من خزان الله، أُعطي من
أعطاه الله، وأمنع من منعه الله، فقام أبو ذر الغفاري، وقال: كذبت يا معاوية!
إنك لتعطي من منعه الله، وتمنع من أعطاه الله.

ولما شعر معاوية بالخطر، وأنّه بدأ يستهوي قلوب الرجال، شكاه إلى عثمان،
فاستقدمه إلى المدينة، ثمّ نفاه إلى الرّبذة، فتوفي فيها سنة اثنتين وثلاثين، وشهد
دفنه عبد الله بن مسعود، صادفه وهو مقبل من الكوفة في رهط من أهل العراق
عُمّاراً، واستهلّ ابن مسعود يبكي ويقول: صدق رسول الله ﷺ: تمشي وحدك،
وتموت وحدك، وتبعث وحدك.^(٢)

روي عن أبي رافع أنّه قال: أتيت أبا ذر بالربذة أودّعه، فلما أردت
الانصراف، قال لي ولأناس معي: ستكون فتنة، فاتقوا الله، وعليكم بالشيخ علي بن
أبي طالب، فاتبعوه.^(٣)

١. تاريخ يعقوبي ١٧١/٢.

٢. طبقات ابن سعد ٢٣٥/٤.

٣. وفي رجال الكشي ص ٢٩ بسنده عن أبي سخيّة: إن كانت بعدي فتنة - وهي كائنة - فعليكم
بكتاب الله والشيخ علي بن أبي طالب.

٢

حُجْر بن عدي *

(....-٥٥١هـ)

ابن جبلة بن عدي بن ربيعة الكندي، الكوفي، المعروف بحجر الخير
وبحجر بن الأدبر.

كان من خيار الصحابة، قائداً، شجاعاً، مجاهداً، ثائراً، خالص الولاء لأمير
المؤمنين عليه السلام.

وفد على النبي ﷺ هو وأخوه هاني، وشهد القادسية.

وصحب الإمام علياً عليه السلام، وأخلص له غاية الإخلاص، وشهد معه الجمل

* طبقات ابن سعد ٦/٢١٧، طبقات خليفة ٢٤٦ برقم ١٠٤٢، التاريخ الكبير ٣/٧٢، تاريخ
اليقطيني ٢/٢٣٠، رجال الكشي ٩٤ برقم ٤٠ (مؤسسة الأعلمي - كربلاء)، مروج
الذهب ٣/١٨٨ برقم ١٧٧٣، أخبار شعراء الشيعة للمرزباني ٤٨ برقم ٩، رجال الطوسي ٣٨ برقم ٦
و ٦٧ برقم ٤، الاستيعاب ١/٣٢٩ برقم ٤٨٧ (ط. نهضة مصر)، تاريخ مدينة
دمشق ١٢/٢٠٧ برقم ١٢٢١، الكامل لابن الأثير ٣/٣٧٧، ٤٧٢، ٤٧٨، ٤٨٣، أسد
الغابة ١/٣٨٥، سير أعلام النبلاء ٣/٤٦٢ برقم ٩٥، العبر ١/٤٠، امرأة الجنان ١/١٢٥، البداية
والنهاية ٨/٥١ (سنة ٥١)، الإصابة ١/٣١٣ برقم ١٦٢٩، نقد الرجال ٨٣، شذرات
الذهب ١/٥٧، الدرجات الرفيعة ٤٢٣، منتهى المقال ٢/٣٣٧ برقم ٦٧٥، تهذيب تاريخ
دمشق ٤/٨٧، أعيان الشيعة ٤/٥٦٩ - ٥٨٦، الأعلام ٢/١٦٩، معجم رجال الحديث ٤/٢٣٧
برقم ٢٦٠٧، قاموس الرجال ٣/٨١، رسائل ومقالات للسبحاني ٣٠٤.

وصَفَيْن والنهروان، وكان أحد القادة في هذه الوقائع، وإذا كلمة نافذة في قومه.
تولَّى علياً عليه السلام وآزره بسيفه ولسانه، وله شعر ينم عن عمق اعتقاده
بولايته عليه السلام ووصايته بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

قال، وهو يرتجز في المعركة:

يا ربنا سلّم لنا علياً	سلّم لنا المبارك المرضيّا
المؤمن الموحد التقيّا	لا خطلّ الرأي ولا غويّا
بل هادياً موفقاً مهديّا	وأحفظه ربّي واحفظ النبيّا
فيه فقد كان له وليّا	ثم أرتضاه بعده وصيّا

وقال، وهو يبذل الطاعة والنصر لإمام زمانه في معركة صفين:

يا أمير المؤمنين، نحن بنو الحرب وأهلها الذين نلقحها ونتجها قد
ضارستنا، ولنا أعوان ذوو صلاح وعشيرة ذات عدد ورأي مجرب وبأس محمود،
وأزمّتنا منقادة لك بالسمع والطاعة، فإن شَرَقْتَ شَرَقْنَا، وإن غَرَبْتَ غَرَبْنَا، وما
أمرتنا به من أمر فعلناه.

واستمرَّ حُجْر - بعد تسلّط الأمويين على الحكم - في الذبّ عن حياض
العقيدة ونهج علي عليه السلام ومدرسته، ووقف عمره في مناصرة الحقّ ومعارضة
الظلم.

وكان المغيرة بن شعبه - والي الكوفة - لا يدع ما وصاه به معاوية من
شتم علي والوقوع فيه، فيقوم حجر فيقول: بل إياكم قد ذم الله ولعن، إنّ الله عزّ
وجلّ يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ

أَنْفُسَكُمْ^(١) وَإِنِّي أَشْهَدُ أَنَّ مَنْ تَذْمُونَ أَحَقَّ بِالْفَضْلِ مِمَّنْ تَطْرُونَ، وَمَنْ تَرْكُونَ أَحَقَّ بِالذَّمِّ مِمَّنْ تَعْيَبُونَ.

وواصل حجر - في عهد زياد بن أبيه - مسيرته وجهاده في سبيل المبادئ، فبعث به زياد إلى الشام، فلما أشرف على مرج عذراء (من قرى دمشق)، قال: إني لأول مسلم كبر في نواحيها.^(٢)

ثم أمر معاوية بقتله، فقتل في مرج عذراء مع أصحاب له، وذلك في سنة إحدى وخمسين. وكان رسول معاوية قد عرض عليهم البراءة من علي عليه السلام، فإن فعلوا خلى سبيلهم، ولكنهم أبوا، وقالوا: بل نتولاه ونبتراً مِمَّنْ تَبَرَأَ مِنْهُ.

قال الإمام الحسين عليه السلام فيما كتبه إلى معاوية جواباً: ... ألسـت القاتل حجر ابن عدي أخا كندة وأصحابه الصالحين المصلين العابدين الذين كانوا يُنكرون الظلم ويستعظمون المنكر والبدع ولا يخافون في الله لومة لائم، ثم قتلهم ظلماً وعدواناً من بعد ما كنت أعطيتهم الأيمان المغلظة والمواثيق المؤكدة لا تأخذهم بحدث كان بينك وبينهم ولا بإحنة تجدها في نفسك عليهم.

١. النساء: ١٣٥.

٢. كذا في أسد الغابة، وفي الطبقات: أما والله إني لأول مسلم تبَّح كلابها في سبيل الله، ثم أتى بي اليوم إليها مصفوداً!!

ثم قال (كما في الاستيعاب) لمن حضر من أهله: لا تطلقوا عني حديداً ولا تغسلوا عني دماً، فإني ملاق معاوية بالجادة، وإني مخلص.

٣

خالد بن سعيد *

(....١٤هـ)

ابن العاص بن أمية بن عبد شمس، الصحابي الجليل، أبو سعيد القرشي الأموي، المكي.

أسلم في الأيام الأولى لبزوغ نور الإسلام.^(١)

وتعرض للأذى والاضطهاد من قبل أبيه المعروف بأبي أحيحة (وكان من خصوم الإسلام الإشداء)، فما وهن لما أصابه في سبيل الله وما استكان.

ثم هاجر إلى الحبشة، فأقام بضع عشرة سنة.

* طبقات ابن سعد ٩٤/٤، طبقات خليفة ٤٠ برقم ٥٥ و ٥٤٨ برقم ٢٨١٣، تاريخ خليفة ٦١، ٨٠، تاريخ يعقوب ١٢٤/٢، ١٢٦، ١٣٣ (ط. دار صادر)، الاستيعاب ٢/٤٢٠ برقم ٥٩٩ (ط. نهضة مصر)، الاحتجاج للطبرسي ١/١٩٠ (انتشارات أسوة)، تاريخ مدينة دمشق ١٦/٦٧ برقم ١٨٨٠، الكامل لابن الأثير ٢/٦٠، ٣١٣، ٤٠٢، ٤٠٥، ٤٠٦، أسد الغابة ٢/٨٢، مختصر تاريخ دمشق ٧/٣٤٤ برقم ٣٢٣، سير أعلام النبلاء ١/٢٥٩ برقم ٤٨، البداية والنهاية ٧/٣٣، الإصابة ١/٤٠٦ برقم ٢١٦٧، شذرات الذهب ١/٣٠، انتهى المقال ٣/١٦٦ برقم ١٠٥١، الدرجات الرفيعة ٣٩٢، تهذيب تاريخ دمشق ٥/٤٨، تأسيس الشيعة ٣٥٣، أعيان الشيعة ٦/٢٨٨، الأعلام ٢/٢٩٦، معجم رجال الحديث ٧/٢٦ برقم ٤١٨٨، قاموس الرجال ٣/٤٧٦.

١. أسلم بعد أبي بكر، وقيل معه، وفي رواية للحاكم في المستدرک: أنه أسلم قبل أبي بكر.

وقدم مع جعفر (الطيار) بن أبي طالب على النبي ﷺ بخير (سنة ٧هـ)،
 وشهد مع رسول الله ﷺ الفتح وحنيناً والطائف وتبوك.
 ثم بعثه رسول الله ﷺ عاملاً على اليمن، فلم يزل عليها إلى أن توفي ﷺ،
 فتخلّى عن عمله، وأتى المدينة.

وكان عالي الهمة، رابط الجأش، من مشاهير المتكلمين من الشيعة.
 احتج على أبي بكر، وأنكر عليه قيسامه بالأمر^(١)، وأبى أن يبايعه، وقال: لا
 أبايع إلاً علياً. وكان من المتمسكين بولاء علي عليه السلام، الذابّين عن حقه في ولاية
 الأمر.

قال ابن الأثير في «أسد الغابة»: تأخر خالد وأخوه أبان عن بيعة أبي بكر،
 فقال لبني هاشم: إنكم لطوال الشجر، طيبو الثمر، ونحن نَبَع لكم، فلما بايع بنو
 هاشم أبا بكر بايع خالد وأبان.^(٢)

وقال اليعقوبي: كان خالد بن سعيد غائباً، فقدم فأتى علياً، فقال: هلمّ
 أبايعك، فوالله ما في الناس أحد أولى بمقام محمد منك.^(٣)

ولما بعث أبو بكر الجنود لقتال الروم، دفع لخالد أحد الألوية، فعارضه عمر،
 وقال: أتؤمّره وقد صنع ما صنع وقال ما قال، فعزله قبل أن يسير وأمر يزيد بن أبي

١. ذكر البرقي في آخر رجاله أنه من الاثني عشر الذين أنكروا على أبي بكر، وكان أول من تكلم يوم
 الجمعة. معجم رجال الحديث.

٢. وفي كتاب «السقيفة» لأبي بكر أحمد بن عبد العزيز الجوهري أنه قال: أنتم الظهر والبطن والشعار
 دون الدثار، والعصا دون اللحاء، فإذا رضيتم رضىنا، وإذا سخطتم سخطنا... إنكم لطوال
 الشجر. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد.

٣. تاريخ اليعقوبي ٢/١٢٦.

سفيان، فسار خالد في ذلك الجيش تحت راية شرحبيل بن حسنة، فشهد فتح أجنادين (قرب الرملة بفلسطين) سنة (١٣هـ)، ثم شهد وقعة مرج الصفر (قرب دمشق) سنة (١٤هـ)، فقتل فيها. وقيل: قُتل يوم أجنادين.

٤

زيد بن صُوحان*

(....-٣٦هـ)

ابن حُجر بن الحارث العبدي، نزيل الكوفة، أخو صعصعة بن صوحان. كان خطيباً، مجاهداً، صوّاماً، قوّاماً، من سادة التابعين^(١) القائلين بتفضيل علي عليه السلام على الناس، المتفانين في ولائه.

* طبقات ابن سعد ١٢٣/٦، التاريخ الكبير ٣/٣٩٧، رجال البرقي ٥، المعارف ١٧٦، تاريخ الطبري ٣/٣٦١، ٣٦٧، ٤٩٣، ٥٢٥، رجال الكشي ٦٣ برقم ١٨ (مؤسسة الأعلمي - كربلاء)، الاختصاص للمفيد ٧٩، مروج الذهب ٢/٨٠، رجال الطوسي ٤١ برقم ٢، تاريخ بغداد ٨/٤٣٩ برقم ٤٥٤٩، الاستيعاب ٢/٥٥٥ برقم ٨٥٢ (ط. نهضة مصر)، تاريخ مدينة دمشق ١٩/٤٢٩ برقم ٢٣٣٩، أسد الغابة ٢/٢٣٣، الكامل لابن الأثير ٣/١٤٤، ٢١٦، ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٣٢، ٢٤٥، سير اعلام النبلاء ٣/٥٢٥ برقم ١٣٣، الوافي بالوفيات ١٥/٣٢ برقم ٣٥، مرآة الجنان ١/٩٩، شذرات الذهب ١/٤٤، جامع الرواة ١/٣٤٢، منتهى المقال ٣/٢٨٩ برقم ١٢٢٣، أعيان الشيعة ٧/١٠١، الغدير ٩/٤١—٤٣، الأعلام ٣/٥٩، معجم رجال الحديث ٧/٣٤٢ برقم ٤٨٦٠، قاموس الرجال ٤/٢٥٥، رسائل ومقالات للسبحاني ٣٠٦، موسوعة الإمام علي ١٢/١٣٣ برقم ٤٠.

١. وقيل: له وفادة على النبي ﷺ. انظر الوافي بالوفيات.

أسلم في حياة النبي ﷺ.

وشهد وقائع الفتح، فقطعت شماله يوم جلولاء.

وسكن الكوفة، وقدم المدائن، فكان يؤم الناس ويخطبهم بأمر سلمان - أمير المدائن -.

ونفاه عثمان (فيمن نفى من أهل الكوفة) إلى الشام سنة (٣٣هـ)، لناهضته ومعارضته الصريحة للاستبداد والظلم والتلاعب بالأحكام.

ثم حمل راية الجهاد أميراً على عبد القيس في معركة الجمل، فاستشهد فيها سنة ست وثلاثين.

وكانت عائشة قد كتبت إليه: من عائشة أم المؤمنين حبيبة رسول الله ﷺ إلى ابنها الخالص زيد بن صوحان، أما بعد، فإذا أتاك كتابي هذا فاقدّم فأنصرنّا، فإن لم تفعل فخذل الناس عن علي.

فكتبت إليها: أما بعد، فأنا ابنك الخالص لئن اعتزلت ورجعت إلى بيتك، وإلا فأنا أول من نابذك.

ثم قال: رحم الله أم المؤمنين، أمرت أن تلزم بيتها وأمرنا أن نقاتل، فتركت ما أمرت به وأمرتنا به، وصنعت ما أمرنا به ونهتنا عنه. ^(١)

وكان أبو موسى الأشعري - والي الكوفة - يخذل الناس عن علي عليه السلام، فقام زيد فشال يده المقطوعة، فقال: يا عبد الله بن قيس، ردّ الفرات على أدراجه، اردده من حيث يميء حتى يعود كما بدأ، فإن قدرت على ذلك، فستقدر على ما تريد، فدع عنك ما لست مدركه! سيروا إلى أمير المؤمنين وسيد المسلمين، انفروا إليه

أجمعين تصيبوا الحق^(١).

ولما صُرع زيد يوم الجمل، جاء أمير المؤمنين عليه السلام حتى جلس عند رأسه، فقال: رحمك الله يا زيد قد كنت خفيف المؤونة عظيم المعونة، فرفع زيد رأسه إليه، ثم قال: وأنت فجزاك الله خيراً يا أمير المؤمنين، فوالله ما علمتك إلا بالله علياً وفي أم الكتاب علياً حكيماً، وإن الله في صدرك لعظيم، والله ما قاتلت معك على جهالة، ولكنني سمعت أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم تقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:

«من كنت مولاه فعليّ مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله». فكرهت والله أن أخذلك، فيخذلني الله^(٢).

وذكر المسعودي أن معاوية قال لعقيل بن أبي طالب: ميّز لي أصحاب علي وأبدأ بآل صوحان، فإنهم مخاريق الكلام، فوصف له صعصعة، ثم قال: وأما زيد وعبد الله، فإنّهما نهران جاريان يصبّ فيهما الخلجان، ويغاث بهما اللهفان، رجلاً جَدّاً لعب معه^(٣).

١. الكامل في التاريخ ٣/ ٢٢٩.

٢. الاختصاص، رجال الكشي.

٣. مروج الذهب: ٢/ ٧٥.

٥

سلمان الفارسي*

(...٣٤هـ)

سلمان الفارسي، أبو عبد الله، ويُعرف بسلمان الخير، وكان يقول: أنا سلمان ابن الإسلام.

هجر بلدته (رامهرمز، وقيل أصفهان)، وجاب البلاد في سبيل الوقوف على أصول الدين الذي يمكن الركون إليه، وقرأ كتب الفرس والروم واليهود.

* طبقات ابن سعد ٣١٩/٧، تاريخ خليفة ١٤٣، طبقات خليفة ٣٣ برقم ٢٢، المحتر ٧٥، التاريخ الكبير ١٣٥/٤، المعارف ١٥٤، تاريخ اليعقوبي ٢/٥٠، ١٢٤، الكنى والأسماء للدولابي ٧٨، ٨٦١، الجرح والتعديل ٤/٢٩٦، رجال الكشي ١٢ برقم ١ (مؤسسة الأعلمي - كربلاء)، ثقات ابن حبان ٣/١٥٧، مشاهير علماء الأمصار ٧٦ برقم ٢٧٤، المعجم الكبير للطبراني ٦/٢١٢، مستدرك الحاكم ٣/٥٩٨، ذكر أخبار أصبهان ١/٤٨، فهرست الطوسي ٨٠، رجال الطوسي ٢٠، ٤٣، تاريخ بغداد ١٦٣/١ برقم ١٢، الاستيعاب ٢/٦٣٤ برقم ١٠١٤ (ط. نهضة مصر)، معالم العلماء ٥٧، الاحتجاج للطبرسي ١/١٩٢ (انتشارات أسوة)، أسد الغابة ٢/٣٢٨، الكامل لابن الأثير ٣/١٣٨، تهذيب الأسماء واللغات ١/٢٢٦، رجال ابن داود ١٠٥، رجال العلامة الحلي ٨٤، تهذيب الكمال ١١/٢٤٥، سير أعلام النبلاء ١/٥٠٥ برقم ٩١، تاريخ الإسلام (عهد الخلفاء) ٥١٠، الوافي بالوفيات ١٥/٣٠٩، مرآة الجنان ١/١٠٠، الإصابة ٢/٦٠، تهذيب التهذيب ٤/١٣٧، شذرات الذهب ١/٤٤، الدرجات الرفيعة ١٩٨، أعيان الشيعة ٧/٢٧٩، الأعلام ٣/١١١، الغدير ١/٤٤، ١١/١٢٦، معجم رجال الحديث ٨/١٨٦ برقم ٥٣٣٨، موسوعة طبقات الفقهاء ١/١٧ برقم ٣٤.

ثم سمع بأن نبياً سيعث، فقصده بلاد العرب، فلقاه ركب من بني كلب، فاستخدموه ثم استعبدوه وباعوه حتى وقع إلى المدينة، فسمع بخبر الإسلام، فقصده النبي ﷺ، وأظهر إسلامه، وأصبح من أجلاء الصحابة الملازمين له ﷺ العاكفين على الانتهاال من علومه.

وكان عالماً بالشرائع وغيرها، صحيح الرأي، من الزهاد المتقشفين. شهد الخندق، وهو الذي أشار بحفره، فاختلف عليه المهاجرون والأنصار، كلاهما يقول: سلمان متأ، فقال رسول الله ﷺ: سلمان متأ أهل البيت.^(١) وسئل عنه علي عليه السلام، فقال: امرؤ متأ وإلينا أهل البيت، من لكم بمثل لقمان الحكيم، علم العلم الأول والعلم الآخر، وقرأ الكتاب الأول والكتاب الآخر، وكان بحرّاً لا ينزف.

وكان من شيعة علي عليه السلام وخاصته، شديد التحقق بولائه، وقد انحاز إليه في أحداث السقيفة وبعدها، وامتنع عن بيعة أبي بكر^(٢)، ثم حضر بين يديه محتجاً، وداعياً إياه إلى تسليم الأمر إلى من هو أحق به منه، قائلاً: ... ما عذرنا في التقدم على من هو أعلم منك وأقرب إلى رسول الله ﷺ وأعلم بتأويل كتاب الله عز وجل وسنة نبيه ﷺ، ومن قدمه النبي ﷺ في حياته وأوصاكم به عند وفاته.... وقال من خطبة له: ... ألا إن لكم منايًا تتبعها بلايا، فإن عند علي علم المنايا وعلم الوصايا وفصل الخطاب، على منهاج هارون بن عمران، قال له رسول

١. وإلى ذلك أشار الشاعر الكبير أبو فراس الحمداني:

هيهات لأقرب قريئ ولا رحم
كانت مودة سلمان لهم رَحماً
يوماً إذا أفضت الأخلاق والشيم
ولم يكن بين نوح وابنه رَحِم

٢. تاريخ يعقوبي ٢/ ١٢٤.

الله ﷻ: أنت وصي وخليفتي في أهلي بمنزلة هارون من موسى... ثم قال: أما والله لو وليتموها علياً لأكلتم من فوقكم ومن تحت أرجلكم... أنزلوا آل محمد منكم منزلة الرأس من الجسد بل منزلة العينين من الرأس.

ولما هاجمت الجيوش الإسلامية المدائن (سنة ١٦هـ)، كان سلمان الفارسي - كما يقول ابن الأثير - رائد المسلمين وداعيتهم^(١)، دعا أهل بهرسير (المدائن الغربية) ثلاثاً، وأهل القصر الأبيض ثلاثاً، وكان يقول لهم: إنما كنت رجلاً منكم، فهداني الله للإسلام، فإن أسلمتم فلکم مالنا وعليكم ما علينا، وإن أنتم أبيتم، فأدوا الجزية وأنتم صاغرون، فإن أبيتم، نابذناكم على سواء، إن الله لا يحب الخائنين.

ثم عيّن والياً على المدائن، فأقام بها إلى أن توفي سنة أربع وثلاثين^(٢).

١. الكامل ٢/ ٥١٤.

٢. وقيل: سنة (٣٥هـ)، وقيل: سنة (٣٦هـ)، في أولها.

٦

صَعَصَعَةُ بْنُ صُوحَانَ*

(....-٥٦هـ)

ابن حُجْر بن الحارث العبدي، نزيل الكوفة.
 كان خطيباً مفوّهًا، بليغاً، قويّ النفس، من كبار أصحاب الإمام علي عليه السلام.
 ولد في دارين (قرب القطيف).
 وأسلم في عهد رسول الله ﷺ، ولم يره.
 وروى عن: علي عليه السلام، وابن عباس.
 عدّه السيد حسن الصدر من مشاهير المتكلمين من الشيعة.
 وعُرف بحضور الجواب، وقوة البيان، والجرأة في الرأي، وامتلاك ناصية

* طبقات ابن سعد ٢٢١/٦، تاريخ يعقوبي ١٧٩/٢، تاريخ الطبري ٣/٣٦١، ٣٦٢، ٣٦٥، ٣٦٦، ٥٢٥، رجال الكشي ٦٤ برقم ١٩ (مؤسسة الأعلمي - كربلاء)، رجال النجاشي ١/٤٤٨، برقم ٥٤٠، رجال الطوسي ٤٥ برقم ١، الاستيعاب ٢/٧١٧ برقم ١٢١١، أسد الغابة ٣/٢٠، الكامل لابن الأثير ٣/١٣٨، ١٣٩، ١٤٠، ١٤٢، ١٤٤، ٢٨٤، ٤٢٧، ٤٢٩، ٤٣٠، سير أعلام النبلاء ٣/٥٢٨ برقم ١٣٤، تاريخ الإسلام (سنة ٤١-٦٠هـ) ٢٤٠، الوافي بالوفيات ١٦/٣٠٩ برقم ٣٣٧، منتهى المقال ٤/٢٧ برقم ١٤٧٩، تهذيب تاريخ دمشق ٦/٤٢٥، تأسيس الشيعة ٣٥٥، أعيان الشيعة ٧/٣٨٧، الأعلام ٣/٢٠٥، معجم رجال الحديث ٩/١٠٤ برقم ٥٩١٣، قاموس الرجال ٥/١١٩.

الحجاج.

سكن الكوفة.

وأنكر على عثمان سياسته المجانبة لروح الإسلام، ونقم عليه اختصاصه أقاربه بالمناصب واستثثارهم بالقرار والأموال، فأمر واليّه على الكوفة (سعيد بن العاص) بإبعاده (مع عدد من رجالات الكوفة) إلى الشام، وذلك في سنة (٣٣هـ)، وهناك واجه معاوية (أمير الشام) بقوارع كلمه وصراحتة المعهودة، فأمر عثمان بردهم إلى الكوفة.

ثم لزم الإمام علياً عليه السلام، وشهد معه وقعة الجمل، وأبل فيها بلاءً حسناً، حيث أخذ الراية بعد استشهاد أخويه سيحان وزيد، وخاض غمرات الجهاد حتى ارتث.

وشهد أيضاً حرب صفّين أميراً على كردوس، ووقعة النهروان.

ونفاه المغيرة بن شعبه (والي الكوفة من قبل معاوية) إلى جزيرة أوال (بالبحرين)، فمات فيها سنة ست وخمسين. وقيل: مات بالكوفة.^(١)

وكان شديد الولاء لأهل البيت عليهم السلام، متمسكاً بنهجهم، وله في الذب عن مقامهم وحقهم في الإمامة وقيادة الأمة احتجاجات معروفة ومواقف مشهودة، وإليك بعضها:

قال ابن عساکر: وقال الشعبي: خطب الناس معاوية، فقال: لو أن أبا

١. ذكر ابن الأثير أنّ المغيرة دعا صمصعة، وقال له: إياك أن يبلغني عنك أنك تعيب عثمان، وإياك أن يبلغني أنك تظهر شيئاً من فضل عليّ، فأنا أعلم بذلك منك... فإن كنت ذاكرًا فضله فاذكره بينك وبين أصحابك في منازلكم سرًا، وأما علانية في المسجد فإن هذا لا يحتمله الخليفة لنا. فكان يقول له: نعم، ثم يبلغه عنه أنه فعل ذلك، فحقد عليه المغيرة. الكامل في التاريخ ٣/ ٤٣٠.

سفيان ولد الناس كلهم كانوا أكياساً، فقام إليه صعصعة، فقال له: قد ولد الناس كلهم من هو خير من أبي سفيان آدم عليه السلام، فمنهم الأحق والكتيس... فقال معاوية: إن أرضنا مقدسة، فقال له صعصعة: إن الأرض لا يقدسها شيء ولا ينجسها، إنما تقدسها الأعمال، فقال معاوية: عباد الله اتخذوا الله ولياً واتخذوا خلفاءه جنة تحترزوا بها، فقال صعصعة: كيف وكيف؟ وقد عطلت السنة، وأخفرت الذمة، فصارت عشواء مطلخمة، في دهياء مدلهمة، قد استوعبتها الأحداث، وتمكنت منها الأنكاث، فقال له معاوية: يا صعصعة لأن تقعي على ظلعك خير لك من استبراء رأيك، وإبداء ضعفك، تعرض بالحسن بن عليٍّ عليٍّ، ولقد هممتُ أن أبعث إليه، فقال له صعصعة: إي والله وجدتهم أكرمكم جدوداً، وأحياكم حدوداً، وأوفاكم عهداً، ولو بعثت إليه فلوجدته في الرأي أريباً، وفي الأمر صلياً، وفي الكرم نجيباً، يلذعك بحرارة لسانه، ويقرعك بما لا تستطيع إنكاره....

وذكر ابن الأثير (في حوادث سنة ٤٣هـ) أن صعصعة علم بمنزل بعض الخوارج في دار سليم بن محدوج العبدي (وهو من أبناء عشيرته عبد القيس) فقام فيهم خطيباً، فقال:

أيها الناس، إن الله وله الحمد، لما قسم الفضل خصكم بأحسن القسم، فأجبتهم إلى دين الله... ولم يزل الله يزيدكم بذلك خيراً حتى اختلفت الأمة بينها، فقالت طائفة: نريد طلحة والزبير وعائشة، وقالت طائفة: نريد أهل المغرب، وقالت طائفة: نريد عبد الله بن وهب الراسبي، وقتلتم أنتم: لا نريد إلا أهل نبينا الذين ابتدأنا الله عز وجل من قبلهم بالكرامة، تسديداً من الله عز وجل لكم وتوفيقاً، فلم تزالوا على الحق لازمين له آخذين به....

٧

ابن عباس*

(٣ق هـ - ٦٨هـ)

عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم، الصحابي الجليل، أبو العباس القرشي الهاشمي، ابن عم رسول الله ﷺ، المعروف بخبر الأمة. كان فقيهاً محدثاً مفسراً، مناظراً قديراً، لسنأ، من تلامذة أمير المؤمنين عليه السلام، وأمراء جيشه، المخلصين في ولاته.

* طبقات ابن سعد ٢/٣٦٥، التاريخ الكبير ٥/٢، رجال البرقي ٢، المعارف ٧٣، المعرفة والتاريخ ١/٢١٧، تاريخ يعقوب ٢/١٥٨، ١٦١، ١٩٠، ١٩١، ١٩٢، الجرح والتعديل ٥/١١٦، الثقات لابن حبان ٣/٢٤٨، مشاهير علماء الأمصار ٢٨ برقم ١٧، المعجم الكبير للطبراني ١٠/٢٣٢، مستدرک الحاكم ٣/٥٣٣، حلية الأولياء ١/٣١٤، رجال الطوسي ٢٢ برقم ٦، تاريخ بغداد ١/١٧٣، الاستيعاب ٣/٩٣٣ برقم ١٥٨٨، صفوة الصفوة ١/٣١٤، أسد الغابة ٣/١٩٢، تهذيب الأسماء واللغات ١/٢٧٤، رجال ابن داود ١٢١ برقم ٨٨٠، رجال العلامة الحلي ١٠٣، تهذيب الكمال ١٥/١٥٤ برقم ٣٣٥٨، سير أعلام النبلاء ٣/٣٣١ برقم ٥١، العبر ١/٥٦، تذكرة الحفاظ ١/٤٠، الوافي بالوفيات ١٧/٢٣١، نكت الحميان ١٨٠، مرآة الجنان ١/١٤٣، البداية والنهاية ٨/٢٩٨، الجواهر المضية ٢/٤١٥، تهذيب التهذيب ٥/٢٧٦، الاصابة ٢/٣٢٢-٣٢٦، مجمع الرجال ٤/٢٤، شذرات الذهب ١/٢٥، جامع الرواة ١/٤٩٤، الدرجات الرفيعة ١٠٣، تنقيح المقال ٢/١٩١ برقم ٦٩٢١، أعيان الشيعة ٨/٥٥، الأعلام ٤/٩٥، معجم رجال الحديث ١٠/٢٢٩ برقم ٦٩٤٣، قاموس الرجال ٦/٣، رسائل ومقالات للسبحاني ٣٠٤، موسوعة طبقات الفقهاء ١/١٦٤ برقم ٥١.

ولد بمكة قبل الهجرة بثلاث سنين.

ونشأ في بدء عصر النبوة، فلازم رسول الله ﷺ.

وقربه عمر في أيام خلافته، وشاوره مع كبار الصحابة، وجرى بينهما أكثر من حوار في مسألة حق علي عليه السلام في الخلافة.

ولما آلت الخلافة إلى علي عليه السلام آزره ابن عباس، وذبح عن قضية الإمامة والولاية، بلسانه وسنانه، حيث شهد وقائع الجمل وصفين والنهروان، وولي البصرة، ومثل الإمام علياً عليه السلام في العديد من المواقف، فأظهر مقدرة فائقة في المناظرة والحوار والاحتجاج، وأصبح في طليعة الرجال الذين يعتمدهم أمير المؤمنين عليه السلام ويتدبهم لمهام الأمور.

ثم سكن ابن عباس مكة المكرمة، فلما دعا ابن الزبير إلى نفسه، أبى أن يبايعه، فنفاه إلى الطائف، فتوفي بها سنة ثمان وستين.

ولابن عباس خطب ومناظرات واحتجاجات وأشعار، أبان فيها عن وعي عميق، وفطنة شديدة، وولاء ثابت لعلي عليه السلام، واعتقاد راسخ بحقه وحق أبنائه عليه السلام في ولاية الأمر، وكان يقول: الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب.

روى الزبير بن بكار في «الموفقيات» عن عبد الله بن عباس، قال: إني لأماشي عمر بن الخطاب في سكة من سكك المدينة، إذ قال لي: يا ابن عباس، ما أرى صاحبك إلا مظلوماً، فقلت في نفسي: والله لا يسبقني بها، فقلت: يا أمير المؤمنين، فاردّد إليه ظلامته، فانتزع يده من يدي، ومضى يهيمهم ساعة، ثم وقف فلحقته، فقال: يا ابن عباس، ما أظنهم منعهم عنه إلا أنه استصغره قوماً! فقلت في نفسي: هذه شر من الأولى، فقلت: والله ما استصغره الله ورسوله حين أمراه أن

يأخذ براءة من صاحبك. فأعرض عني وأسرع، فرجعت عنه.^(١)
 وقال ابن عباس: كنت عند عمر، فتنفس نفساً ظننت أن أضلعه قد
 انفرجت، فقلت: ما أخرج هذا النفس منك يا أمير المؤمنين إلا هم شديداً! قال:
 إي والله يا ابن عباس! إني فكّرت فلم أدري فيمن أجعل هذا الأمر بعدي! ثم قال:
 لعلك ترى صاحبك لها أهلاً! قلت: وما يمنعه من ذلك مع جهاده وسابقته
 وقرابته وعلمه! قال: صدقت....^(٢)

وروى عبد الله بن عمر قال: كنت عند أبي يوماً... فقال: يا ابن عباس،
 أتدري ما منع الناس منكم؟ قال: لا يا أمير المؤمنين، قال: لكنني أدري، قال: ما
 هو يا أمير المؤمنين؟ قال: كرهت قريش أن تجتمع لكم النبوة والخلافة، فيجحفوا
 جحفاً^(٣)، فنظرت قريش لنفسها فاخترت ووفقت فأصابت.

فقال ابن عباس: أيميط أمير المؤمنين عني غضبه فيسمع! قال: قل ما
 تشاء، قال: أما قول أمير المؤمنين: إن قريشاً كرهت، فإن الله تعالى قال لقوم:
﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أُنْزَلَ اللَّهُ فَاحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾.
 وأما قولك...

وأما قولك: (فإن قريشاً اختارت)، فإن الله تعالى يقول: **﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا
 يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾**، وقد علمت يا أمير المؤمنين أن الله اختار من
 خلقه لذلك من اختاره، فلو نظرت قريش من حيث نظر الله لها لوفقت وأصابت
 قريش....^(٤)

وقال ابن عباس من خطبة له: أيها الناس استعدوا للشخص إلى إمامكم

١. شرح نهج البلاغة/١٢/٤٦.

٢. شرح نهج البلاغة/١٢/٥١.

٣. جحف: تكبر.

٤. شرح نهج البلاغة/١٢/٥٢-٥٥.

وانفروا خفافاً وثقالاً وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فإنكم تقتاتلون المحلّين
القاسطين الذين لا يقرأون الكتاب ولا يعرفون حكم الكتاب ولا يدينون دين
الحق، مع أمير المؤمنين وابن عم رسول الله ﷺ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
والصاعد بالحق والمقيم بالهدى والحاكم بحكم الكتاب الذي لا يرتشي في الحكم
ولا يدهن الفجار ولا تأخذه في الله لومة لائم....

ولما خرج الحسين عليه السلام إلى الكوفة اجتمع ابن عباس و عبد الله بن الزبير
بمكة، فضرب ابن عباس جنب ابن الزبير، وتمثل:

يا لك من قُبْرَةٍ بمَعْمَرٍ خلا لك الجوّ فيضي واصفري
ونقري ما شئت أن تنقري

خلا لك والله يا ابن الزبير الحجاز، فقال ابن الزبير: والله ما ترون إلا أنكم
أحق بهذا الأمر من سائر الناس، فقال له ابن عباس:

إنما يرى من كان في شك، فأما نحن من ذلك فعلى يقين.^(١)
ومن شعر ابن عباس في أمير المؤمنين عليه السلام:

وصي رسول الله من دون أهله وفارسه إن قيل هل من مُنازل
فدونكه إن كنت تبغي مهاجراً أشمّ كنصل السيف غير حلال^(٢)
ولما حضرت ابن عباس الوفاة، قال:

اللهم إني أتقرب إليك بولاية علي بن أبي طالب.^(٣)

١. مختصر تاريخ دمشق لابن منظور ١٢/ ٣٢٥ (ترجمة عبد الله بن عباس).

٢. غير القوم: سيدهم، والحلال جمع حلال: الشجاع.

٣. فضائل الصحابة لابن حنبل ٢/ ٦٦٢، المناقب لابن شهر آشوب ٣/ ٢٠٠.

٨

عدي بن حاتم*

(....-٦٧هـ)

ابن عبد الله بن سعد بن الحشر الطائي، المكنى أبا طريف، أحد أجلاء الصحابة.

وفد على رسول الله ﷺ فأكرمه، ونزع وسادة كانت تحته فألقاها له حتى جلس عليها، فسأل النبي ﷺ عن أشياء، فأجابها عنها، فأسلم وحسن إسلامه. وبعثه النبي ﷺ سنة عشر على صدقات طي وأسد. وشهد فتوح العراق والشام وبلاد فارس آمراً على بعض الكتاب.

* المصنف لعبد الرزاق ٨٤٥٨، ٨٥٠٢، ٨٥٣٠، ٨٥٣١، ٨٦٢١، وقعة صفين ١٠٠، ١١٧، ١٣٧، ١٤٣، ١٩٧، ٢٠٥، ٣٥٩، وغير ذلك، طبقات ابن سعد ٦/٢٢، تاريخ خليفة ٥٧، ٦٢، ١٤٦، ٢٠٣، طبقات خليفة ١٢٧ برقم ٤٦٣ و ٢٢٥ برقم ٩٠٤، التاريخ الكبير ٧/٤٣ برقم ١٨٩، المعارف ١٧٧، المعرفة والتاريخ ٢/٤٢٩، الجرح والتعديل ٧/٢ برقم ١، الثقات لابن حبان ٣/٣١٦، أخبار شعراء الشيعة للمرزباني ٤٦ برقم ٨، حلية الأولياء ٤/١٢٤، تاريخ بغداد ١/١٨٩ برقم ٢٩، الاستيعاب ٣/١٠٥٧ برقم ١٧٨١ (ط. نهضة مصر)، الكامل لابن الأثير ١/٦٣١، ٢/٢٨٥، ٢٨٦، ٣٠١، ٣٤٥، ٣٤٧، وغير ذلك، تهذيب الأسماء واللغات ١/٣٢٧، تهذيب الكمال ١٩/٥٢٤ برقم ٣٨٨٤، سير أعلام النبلاء ٣/١٦٢ برقم ٢٦، العبر ١/٥٥، تهذيب التهذيب ٧/١٦٦ برقم ٣٣٠، الإصابة ٢/٤٦٠ برقم ٥٤٧٧، أعيان الشيعة ٨/١٤٢، شذرات الذهب ١/٧٤، الأعلام ٤/٢٢٠، معجم رجال الحديث ١١/١٣٤، موسوعة الإمام علي ١٢/٢١٣ برقم ٦٧، موسوعة طبقات الفقهاء ١/٢٠٠ برقم ٦١.

ثم سكن الكوفة.

وكان سيداً شريفاً في قومه، خطيباً، حاضر الجواب، فاضلاً كريماً.
شهد مع علي عليه السلام حروبه كلها، وكان من قادته الشجعان الأوفياء،
المخلصين له ولأبنائه عليه السلام، الذائدين عن حريم الحق والولاية.

وقد امتاز بقوة المناظرة، وقوة الفكرة، وبعد النظرة، وكان من الحكماء.
قال له علي عليه السلام - قبل أن ينشب القتال في معركة الجمل - : يا عدي، أنت
شاهد لنا، وحاضر معنا وما نحن فيه؟

فقال عدي: شهدتك أو غبتُ عنك، فأنا عند ما أحببت، هذه خيولنا
معدة، ورماحنا محددة، وسيوفنا مجرّدة، فإن رأيت أن نتقدّم تقدّمنا، وإن رأيت أن
نحجم أحجمنا، نحن طوع لأمرك، فأمر بما شئت، نسارع إلى امتثال أمرك.

وقال عدي في أيام حرب صفين: أيها الناس، إنّه والله لو غير علي دعانا إلى
قتال أهل الصلاة ما أجبناه، ولا وقع بأمر قطّ إلّا ومعه من الله برهان، وفي يديه
من الله سبب، وإنّه وقف عن عثمان بشبهة، وقاتل أهل الجمل على النكث، وأهل
الشام على البغي.^(١)

وقال معاوية - حينما بعثه علي عليه السلام إليه في أيام الهدنة -: أما بعد، فإنّا أتيناك
ندعوك إلى أمر يجمع الله به كلمتنا وأمتنا، ونحقن به الدماء، ونصلح ذات البين،
إنّ ابن عمك سيّد المسلمين أفضلها سابقة وأحسنها في الإسلام أثراً، وقد
استجمع له الناس....^(٢)

١. الإمامة والسياسة ١/ ١٤١.

٢. الكامل في التاريخ ٣/ ٢٨٩ (سنة ٣٧هـ).

وقال - لما رأى تناقل الناس عن الاستجابة للإمام الحسن عليه السلام في قتال معاوية - : أنا ابن حاتم، سبحانه الله ما أقبح هذا المقام، ألا تحييون إمامكم، وابن بنت نبيكم، أين خطباء المصر الذين ألسنتهم كالمخاريق في الدعة، فإذا جدّ الجدّ فرواغون كالثعالب، أما تخافون مقت الله، ولا عيبها ولا عارها؟... ثم مضى لوجهه فخرج من المسجد ودابته بالباب فركبها، ومضى إلى النخيلة، وأمر غلامه أن يلحقه بما يصلحه، وكان أول الناس عسكرياً.

توفي عدي بن حاتم بالكوفة سنة سبع وستين.

ومن شعره:

تفدي علياً مهجتي ومالي وأسرّتي يتبعها عيالي

وقال له معاوية يوماً: ما فعلت الطّرفات - يعني أولاده - ؟

قال: قُتلوا مع عليّ.

قال: ما أنصفك عليّ، قتل أولادك، وبقي أولاده.

فقال عدي: ما أنصفتُ عليّاً، إذ قُتل وبقيتُ بعده.

قيس بن سعد*

(....٥٩، ٦٠هـ)

ابن عبادة بن دُلَيْم بن حارثة الأنصاري الخزرجي، اليميني.
 خدم النبي ﷺ، فكان منه بمنزلة صاحب الشرطة من الأمير، وحمل راية
 الأنصار في بعض الغزوات، واستعمله النبي ﷺ على الصدقة.
 وكان فارساً شجاعاً، سياسياً ماهراً، مناضراً قديراً، خطيباً مفوهاً، متهاكاً في
 ولاء أهل البيت، متفانياً في نصرتهم. وهو من السابقين إلى الدفاع عن خلافة الحق
 وحق الخلافة، وإمامة أمير المؤمنين عليه السلام بعد رسول الله ﷺ^(١)، وقد بلغ به الأمر أن

* طبقات ابن سعد ٥٢/٦، طبقات خليفة ٢٣٥ برقم ٩٧٣ و ٤٩٤ برقم ٢٥٥٦، تاريخ خليفة ١٤٩،
 ١٥٢، ١٧٢، ٢٧٥، التاريخ الكبير ١٤١/٧ برقم ٦٣٦، رجال البرقي ٦٥، المعرفة
 والتاريخ ٢٩٩/١، تاريخ يعقوب ١٧٩/٢، ١٨٦، ١٨٧، ٢٠٢، ٢١٤، الجرح والتعديل ٩٩/٧
 برقم ٥٦٠، رجال الكشي ١٠٢ برقم ٤٩، الثقات لابن حبان ٣/٣٣٩، أخبار شعراء الشيعة
 للمرزباني ٤٣ برقم ٦، رجال الطوسي ٢٦ برقم ١ و ٥٤ برقم ١، تاريخ بغداد ١٧٧/١ برقم ١٧، أسد
 الغابة ٤/٢١٥، الكامل لابن الأثير ٣/٢٠١، ٢٦٨، ٢٦٩، ٢٧٠، ٢٧١، ٢٧٢، ٤٠٤، ٤٠٨،
 ٥٢٥، تهذيب الأسماء واللغات ٦١ برقم ٧٥، مختصر تاريخ دمشق ٢١/١٠٢، رجال ابن
 داود ٢٧٩ برقم ١٢١٠، تهذيب الكمال ٢٤/٤٠ برقم ٧١٧٩، سير أعلام النبلاء ٣/١٠٢ برقم ٢١،
 تهذيب التهذيب ٨/٣٩٥ برقم ٧٠٠، الإصابة ٣/٢٣٩ برقم ٧١٧٩، شذرات الذهب ١/٥٢،
 جامع الرواة ٢/٢٥، بهجة الآمال ٦/٨٩، أعيان الشيعة ٨/٤٥٢، الغدير ٢/٦٧،
 الأعلام ٥/٢٠٦، معجم رجال الحديث ١٤/٩٣ برقم ٩٦٥٢، قاموس الرجال ٧/٣٩٦.

١. موسوعة الإمام علي بن أبي طالب ١٢/٢٥٤.

خاصم أباه حين ذكر أمامه مرةً كلاماً كان سمعه من النبي في حقّ عليّ، فقال قيس لأبيه:

أنت سمعت رسول الله ﷺ يقول هذا الكلام في علي بن أبي طالب ثمّ تطلب الخلافة ويقول أصحابك منّا أمير ومنكم أمير....

ولآه الإمام علي عليه السلام مصر في صفر سنة (٣٦هـ)، فلما وصلها، قام فيهم خطيباً، وقال: الحمد لله الذي جاء بالحق وأمات الباطل وكبت الظالمين، إنّنا قد بايعنا خير من نعلم بعد نبينا ﷺ، فقوموا أيها الناس فبايعوه على كتاب الله وسنة رسوله، فإن نحن لم نعمل لكم بذلك فلا بيعه لنا عليكم. فقام الناس فبايعوا واستقامت مصر.

وسعى معاوية إلى استمالته، بالإغراء أولاً ثمّ بالتهديد ثانياً، فكتب إليه قيس: أمّا بعد فالعجب من استسقاطك رأيي والطمع في أن تسومني لا أبا لغيرك الخروج عن طاعة أولى الناس بالأمر وأقوهم بالحق وأهداهم سبيلاً وأقربهم من رسول الله وسيلة، وتأمّرني بالدخول في طاعتك طاعة أبعد الناس من هذا الأمر وأقوم بالنزور وأضلّهم سبيلاً...

وغزل قيس عن ولاية مصر بمحمد بن أبي بكر، وشهد مع علي عليه السلام وقعتي صفين والنهروان، وكان على ميمنة الجيش.

ولما ملك معاوية، وأحضر الناس لبيعته، قال قيس: إن كنت لأكره مثل هذا اليوم يا معاوية. ثمّ خاطب الناس، بقوله: لقد اعتضمت الشر من الخير، واستبدلتم الذل من العزّ، والكفر من الإيمان، فأصبحتم بعد ولاية أمير المؤمنين، وسيّد المسلمين، وابن عمّ رسول ربّ العالمين، وقصد وليكم الطليق ابن الطليق

يسومكم الحسف، ويسير فيكم بالعسف....^(١)

توفي بالمدينة سنة تسع وخمسين، وقيل: سنة ستين.

قال إبراهيم الثقفي: كان شيخاً شجاعاً مجرباً، مناصحاً لعلّي ولولده، ولم يزل على ذلك إلى أن مات.

١٠

كميل بن زياد*

(....-٨٢هـ)

ابن نُهَيْك بن هيثم النخعي الصُّهْبَانِي، الكوفي.

١. تاريخ اليعقوبي ٢/٢١٦.

* طبقات ابن سعد ٦/١٧٩، تاريخ خليفة ٢٢٢، طبقات خليفة ٢٤٩ برقم ١٠٥٨، التاريخ الكبير ٧/٢٤٣ برقم ١٠٣٦، رجال البرقي ٦، المعرفة والتاريخ ٢/٤٨١، تاريخ اليعقوبي ٢/٢٠٥، الفتوح لابن أعثم ٧/١٤١، الجرح والتعديل ٧/١٧٤ برقم ٩٩٥، المحن لأبي العرب ٢/٢١٢، الثقات لابن حبان ٥/٣٤١، المجروحين لابن حبان ٢/٢٢١، حلية الأولياء ١/٧٩، رجال الطوسي ٥٦ برقم ٦ و ٦٩ برقم ١، الكامل لابن الأثير ٣/١٣٨، ١٤٤، ١٨٣، ٢٠٥، ٣٧٦، ٣٧٩، ٤/٤٧٢، ٤٨١، شرح النهج لابن أبي الحديد ١٧/١٤٩، تهذيب الكمال ٢٤/٢١٨ برقم ٤٩٩٦، تاريخ الإسلام (سنة ٨١-١٠٠هـ) ١٧٦ برقم ١٣٣، ميزان الاعتدال ٣/٤١٥ برقم ٦٩٧٨، البداية والنهاية ٩/٥٠، تهذيب التهذيب ٨/٤٤٨، الإصابة ٣/٣٠٠ برقم ٧٥٠٣، مجمع الرجال ٥/٧٥، نقد الرجال ٢٧٧، جامع الرواة ٢/٣١، بهجة الأمال ٦/١٢٨، تأسيس الشيعة ٣٥٦، الأعلام ٥/٢٣٤، معجم رجال الحديث ١٤/١٢٨ برقم ٩٧٥٣، موسوعة طبقات الفقهاء ١/٤٩٨ برقم ٢٤١.

كان من أصحاب عليّ عليه السلام وشيعته وخاصته، مجاهداً، عابداً، مطاعاً في قومه.

أبعده سعيد بن العاص (والي الكوفة) مع عدد من أعلام الكوفة إلى الشام بأمر عثمان بن عفان سنة (٣٣هـ)، لتنديدهم بالسياسة التي كان ينتهجها الخليفة وبطانته (ومنهم السوالي المذكور)، وإعلانهم عن تبرمهم وسخطهم على التصرفات والممارسات المخالفة للسنة المطهرة ولموازين القسط والعدل.

ولزم الإمام علياً عليه السلام، وانقطع إليه، وجاهد بين يديه في معارك صفين.

ثم بعثه عليه السلام عاملاً له على هيت (بلدة على الفرات، غرب العراق).

عده السيد حسن الصدر من مشاهير المتكلمين من الشيعة، وقال: كان غنية علم نافعة، وشجرة مثمرة.

ولما غلب مطر بن ناجية الرياحي على الكوفة أيام ابن الأشعث، نهض كميل، وارتقى المنبر، وكان - كما يقول أبو العرب - خطيباً شريفاً، ففضح مساوئ الحكام الأمويين وأعدائهم، وحرّض الجماهير عليهم، حتى أثرت خطبته في نفوسهم^(١).

ولما ظفر الحجاج الثقفي، منع النخع أعطياتهم حتى يأتوه بكميل، فلما رأى ذلك أقبل على قومه فقال: أبلغوني الحجاج فأبلغوه، وجرى بينهما كلام (دلّ على ولائه لعليّ عليه السلام وقوة جنانه وثباته)^(٢)، عجز فيه الطاغية عن محاججته وإرعابه، فأمر بضرب عنقه، فالتحق بركب الشهداء الذين أريق دمواؤهم دفاعاً عن ولاية

١. انظر كتاب المحن لأبي العرب محمد بن أحمد التميمي (المتوفى ٣٣٣هـ).

٢. انظر تاريخ الإسلام، والكامل في التاريخ.

أمير المؤمنين عليه السلام ونهجه القويم، وذلك في سنة اثنتين وثمانين.^(١)

قال كميل: أخذ بيدي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، فأخرجني إلى الجبّان، فلما أصحرت نفس الصعداء، ثم قال:

يا كميل إن هذه القلوب أوعية، فخيرها أوعاها، فاحفظ عني ما أقول لك:

الناس ثلاثة: فعالم ربّاني، ومتعلّم على سبيل نجاة، وهمّج رعا عتباع كل ناعق يميلون مع كلّ ريح، لم يستضيئوا بنور العلم، ولم يلجأوا إلى ركن وثيق....

يا كميل هلك خزان الأموال وهم أحياء، والعلماء باقون ما بقي الدهر....
بل لا تخلو الأرض من قائم لله بحجة: إمّا ظاهراً مشهوراً، أو خائفاً مغموراً، لئلا تبطل حجج الله وبيّناته....

وقد روى صاحب الترجمة دعاء طويلاً عن أمير المؤمنين عليه السلام، عُرف باسم (دعاء كميل)، وقد اشتهر هذا الدعاء ولهجت بقراءته الألسن، لسموّ بيانه، وعمق مضامينه.

١. وقيل: سنة (٨٣هـ). قال ابن أبي الحديد: قتله الحجاج على المذهب فيمن قتل من الشيعة.

١١

الأشتر *

(....-٣٨هـ)

مالك بن الحارث بن عبد يغوث بن مسلمة النخعي، التابعي الكبير، أبو إبراهيم الكوفي، المعروف بالأشتر، وبكباش العراق. ولد قبل الإسلام، وعاصر النبي ﷺ، ولكنه لم يره. وكان شجاعاً مقداماً، قائداً مظفراً، خطيباً بليغاً، متكلماً مفوهاً، عميقاً

* طبقات ابن سعد ٢١٣/٦، طبقات خليفة ٢٤٩ برقم ١٠٥٧، تاريخ خليفة ١٢٩، التاريخ الكبير ٣١١/٧ برقم ١٣٢٥، رجال البرقي ٦، تاريخ يعقوبي ١٧٩/٢، ١٨٧، ١٩٤، الجرح والتعديل ٢٠٧/٨ برقم ٩١٠، رجال الكشي ٦١ برقم ١٧ (مؤسسة الأعلمي - كربلاء)، الثقات لابن حبان ٣٨٩/٥، الإرشاد للمفيد ٣٦٥، رجال الطوسي ٥٨ برقم ٥، الاستيعاب ٣٠١/١، الكامل لابن الأثير ١٣٣/٣، ١٣٨، ١٤٤، ١٤٨، ١٥٨، ٢٢٧، ٢٣١، ٢٥٠، ٢٩٤، ٣٠٠، ٣٧١، وغير ذلك، شرح النهج لابن أبي الحديد ٩٨/١٥، رجال ابن داود ٢٨٣ برقم ١٢٣٢، رجال العلامة الخلي ١٦٩ برقم ١، تهذيب الكمال ٢٧/١٢٦ برقم ٥٧٣١، سير أعلام النبلاء ٤/٣٤ برقم ٦، تاريخ الإسلام (عهد الخلفاء الراشدين) ٥٩٣، تهذيب التهذيب ١١/١٠، الإصابة ٤٥٩/٣، مجمع الرجال ٨٩/٥، جامع الرواة ٣٧/٢، بهجة الأسال ١٣٢٧، تنقيح المقال ٤٨/٢ برقم ١٠٠٢٥، أعيان الشيعة ٣٨/٩، الغدير ٣١/٩ برقم ٤٣، قائد القوات العلوية لعبد الواحد المظفر، الأعلام ٢٥٩/٥، معجم رجال الحديث ١٤/١٦١ برقم ٩٧٩٦، قاموس الرجال ٧/٤٦٣، موسوعة الإمام علي ١٢/٢٧٥، موسوعة طبقات الفقهاء ١/٥٠٥ برقم ٢٤٤.

الوحي، شديد التحقق بولاء أمير المؤمنين عليه السلام، من أكابر الشيعة وعظماؤها.
شهد وقعة اليرموك، وفيها شُترت عينه.
وسكن الكوفة.

ونفاه عثمان - مع عدد من أعلام الكوفة - إلى الشام عام (٣٣هـ) لاتهمهم
بتأليب الناس، والقدح في سيرته وسيرة سعيد بن العاص والي الكوفة
ولما استفحلت الثورة على عثمان وعمّاله، تسزّعم الأشر وغيره جموع
الناشرين من أهل الكوفة، وساروا إلى المدينة، هاتفين بإحياء أحكام القرآن والسنة
المطهرة، ومعتبرين - ولسانهم الأشر - عن ولائهم لأهل البيت ولعلي منار الهدى
وإمام الأمة.

ولما قُتل عثمان، قاد الأشر الجماهير إلى بيعة علي عليه السلام، وشهد معه وقعة
الجميل، ثم صار والياً في منطقة الجزيرة الفراتية (الواقعة على حدود الشام).
ثم شهد حرب صفين، فأبلى فيها بلاءً حسناً، وأذاق الأعداء الويل في كراته
الشديدة عليهم.

وأعيد - بعد انتهاء الحرب - إلى عمله في الجزيرة إلى أن اضطربت الأوضاع
في مصر، فبعثه عليه السلام والياً عليها بدلاً من محمد بن أبي بكر، فلقي حتفه في الطريق،
وقيل: مات مسموماً وهو المشهور^(١)، وذلك في سنة ثمان وثلاثين.^(٢)

وللأشر خطب ومناقشات وأشعار، عبّر فيها عن اتجاهه العقائدي بكل

١. قيل: إن معاوية دسّ إليه سمّاً على يد مولى له، ويقال مولى عثمان، وقال آخرون: إن معاوية كتب
إلى عامل الخراج بالقلزم أن يسمّه.

٢. وقيل: سنة (٣٩هـ).

جلاء، حيث دعا إلى الالتزام بعلي والانقياد لإمامته، باعتباره المرجع الفكري والسياسي للأمة بعد الرسول ﷺ، والحامل الحقيقي للرسالة، الذي يقام به الحق وتُصان الشريعة، كما حذر من مغبة مخالفته وعصيانه.

قال، وهو يحث الناس على البيعة: أيها الناس، هذا وصي الأوصياء، ووارث علم الأنبياء، العظيم البلاء، الحسن الغناء، الذي شهد له كتاب الله بالإيمان، ورسوله بجنة الرضوان، من كملت فيه الفضائل، ولم يشك في سابقته وعلمه وفضله الأواخر، ولا الأوائل^(١).

وقال، وقد استعدّ للقتال في صفين: ... معنا ابن عمّ نبينا، وسيف من سيوف الله علي بن أبي طالب، صلّى مع رسول الله، ولم يسبقه إلى الصلاة ذكر، حتى كان شيخاً لم تكن له صبوة، ولا نبوة، ولا هفوة، ولا سقطه، فقيه في دين الله، عالم بحدود الله، ذو رأي أصيل، وصبر جميل، وعفاف قديم... واعلموا أنكم على الحق، وأن القوم على الباطل... فما يشك في قتال هؤلاء إلا ميت القلب.

وقال من خطبة له في صفين: الحمد لله الذي جعل فينا ابن عمّ نبينا، أقدمهم هجرة، وأولهم إسلاماً، سيف من سيوف الله صبه على أعدائه، فانظروا إذا همي الوطيس، وثار القتام، وتكسرت المُران، وجالت الخيل بالأبطال....

وقال، مجيباً الشاب الذي تلا (حم) عندما همّ الأشتر بقتله:

يذكرني حاميم والسيف مصلت	فهلا تلا حاميم قبل التقدّم
هتكت له بالرمح جيب قميصه	فخرّ صريعاً لليدين وللنم
على غير شيء غير أن ليس تابعاً	علياً، ومن لا يتبع الحق يندم

١٢

المقداد بن الأسود*

(نحو ٣٧ ق. هـ - ٣٣ هـ)

المقداد بن عمرو بن ثعلبة بن مالك البهراني القضاعي، المعروف بالمقداد بن الأسود، ويقال له المقداد الكندي.

كان من كبار الصحابة النجباء الأبطال، السابقين إلى الإسلام. شهد بدرًا وأُحدًا والخندق وسائر المشاهد، وكان يوم فتح مكة على ميمنة

* طبقات ابن سعد ٣/١٦١، تاريخ خليفة ١٢٤، التاريخ الكبير ٨/٥٤ برقم ٢١٢٦، رجال البرقي ١، ٣، ٦٣، ٦٤، المعارف ١٥٠، المعرفة والتاريخ ٢/١٦١، تاريخ يعقوب ٢/١٦٣، المرح والتعديل ٨/٤٢٦ برقم ١٩٤٢، العقد الفريد ٣/٢٢٤، ٥/٣٢، الثقات لابن حبان ٣٢٧، حلية الأولياء ١/١٧٢، رجال الطوسي ٢٧ برقم ٨ و ٥٧ برقم ١، الاستيعاب ٤/١٤٨٠ برقم ٢٥٦١ (ط). نهضة مصر، الاحتجاج للطبرسي ١/١٩٤ (انتشارات أسوة)، صفة الصفوة ١/٤٢٣ برقم ٢٠، الكامل لابن الأثير ٢/٧٣، ١١١، ١١٨، ١٢٠، ١٥٢، ١٩٠، ٢٩٠، ٤٩٢، ٣/٦٧، ٦٨، ٧٠، ٧١، ١١١، ١٤٦، أسد الغابة ٤/٤٠٩، شرح النهج لابن أبي الحديد ٩/٢١، ٥٥، ٥٦، تهذيب الأسماء واللغات ٢/١١١ برقم ١٦٣، رجال العلامة ١٦٩ برقم ١، تهذيب الكمال ٢٨/٤٥٢ برقم ٦١٦٢، سير أعلام النبلاء ١/٣٨٥ برقم ٨١، مرآة الجنان ١/٨٩، تهذيب التهذيب ١٠/٢٨٥، الإصابة ٣/٤٣٣ برقم ٨١٨٥، التحرير الطاووسي ٢٧٢ برقم ٤٠٦، مجمع الرجال ٦/١٣٧، نقد الرجال ٣٥٣، جامع الرواة ٢/٢٦٢، تنقيح المقال ٢/٢٤٤ برقم ١٢٠٩٦، أعيان الشيعة ١٠/١٣٤، الأعلام ٧/٢٨٢، معجم رجال الحديث ١٨/٣١٤ برقم ١٢٦٠٧، قاموس الرجال ٩/١١١، موسوعة عظماء الشيعة ج ٣، موسوعة طبقات الفقهاء ١/٢٤٢ برقم ٧٨.

النبي ﷺ.

وفي يوم بدر، عندما استشار رسول الله ﷺ أصحابه بشأن الحرب، قال المقداد: يا رسول الله امض لما أمرت به فنحن معك، والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون﴾، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون، فوالذي بعثك بالحق نبياً لو سرت بنا إلى برك الغماد لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه.

ويُعدّ المقداد من شيعة أمير المؤمنين المخلصين ومن الأصفياء من أصحابه، وقف إلى جانبه ﷺ بحزم وصلابة، وأبى أن يبايع (مع عدد من المهاجرين والأنصار)^(١) أبا بكر، إيماناً منه بأن علياً ﷺ أولى الناس بالنبي ﷺ وأنه المستحق للخلافة وولاية الأمر.

وكان أحد المتكلمين الاثني عشر - كما يذكر البرقي في آخر رجاله - الذين احتجوا على الخليفة الأول، طالبين منه تسليم الأمر إلى من هو أحق به منه.

ولما صفق عبد الرحمان بن عوف (في قضية الشورى) على يد عثمان بالبيعة، قال المقداد: يا عبد الرحمان، أما والله لقد تركته (أي تركت علي بن أبي طالب) وإنه من الذين يقضون بالحق وبه يعدلون.

ثم قال: ما رأيت مثل ما أتى إلى أهل هذا البيت بعد نبئهم، إني لأعجب من قريش أنهم تركوا رجلاً ما أقول ولا أعلم أن رجلاً أفضى بالعدل ولا أعلم منه.

فقال عبد الرحمان: إني أخاف أن تكون صاحب فتنة وفرقة.

قال المقداد: إن من دعا إلى الحق وأهله وولاة الأمر لا يكون صاحب فتنة،

١. ولم يبايع هؤلاء، إلا بعد أن بايع الإمام علي ﷺ حرصاً على مصلحة الإسلام العليا.

ولكن من أقحم الناس في الباطل وأثر الهوى على الحق فذلك صاحب الفتنة والفرقة.^(١)

وكان المقداد يتخذ من مسجد الرسول ﷺ في المدينة مقراً لبث دعوته لعليّ عليه السلام، مبتدئاً بعرض ظلامته عليه، ثم يطرح أمام الجمهور فضائله وكراماته وسابقتها منتهياً ببيان أحقيته في الخلافة بأسلوب فريد وكأنه محام بارع أسند إليه القيام بهذا الدور.^(٢)

قال اليعقوبي: إن المقداد كان جاثياً على ركبتيه في مسجد رسول الله ﷺ، يتلَهف تلَهف من كأن الدنيا كانت له فسلَبها، وهو يقول:

واعجباً لقريش، ودفعهم هذا الأمر عن أهل بيت نبيهم، وفيهم أول المؤمنين، وابن عم رسول الله، أعلم الناس وأفقههم في دين الله، وأعظمهم غناء في الإسلام، وأبصرهم بالطريق، وأهداهم للصراط المستقيم، والله لقد زووها عن الهادي المهتدي الطاهر النقي، وما أرادوا إصلاحاً للأمة ولا صواباً في المذهب، ولكنهم آثروا الدنيا على الآخرة، فبعداً وسحقاً للقوم الظالمين.^(٣)

توفي بالجرف^(٤) سنة ثلاث وثلاثين وهو ابن سبعين سنة أو نحوها، ودفن بالمدينة المنورة.

١. انظر الكامل في التاريخ ٣/ ٧١، العقد الفريد ٥/ ٣٢، أعيان الشيعة ١٠/ ١٣٤.

٢. موسوعة عظماء الشيعة ٣/ ١٧٣.

٣. تاريخ اليعقوبي ٢/ ١٦٣. وانظر شرح النهج ٩/ ٢١.

٤. موضع على ثلاثة أميال من المدينة نحو الشام. معجم البلدان ٢/ ١٢٨.

١٣

ميثم التمار*

(.....٦٠هـ)

ميثم بن يحيى الأسدي بالولاء، الكوفي، التمار، صاحب أمير المؤمنين، وأمين أسرار، وأحد أعظم الشهداء في التشيع.

كان عبداً لامرأة من بني أسد، فاشتراه علي عليه السلام وأعتقه، وقربه وأدناه، وأفاض عليه من علومه ومعارفه واختصه بكثير من الأسرار، وكان يصحبه أحياناً عند المناجاة في الخلوات وعند خروجه في الليل إلى الصحراء، ويذكر له ما سوف يلاقه في سبيل الولاء، فيقول ميثم: هذا في الله قليل.

عده السيد حسن الصدر من مشاهير المتكلمين من الشيعة، وقال غيره: كان خطيب الشيعة بالكوفة ومتكلمها، وروى آخر أنه قال لابن عباس: سلني ما

* رجال البرقي ٤، تاريخ يعقوبي ٢/٢١٣-٢١٤، رجال الكشي ٧٤ برقم ٢٤ (مؤسسة الأعلمي - كربلاء)، الاختصاص للمفيد ٣، ٧، ٨، ٦١، ٧٥، ٧٦، الإرشاد للمفيد ٣٢٣، ٣٢٤، ٣٢٥، رجال الطوسي ٥٨ برقم ٦ و ٧٠ برقم ٣ و ٧٩ برقم ١، روضة الواعظين للفتال ٢٨٨، المناقب لابن شهر اشوب ٤/٣٨، شرح النهج لابن أبي الحديد ٢/٢٩١، الإصابة ٣/٤٧٩ برقم ٨٤٧٤، نقد الرجال ٣٥٩، جامع الرواة ٢/٢٨٤، تأسيس الشيعة ٢٨٣، أعيان الشيعة ١٠/١٩٨، الدرعية ٤/٣١٧ برقم ١٣٣٩، ميثم التمار لمحمد حسين المظفر، الأعلام ٧/٣٣٦، معجم رجال الحديث ١٩/٩٣ برقم ١٢٩١٤ و ٩٤ برقم ١٢٩١٦، قاموس الرجال ٩/١٦٤، موسوعة الإمام علي ١٢/٣١٧ برقم ٩٤، موسوعة طبقات الفقهاء ١/٥٣٦ برقم ٢٦٤.

شئت من تفسير القرآن، فإني قرأت تنزيله على أمير المؤمنين عليه السلام وعلمني تأويله، فأقبل ابن عباس يكتب، وذكره اليعقوبي في من حملوا العلم عن علي عليه السلام. وكان ميثم متفانياً في حب أهل البيت، مشهوراً بولائه ونصحه وإخلاصه لهم.

اعتُقل، وأُدخل على عبيد الله بن زياد والي الكوفة وقيل له: هذا كان من آثر الناس عند أبي تراب، قال: ويحكم هذا الأعجمي، قالوا: نعم، فقال له عبيد الله: أين ربك؟ قال: بالمرصاد للظلمة وأنت منهم....

ثم أمر به، فُصِّل على جذع نخلة، فجعل يهتف بالإمامة ويحدث الناس بفضائل علي وعدله، وبمساوئ بني أمية، فقبل لابن زياد: قد فضحككم هذا العبد، فقال: أجموه، فكان أول من أُلجم في الإسلام، ثم طُعن في اليوم الثالث بحربة فمات.

وكان استشهادَه قبل قدوم الحسين عليه السلام العراق بعشرة أيام، أي في نحو الثاني والعشرين من شهر ذي الحجة سنة ستين للهجرة.

متكلمو الشيعة

في

القرن الثاني

ابن داحة*

(.... حياً نحو ١٨٠ هـ)

إبراهيم بن سليمان بن داحة (و قيل: ابن أبي داحة) المزني، أبو إسحاق البصري، أحد الشخصيات البارزة في عصره.

لم نقف على أسماء المشايخ الذين أخذ عنهم العلم، سوى ما ذكر من أنه روى عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام، وعن محمد بن أبي عمير^(١)، ولكنه - كما يبدو من أخباره - قد بلغ مرتبة علمية واجتماعية رفيعة.

قال أبو العباس النجاشي: كان وجه أصحابنا البصريين في الفقه والكلام والأدب والشعر.

سمع منه أبو عثمان الجاحظ (١٦٣ - ٢٥٥ هـ)، وحكى عنه في كتابيه

* البيان والتبيين ٢/٦١، الحيوان للجاحظ ١/٦١، ٦٢، ٨٢/٢، ١٥٣، ٤٠٢/٣، ٦١/٦، رجال النجاشي ١/٨٧ برقم ١٣، فهرست الطوسي ٢٧ برقم ٣، معالم العلماء ٥ برقم ٨، رجال ابن داود ١٥ برقم ٢١، رجال العلامة الحلي ٤ برقم ٨، مجمع الرجال ١/٤٤، نقد الرجال ٩ برقم ٤٨، جامع الرواة ١/٢٢، بهجة الآمال ١/٥٢٨، تنقيح المقال ١/١٨ برقم ١٠٨، تأسيس الشيعة ٣٧٦، أعيان الشيعة ٢/١٤١، معجم رجال الحديث ١/٢٢٨ برقم ١٦٥، قاموس الرجال ١/١٣٦.

١. كذا نقل النجاشي عن «البيان والتبيين»، وفي المطبوع منه: محمد بن عمير.

«الحيوان» و «البيان و التبيين» في موارد متعددة، ووصفه بأنه من مشايخ الشيعة.

ولابن داحية مؤلفات لم نظفر بها و لا بأسمائها.

وكان شغوفاً بالعلم، كثير الاعتناء بالكتب.

حضر مجلس أبي عبيدة مَعْمَر بن المثنى (١١٠-٢٠٩هـ)، وأنشد فيه شعراً للسيد الحميري.

قيل لابن داحية - وأخرج كتاب أبي الشمقمق، وإذا هو في جلود كوفية ودقتين طائفيتين، بخط عجيب - : لقد أضيع من تجود بشعر أبي الشمقمق! فقال: لا جرم والله!! إنَّ العلم يُعْطِيكم على حساب ما تعطونه، ولو استطعت أن أودعه سويداء قلبي، أو أجعله محفوظاً على ناظري، لفعلت.

ولقد دخلتُ على إسحاق بن سليمان^(١) في إمرته، فرأيت السَّاطِين والرجال مثولاً كأنَّ على رؤوسهم الطير، ورأيت فِرْشَته وبزَّته، ثم دخلت عليه وهو معزول، وإذا هو في بيت كتبه، وحواليه الأسفاط والرُقُوق والقماطر والدفاتر والمساطر والمحابر، فما رأيته قطَّ أفخم ولا أنبل، ولا أهيب ولا أجزل منه في ذلك اليوم، لأته جمع مع المهابة المحبة، ومع الفخامة الخلاوة، ومع السؤدد الحكمة.^(٢)

لم نظفر بتاريخ وفاته، ولكنَّه كان حياً في العقد التاسع من القرن الثاني، لسماع الجاحظ منه، وللخبر الذي ذكرناه آنفاً (خبره مع إسحاق بن سليمان)، ولا ندري إلى أية سنة امتدَّ به العمر، وهل بقي إلى القرن الثالث أم لا.

١. هو إسحاق بن سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس، الهاشمي العباسي. ولي إمرة

المدينة (١٧٠هـ)، وإمرة مصر (١٧٧هـ)، فاستمر سنة وأياماً، وصُرف عنها. الأعلام ١/ ٢٩٥.

٢. الجاحظ، الحيوان ١/ ٦١-٦٢، ط ٣ (١٣٨٨هـ-١٩٦٩م).

١٥

السيد الحميري*

(١٠٥-١٧٣هـ)

إسماعيل بن محمد بن يزيد بن ربيعة، الشاعر المفلق، أبو هاشم الحميري،
الشهير بالسيد.

ولد بعمّان^(١) سنة خمس ومائة.

ونشأ بالبصرة بين أبوين إباحيين، بيد أنه رُزق حُبّ علي عليه السلام منذ صباه،
وأقام بالكوفة، يأخذ الحديث عن الأعمش، وعاش متردداً بينهما.

وقد قرض الشعر في وقت مبكر، وبرع فيه، وكرس أكثره لمدح العترة الطاهرة
والذّب عنهم، ونقد أعدائهم ومناوئهم، ولم يدع منقبة لأمر المؤمنين عليه السلام إلا نظم

* الأغاني ٧/ ٢٢٩-٢٧٨، أخبار السيد الحميري للمزباني ١٥١-١٧٩ (مطبوع مع أخبار شعراء
الشيعة)، رجال الكشي ٢٤٢ برقم ١٣٣ (مؤسسة الأعلمي - كربلاء)، رجال الطوسي ١٤٨ برقم
١٠٨، فهرست الطوسي ١٠٨ برقم ٣٥٢، معالم العلماء ١٤٦-١٤٧، وفيات الأعيان ٦/ ٣٤٣
(ضمن ترجمة يزيد ابن مفرغ المرقمة ٨٢١)، رجال ابن داود ٥٩ برقم ١٩٣، رجال العلامة الحلي ١٠
برقم ٢٢، فوات الوفيات ١/ ١٨٨ برقم ٧٢، الوافي بالوفيات ٩/ ١٩٦ برقم ٤١٠٣، لسان
الميزان ١/ ٤٣٦ برقم ١٣٥٤، جامع الرواة ١/ ١٠٢، منتهى المقال ٢/ ٨٦ برقم ٣٨٦، أعيان
الشيعة ١/ ١٣٤، ٣/ ٤٠٥، الغدير ٢/ ٢١٣-٢٧٨، الأعلام ١/ ٣٢٢، معجم رجال الحديث
١٧٧ برقم ١٤٢٣.

١. وفي الأعلام: نَعْمَان: وادٍ قريب من الفرات على أرض الشام، قريب من الرجعة.

فيها شعراً.

وكان على مذهب الكيسانية (القائلين بإمامة محمد بن الحنفية)، ثم عدل عنه إلى الإمامية، بتأثير من الإمام جعفر الصادق (المتوفى ١٤٨ هـ).

عدّه السيد محسن العاملي من متكلمي الشيعة، وقال: شعره مملوء بالاحتجاج، وله مناظرات جمّة.^(١)

وقال العلامة الأميني: إنّه كان عارفاً بالحجج الدينية، بصيراً بمناهج الحجاج في المذهب وإقامة الحجّة على من يُضادّه في المبدأ.^(٢)

وكان السيد الحميري - كما يقول أبو الفرج الأصبهاني - شاعراً متقدّماً مطبوعاً. يقال: إنّ أكثر الناس شعراً في الجاهلية والإسلام ثلاثة: بشار وأبو العتاهية والسيد، فإنّه لا يُعلم أنّ أحداً قدر على تحصيل شعر أحد منهم أجمع. توفي ببغداد سنة ثلاث وسبعين ومائة.^(٣)

وأخباره كثيرة جداً.

ومن شعره القصيدة العينية^(٤) في مدح أمير المؤمنين ﷺ، ومطلعها:

لأم عمرو باللّوى مربّع طامسة أعلامه بلقّع

ومنها:

١. أعيان الشيعة ١/ ١٣٤.

٢. الغدير ٢/ ٢٦.

٣. وقيل: (١٧٨ هـ)، و (١٧٩ هـ).

٤. شرحها لفيف من العلماء والأدباء، منهم العلامة الفاضل الهندي (المتوفى ١١٣٧ هـ) وسمّى شرحه:

اللائل العبقريّة في شرح العينية الحميرية (ط). تمّ تحقيقه في مؤسسة الإمام الصادق ﷺ، وقُدّم له العلامة جعفر السبحاني.

عجبتُ من قوم أتوا أحداً
قالوا له لو شئت أعلمتُنا
إذا تُوفيت وفارقتنا
فقال لو أعلمتكم مفزعاً
صنيع أهل العجل إذ فارقوا
وفي الذي قال بيان لمن
ثم أتته بعد ذا عزيمة
أبلغ وإلا لم تكن مبلغاً
فعندهما قام النبي الذي
يخطبُ مأموراً وفي كفه
رافعها أكرم بكف الذي
يقول والأملاك من حوله
من كنت مولاه فهذا له
فاتهموه وانحنئ منهم
وضل قوم غاظهم قوله
بخطبة ليس لها موضع
إلى من الغاية والمفزع
وفيههم في الملك مَنْ يطمع
ماذا عسيتم فيه أن تصنعوا
هارون، فالتَّرك له أوسع
كان لسه أذن بها يسمع
من ربِّه ليس لها مَدْفَع
والله منهم عاصمٌ يَمْنَع
كان بما يأمره يصدع
كفٌ عليّ نسورهما يلمع
يسرفع والكف التي تُسرفع
والله فيهم شاهِدٌ يسمع
مولي فلم يرضوا ولم يقنعوا
على خلاف الصادق الأضلع
كانها أنسافهم مُجدع

١٦

الأصبع بن نُبّانة*

(... - بعد ١٠٠ هـ)

ابن الحارث بن عمرو المجاشعي التميمي، أبو القاسم الكوفي، أحد كبار التابعين.

صحاب أمير المؤمنين عليه السلام، واختصّ به، وشهد معه الجمل وصفين، وأخذ عنه كثيراً، وروى عنه عهده إلى مالك الأشتر، ووصيته عليه السلام إلى ابنه محمد المعروف بابن الحنفية.

وروى أيضاً عن: الإمام الحسن المجتبي عليه السلام، وأبي أيوب الأنصاري، وغيرهما.

* طبقات ابن سعد ٦/٢٢٥، التاريخ الكبير ٢/٣٥ برقم ١٤٩٥، رجال البرقي ٥، المعارف ٣٤١، الجرح والتعديل ٢/٣١٩ برقم ١٢١٣، رجال الكشي ٩٦ برقم ٤٢، رجال النجاشي ١/٦٩ برقم ٤، رجال الطوسي ٣٤ برقم ٢، فهرست الطوسي ٦٢ برقم ١١٩، معالم العلماء ٢٧ برقم ١٣٨، رجال ابن داود ٥٢ برقم ٢٠٤، رجال العلامة الحلي ٢٤ برقم ٩، تهذيب الكمال ٣/٣٠٨ برقم ٥٣٧، تاريخ الإسلام (سنة ١٠١ - ١٢٠ هـ) ٢٨ برقم ١١، تهذيب التهذيب ١/٢٦٢ برقم ٦٥٨، تقريب التهذيب ١/٨١ برقم ٦١٣، مجمع الرجال ١/٢٣١ - ٢٣٣، جامع الرواة ١/١٠٦، رجال السيد بحر العلوم ١/٢٦٦، تنقيح المقال ١/١٥٠ برقم ١٠٠٨، تأسيس الشيعة ٣٥٨، أعيان الشيعة ٣/٤٦٤ - ٤٦٦، معجم رجال الحديث ٣/٢١٩ برقم ١٥٠٩، قاموس الرجال ٢/١٠٣، موسوعة طبقات الفقهاء ١/٢٩١ برقم ١٠٠.

وكان متكلماً في الأصول^(١)، عالماً بالحديث، شاعراً، ناسكاً، من فرسان أهل العراق.

له كتاب عجائب أحكام أمير المؤمنين، وكتاب مقتل الحسين.

روي عن الأصمغ أن رجلاً يقال له ذعلب، سأل أمير المؤمنين قائلاً:

يا أمير المؤمنين هل رأيت ربك؟ قال: ويلك يا ذعلب لم أكن بالذي أعبد رباً لم أره، قال: فكيف رأيته؟ صفه لنا؟ قال: ويلك لم تره العيون بمشاهدة الأبصار، ولكن رأته القلوب بحقائق الإيمان، ويلك يا ذعلب إن ربّي لا يوصف بالبعد، ولا بالحركة، ولا بالسكون، ولا بالقيام قيام انتصاب، ولا بجيشة ولا بذهاب، لطيف اللطافة لا يوصف باللطف، عظيم العظمة لا يوصف بالعظم، كبير الكبرياء لا يوصف بالكبر، جليل الجلالة لا يوصف بالغلظ، رؤوف الرحمة لا يوصف بالرقّة، مؤمن لا بعبادة، مُدرك لا بمجسّنة، قائل لا باللفظ، هو في الأشياء على غير تمّازجة، خارجٌ منها على غير مُباينة....^(٢)

توفي الأصمغ بعد سنة مائة، وقد عمّر طويلاً.

١. تأسيس الشيعة.

٢. الصدوق، التوحيد ٣٠٥، كتاب التوحيد، الباب ٤٣.

١٧

جابر بن حيّان*

(حدود ١٢٠-٢٠٠هـ)

ابن عبد الله، أبو موسى الكوفي، أحد فلاسفة الشيعة، وأكابر المفكرين.
كان عالماً بالكيمياء، فيلسوفاً، غزير الانتاج في مختلف حقول المعرفة.
ولد حدود سنة عشرين ومائة.

وورد - حسب قول هوليارد - بلاد الجزيرة العربية، للاتصال بقيبيلته (الأزد)،
وبقي هناك إلى أن بلغ أشده، فأتقن العربية، وتعلّم القرآن والحساب وعلوماً
أخرى.^(١)

وتلمذ للإمام جعفر الصادق عليه السلام، واختص به، ووصفه بسيد أهل زمانه.

* الفهرست للنديم ٥١٢-٥١٧ (ط. الاستقامة - القاهرة)، كشف الظنون ١/٨٣، ٩١٤، ١١٦٠/٢،
١١٦١، ١٤١٥، ١٤١٦، ١٤١٩، وغيرها، إيضاح المكنون ٢/٢٨٨، أعيان الشيعة ٤/٣٠،
الأعلام ٢/١٠٣، معجم المؤلفين ٣/١٠٥، معجم رجال الحديث ٤/٩ برقم ٢٠٠٩، قاموس
الرجال ٢/٣٠٦، مستدركات أعيان الشيعة ٣/٤٦، فلاسفة الشيعة ١٨٤، معجم التراث
الكلامي ٤/٤٤١ برقم ٩٦١٨.

١. قيل إنّ والده كان عطاراً بالكوفة، وإنّه في خلال رحلة له إلى خراسان، وُلد له فيها ولده جابر، وإن
والي خراسان قتل والده لاتهامه بالتشيع، ثمّ إنّ جابراً اليتيم قدّر له من أرسله إلى أهله الأزدية في
الكوفة، وقيل إنّ والده نزع (مع زوجته وولده جابر) من الكوفة إلى طوس (بخراسان)، ثمّ أرسل
جابر إلى الجزيرة العربية.

وكان قد وجد في إمامه الفذّ (الصادق عليه السلام) سنداً ومعيناً، ورائداً أميناً، وموجّهاً لا يستغني عنه.^(١)

ثمّ اتصل بالبرامكة، وانقطع إلى جعفر بن يحيى البرمكي. وتقدّم في الفلسفة والحكمة والمنطق وغير ذلك، واشتهر بالكيماء، ووضع فيها تأليف كثيرة مشهورة، وأصبح إمام هذا الفنّ من غير منازع. وحاز شهرة واسعة عند الافرنج بما نقلوه من كتبه في بدء نهضتهم العلمية. قال برتلو: الجابر في الكيماء ما لأرسطوطاليس قبله في المنطق. وللمترجم تأليف جمّة، منها كتب في مذاهب الشيعة^(٢)، و(٣٠٠) مؤلف في الفلسفة، و(٥٠٠) مؤلف في النقض على الفلاسفة.

وإليك جملة من مؤلفاته في الحكمة والمنطق والفلسفة والكلام: كتاب الإمامة^(٣)، مقدمة المعرفة^(٤)، القديم، الحكمة المصونة، العدل، اللاهوت، صندوق الحكمة، كتاب إلهي، صفة الكون، كتاب الجاروف الذي نقضه المتكلّمون (وقيل هو لأبي سعيد المصري)، ومصححات أرسطاليس، وغير ذلك. توفي سنة مائتين، وقيل غير ذلك.

١. من كلام هولبارد في كتابه «صانعو الكيماء». انظر فلاسفة الشيعة.

٢. انظر الفهرست للنديم.

٣. ذكره المترجم في كتابه «نخب كتاب القديم». الذريعة ١١١ / ١١١ برقم ٦٨٧.

٤. ويقصد بحسب الظاهر منه المسألة الكلامية المعروفة، هل حيّ بالاضطرار أم لا، وما يتبعها من مباحث. فلاسفة الشيعة.

١٨

الجُعفي*

(...١٢٨هـ)

جابر بن يزيد بن الحارث الجعفي، الكوفي، التابعي، أحد كبار علماء الشيعة.

قال السيد حسن الصدر في حقّه: المتبحّر في أصول الدين والفقه والتفسير والآثار على مذهب أهل البيت.

* طبقات ابن سعد ٦/ ٣٤٥، طبقات خليفة ٢٧٦ برقم ١٢٢١، تاريخ خليفة ٣٠٢ (سنة ١٢٧هـ)، التاريخ الكبير ٢/ ٢١٠ برقم ٢٢٢٣، رجال البرقي ٩، ١٦، الجرح التعديل ٢/ ٤٩٧ برقم ٢٠٤٣، رجال الكشي ١٦٩ برقم ٧٨ (مؤسسة الأعلمي - كربلاء)، الكامل لابن عدي ٢/ ١١٣ برقم ١/ ٣٢٦، رجال النجاشي ١/ ٣١٣ برقم ٣٣٠، رجال الطوسي ١١١ برقم ٦ و ١٦٣ برقم ٣٠، فهرست الطوسي ٧٠ برقم ١٥٨، معالم العلماء ٣٢، المنتظم لابن الجوزي ٧/ ٢٦٧ برقم ٦٩١، رجال ابن داود ٨٠ برقم ٢٨٦، رجال العلامة الحلي ٣٥ برقم ٢، تهذيب الكمال ٤/ ٤٦٥ برقم ٨٧٩، ميزان الاعتدال ١/ ٣٧٩، تاريخ الإسلام (سنة ١٢١ - ١٤٠هـ) ٥٩، تهذيب التهذيب ٢/ ٤٦، التحرير الطاووسي ٦٨ برقم ٧٨، مجمع الرجال ٢/ ٧، نقد الرجال ٦٥، جامع الرواة ١/ ١٤٤، بهجة الآمال ٢/ ٤٨٧، إيضاح المكنون ١/ ٣٠٤، ٢/ ٣٠٩ و ٣١٩ و ٣٤٨، تنقيح المقال ١/ ٢٠١ برقم ١٦٢١، تأسيس الشيعة ٣٥٨، أعيان الشيعة ٤/ ٥١، الذريعة ٤/ ٢٦٨ برقم ١٢٤٥، الأعلام ٢/ ١٠٥، الإمام الصادق والمذاهب الأربعة ٢/ ٤٤٧، معجم المؤلفين ٣/ ١٠٦، معجم رجال الحديث ٤/ ١٧ برقم ٢٠٢٥، قاموس الرجال ٢/ ٣٣٣، موسوعة طبقات الفقهاء ١/ ٣٠٧ برقم ١١٠.

اختص بالإمام أبي جعفر محمد الباقر عليه السلام ^(١)، وأخذ عنه علماء جماً، كما أخذ عن الإمام أبي عبد الله جعفر الصادق عليه السلام.

وروى عن: الشهيد زيد بن علي، وجابر بن عبد الله الأنصاري، وأبي الطفيل عامر بن واثلة الكناني، وعمار الدهني، وسويد بن غفلة، وآخرين.

وكان واسع الرواية، غزير العلم.

ألّف كتباً، منها: التفسير، والفضائل، ومقتل أمير المؤمنين عليه السلام، ومقتل الحسين عليه السلام، وصفين، والنوادر، وغيرها.

توفي بالكوفة سنة ثمان وعشرين ومائة. ^(٢)

روى المترجم عن الباقر عليه السلام أنه قال: يا جابر إنّ الله تبارك وتعالى لا نظير له ولا شبيهه، تعالى عن صفة الواصفين، وجلّ عن أوهام المتوهّمين، واحتجب عن أعين الناظرين، لا يزول مع الزائلين، ولا يافلّ مع الأفلين، ليس كمثله شيء وهو السميع العليم. ^(٣)

وللإمام الباقر عليه السلام وصية لجابر، تقتطف منها ما يلي:

واعلم بأنّك لا تكون لنا ولياً حتّى لو اجتمع عليك أهل مصرك، وقالوا: إنّك رجل سوء لم يحزنك ذلك، ولو قالوا: إنّك رجل صالح لم يسرك ذلك، ولكن اعرض نفسك على كتاب الله، فإن كنت سالكاً سبيله، زاهداً في تزيده، راغباً في ترغيبه، خائفاً من تخويفه، فاثبت وأبشر، فإنّه لا يضرك ما قيل فيك، وإن كنت مبائناً للقرآن، فماذا الذي يغرك من نفسك؟

١. وكان إذا حدّث عن الباقر عليه السلام يقول: حدّثني وصي الأوصياء. ميزان الاعتدال.

٢. وقيل: سنة (١٢٧هـ).

٣. الصدوق، التوحيد ١٧٩، باب نفي الزمان والمكان والحركة عنه تعالى، الحديث ١٣.

١٩

حديد بن حكيم*

(.... حياً قبل ١٨٣ هـ)

الأزدي، أبو علي المدائني، أحد شيوخ الشيعة.^(١)أخذ العلم عن الإمام أبي عبد الله جعفر الصادق، وولده الإمام أبي الحسن موسى الكاظم عليه السلام.

وحدث، فروى عنه: حريز بن عبد الله الأزدي، وأبان بن عثمان الأحمر، والحسن بن محبوب، ومحمد بن سنان الزاهري، وآخرون.

وألّف كتاباً، رواه عنه محمد بن خالد البرقي.

وصفه أبو العباس النجاشي بقوله: ثقة، وجه، متكلم.

* رجال البرقي ٤٥، رجال النجاشي ١/ ٣٤٧ برقم ٣٨٣، رجال الطوسي ١٨١ برقم ٢٧٦، فهرست الطوسي ٨٩ برقم ٢٥٤، تاريخ بغداد ٨/ ٢٨٠ برقم ٤٣٧٧، معالم العلماء ٤٤ برقم ٢٨٧، رجال ابن داود ١٠١ برقم ٣٨٣، رجال العلامة الخلي ٦٤ برقم ٩، لسان الميزان ٢/ ١٨١، مجمع الرجال ٢/ ٨٦، نقد الرجال ٨٣، جامع الرواة ١/ ١٨١، بهجة الآمال ٣/ ٤٢، تنقيح المقال ١/ ٢٥٨ برقم ٢٣٥٥، أعيان الشيعة ٤/ ٥٨٨، الذريعة ٦/ ٣٢٠ برقم ١٧٨٥، معجم رجال الحديث ٤/ ٢٣٨ برقم ٢٦١٠ و ٢٦١١، قاموس الرجال ٣/ ٨٩، رسائل ومقالات للسبحاني ٣١٦، موسوعة طبقات الفقهاء ٢/ ١١٤ برقم ٣٥٤.

١. وصفه بذلك الدارقطني في «المؤتلف والمختلف». لسان الميزان ٢/ ١٨١.

وقال علي بن الحكم: كان عظيم القدر، وافر العقل، مشهوراً بالفضل.
 روى المترجم بسنده عن ابن عباس، قال: رأى رسول الله ﷺ بني أمية على منبره، فسأه ذلك، فأوحى الله إليه: إنما هو ملك يصيبونه، ونزلت ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ * لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ^(١).
 لم نظفر بتاريخ وفاة المترجم.

٢٠

الحسن بن صالح*

(١٠٠-١٦٩هـ)

ابن صالح بن مسلم بن حيّ الهمداني الثوري، أبو عبد الله الكوفي.

١. تاريخ بغداد.

* طبقات ابن سعد ٦/٣٧٥، التاريخ الكبير ٢/٢٩٥، المعارف ٢٨٤، المعرفة والتاريخ ٢/٨٠٥، مقالات الإسلاميين للأشعري ٦٨-٦٩، الثقات لابن حبان ٦/١٦٤، مشاهير علماء الأمصار ٢٦٨، الفهرست للنديم ٢٦٧ (ط. الاستقامة - القاهرة)، الفرق بين الفِرَق ٣٣ برقم ٥١، حلية الأولياء ٧/٣٢٧، طبقات الفقهاء للشيرازي ٨٥، الملل والنحل للشهرستاني ١/١٦١، المنتظم لابن الجوزي ٨/٣١٣، الكامل لابن الأثير ٦/٧٦، تهذيب الكمال ٦/١٧٧ برقم ١٢٣٨، سير أعلام النبلاء ٧/٣٦١ برقم ١٣٤، العبر ١/١٩٠، تذكرة الحفاظ ١/٢١٦، تهذيب التهذيب ٢/٢٨٥ برقم ٥١٦، طبقات الحفاظ ٩٨ برقم ١٩٣، شذرات الذهب ١/٢٦٢، جامع الرواة ١/٢٠٤، أعيان الشيعة ٥/١١٩، الأعلام ٢/١٩٣، معجم المؤلفين ٣/٢٣١، معجم رجال الحديث ٤/٣٦١ برقم ٢٨٧٣، قاموس الرجال ٣/١٨٠، موسوعة طبقات الفقهاء ٢/١٢٩ برقم ٣٦٥، أعلام المؤلفين الزيدية ٣٢١ برقم ٣٠٣.

كان فقيهاً، متكلماً، من كبار علماء الشيعة الزيدية.

ولد سنة مائة.

وروى عن الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام، وعن: جابر بن يزيد الجعفي، وسلمة بن كهيل، وشهاب بن عباد ربه، ومنصور بن المعتمر، وأبي إسحاق السبيعي، وآخرين.

واشتهر بالزهد والعبادة، وله مقالات انتحلها فرقة عُرفت بالصالحية. ^(١) وكان لا يصلي خلف فاسق (ولهذا ترك الجمعة) ولا يصحح ولاية الإمام الفاسق، ويرى وجوب القتال مع ولّد علي عليه السلام ضدّ الحكّام الجائرين، ويثبت الإمامة لكلّ من نهض منهم.

وقد ألّف كتباً، منها: التوحيد، إمامة ولد علي من فاطمة، والجامع في الفقه.

توفي بالكوفة سنة تسع وستين ومائة ^(٢)، بعد أن عاش متوارياً عن المهدي العباسي سبع سنوات.

١. لم يذكر أبو منصور البغدادي هذه الفرقة، وإنّما ذكر البُترية، وقال: هؤلاء أتباع رجلين: أحدهما الحسن بن صالح بن حي، والآخر كثير النواء، الملقب بالأبتر، وقال الشهرستاني إنّ الصالحية والبترية كانتا على مذهب واحد. انظر الفرق بين الفرق ٣٣ والملل والنحل ١/ ١٥٦.

٢. وقيل: سنة (١٦٨ هـ).

٢١

الصَّخَّافُ*

(.... حياً قبل ١٨٣ هـ)

الحسين بن نعيم الأسدي بالولاء، الكوفي، الصَّخَّافُ.
 كان من تلامذة الإمامين أبي عبد الله الصادق وأبي الحسن الكاظم عليه السلام.
 روى عنهما وعن عدد من رجال مدرسة أهل البيت، منهم: ذريح بن محمد
 المحاربي، وعلي بن يقطين، وسدير بن حُكيم الصيرفي، وأبو سيار مِسْمَع بن عبد
 الملك القيسي.

ومهر في الكلام

وَأَلَّفَ كتاباً، رواه عنه محمد بن أبي عمير الأزدي (المتوفى ٢١٧ هـ)، وغيره.
 ذكره محمد بن عبده الناسب^(١)، وقال: كان متكليماً مجيداً.

* رجال النجاشي ١/ ١٦٤ برقم ١١٩، رجال الطوسي ١٦٩ برقم ٦٥، فهرست الطوسي ٨١ برقم ٢١٨،
 معالم العلماء ٣٩ برقم ٢٤٣، رجال ابن داود ١٢٧ برقم ٤٩٢، رجال العلامة الحلي ٥١ برقم ١٧،
 مجمع الرجال ٢/ ٢٠٤، نقد الرجال ١١١، جامع الرواة ١/ ٢٥٨، بهجة الآمال ٣/ ٣٢٠، تنقيح
 المقال ١/ ٣٤٨ برقم ٣٠٩٣، أعيان الشيعة ٦/ ١٨٩، معجم رجال الحديث ٦/ ١٠٨ برقم ٣٧٢٤ و
 ١١٩ برقم ٣٦٩٣، قاموس الرجال ٣/ ٣٤١.

١. كان معاصراً لابن الشَّكَّيت (المستشهد ٢٤٤ هـ)، وقد تتلمذ كلاهما على العلامة محمد بن سلمة
 ابن أرَّطِيبَيل الشَّكَّري. انظر رجال النجاشي ٢/ ٢١٧ برقم ٨٩٦، وموسوعة طبقات
 الفقهاء ٣/ ٥٠٩ برقم ١١١٨.

قال الصحاف: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: لم يكون الرجل عند الله مؤمناً قد ثبت له الإيمان عنده ثم ينقله الله بعد من الإيمان إلى الكفر؟ قال، فقال: إن الله عز وجل هو العدل، إنما دعا العباد إلى الإيمان به لا إلى الكفر، ولا يدعو أحداً إلى الكفر به، فمن آمن بالله ثم ثبت له الإيمان عند الله لم ينقله الله عز وجل [بعد ذلك] من الإيمان إلى الكفر، قلت له: فيكون الرجل كافراً قد ثبت له الكفر عند الله ثم ينقله بعد ذلك من الكفر إلى الإيمان؟ قال، فقال: إن الله عز وجل خلق الناس كلهم على الفطرة التي فطرهم عليها، لا يعرفون إيماناً بشريعة ولا كفراً بجحود، ثم بعث الله الرسل تدعوا العباد إلى الإيمان به، فمنهم من هدى الله، ومنهم من لم يهده الله.^(١)

لم نقف على تاريخ وفاة المترجم.

١. الكليني، الكافي ٢/ ٤١٦، كتاب الإيمان والكفر، الباب ١٨١، الحديث ١.

٢٢

حُمران بن أعين *

(....حدود ١٣٠هـ)

ابن سنسن الشيباني بالولاء، أبو الحسن أو أبو حمزة الكوفي، أحد أجلاء التابعين، وأكابر علماء الشيعة.

لقي الإمام زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام.

واختص بالإمامين محمد الباقر وجعفر الصادق عليهما السلام، وأخذ عنهما علماً جماً، وروى عنهما وعن: أبي الطفيل عامر بن واثلة الليثي الصحابي، وعبيد بن نضيلة، وغيرهما.

* التاريخ الكبير ٣/ ٨٠ برقم ٢٨٩، رجال البرقي ١٤ و ١٦، الجرح والتعديل ٣/ ٢٦٥ برقم ١١٨٥، رجال الكشي ١٥٧ برقم ٧١ (مؤسسة الأعلمي - كربلاء)، الثقات لابن حبان ٤/ ١٧٩، الكامل لابن عدي ٢/ ٤٣٦ برقم ١٧٩/ ٥٤٨، رسالة أبي غالب الزراري ١٢٩، الفهرست للنديم ٣٢٢ (ضمن آل زارة بن أعين)، رجال الطوسي ١١٧ برقم ٤١ و ١٨١ برقم ٢٧٤، رجال ابن داود ١٣٤ برقم ٥١٨، رجال العلامة الحلي ٦٣ برقم ٥ و ٥٩ (مع حجر بن زائدة)، تهذيب الكمال ٧/ ٣٠٦ برقم ١٤٩٧، تاريخ الإسلام (سنة ١٢١ - ١٤٠هـ) ٤٠٢، ميزان الاعتدال ١/ ٦٠٤ برقم ٢٢٩٢، غاية النهاية في طبقات القراء ١/ ٢٦١ برقم ١١٨٩، تهذيب التهذيب ٣/ ٢٥ برقم ٣٢، نقد الرجال ١١٨، جامع الرواة ١/ ٢٧٨، بهجة الآمال ٣/ ٣٨٢، تنقيح المقال ١/ ٣٧٠ برقم ٣٣٥١، أعيان الشيعة ٦/ ٢٣٤، معجم رجال الحديث ٦/ ٢٥٥ برقم ٤٠١٧، قاموس الرجال ٣/ ٤١٢، موسوعة طبقات الفقهاء ١/ ٣٣٠ برقم ١٢٣.

وأصبح فقيهاً، مقرئاً، عالماً بالنحو واللغة، عارفاً بالكلام والمناظرة، ذا منزلة رفيعة عند الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام.

وكان يجلس مع أصحابه للمناظرة والمذاكرة بأمر آل محمد عليهم السلام حتى إذا خلطوا به حديثاً آخر، ردّهم إليه فإن أصرّوا على تركه قام عنهم وتركهم.

وهو أحد المتكلمين الذين تصدّوا لمناظرة الرجل الشامي بمحضر الإمام الصادق عليه السلام، وقد خاطبه عليه السلام - بعد خروجه من المناظرة ظافراً - بقوله: يا حمران تجري الكلام على الأثر فتصيب^(١).

توفّي حدود سنة ثلاثين ومائة أو قبلها.

١. انظر الخبر في الكافي ١/ ١٧١، باب الاضطرار إلى الحجّة، الحديث ٤، ومنه تظهر عناية الإمام الصادق عليه السلام بالعالم المتخصص في فنّ من الفنون، واهتمامه به من خلال نقده وتوجيهه وتقييمه وتشجيعه.

٢٣

الفراهيدي*

(٩٦-١٧٠هـ)

الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي اليعمدي الأزدي، أبو عبد
الرحمان البصري، اللغوي، العروضي، أحد أجلاء علماء الشيعة.

ولد بالبصرة سنة ست وتسعين.^(١)

وأخذ عن: أبي عمرو بن العلاء، وأيوب السختياني، وعاصم الأحول،
والعوام بن حوشب، وغالب القطان، وعيسى بن عمر الثقفي، وآخرين.

* مروج الذهب ٢٣٣/٤ (ط. دار الأندلس)، الثقات لابن حبان ٢٢٩/٨، الفهرست للنديم
٦٩ (ط. الاستقامة - القاهرة)، معجم الأدباء ١١/٧٢ برقم ١٧، الكامل لابن
الأثير ٥٠/٦ (حوادث سنة ١٦٠هـ)، تهذيب الأسماء واللغات ١/١٧٧ برقم ١٤٩، وفيات
الأعيان ٢/٢٤٤ برقم ٢٢٠، رجال ابن داود ١٤١ برقم ٥٦٤، رجال العلامة الحلي ٦٧ برقم ١٠،
تهذيب الكمال ٨/٣٢٦ برقم ١٧٢٥، مرآة الجنان ١/٣٦٢، البداية والنهاية ١٠/١٦٦، تهذيب
التهذيب ٣/١٦٣ برقم ٣١٢، بغية الوعاة ١/٥٥٧ برقم ١١٧٢، كشف الظنون ٢/١١٣٦،
١٤٣٨، ١٤٤١، ١٤٦٧، شذرات الذهب ١/٢٧٥، روضات الجنات ٣/٢٨٩ برقم ٢٩٤،
إيضاح المكنون ٢/٢٧٧، ٣٠٧، ٣٤٤، تأسيس الشيعة ١٥٠، ١٧٨، أعيان الشيعة ٦/٣٣٧،
الأعلام ٢/٣١٤، معجم المؤلفين ٤/١١٢، معجم رجال الحديث ٧/٧٦ برقم ٤٣٣٧، قاموس
الرجال ٤/٢٩، مستدركات أعيان الشيعة ٣/٧٥، ٥/١٤٧.

١. وقيل: سنة (١٠٠هـ).

وبرع في النحو واللغة، وابتكر علم العروض، وضبط لغة العرب كلها في كتاب.

وكان عالماً وقوراً، زاهداً، حسن الكلام، بعيد الأفق، واسع العلم والثقافة. أخذ عنه: الأصمعي، وسيبويه، والنضر بن شميل، وعلي بن نصر الجهمي، ومؤرج السدوسي، وحامد بن زيد، وآخرون. وتعاطى الكلام، وقد ألف فيه كتاباً، اشتمل على موضوعات منها التوحيد والعدل.^(١)

وذكر له صاحب «أعيان الشيعة» كتاباً في الإمامة، وقال: أورده بتمامه محمد ابن جعفر المراغي^(٢) في كتابه وسمّاه كتاب الخليلي.^(٣) وله أيضاً: كتاب العين (ط) في اللغة، كتاب العروض، معاني الحروف، النقط والشكل، تفسير حروف اللغة، والنغم. توفي بالبصرة سنة سبعين ومائة.^(٤)

وقد أثرت عنه كلمات وحكم، منها قوله في علي عليه السلام: استغناؤه عن الكل، واحتياج الكل إليه، دليل على أنه إمام الكل.

١. ذكر هذا الكتاب أبو عمرو الجاحظ، وبالح في ذمه (ربما لدوافع مذهبية)، وقال: ولولا أن... حكيت صدر كتابه في التوحيد، وبعض ما وصفه في العدل. انظر مروج الذهب ٤/٢٣٣ (أيام الراضي بالله)، ط. دار الأندلس.

٢. للمراغي هذا ترجمة في رجال النجاشي ٢/٣١٨ برقم ١٠٥٤.

٣. إذا ثبت أن للخليل كتاباً في الإمامة، فمن المحتمل أن يكون جزءاً من كتابه في الكلام الذي ذكره الجاحظ.

٤. وقيل: سنة (١٧٥هـ)، وقيل غير ذلك.

وقال له يونس النحوي: ما بال أصحاب النبي ﷺ كأنهم كلهم بنو أم واحدة، وعليّ كأنه ابن علة؟ فقال الخليلي: إن عليّاً رضي الله عنه تقدّمهم إسلاماً، وفاقهم علماً، وبذّهم شرفاً، ورجحهم زهداً، وطاهم جهاداً، والناس إلى أشكالهم وأشباههم أميل إلى من بان منهم.

وقال: ما أجيب بجواب حتى أعرف ما فيه عليّ من الاعتراضات والمؤاخذات.

ومن شعره:

لو كنت تعلم ما أقول عذرتني

أو كنت تجهل ما أقول عذلتك

لكن جهلت مقالتي فعذلتني

وعلمت أنك جاهل فعذرتك

زرارة بن أعين *

(.... - ١٥٠ هـ)

ابن سنسن الشيباني بالولاء، أبو الحسن و أبو علي الكوفي، أحد رجال الشيعة البارزين.

كان قارئاً، فقيهاً، متكلماً، شاعراً، أديباً.^(١)

تلمذ للإمامين محمد الباقر وولده جعفر الصادق (عليه السلام)، وانقطع إليهما، وارتفع شأنه عندهما.

وأخذ أيضاً عن لفيف من رجال مدرسة أهل البيت كأخيه حران، والفضيل

* رجال البرقي ١٦، ٤٧، مقالات الإسلاميين للأشعري ٣٦ و ٤٣، الجرح والتعديل ٣/ ٦٠٤ برقم ٢٧٣١، رجال الكشي ١٢١ برقم ٦٢، الفهرست للنديم ٣٢٢، الفرق بين الفرق ٧٠ برقم ٦٥، رجال النجاشي ١/ ٣٩٧ برقم ٤٦١، رجال الطوسي ١٢٣ برقم ١٦ و ٢٠١ برقم ٩٠، فهرست الطوسي ١٠٠ برقم ٣١٤، رجال ابن داود ١٥٥ برقم ٦١٩، رجال العلامة الحلي ٧٦ برقم ٢، ميزان الاعتدال ٢/ ٦٩ برقم ٢٨٥٣، لسان الميزان ٢/ ٤٧٣ برقم ١٩٠٨، مجمع الرجال ٣/ ٤٩، نقد الرجال ١٣٦ برقم ١، جامع الرواة ١/ ٣٢٤، انتهى المقال ٣/ ٢٥٠ برقم ١١٧٣، بهجة الآمال ٤/ ١٦١، تنقيح المقال ١/ ٤٣٨ برقم ٤٢١٣، أعيان الشيعة ٧/ ٤٦، الأعلام ٣/ ٤٣، معجم رجال الحديث ٧/ ٢١٨ برقم ٤٦٦٢، قاموس الرجال ٤/ ١٥٤، موسوعة طبقات الفقهاء ٢/ ٢٠٧ برقم ٤٢٢، معجم التراث الكلامي ١/ ٢٤٩ برقم ٨٨٤.

١. رجال النجاشي.

ابن يسار النهدي، ومحمد بن مسلم الطائفي، وعبد الله بن عجلان.

وصار من مشاهير العلماء فقهاً وحديثاً ومعرفة بالكلام.

قال أبو علي الزراري: كان خصماً جديلاً لا يقوم أحد لحجته، صاحب إلزام وحجة قاطعة، إلا أنّ العبادة أشغلته عن الكلام، والمتكلمون من الشيعة تلامذته.

صنّف كتاباً في الاستطاعة والجبر.

ونُسبت إليه أقوال وآراء كلامية باطلة، وفرقة تسمى الزرارية، وقد أنكر علماء الشيعة ذلك، وقالوا: إنّهُ ثقة، وصحيح العقيدة، ومتكلم حاذق.^(١)
توفي سنة خمسين ومائة.^(٢)

١. شريف يحيى الأمين، معجم الفرق الإسلامية ١٢٥.

٢. وقيل: سنة (١٤٨ هـ)، بعد وفاة الصادق عليه السلام بشهرين أو أقل.

أبو الجارود*

(... بعد ١٥٠ هـ)

زياد بن المنذر الهمداني^(١) الخارفي^(٢)، أبو الجارود الكوفي، الأعمى، أحد علماء الزيدية.

روى عن الإمامين محمد الباقر وجعفر الصادق عليهما السلام، وعن: الشهيد زيد بن علي، والأصبغ بن نباتة، والحسن البصري، و عبد الله بن الحسن بن الإمام الحسن عليه السلام، وعطية بن سعد العوفي، وغيرهم.

* التاريخ الكبير/ ٣/ ٣٧١ برقم ١٢٥٥، رجال البرقي ١٣، المعرفة والتاريخ ٣/ ٣٨، مقالات الإسلاميين للأشعري ١/ ٦٧، رجال الكشي ١٩٩ برقم ١٠٤، الفهرست للنديم ٢٦٧ ط الاستقامة - القاهرة، الفرق بين الفرق ٣٠ برقم ٤٩، رجال النجاشي ١/ ٣٨٧ برقم ٤٤٦، رجال الطوسي ١٢٢ برقم ٤ و ١٩٧ برقم ٣١، فهرست الطوسي ٩٨ برقم ٣٠٥، الملل والنحل للشهرستاني ١/ ١٥٧، رجال ابن داود ٤٥٤ برقم ١٨٦، تهذيب الكمال ٩/ ١٧٥ برقم ٢٠٧٠، تهذيب التهذيب ٣/ ٣٨٦ برقم ٧٠٤، مجمع الرجال ٣/ ٧٣، نقد الرجال ١٤٢ برقم ٣٥، جامع الرواة ١/ ٣٣٩، هداية المحدثين ٦٨، بهجة الآمال ٤/ ٢١٧، أعيان الشيعة ٧/ ٨٣، الأعلام ٣/ ٥٥، معجم المؤلفين ٤/ ١٨٨، معجم رجال الحديث ٧/ ٣٢١ برقم ٤٨٠٥، ٢١/ ٧٦ برقم ١٤٠٠١، قاموس الرجال ٤/ ٢٢٨، بحوث في الملل والنحل للسبحاني ٧/ ٤٥٣، موسوعة طبقات الفقهاء ٢/ ٢١٩ برقم ٤٣٠، أعلام المؤلفين الزيدية ٤٣٦ برقم ٤٢٦.

١. وقيل: العبدى، وقيل: الثقفى.

٢. نسبة إلى خارف: بطن من همدان، نزلوا الكوفة. الأنساب للسمعاني ٩/ ٥.

وروى عنه: إسماعيل بن أبان الوراق، و عبد الله بن الزبير الأسدي الشاعر، وعلي بن هاشم بن البريد، و عمرو بن أبي المقدام، و محمد بن سنان الزاهري، و نصر بن مزاحم المنقري، و آخرون.

وألّف كتاباً في التفسير، رواه عن الباقر عليه السلام، ورواه عنه كثير بن عياش القطّان.

وانتسبت إليه إحدى فرق الزيدية، المسماة بالجارودية، والتي تذهب إلى: أنّ علي بن أبي طالب عليه السلام أفضل الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وأولاهم بالأمر من جميع الناس، وتبرأت من أبي بكر وعمر، وقالت: إنّ الإمامة مقصورة في ولد فاطمة عليها السلام، وأنّها لمن خرج منهم يدعو إلى كتاب الله وسنة نبيه، وعلينا نصرته ومعونته لقول النبي صلى الله عليه وآله: من سمع داعينا أهل البيت، فلم يجبه، أكبه الله على وجهه في النار. وقالت أيضاً: الحلال حلال آل محمد عليهم السلام، والحرام حرامهم، والأحكام أحكامهم، وعندهم جميع ما جاء به النبي صلى الله عليه وآله كله كامل عند صغيرهم وكبيرهم....

وذكر عبد القاهر البغدادي أنّ أتباع أبي الجارود قد زعموا أنّ النبي صلى الله عليه وآله نصّ على إمامة عليّ بالوصف دون الاسم، وزعموا أيضاً أنّ الصحابة كفروا بتركهم بيعة عليّ.^(١)

توفي أبو الجارود بعد سنة خمسين ومائة.

١. قد مرّ عليك أنّهم تبرّأوا من أبي بكر وعمر، فلا نعلم مدى صحة قول عبد القاهر بأنهم كفّروا الصحابة.

٢٦

زيد بن علي *

(٦٧-١٢٢هـ)

ابن الحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمي، أبو الحسين المدني، الشهيد،
إمام الزيدية.

* طبقات ابن سعد/٥/٣٢٥، ٦/٣١٦، التاريخ الكبير/٣/٤٠٣ برقم ١٣٤١، المعرفة
والتاريخ/٢/٨٠٧، ٣/٧٥ و ٧٦، أنساب الأشراف/٣/٢٢٩-٢٥٩، تاريخ يعقوبي/٢/٣٢٥ (ط).
دار صادر، الكنى والأسماء للدولابي/١/١٤٩، تاريخ الطبري/٥/٤٨٢، الجرح والتعديل
٣/٥٦٨ برقم ٢٥٧٨، العقد الفريد/٥/٢٢٥، الثقات لابن حبان/٤/٢٤٩، ٦/٣١٣، مقتل
الطالبيين/١٢٧، الملل والنحل للشهرستاني/١/١٥٣، المنتظم لابن الجوزي/٧/٢٠٧-٢١٢ و ٢١٨
برقم ٦٥٥، الكامل لابن الأثير/٥/٢٤٢، وفيات الأعيان/٥/١٢٢ (ضمن الترجمة ٦٩٩)، ٦/١١٠
(ضمن الترجمة ٧٨٦)، مختصر تاريخ دمشق/٩/١٤٩ برقم ٦٥، تهذيب الكمال/١٠/٩٥ برقم
٢١٢٠، سير أعلام النبلاء/٥/٣٨٩ برقم ١٧٨، العبر/١/١١٨، الوافي بالوفيات/١٥/٣٣ برقم ٣٦،
فوات الوفيات/٢/٣٥ برقم ١٦٠، مرآة الجنان/١/٢٥٧، البداية والنهاية/٩/٣٢٤، تهذيب
التهذيب/٣/٤١٩ برقم ٧٦٩، النجوم الزاهرة/١/٢٨٦ و ٢٨٨، شذرات الذهب/١/١٥٨، أعيان
الشيعة/٧/١٠٧-١٢٥، زيد الشهيد للسيد عبد الرزاق المقرم، الأعلام/٣/٥٩، معجم رجال
الحديث/٧/٣٤٥ برقم ٤٨٧٠، قاموس الرجال/٤/٢٥٩، موسوعة طبقات الفقهاء/٢/٢٢٢
برقم ٤٣٢، أعلام المؤلفين الزيدية ٤٣٩ برقم ٤٣٠.

ولد في المدينة المنورة سنة سبع وستين.^(١)

ونشأ في كنف والده الإمام زين العابدين عليه السلام، وتلقى عنه وعن أخيه الإمام محمد بن علي الباقر عليه السلام العلوم والمعارف.

وسما مقامه في دنيا العلم والعمل والجهاد.

وكان فقيهاً، قارئاً، مناظراً، خطيباً، من أباة الضيم البارزين.

حدث، وناظر، وأقام بالكوفة يحرض الناس على الثورة ضدّ الحكم الأموي الجائر، فبايعه كثيرون على الدعوة إلى الكتاب والسنة، وجهاد الظالمين، والدفع عن المستضعفين، وإعطاء المحرومين، والعدل في قسمة الفيء، وردّ المظالم، ونصرة أهل البيت.

كتب هشام بن عبد الملك إلى يوسف بن عمر الثقفي وإلى العراق : أشخص زيدا إلى بلده، فإنه لا يقيم ببلد يدعو أهله إلا أجابوه، فإنه جدل لسن حلو اللسان، فإن أعاره القوم أسماهم فحشاها من لين لفظه مع ما يدلي به من قرابة رسول الله ﷺ مالوا إليه.

وكان زيد قد دخل على هشام، فقال له هشام: أنت الطامع في الخلافة وأمك أمة، فقال: لو كان في أمّ الولد تقصير لما بعث الله إسماعيل نبياً وأمّه هاجر، فالخلافة أعظم أم النبوة؟ فأفحم هشام.^(٢)

١. اختلفت الأقوال في مولده: ٨٠، ٧٩، ٧٨، ٧٥ هـ. بيد أننا اخترنا قول السيد عبد الرزاق المقرم، حيث ذهب إلى أنّ المختار الثقفي بعث (في أيام ظهوره) بأُمّ زيد إلى زين العابدين عليه السلام، فعلمت بزيد في تلك السنة (٦٦ أو ٦٧ هـ). يُذكر أنّه ورد في «مقاتل الطالبين» ص ٨٦ أنّ أُمّ زيد أهداها المختار لعليّ بن الحسين.

٢. ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق.

استشهد في الكوفة سنة اثنتين وعشرين ومائة^(١)، ثم نُبش من قبره وصُلب، ثم أُحرق بعد ذلك.

وقد ترك آثاراً عديدة، منها: مسند الإمام زيد بن علي (ط) ويشمل (المجموع الفقهي والمجموع الحديثي)، ورسالة تثبيت الإمامة (ط)، ورسالة تثبيت الوصية (ط)، وجواب على واصل بن عطاء (ط) في الإمامة، والرد على المرجئة (ط)، ومناظرة أهل الشام (ط)، والرد على المجبرة (ط)، ومقالاته عن المتعة والإمامة وبعض أخباره، وكلام له في وصف الإمام وكيف يكون، وكتاب الصفوة (ط)، وغير ذلك.^(٢)

٢٧

سليمان بن جرير*

(... - حيّاً قبل ١٨٧ هـ)

الرقّي، أحد متكلمي الزيدية.

لم نقف على أسماء مشايخه الذين أخذ عنهم العلم، ولكنّه - على أية حال - كان متقدماً في علم الكلام، وقد برز كأحد المتكلمين المعروفين لدى بلاط هارون الرشيد.

١. وقيل: سنة (١٢١ هـ).

٢. انظر أعلام المؤلفين الزيدية.

* فرق الشيعة للنوبختي، ٩، مقالات الإسلاميين للأشعري، ٦٨، الفرق بين الفرق ٣٢ - ٣٣، الملل والنحل للشهرستاني ١/ ١٥٩، لسان الميزان ٣/ ٧٩ برقم ٢٨٨، قاموس الرجال ٤/ ٤٥٨، بحوث في الملل والنحل للسبحاني ٧/ ٤٥٤، معجم الفرق الإسلامية لشريف الأمين ٨١، ١٣٥.

وهو أحد الذين دعاهم يحيى البرمكي^(١) للمناظرة في مجلسه الذي كان يعقده ببغداد، وجرت بينه وبين هشام بن الحكم الإمامي - في ذلك المجلس - مناظرة في مسألة الإمامة، ذكرها أبو عمرو الكشي^(٢).

وكان سليمان يقول - و تبعته في ذلك فرقة عُرِفَت بالسليمانية أو الجريرية - :
 إنّ الصحابة تركوا الأصلح بتركهم مبايعة عليّ لآته كان أولاهم بها، إلّا أنّ الخطأ في بيعه أبي بكر وعمر لا يبلغ درجة الفسق، وإنّما كان خطأ اجتهدياً، غير أنّه طعن في عثمان للأحداث التي أحدثها، وأكفره بذلك.
 لم نظفر بتاريخ وفاة المترجم.

٢٨

أبو مالك الحضرمي*

(....- حيّاً قبل ١٨٣هـ)

الضحّاك الحضرمي، الكوفي، أبو مالك.

١. نكب (كسائر البرامكة) على يد الرشيد عام (١٨٧هـ)، وتوفي (١٩٠هـ). انظر الأعلام ٨/ ١٤٤.
 ٢. رجال الكشي ٢٢٣- ٢٢٥ (ضمن ترجمة هشام بن الحكم).
- * مقالات الإسلاميين للأشعري ٤٢، ٤٣، ٥١، ٥١٦، الفهرست للنديم ٢٦٦ (ط). الاستقامة - القاهرة)، رجال النجاشي ١/ ٤٥١ برقم ٥٤٤، رجال ابن داود ١٨٩ برقم ٧٧٣، رجال العلامة الحلي ٩٠ برقم ٢، نقد الرجال ١٧٤ برقم ٢، جامع الرواة ١/ ٤١٨، منتهى المقال ٤/ ٣٥ برقم ١٤٨٦، تأسيس الشيعة ٣٦٢، الذريعة ٤/ ٤٨٠ برقم ٢١٣٤، معجم رجال الحديث ٩/ ١٤٣ برقم ٥٩٤٤، قاموس الرجال ٥/ ١٤١، رسائل ومقالات للسبحاني ٣١٤ برقم ٦، معجم التراث الكلامي ٢/ ٣٥١ برقم ٤١٠٨.

أدرك الإمام أبا عبد الله الصادق عليه السلام، واختلفوا في روايته عنه.

وروى عن الإمام موسى الكاظم عليه السلام (المتوفى ١٨٣ هـ).

وصحب المتكلم الشهير هشام بن الحكم، حتى عُذَّ من رجاله.

وكان محدثاً، متكلماً، له آراء كلامية.

ألف كتاباً في التوحيد، رواه عنه علي بن الحسن الجرمي الطاطري.

واختلف هو ومحمد بن أبي عمير في إحدى مسائل الإمامة، قال ابن أبي عمير: الدنيا كلها للإمام عليه السلام على جهة الملك وأنه أولى بها من الذين هي في أيديهم، وقال أبو مالك: ليس كذلك، أملاك الناس لهم إلا ما حكم الله به للإمام من الفيء والخمس والمغنم، فذلك له، وذلك أيضاً قد بين الله للإمام أين يضعه وكيف يصنع به، فتراضيا بهشام بن الحكم، وصارا إليه، فحكم هشام لأبي مالك....^(١)

لم نظفر بتاريخ وفاة المترجم.

١. الكليني، الكافي ١/ ٤٠٩-٤١٠، باب أن الأرض كلها للإمام.

عبد الأعلى بن أعين *

(....-حيًا نحو ١٥٠هـ)

الكوفي، مولى آل سام.

تلمذ للإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام، وروى عنه روايات عديدة في مختلف حقول الشريعة.

وحدث، وأفتى، وناظر وجادل.

روى عنه: ثعلبة بن ميمون، وعلي بن إسماعيل بن شعيب بن ميثم التمار المتكلم، وحامد بن عثمان الفزاري (المتوفى ١٩٠هـ)، وعلي بن رثاب، ومرازم بن حكيم المدائني، وآخرون.

قال عبد الأعلى: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إن الناس يعيبن عليّ (الكلام)، وأنا أكلم الناس. فقال: أما مثلك، مثل من يقع ثم يطير فيقم، وأما من يقع ثم لا

* رجال البرقي ٢٤، رجال الكشي ٢٧١ برقم ١٥١، رجال الطوسي ٢٣٨ برقم ٢٣٧ و ٢٣٩، رجال ابن داود ٢٢٠ برقم ٩١٤، رجال العلامة الحلي ١٢٧ برقم ٢، مجمع الرجال ٣/ ٢٥٣ و ٢٥٤، نقد الرجال ١٨١ برقم ١٠٦، جامع الرواة ١/ ٤٣٥ و ٤٣٦، هداية المحدثين ٩٠، بهجة الأمل ٥/ ١٢٢، تنقيح المقال ٢/ ١٣٢ برقم ٦٢٥٥ و ٦٢٦١، معجم رجال الحديث ٩/ ٢٥٤ برقم ٦٢٢١ و ص ٢٥٦ برقم ٦٢٣٠، قاموس الرجال ٥/ ٢٥٥ و ٢٥٦، موسوعة طبقات الفقهاء ٢/ ٢٩٠ برقم ٤٧٩.

يطير، فلا. (١)

وقال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول العامة: إن رسول الله ﷺ قال: من مات وليس له إمام مات ميتة جاهلية، فقال: الحق والله، قلت: فإن إماماً هلك ورجل بخراسان لا يعلم من وصيته لم يسعه ذلك؟ قال: لا يسعه، إنه إذا هلك وقعت حجة وصيته على من هو معه في البلد، وحق النفر على من ليس بحضرته إذا بلغهم، إن الله عز وجل يقول: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ (٢) قلت: فنفر قوم فهلك بعضهم قبل أن يصل فيعلم؟ قال: إن الله جل وعز يقول: ﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِراً إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ (٣)، قلت: فبلغ البلد بعضهم فوجدك مغلقاً عليك بابك، ومرخى عليك سترك، لا تدعوهم إلى نفسك، ولا يكون من يدل عليك، فبم يعرفون ذلك؟ قال: بكتاب الله المنزل، قلت: فيقول الله جل وعز كيف؟ قال: أراك قد تكلمت في هذا قبل اليوم؟، قلت: أجل، قال: فذكر ما أنزل الله في علي عليه السلام، وما (٤)

لم نظفر بتاريخ وفاة المترجم.

١. رجال الكشي.

٢. التوبة: ١٢٢.

٣. النساء: ١٠٠.

٤. الكافي/١/٣٧٨، كتاب الحجة، باب ما يجب على الناس عند مضي الإمام (٨٩)، الحديث ٢.

٣٠

ابن بُكَيْر*

(.... حياً حدود ١٧٥ هـ)

عبد الله بن بُكَيْر بن أَعِين بن سُنْسُن الشيباني بالولاء، أبو علي الكوفي، أحد كبار علماء الشيعة.

تلمذ للإمام الصادق (عليه السلام) وروى عنه وعن جمع من أعلام مدرسة أهل البيت، منهم: عمّاه زرارة وحران ابنا أَعِين، وبُرَيْد العجلي، والفضيل بن يسار النهدي، ومحمد بن مسلم الثقفي، وابن عمّه عُبيد بن زرارة، وغيرهم. وكان فقيهاً، كثير الحديث.

روى عنه: محمد بن أبي عمير (المتوفى ٢١٧ هـ)، وفضالة بن أيوب الأزدي،

* رجال البرقي ٢٢، فرق الشيعة للنوبختي ٧٩، ١١٢، مقالات الإسلاميين للأشعري ٤٣/١، رجال الكشي ٢٩٤ برقم ١٨٩ (مؤسسة الأعلمي - كربلاء)، رسالة أبي غالب الزراري ١١٤ و ١٣١، الفهرست للتدريج ٢٨٦، ٣٢٢ (ط. الاستقامة - القاهرة)، رجال النجاشي ٢/٢٣ برقم ٥٧٩، رجال الطوسي ٢٢٤ برقم ٢٧ و ٢٢٦ برقم ٥٨، فهرست الطوسي ١٨٨ برقم ٤٠٥، معالم العلماء ٧٧ برقم ٥١٧، رجال ابن داود ١٩٩ برقم ٨٢٨، رجال العلامة الحلي ١٠٦ و ١٠٧، التحرير الطاووسي ١٦٨ برقم ٢٢٣، مجمع الرجال ٣/٢٦٨، نقد الرجال ١٩٥، جامع الرواة ١/٤٧٣، هداية المحدثين ٢٠٢، رجال بحر العلوم ١/٢٢٨، بهجة الأمال ٥/٢٠٣، تنقيح المقال ٢/١٧١ برقم ٦٧٦٨، أعيان الشيعة ٨/٤٨، معجم رجال الحديث ١٠/١٢٢ برقم ٦٧٢٤، ٢٢/١٦٠ برقم ١٥٠٣٩، قاموس الرجال ٥/٣٩٩، موسوعة طبقات الفقهاء ٢/٣٢٩ برقم ٥١٢.

وعبد الله بن جبلة الكناني (المتوفى ٢١٩هـ)، وأحمد بن محمد بن أبي نصر (المتوفى ٢٢١هـ)، وجعفر بن بشير البجلي، وعدة.

وألّف كتاباً في الأصول.^(١)

وذكره الأشعري في عداد زعماء إحدى الفرق التي تضمّ عدداً من المتكلمين كهشام بن سالم الجواليقي، ووزارة، ومحمد بن حكيم الخثعمي، ونسب إليهم رأياً في الاستطاعة.

لم نظفر بتاريخ وفاة المترجم.

٣١

ابن مُسكان*

(.... قبل ١٨٣هـ)

عبد الله بن مسكان العنزي بالولاء، أبو محمد الكوفي، أحد علماء الشيعة البارزين.

١. الفهرست للنديم ٧٩ ط الاستقامة بالقاهرة.

* رجال البرقي ٢٢، رجال الكشي ٣٢٧ برقم ٢٤٢ (مؤسسة الأعلمي - كربلاء)، رجال النجاشي ٩/٢ برقم ٥٥٧، رجال الطوسي ٢٦٤ برقم ٦٧٥، معالم العلماء ٧٤ برقم ٤٩٤، رجال ابن داود ٢١٣ برقم ٨٨٨، رجال العلامة الحلي ١٠٦ برقم ٢٢، التحرير الطاووسي ١٦٨ برقم ٢٢٤، مجمع الرجال ٥٢/٤، نقد الرجال ٢٥٧ برقم ٢٤٦، جامع الرواة ١/٥٠٧، منتهى المقال ٤/٢٣٦ برقم ١٨٠٠، بهجة الآمال ٥/٢٨٥، تنقيح المقال ٢/٢١٦ برقم ٧٠٧٣، معجم رجال الحديث ١٠/٣٢٤ برقم ٧١٦١، ٢٣/٣١ برقم ١٥١٥١، قاموس الرجال ٦/١٤٢، موسوعة طبقات الفقهاء ٢/٣٤٨ برقم ٥٢٥.

أخذ عن الإمامين أبي عبد الله الصادق وأبي الحسن الكاظم عليهما السلام، وعن فريق من رجال مدرسة أهل البيت، أبرزهم: محمد بن علي بن أبي شعبة الحلبي، وأبو بصير ليث بن البختري المرادي، و منصور بن حازم البجلي، و زراراة بن أعين، و محمد بن مسلم الطائفي، و الفضل بن عبد الملك البقباق.

وكان فقيهاً، كثير الرواية في شتى حقول الشريعة.

ألف كتاباً في الإمامة، وكتاباً في الحلال والحرام.

قال ابن مسكان: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الله تبارك وتعالى أكان يعلم المكان قبل أن يخلق المكان، أم عَلِمَهُ عندما خلقه وبعدهما خلقه؟ فقال: تعالى الله، بل لم يزل عالماً بالمكان قبل تكوينه كعلمه به بعد ما كسوته، وكذلك عَلِمَهُ بجميع الأشياء كَعِلْمِهِ بالمكان.^(١)

توفي في أيام الإمام موسى الكاظم عليه السلام (المتوفى ١٨٣ هـ).

١. الصدوق، التوحيد ١٣٧، باب العلم (١٠)، الحديث ٩.

٣٢

ابن رثاب*

(.... حياً بعد ١٤٨ هـ)

علي بن رثاب التميمي الأسيدي^(١)، أبو الحسن الكوفي، أحد مشايخ الشيعة.

تلقى العلم عن الإمامين أبي عبد الله الصادق وأبي الحسن الكاظم عليهما السلام، وروى عنهما، وعن فريق من أعلام مدرسة أهل البيت كأبي حمزة الثمالي، وبُريد بن معاوية العجلي، وفضيل بن يسار النهدي، وأبان بن تغلب البكري، ومحمد بن مسلم الثقفي.

وكان عالماً كبيراً، واسع الرواية، جليل القدر، مقدماً في أصحابه.

* رجال البرقي ٢٥، مروج الذهب ٤/ ٢٨ برقم ٢١٩٢، الفهرست للنديم ٣٢٢ (ط). الاستقامة - القاهرة، رجال النجاشي ٢/ ٧٠ برقم ٦٥٥، رجال الطوسي ٢٤٣ برقم ٣١٦، فهرست الطوسي ١١٣ برقم ٣٧٧، معالم العلماء ٦٢، رجال العلامة الحلي ٩٣، سير أعلام النبلاء ٥/ ٢٦٤ (ضمن ترجمة أخيه هارون المرقمة ١٢٣)، مجمع الرجال ٤/ ١٩٤، نقد الرجال ٢٣٥، جامع الرواة ١/ ٥٧٩، بهجة الأمال ٥/ ٤٤٢، تنقيح المقال ٢/ ٢٨٨ برقم ٨٢٨٢، معجم رجال الحديث ١٢/ ١٧ برقم ٨١٢٥، قاموس الرجال ٦/ ٤٨٩، مستدركات أعيان الشيعة ٣/ ١٤٨.

١. كذا في «الأنساب» للسمعاني و «سير أعلام النبلاء» عند ذكر أخيه هارون بن رثاب، وفي رجال النجاشي: مولى جرم، بطن من قضاة، وقيل مولى بني سعد بن بكر. و (الأسيدي): نسبة إلى أسيّد، وهو بطن من تميم. الأنساب ١/ ١٥٩.

ألف كتباً، منها: كتاب الوصية والإمامة، وكتاب الديات.
 وكان يجتمع مع أخيه اليمان (من كبار الخوارج) في كل سنة ثلاثة أيام
 يتناظران فيها ثم يفترقان.^(١)
 لم نقف على تاريخ وفاته.

٣٣

علي بن صالح*

(١٠٠-١٥٤هـ)

ابن صالح بن مسلم بن حيّ الهمداني الثوري، أبو الحسن (أو أبو محمد)
 الكوفي، أخو الحسن^(٢) بن صالح، وهما توأمان.
 ولد سنة مائة.

١. انظر مروج الذهب. وفي سير أعلام النبلاء: بيان و هارون و علي بنو رثاب، فهارون من أئمة
 السنة، و بيان من أئمة الخوارج، وعلي من أئمة الروافض.

* طبقات ابن سعد ٦/ ٣٧٤-٣٧٥، طبقات خليفة ٢٨٦ برقم ١٢٨٣، التاريخ الكبير ٦/ ٢٨٠ برقم
 ٢٤٠٤، الجرح والتعديل ٦/ ١٩٠ برقم ١٠٤٨، مقاتل الطالبين ٢٧٦-٢٧٧ (ط. دار الكتب)،
 حلية الأولياء ٧/ ٣٢٧ برقم ٤٠٠، رجال الطوسي ٢٤١ برقم ٢٩١، تهذيب الكمال ٢٠/ ٤٦٤ برقم
 ٤٠٨٤، سير أعلام النبلاء ٧/ ٣٧١ برقم ١٣٥، تهذيب التهذيب ٧/ ٣٣٢ برقم ٥٦٠، شذرات
 الذهب ١/ ٢٦٣، مستدركات علم رجال الحديث ٥/ ٣٨٨ برقم ١٠٠٩، معجم رجال الحديث
 ١٢/ ٦٣ برقم ٨٢٠٦، قاموس الرجال ٧/ ٩.

٢. المتوفى (١٦٩هـ)، وقد مضت ترجمته.

وروى عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام، وعن: سلمة بن كهيل، وسليمان الأعمش، ومنصور بن المعتمر، وأبي إسحاق السبيعي، وإبراهيم بن مهاجر البجلي، وغيرهم.

وكان متكلماً^(١)، من كبار الشيعة الزيدية.

تصدى للإقراء، فتلا عليه عبيد الله بن موسى.

وحدث، فروى عنه: أخوه الحسن، وسفيان بن عُيينة، ووكيع بن الجراح، وأبو نُعيم الفضل بن دكين، وعدة.

توفي سنة أربع وخمسين ومائة^(٢).

قال الحسن: لما حضر أخي رفع بصره، ثم قال: ﴿مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾^(٣)، ثم خرجت نفسه.

١. الفهرست للتدريج ٢٦٧ (ضمن ترجمة أخيه الحسن بن صالح).

٢. وقيل: سنة (١٥١هـ).

٣. سورة النساء: ٦٩.

٣٤

علي بن منصور*

(.... حياً قبل ١٨٧ هـ)

الكوفي، البغدادي، من أصحاب المتكلم الشهير هشام بن الحكم، يكتنّى أبا الحسن.

قال المسعودي: كان إمامي المذهب، من نظار الشيعة في وقته.

اختص بهشام، وأفاد منه في علم الكلام، وسجل آراءه ومقالاته في هذا المجال، وروى عنه، وعن: إبراهيم بن عبد الحميد الأسدي الأنماطي، وإسماعيل الجوزي، وكلثوم بن عبد المؤمن الختراني.

روى عنه: الحسين بن سعيد الأهوازي، وعلي بن أسباط بن سالم الكندي، ويونس بن يعقوب بن قيس البجلي (المتوفى بعد ١٨٣ هـ)، وغيرهم.

وألّف كتاب التدبير في التوحيد والإمامة، جمعه من كلام أستاذه هشام.

واشتهر ببغداد كمتكلم ومناظر بارز.

* مقالات الإسلاميين للأشعري ١/ ٦٣، رجال الكشي ٢٢٠ برقم ١٣١ (ضمن ترجمة هشام بن الحكم)، مروج الذهب ٤/ ٢٣٨ برقم ٢٥٧٢، رجال النجاشي ٢/ ٧١ برقم ٦٥٦ و ص ٣٩٨ برقم ١١٦٥ (ضمن ترجمة هشام بن الحكم)، نقد الرجال ٢٤٤ برقم ٢٤٠، جامع الرواة ١/ ٦٠٣، منتهى المقال ٥/ ٧٣ برقم ٢١١٨، الذريعة ٤/ ١٨ برقم ٥٠، مستدركات علم رجال الحديث ٥/ ٤٨٣ برقم ١٠٧٥٢، معجم رجال الحديث ١٢/ ١٨٧ برقم ١٥٢٨، قاموس الرجال ٧/ ٦٥.

وكان من حضّار مجلس يحيى بن خالد البرمكي^(١) الذي كان يعقده ببغداد للمناظرة في المسائل الكلامية والفلسفية، ويرتاده جمع من أهل البحث والنظر من متكلمي الإسلام وغيرهم.

لم نقف على تاريخ وفاة المترجم.

٣٥

أبو خالد الواسطي*

(... بعد ١٥٠هـ)

عمرو بن خالد القرشي بالولاء، أبو خالد الكوفي ثمّ الواسطي، أحد علماء الشيعة الزيدية.

روى عن الإمام محمد الباقر عليه السلام، وعن: الشهيد زيد بن علي وأكثر عنه، وحبيب بن أبي ثابت، وأبي حمزة الثمالي، وآخرين.

١. نُكِبَ مع سائر البرامكة سنة (١٨٧هـ) وتوفي سنة (١٩٠هـ).

* فرق الشيعة للتوبختي ٥٤، رجال الكشي ٣٣٣ برقم ٢٥٠، الفهرست للنديم ٣٢٢ (ط. الاستقامة - القاهرة)، رجال النجاشي ١٣٤/٢ برقم ٧٦٩، رجال الطوسي ١٣١ برقم ٦٩٠، فهرست الطوسي ٢٢٠ برقم ٨٦٩، رجال ابن داود ٤٨٨ برقم ٣٥٤، رجال العلامة الحلي ٢٤١، ميزان الاعتدال ٣/٢٥٧ برقم ٦٣٥٩، تقريب التهذيب ٦٩/٢ برقم ٥٧٢، التحرير الطاوسي ١٩٠ برقم ٢٧١، مجمع الرجال ٤/٢٨٤، نقد الرجال ٢٥٠ برقم ٣٤، جامع الرواة ١/٦٢٠، هداية المحدثين ٢٢٠، ٢٨١، بهجة الآمال ٥/٥٩٢، تنقيح المقال ٢/٣٣٠ برقم ٨٦٩١، معجم رجال الحديث ١٣/٩٣ برقم ٨٨٩٣، ٢١/١٤٣ برقم ١٤٢١٦، قاموس الرجال ٧/١٤٥، بحوث في الملل والنحل للسبحاني ٧/١٣٤، موسوعة طبقات الفقهاء ٢/٤٢٦ برقم ٥٨٤.

حدّث بالكوفة، وانتقل إلى واسط، فحدّث بها.
 روى عنه: الحسين بن علوان الكلبي، وأبان بن عثمان، ويونس بن بكير،
 وأبو حفص الأبار، وإسرائيل بن يونس، وغيرهم.
 وألف كتاباً كبيراً، رواه عنه نصر بن مزاحم المنقري (المتوفى ٢١٢هـ).
 وكان من رؤساء الزيدية^(١)، ومن متكلميهم^(٢)، وله أتباع أخذوا بمقالاته.
 قال ابن حجر: توفي بعد سنة (١٢٠هـ).
 أقول: يبدو أنّه بقي إلى منتصف القرن الثاني، أو بعده، لرواية المنقري عنه.

٣٦

عيسى بن روضة*

(.... حياً بعد ١٣٦هـ)

الهاشمي بالولاء، التابعي.^(٣)

١. رجال الكشي ٢٠١ برقم ١٠٦ (ضمن ترجمة محمد بن سالم يتّاع القصب).
٢. الفهرست للنديم.
- * رجال النجاشي ٢/ ١٤٥ برقم ٧٩٤، رجال ابن داود ٢٦٧ برقم ١١٤٩، مجمع الرجال ٤/ ٣٠١، نقد الرجال ٢٦١ برقم ٢١، جامع الرواة ١/ ٦٥٠، منتهى المقال ٥/ ١٦٥ برقم ٢٢٤٥، تنقيح المقال ٢/ ٣٦٠ برقم ٩٣٠١، تأسيس الشيعة ٣٥٠ (ضمن ترجمة واصل بن عطاء)، أعيان الشيعة ٨/ ٣٨٣، معجم رجال الحديث ٣/ ١٨٦ برقم ٩١٧٥، قاموس الرجال ٧/ ٢٧٠، رسائل و مقالات للسبحاني ٣١٤ برقم ٥، معجم التراث الكلامي ١/ ٤٦٨ برقم ٢٠١٦.
٣. وصفه بذلك صاحب «أعيان الشيعة».

كان متكلماً، جيّد الكلام.

ألف كتاباً في الإمامة، رآه أحمد بن طيفور (أبي طاهر) الخراساني البغدادي (المتوفى ٢٨٠هـ)، ذكر ذلك في كتابه «تاريخ بغداد».^(١)

وهو أول من صنّف في علم الكلام.^(٢)

قيل: إنّ المنصور العباسي لما كان بالحيرة، سمّع على عيسى بن روضة، وكان مولاه، وهو يتكلم في الإمامة، فأعجب به، واستجاد كلامه. لم نظفر بتاريخ وفاته.

وكان المنصور قد ولي الخلافة سنة (١٣٦هـ).

٣٧

فضال بن الحسن*

(.... حياً قبل ١٥٠هـ)

ابن فضال الكوفي، المتكلم الشيعي.

وصفه السيد حسن الصدر بالمتكلم المشهور، وقال: ما ناظر أحداً من

١. طبع منه الجزء السادس، ويحتوي على أخبار المأمون من دخوله بغداد (٢٠٤هـ) إلى وفاته (٢١٨هـ).

٢. تأسيس الشيعة.

* كثر الفوائد للكراچكي ١/ ٢٩٤، الاحتجاج للطبرسي ٢/ ٣١٥ برقم ٢٥٩ (انتشارات أسوة)، بحار الأنوار ٤٧/ ٤٠٠، تأسيس الشيعة ٣٥٩- ٣٦٠، معجم رجال الحديث ١٣/ ٢٦١ برقم ٩٣٢٢، قاموس الرجال ٧/ ٣١٣، رسائل و مقالات للسبحاني ٣١٦ برقم ١٠.

الخصوم إلا قطعه.

ناظر أبا حنيفة (المتوفى ١٥٠هـ) في مسألة الأفضلية، وجرى بينهما حوار، نذكر طرفاً منه.

قال أبو حنيفة: كفى بمكانها (يعني أبا بكر وعمر) من رسول الله ﷺ كرمًا وفخرًا، أما علمت أيتها ضجيعاه في قبره؟

قال فضال: أنت تعلم أن النبي ﷺ مات عن تسع نساء، ونظرنا فإذا لكل واحدة منهن تسع الثمن، ثم نظرنا في تسع الثمن، فإذا هو شبر في شبر، فكيف يستحق الرجال أكثر من ذلك؟ وبعد، فما بال عائشة وحفصة ترثان رسول الله ﷺ، وفاطمة ابنته مُنعت الميراث؟!

فقال أبو حنيفة: يا قوم نحوه عني...

لم نظفر بتاريخ وفاة المترجم.

وآل فضال أسرة معروفة بالكوفة، منهم الحسن^(١) بن علي بن فضال، وابنه علي، ولا ندري إن كان المترجم له ينتمي إلى هذه الأسرة أم لا.

١. المتوفى (٢٢٤هـ)، وستأتي ترجمته.

٣٨

النوبختي*

(... - حياً قبل ١٩٣ هـ)

الفضل بن أبي سهل بن نوبخت، أبو سهل البغدادي، الفارسي الأصل، أحد كبار العلماء بالفلسفة والكلام والنجوم.

عُني بالترجمة، فنقل كثيراً من كتب (البهلويين) الأوائل في الحكمة الإشرافية من الفارسية إلى العربية.

وولي خزانة كتب الحكمة لهارون الرشيد (المتوفى ١٩٣ هـ).

ذكره أبو الحسن علي بن يوسف القفطي (المتوفى ٦٤٦ هـ) في كتابه «أخبار الحكماء»، وقال في وصفه: مشهور، من أئمة المتكلمين.

وقال السيد حسن الصدر عنه:

الفيلسوف المتكلم والحكيم المتأله، وحيد في علوم الأوائل.

ولأبي سهل مؤلفات في مواضيع مختلفة، أكثرها في النجوم، منها: كتاب في الإمامة، كتاب النهمطان في الموالي، كتاب الفأل النجومي، كتاب المتحلل من

* الفهرست للنديم ٣٩٦، تأسيس الشيعة ٣٦٤، أعيان الشيعة ٢/ ٣٦٠، ٨/ ٤١٠ - ٤١٢، ربحانة الأدب ٦/ ٢٤٥ و ٢٥٠، ٧/ ١٤٧، الذريعة ٢/ ٣٣٢ بسرقم ١٣٢١، معجم المؤلفين ٨/ ٧٢، فلاسفة الشيعة ١٧٨.

أقاويل المنجمين في الأخبار والمسائل والمواليد، وكتاب التشبيه والتمثيل، وغير ذلك.

لم نظفر بتاريخ وفاته.

ولعلّه عاش حتى أدرك أوائل القرن الثالث.

٣٩

الرَّسَّان *

(.... حَيًّا قَبْلَ ١٤٨ هـ)

فضيل بن الزبير بن عمر بن درهم الأسدي، الكوفي، أخو عبد الله^(١) بن الزبير الأسدي المحدث الشاعر.

أدرك فضيل الإمام محمد الباقر^{عليه السلام} وروى عنه، واتصل بأخيه الشهيد زيد

* فرق الشيعة للنوبختي ٥٥، ٥٨، الفهرست للنديم ٢٦٧، رجال الكشي ٢٨٧ برقم ١٦٩ و ٢٤٢ (ضمن ترجمة السيد الحميري المرقمة ١٣٣)، مقاتل الطالبين ٩٩-١٠٠ (تسمية من عُرف ممن خرج مع زيد بن علي)، رجال الطوسي ١٣٢ برقم ٢ و ٢٧١ برقم ٢٢، جامع الرواة ٩/٢، منتهى المقال ٥/٢٠٨ برقم ٢٢٩٣، مستدركات علم رجال الحديث ٦/٢٢١ برقم ١١٦٣٢، معجم رجال الحديث ١٣/٣٢٦ برقم ٩٤١١، قاموس الرجال ٧/٣٢٨.

١. وهو القائل في رثاء مسلم بن عقيل بن أبي طالب، وهانئ بن عروة المرادي اللذين استشهدا قبل مجيء الحسين^{عليه السلام} إلى كربلاء:

إذا كنت لا تدريين ما الموت فانظري
إلى بطلٍ قد هشم السيف وجهه
إلى هانئ في السوق وابن عقيل
وآخره يسوي من طمارٍ قتيلٍ
في أبيات عديدة.

ابن علي، وروى عنه، واختص به، وصار من دعائه وأنصاره في ثورته ضد الحاكم الجائر.

وصحب الإمام جعفر الصادق (المتوفى ١٤٨ هـ)، وروى عنه، وعن جمع من الرواة، منهم: صالح بن ميثم، وأبو داود السبيعي، وأبو سعيد عقيصا، ويحيى بن أم الطويل.

عده محمد بن إسحاق النديم من متكلمي الزيدية، وقال: هو من أصحاب محمد بن علي (يعني الباقر عليه السلام).

وذكر الحسن بن موسى النوبختي الأقوياء من الزيدية، وعده أصحاب الرشان منهم.

وللمترجم كتاب تسمية من قُتل مع الحسين عليه السلام.

لم نظفر بتاريخ وفاته.

٤٠

قيس الماصر*

(.... حياً قبل ١٣٠ هـ)

أحد أعلام متكلمي الشيعة.

أدرك الإمام علي (زين العابدين) بن الحسين عليه السلام، وانتهل من علومه، وأخذ

* الكافي ١/ ١٧١، باب الاضطرار إلى الحجّة، الحديث ٤، تأسيس الشيعة ٣٥٨، أعيان الشيعة ٨/ ٤٥٨، معجم رجال الحديث ١٤/ ٩٩ برقم ٩٦٧٢، رسائل ومقالات للسبحاني ٣١٤.

عنه الكلام، وصحب الإمام جعفر الصادق عليه السلام (المتوفى ١٤٨ هـ).

وأصبح في عداد كبار المتكلمين كحمران بن أعين، ومحمد بن علي بن النعمان البجلي (مؤمن الطاق)، وهشام بن سالم الجواليقي، بل كان - كما يرى يونس ابن يعقوب ^(١) - أحسنهم كلاماً. وله تلامذة عكفوا عليه واختصوا به. ^(٢)

ذكر يونس بن يعقوب أن رجلاً شامياً ورد على الصادق عليه السلام، وطلب منه مناظرة أصحابه، فقال لي عليه السلام: انظر من ترى من المتكلمين، فأدخله، فأدخلت حمران ^(٣)... وقيس الماصر، وكان عندي أحسنهم كلاماً. فلما ناظره قيس الماصر، قال له عليه السلام: أنت والأحول (أي مؤمن الطاق) قفازان حاذقان. ^(٤)

لم نظفر بتاريخ وفاة المترجم.

وهو والد عمرو بن قيس الماصر، أحد الرواة عن الإمام محمد الباقر عليه السلام، وإليه تُعزى الفرقة الماصرية (إحدى فرق المرجئة)، ويقال: إنه زيدي بئري. ^(٥)

١. هو يونس بن يعقوب بن قيس البجلي الدهني، الكوفي: أحد أعلام الفقهاء، ذو منزلة سامية عند الإمامين الصادق والكاظم عليهما السلام، له روايات كثيرة في كتب الإمامية الأربعة. توفي بالمدينة بعد سنة (١٨٣ هـ). انظر موسوعة طبقات الفقهاء ٢/ ٦٥٢ برقم ٧٤٠.

٢. يُفهم ذلك من قول الفضيل بن يسار: سمعت أبا عبد الله عليه السلام [الصادق] يقول لبعض أصحاب قيس الماصر: إن الله عز وجل آدب نبيه فأحسن أدبه.... الكافي ١/ ٢٦٦، باب التفويض إلى رسول الله ﷺ وإلى الأئمة في أمر الدين. الحديث ٤.

٣. المتوفى (حدود ١٣٠ هـ)، وقد مضت ترجمته.

٤. انظر كتاب الكافي.

٥. الخوئي، معجم رجال الحديث ١٣/ ١٢٢ برقم ٨٩٧١؛ وشريف يحيى الأمين، معجم الفرق الإسلامية ٢٠٨.

٤١

النَّوَّاءُ*

(.... حَيًّا نَحْو ١٣٥ هـ)

كثير بن إسماعيل^(١) النَّوَّاءُ، أبو إسماعيل التيمي بالولاء، الكوفي، البصري الزيدي.

روى عن الإمامين أبي جعفر الباقر وأبي عبد الله الصادق (عليه السلام)، وعن: عبد الله ابن مُلَيْل البجلي، وعطية بن سعد العوفي، ومحمد بن نشر الهمداني، وفاطمة بنت الإمام علي (عليه السلام)، وآخرين.

روى عنه: منصور بن أبي الأسود، وأبو عقيل يحيى بن المتوكل، وسفيان بن عُيَيْنَةَ (١٠٧-١٩٨ هـ)، وشريك بن عبد الله، ومحمد بن فضيل بن غزوان (المتوفى ١٩٥ هـ)، وعبد الرحمان بن عبد الله المسعودي، وأبان بن عثمان الأحمر، وعدة.

* التاريخ الكبير ٧/ ٢١٥ برقم ٩٣٤، فرق الشيعة للنوبختي ١٣، ٥٧، رجال الكشي ٢٠٨ برقم ١١٧، الجرح والتعديل ٧/ ١٥٩ برقم ٨٩٥، ثقات ابن حبان ٧/ ٣٥٣، الفرق بين الفرق ٣٣ برقم ٥١، رجال الطوسي ١٣٤ برقم ٤٠٢٧٧ برقم ٦، الملل والنحل للشهرستاني ١/ ١٦١، تهذيب الكمال ٢٤/ ١٠٣ برقم ٤٩٣٥، ميزان الاعتدال ٣/ ٤٠٢ برقم ٤٩٣٥، تهذيب التهذيب ٨/ ٤١١ برقم ٧٣٥، تقريب التهذيب ٢/ ١٣١ برقم ٣، معجم رجال الحديث ١٤/ ١٠٨ برقم ٩٧١٣، قاموس الرجال ٧/ ٤١٢، بحوث في الملل والنحل للسبحاني ٧/ ٤٥٤، معجم الفرق الإسلامية لشريف الأمين ٥١-٥٣.

وانتمت إليه فرقة من الزيدية عُرفت بالبترية^(١)، وكانت تذهب إلى: أنَّ عليّاً عليه السلام أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ، وأولاهم بالإمامة، لكنّه سلّم الأمر لهم راضياً، وترك حقّه راغباً، فنحن راضون بما رضي به، مسلّمون لما سلّم، ولو لم يرَضَ عليّ بذلك، لكان أبو بكر هالكاً، وتوقفوا في أمر عثمان، ولم يُقدموا على ذمّه ولا على مدحه^(٢)، وجوّزوا إمامة المفضول وتأخير الفاضل والأفضل، إذا كان الأفضل راضياً بذلك.

وقالوا أيضاً: من شهر سيفه من أولاد الحسن والحسين عليه السلام، وكان عالماً زاهداً شجاعاً، فهو الإمام.

لم نظفر بتاريخ وفاة المترجم.

١. جعلهم عبد القاهر البغدادي أتباع رجلين: الحسن بن صالح، وكثير النّوّاء الملقّب بالأبتر، في حين جعلهم الشهرستاني أتباع النّوّاء فقط، وسمّى الفرقة التي تنتسب للحسن بن صالح بالصالحية، وقال: إنّهما متفقان في المذهب.

٢. وهي بهذا القول، تفرّق عن السليمانية (أصحاب سليمان بن جرير الرقي) التي تذهب إلى الطعن في عثمان.

٤٢

الكميت بن زيد*

(٦٠-١٢٦هـ)

ابن خُنيس بن مجالد الأسدي، الشاعر الفحل، أبو المستهل الكوفي.
ولد سنة ستين.

واختلف إلى العلماء، حتّى أَلَمَ بمعارف عصره.
ومارس التعليم في مسجد الكوفة.
ونبغ في الشعر، واشتهر به.

واجتمعت فيه — كما يقول العتّابي — عشر خصال لم تجتمع في شاعر: كان
خطيب قومه بني أسد، وفقّيه الشيعة، وحافظ القرآن... وكان جدلاً.

* البيان والتبيين ١/٣٦ و ٣٧، رجال الكشي ١٧٩ برقم ٨٤، مروج الذهب ٤/٦٦ برقم ٢٢٦٧-
٢٢٧٢، تاريخ مدينة دمشق ٥٠/٢٢٩ برقم ٥٨٢٨، مختصر تاريخ دمشق ٢١/٢١٠ برقم ١٣١،
رجال العلامة الخلي ١٣٥ برقم ٣، تاريخ الإسلام (سنة ١٢١-١٤٠هـ) ٢١٠، سير أعلام
النبلأ ٥/٣٨٨ برقم ١٧٧، مجمع الرجال ٥/٧٢، نقد الرجال ٢٧٧، كشف الظنون ١/٨٠٨،
جامع الرواة ٢/٣١، نسمة السحر بذكر من تشيع وشعر ٢/٥٤٥ برقم ١٣٨، روضات
الجنات ٦/٥٥ برقم ٥٦١، إيضاح المكنون ٢/٧١٦، تنقيح المقال ٢/٤١ برقم ٩٩٣٧، تأسيس
الشيعة ٣٥١، أعيان الشيعة ٩/٣٣، ربحانة الأدب ١/١١٧، الغدير ٢/١٨٠ — ٢١٢،
الأعلام ٥/٢٣٣، معجم المؤلفين ٨/١٤٧، معجم رجال الحديث ١٤/١٢٥، قساموس
الرجال ٧/٤٣٠، مستدركات أعيان الشيعة ١/١٣٠، أعلام المؤلفين الزيدية ٧٨٩.

وقد وظّف قصائده الهاشميات - التي تغلب عليها النزعة العقلية والطافحة بالحجج والبراهين - لخدمة عقيدته ومذهبه، حيث تجلّى فيها بوضوح حبّه لأهل البيت وإخلاصه لهم، ودفاعه عن حقّهم المشروع في الخلافة بعد النبي ﷺ، الأمر الذي عرّضه لظلم واضطهاد حكّام بني أمية، وتجنّي ذوي التعصب المقيت. وهو أوّل شاعر رصد أكثر شعره لخدمة فكرة عقائدية معينة في العهد الأموي.^(١)

قال الجاحظ: ما فتح لشيعه الحجاج إلّا الكميت بقوله:

فإنّ هي لم تصلح لحَيٍّ ســـــــــــــــــواهُمُ

فإنّ ذوي القـــــــــــــــــربى أحقُّ وأوجبُ

يقولون لم يورث ولولا تراثه

لقد شركتُ فيها بكيلاً وأرحب^(٢)

ويقول الدكتور نعمان القاضي: إنّ الكميت لم يكن شاعراً على الطريقة المألوفة، وإنّما كان شعره لوناً جديداً على الذوق العربي التقليدي، ومحاولة رائدة في إدخال الشعر العربي من باب جديد، واستمداداً لمنابع عقلية جديدة، وصياغته صياغة فكرية لم يُسبق إليها، تتحول بالشعر العربي من مجال العاطفة إلى مجال الفكر والعقل المحض، ومحاولة التصدي للتعبير عن نظرية مذهبية مدعومة بالنظر العقلي وطرائق المتكلمين ووسائلهم في

١. انظر أعيان الشيعة ٩/ ٣٦.

٢. تاريخ مدينة دمشق. وفي مستدركات أعيان الشيعة: ما فتح للشيعة باب الاحتجاج بالشعر إلّا الكميت.

الاحتجاج والاستدلال^(١)

وللكميت منزلة رفيعة عند أئمة أهل البيت: زين العابدين، والباقر، والصادق عليه السلام، وقد أنشد بين أيديهم بعض قصائده، فدعوا له بالمغفرة والجزاء الأوفى.

توفي سنة ست وعشرين ومائة.

وخلف ثروة شعرية ضخمة، منها قصائد عديدة في مدح بني هاشم ورثاء الحسين عليه السلام وزيد بن علي عليه السلام، فمن شعره:

ويسوم الدَّوْح دَوْحِ غَدِيرِ حَمٍّ
أَبَانَ لَهُ الْوَلَايَةَ لَوْ أُطِيعَا
وَلَكِنَّ الرِّجَالَ تَبَايَعُوهَا
فَلَمْ أَرْ مِثْلَهَا خَطَرًا مِيعَا
فَقُلْ لِبَنِي أُمَيَّةٍ حَيْثُ حَلَّوْا
وَإِنْ خَفَتِ الْمَهَنَّدُ وَالْقَطِيعَا
أَجَاعَ اللَّهُ مِنْ أَشْبَعْتُمْ—وَهُ
وَأَشْبَعَ مَنْ بَجَّوْرَكُمْ أَجِيعَا

وقال، مصرحاً بالوصية لعلي وأبنائه عليهم السلام.

والوصيُّ الذي أمال التجوي

بـه عـشـر ش أمةٍ لانهدام^(١)
كان أهل العفاف والمجد والخـيـ

سـر ونقض الأمور والإيـرام
والوصيُّ الوليُّ والفارس المـعلـ

سـلم تحت العجاج غير الكهام^(٢)
كم لـه ثم كم لـه من قتيل

وصريع تحت السنـابـك دامـي
وخـمـيس يلقـه بخميس

وفئـام حـواه بعد فئـام^(٣)
ووصي الوصي ذي الخطـة الفصـ

لـ ومردى الخصوم يوم الخصام^(٤)
وقـتـيل بـالـطف غـودر مـنـه

بين غـوغـاء أمةٍ وطغـام

وقال:

١. الوصي: هو الإمام علي عليه السلام، والتجوي: هو عبد الرحمان بن ملجم المرادي قاتل الإمام عليه السلام، وتجوب: قبيلة في مراد.

٢. المعلوم: الذي وضع له علامة يعرف بها. والكهام: الكليل من الرجال والسيوف.

٣. الخميس: الجيش الكثير. والفئام: الجماعة من الناس.

٤. وصي الوصي: هو الإمام الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام.

وجدنا لكم في آل حساميم آية
تأولها منّا تقيّ ومُعرب
وفي غيرها آياً وآياً تتابعث
لكم نصب فيها لسذي الشك منصب
بحقكم أمت قريش تقودنا
وبالفذ منها والرديفين نركب

٤٣

الخثعمي*

(.... - حياً قبل ١٨٣ هـ)

محمد بن حكيم الخثعمي، أبو جعفر الكوفي، أحد متكلمي الإمامية.
تلمذ للإمامين أبي عبد الله الصادق وأبي الحسن الكاظم عليهما السلام، وروى عنهما

* رجال البرقي ١٩ و ٤٨، مقالات الإسلاميين للأشعري ٤٣، رجال الكشي ٣٨٠ برقم ٣١٥ (مؤسسة
الأعلمي - كربلاء)، رجال النجاشي ٢/ ٢٥٧ برقم ٩٥٨، رجال الطوسي ٢٨٥ برقم ٧٩ و ٣٥٨ برقم
٢، فهرست الطوسي ١٧٦ برقم ٦٤٧ و ١٨٠ برقم ٦٨٠، معالم العلماء ١٠٦ برقم ٧١٠، رجال ابن
داود ٣٠٨ برقم ١٣٣٦، رجال العلامة الحلي ١٥١ برقم ٦٥، التحرير الطاوسي ٢٤٣ برقم ٣٦٢،
مجمع الرجال ٥/ ٢٠٠، نقد الرجال ٣٠٤ برقم ٢٧٢، جامع الرواة ٢/ ١٠٢، هداية المحدثين ٢٣٥،
بهجة الآمال ٦/ ٤١٧، تنقيح المقال ٣/ ١٠٩ برقم ١٠٦٢٣ و ١٠٦٢٤، الذريعة ٦/ ٣٦١ برقم
٢٢١٤، معجم رجال الحديث ١٦/ ٣٠ برقم ١٠٦١٦ و ١٠٦٢٠، قاموس الرجال ٨/ ١٥١.

وعن لفيف من أتباع مدرسة أهل البيت، منهم: محمد بن مسلم الطائفي، وشهاب ابن عبد ربّه الأسدي، وأبو مسروق عبد الله النهدي.

وحدّث، وناظر، وألّف كتاباً، رواه عنه ابنه جعفر وغيره.

أخذ عنه جماعة، منهم الفقيهان المتكلّمان: محمد بن أبي عمير الأزدي، و
يونس بن عبد الرحمان.

وكان الإمام الكاظم عليه السلام يأنس لقابليّاته في المناظرة والحوار، ويخصّه على
التصدّي لذلك، في وقت كان عليه السلام ينهى بعض أصحابه عن القيام بذلك.

وكان عليه السلام يسأله عمّا يجري في مناظراته، ويُعرب عن رضاه بها.^(١)

قال محمد بن حكيم: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: المعرفة صُنع من هي؟ قال:
من صنع الله عزّ وجلّ، ليس للعباد فيها صنع.^(٢)

لم نظفر بتاريخ وفاته.

١. انظر رجال الكشي.

٢. الصدوق، التوحيد ٤١٠، باب ٦٤، الحديث ١.

٤٤

الطَّيَّار*

(.... قبل ١٤٨ هـ)

محمد بن عبد الله الفزاري، الشهير بالطَّيَّار، ويقال: يُعرف بابن الطَّيَّار أيضاً.^(١)

كان مقرئاً، فرضيًّا، متكلمًا، مناظرًا.

تلمذ للإمامين أبي جعفر الباقر، وولده أبي عبد الله جعفر الصادق عليه السلام وروى عنهما، وفاز لديهما بمكانة سامية.

وعُني بالكلام، وأطلع على آراء الفرق الإسلامية^(٢)، وتصدَّى للمناظرة والحجاج، وقد ناظر - بإشارة من الصادق عليه السلام - رجلاً من أهل الشام في الاستطاعة.^(٣)

* رجال الكشي ٢٩٧ برقم ١٩٧ و ١٩٨، رجال العلامة الحلي ١٥٠ برقم ٦٤، جامع الرواة ١٣٣/٢، انتهى المقال ٨٤/٦ برقم ٢٦٨٦، أعيان الشيعة ٦/٢٤٢ (بعنوان حمزة)، الإمام الصادق والمذاهب الأربعة ٣/٦٤ (بعنوان حمزة)، معجم رجال الحديث ١٦/١٩٤ برقم ١١٠٠٠ و ٢٥٦ برقم ١١١٤٨، قاموس الرجال ٣/٤٢٣ (بعنوان حمزة)، ٨/٢٤٨.

١. يرى العلامة التستري أنَّ المترجم كان معروفاً بالطَّيَّار فقط، وأنَّ إضافة لفظة (ابن) إليه من التحريفات. قاموس الرجال ٣/٤٢٥.

٢. كالمرجئة والقدرية والخواارج والزيدية. انظر رجال الكشي.

٣. انظر رجال الكشي ٢٣٥ (ضمن ترجمة هشام بن الحكم).

ولمّا بلغه كراهة الصادق للمناظرة والخصومة، سأله عن ذلك، فأجابه عليه بقوله:

أما كلام مثلك للناس فلا يكره. من إذا طار أحسن أن يقع، وإن وقع يحسن أن يطير، فمن كان هكذا فلا نكره كلامه.

توفي قبل (سنة ثمان وأربعين ومائة)^(١)، وترجم عليه الإمام الصادق، قائلاً: رحمه الله، ولقاه نضرة و سروراً، فقد كان شديد الخصومة عنا أهل البيت.

وقد روى عن المترجم جماعة، منهم ابنه حمزة^(٢) الشهير بابن الطيّار (ويقال: يُعرف بالطيّار أيضاً) وهو أحد تلامذة الصادق عليه السلام.

١. وهي سنة وفاة الصادق عليه السلام.

٢. ذهب بعضهم إلى رجوع كلام الإمام الصادق (الذي نقلناه في الترجمة) إلى حمزة (ولذا عُدَّ من المتكلمين)، لا إلى والده عمّده، وهذا - كما يرى السيد الخوئي - وهم، لأن ابن الطيّار (المذكور في كلامه عليه السلام) قد توفي في حياة الصادق، في حين روى ابنه حمزة عن موسى الكاظم عليه السلام (ابن الصادق عليه السلام)، و روى عنه محمد بن سنان الذي لم يدرك الصادق عليه السلام. انظر معجم رجال الحديث ٦/ ٢٨٠، الترجمة ٤٠٦٢.

٤٥

مؤمن الطاق*

(.... - نحو ١٦٠ هـ)

محمد بن علي بن النعمان بن أبي طريفة البجلي، أبو جعفر الكوفي،
الصيرفي، الأحول، الملقب بمؤمن الطاق، وصاحب الطاق.^(١)

* رجال البرقي ١٧، رجال الكشي ١٠٢ برقم ٤٩ (مؤسسة الأعلمي - كربلاء)، أخبار شعراء الشيعة
للمرزياني ٨٧ برقم ٢٠، الفهرست للنديم ٢٥٨ (ط. الاستقامة - القاهرة)، رجال النجاشي
٢/ ٢٠٣ برقم ٨٨٧، رجال الطوسي ٣٠٢ برقم ٣٥٥ و ٣٥٩ برقم ١٨، فهرست الطوسي ١٥٧،
معالم العلماء ٩٥ برقم ٦٥٨، رجال ابن داود ٣٢٦، رجال العلامة الحلي ١٣٨ برقم ١١، سير أعلام
النبلاء ١٠/ ٥٥٣ برقم ١٨٧، الوافي بالوفيات ٤/ ١٠٤ برقم ١٥٨٥، لسان الميزان ٥/ ٣٠٠ برقم
١٠١٧، مجمع الرجال ٦/ ١، نقد الرجال ٣٢٤، جامع الرواة ٢/ ١٥٨، بهجة الأمال ٦/ ٥٢٦،
تنقيح المقال ٣/ ١٦٠ برقم ١١١٤٧، تأسيس الشيعة ٣٥٨، الذريعة ٢/ ٣٣٦ برقم ١٣٤١،
٢١/ ٢٤٥ برقم ٤٨٥٣، الأعلام ٦/ ٢٧١، معجم المؤلفين ١١/ ٦٧، معجم رجال الحديث
١٧/ ٣٢ برقم ١١٣٥٩، ١١٩٠٧، قاموس الرجال ٨/ ٤١٧، فلاسفة الشيعة ٤٥٠، موسوعة
طبقات الفقهاء ٢/ ٥١٥ برقم ٦٤٢، معجم التراث الكلامي ١/ ١٦٤ برقم ٤٧٥ و ١٨٦ برقم ٥٧٤
و ٤٧٨ برقم ٢٠٧٧، ٣/ ٣٩٩ برقم ٦٦٨٥.

١. ويُعرف أيضاً بشيطان الطاق. قالوا: كان صيرفياً بالكوفة بطاق المحامل، فاختلف يوماً هو و
صيرفي في نقد درهم فغلبه المترجم، فقال: أنا شيطان الطاق، فغلب عليه هذا الاسم. انظر الوافي
بالوفيات.

كان من مشاهير متكلمي الشيعة، مناظراً قديراً، غزير العلم، كبير الشأن. اختص بالإمام جعفر الصادق عليه السلام، وتلقى عنه العلوم والمعارف، وحظي بثقته ومودته واحترامه.

ونازل واحتج في مسائل متعددة، خصوصاً في مسألة الإمامة التي احتدم حولها الخلاف آنذاك بين الشيعة والمعتزلة والخوارج والمرجئة.

وجلّى في هذا الميدان لفطنته وذكائه وحضور بديهته وقوة عارضته.

وقد عدّه المرزباني في شعراء الشيعة، وقال: كان من الفصحاء البلغاء، ومَن لا يُطاوَل في النظر والجدال في الإمامة.

ووصفه النديم بقوله: كان حسن الاعتقاد والهدي، حاذقاً في صناعة الكلام، سريع الخاطر والجواب.

قال أبو خالد الكابلي: رأيت أبا جعفر صاحب الطاق، وهو قاعد في الروضة، قد قطع أهل المدينة أزواره، وهو دائب يجيهم ويسألونه، فدنوت منه، فقلت: إنّ أبا عبد الله ينهانا عن الكلام، فقال: أمرك أن تقول لي؟ فقلت: لا والله، ولكن أمرني أن لا أكلّم أحداً، قال: فاذهب إليه وأطعه فيما أمرك. فدخلت على أبي عبد الله عليه السلام فأخبرته بقصة صاحب الطاق، وما قلت له، وقوله لي: اذهب فأطعه فيما أمرك. فتبسم أبو عبد الله عليه السلام، وقال: يا أبا خالد إنّ صاحب الطاق يكلّم الناس فيطير وينقض، وأنت إن قصوك لن تطير.

وللمترجم كتب جمّة، منها: كتاب الإمامة، كتاب المعرفة، كتاب الردّ على المعتزلة في إمامة المفضول، كتاب في إثبات الوصية، كتاب افعّل لا تفعل، كتاب في أمر طلحة والزبير وعائشة، كتاب في مناظراته مع أبي حنيفة والمرجئة، وكتاب في كلامه مع الخوارج، وغير ذلك.

وقد نُقلت له في كتب التاريخ والأدب قصص وحكايات طريفة مع أبي حنيفة، منها:

إنَّ أبا حنيفة كان يتهم (شيطان الطاق) بالقول بالرجعة، وكان (شيطان الطاق) يتهم أبا حنيفة بالقول بالتناسخ.

قال أبو حنيفة يوماً له: أقرضني من كيسك خمسمائة دينار، فإذا عدتُ أنا وأنت رددتها إليك، فقال له: أريد ضمينا أنك تعود إنساناً وأخاف أن تعود قرداً.^(١)

توفي نحو سنة ستين ومائة.^(٢)

ومن شعره:

ولا تكُ في حبِّ الأخلاء مفرطاً

وإن أنست أبغضت البغيض فأجل

فإنك لا تدري متى أنت مبغض

صديقك أو تعذر عدوك فاعقل

قال بشار بن بُرد: شيطان الطاق أشعر مني.^(٣)

١. انظر تاريخ بغداد ١٣/ ٤٠٩.

٢. وقيل: حدود (١٨٠ هـ).

٣. الوافي بالوفيات ٤/ ١٠٤.

٤٦

المُفَضَّل بن عمر*

(نحو ١٠٠- قبل ١٨٣هـ)

الجُعْفِي، أبو عبد الله (أو أبو محمد) الكوفي.

ولد بالكوفة نحو سنة مائة.

وتلمذ للإمام أبي عبد الله جعفر الصادق عليه السلام، وروى عنه وعن الإمام أبي الحسن موسى الكاظم عليه السلام وعن عدد من أعلام مدرسة أهل البيت كجابر بن يزيد الجعفي، وأبي حمزة ثابت بن أبي صفية الثمالي، وغيرهما. وكان فقيهاً، محدثاً.

عُني بالمسائل الكلامية، وناظر فيها.

وألّف كتاب فكر، ويُعرف بتوحيد المُفَضَّل، وهو مجموعة من الدروس، أملاها عليه الصادق عليه السلام، وتحدّث فيها عن أسرار الكون وعجائب السماوات

* رجال الكشي ٢٧٢ برقم ١٥٤، رجال النجاشي ٢/٣٥٩ برقم ١١١٣، رجال الطوسي ٣١٤ برقم ٥٥٤ و ٣٦٠ برقم ٢٣، فهرست الطوسي ١٩٧، معالم العلماء ١٢٤، رجال ابن داود ٥١٨، رجال العلامة الحلي ٢٥٨، جامع الرواة ٢/٢٥٨، أعيان الشيعة ١٠/١٣٢، معجم رجال الحديث ١٨/٢٩٢ برقم ١٢٥٨٦، قاموس الرجال ٩/٩٣، حياة الإمام موسى بن جعفر لباقر القرشي ٢/٣٢٣، موسوعة طبقات الفقهاء ٢/٥٦٦ برقم ٦٧٦، معجم التراث الكلامي ١/٥٦٢ برقم ٢٤٩٥، ٢/٢٤ برقم ٢٥٩٠ و ٣٥٣ برقم ٤١١٦.

والأرض وإثبات الصانع تعالى وتوحيده.^(١)

وله أيضاً: كتاب ما افترض الله على الجوارح من الإيمان (ويسمى الإيمان والإسلام)، وكتاب في بدء الخلق والحث على الاعتبار، وعلل الشرائع، ووصية المفضل، وكتاب يوم وليلة.

توفي في حياة الإمام الكاظم عليه السلام.

روى المفضل عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: من زعم أن الله في شيء أو من شيء أو على شيء فقد أشرك، لو كان الله عز وجل على شيء لكان محمولاً، ولو كان في شيء لكان محصوراً، ولو كان من شيء لكان محدثاً.^(٢)

١. قال محمد الحسين المظفر: إن المفضل سمع ابن أبي العوجاء وإلى جانبه رجل من أصحابه في مسجد النبي صلى الله عليه وآله وهما يتناجيان في ذكر النبي صلى الله عليه وآله، ثم انتقلا إلى ذكر الأصل فأنكر وجوده ابن أبي العوجاء، وزعم أن الأشياء ابتدأت بإهمال، فردّ عليه المفضل في مناظرة جرت بينهما، ثم قام المفضل ودخل على الإمام الصادق عليه السلام فأخبره بما سمعه من الدهريين وبإدّاء عليهما، فألقى الإمام عليه هذا الكلام. الإمام الصادق ١٤٩.

٢. الصدوق، التوحيد ١٧٨، الباب ٢٨، الحديث ٩.

٤٧

مقاتل بن سليمان*

(....-١٥٠هـ)

ابن بشير الأزدي بالولاء، المفسر الكبير، أبو الحسن البلخي ثم البصري،
أحد علماء الزيدية.

سكن البصرة، وورد بغداد، فحدث بها.^(١)

روى عن الإمام الصادق عليه السلام، وعن: محمد بن مسلم الزهري، وأبي إسحاق
السبيعي، وعطاء بن أبي رباح، وآخرين.
واشتهر بتفسير القرآن الكريم.
عده النديم من متكلمي الزيدية.

* طبقات ابن سعد ٧/٣١٣، حياة الحيوان ١/٣٥٤ (ط. مصر)، الفهرست للنديم ٢٦٧ (ط. الاستقامة - القاهرة)، رجال الطوسي ١٣٨ برقم ٤٩ و ٣١٣ برقم ٥٣٦، تاريخ بغداد ١٣/١٦٠ برقم ٧١٤٣، وفيات الأعيان ٥/٢٥٥ برقم ٧٣٣، تهذيب الكمال ٢٨/٤٣٤ برقم ٦١٦١، سير أعلام النبلاء ٧/٧٠١ برقم ٧٩، ميزان الاعتدال ٤/١٧٣ برقم ٨٧٤١، تهذيب التهذيب ١٠/٢٧٩ برقم ٥٠١، طبقات المفسرين للدواودي ٢/٣٣٠ برقم ٦٤٢، كشف الظنون ١/٤٥٩، ٢/١٤٦٩، ٢٠٠١، شذرات الذهب ١/٢٢٧، الأعلام ٧/٢٨١، معجم المؤلفين ١٢/٣١٧، معجم رجال الحديث ١٨/٣١١ برقم ١٢٦٠٣، قاموس الرجال ٩/١٠٩، أعلام المؤلفين الزيدية ١٠٤٦ برقم ١١٢٥.

١. قال عبد السلام الوجيه: وقد تركوا أحاديثه لتشييعه. أعلام المؤلفين الزيدية.

ورُمي بالتجسيم، ونُسبت إليه فرقة تُعرف بالمقاتلية.^(١)
 أُلّف كتباً، منها: الردّ على القَدَريّة، التفسير الكبير، الناسخ والمنسوخ،
 الأقسام واللغات، التقديم والتأخير، ومتشابه القرآن، وغير ذلك.
 توفي بالبصرة سنة خمسين ومائة.

٤٨

منصور بن أبي الأسود*

(.... بعد ١٧٠ هـ تقديراً)

الليثي، الكوفي، أحد كبار الشيعة.
 روى عن أبي عبد الله جعفر الصادق عليه السلام، وعن: مغيرة بن مقسم الضبي،
 وحسين بن عبد الرحمان، و سليمان الأعمش، وغيرهم.
 وكان كثير الحديث.

روى عنه: عبد الرحمان بن مهدي (١٣٥ - ١٩٨ هـ)، وأبو الربيع سليمان بن

١. شريف يحيى الأمين، معجم الفرق الإسلامية ٢٣٥.

* طبقات ابن سعد ٦/ ٣٨٢، التاريخ الكبير ٧/ ٣٤٨ برقم ١٥٠٠، فرق الشيعة للنويعي ٥٨، الجرح
 والتعديل ٨/ ١٧٠ برقم ٧٥٦، الفهرست للتنديم ٢٦٧ (ط. الاستقامة - القاهرة)، رجال النجاشي
 ٢/ ٣٥٣ برقم ١١٠٤، رجال الطوسي ٣١٣ برقم ٥٣١، ميزان الاعتدال ٤/ ١٨٣ برقم ٨٧٧٠،
 تهذيب الكمال ٢٨/ ٥١٨ برقم ٦١٨٩، تهذيب التهذيب ١٠/ ٣٠٥ برقم ٥٣٣، تقريب
 التهذيب ٢/ ٢٧٥ برقم ١٣٧٨، معجم رجال الحديث ١٨/ ٣٤٠ برقم ١٢٦٦٦، قاموس
 الرجال ٩/ ١٢٥ - ١٢٦.

داود الزهراني (المتوفى ٢٣٤هـ)، وابن أخيه الحسن بن صالح بن أبي الأسود، وأبو
نُعيم الفضل بن دكين (المتوفى ٢١٩هـ)، وآخرون.
وَأَلَّفَ كتاباً، رواه عنه الحسين بن محمد بن علي الأزدي.^(١)
ذكر النوبختي في «فرق الشيعة» الأقوياء من الزيدية، وعدّ منهم أصحاب
المرّجم له، كما عدّه النديم من متكلميهم.
وقال ابن معين: كان من الشيعة الكبار.^(٢)
توفي بعد سنة سبعين ومائة - حسب تقديرنا - .

٤٩

منصور بن حازم*

(... - حيّاً بعد ١٤٨هـ)

البجليّ، أبو أيوب الكوفي، أحد أجلاء علماء الشيعة.
تلمذ للإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام، وأخذ عنه العلوم والمعارف، وروى
عنه وعن الإمام أبي الحسن موسى الكاظم عليه السلام، وعن لفيف من أعلام مدرسة أهل

١. رجال النجاشي.

٢. ميزان الاعتدال.

* رجال البرقي ٣٩، رجال الكشي ٣٥٨ برقم ٢٩٥ (مؤسسة الأعلمي - كربلاء)، رجال النجاشي
٢/ ٣٥٢ برقم ١١٠٢، رجال الطوسي ٣١٢ برقم ٥٢٣، فهرست الطوسي ١٩٢، رجال ابن داود
٣٥٣ برقم ١٥٧٣، رجال العسّامة الحلّي ١٦٧ برقم ٢، مجمع الرجال ١٤٢/ ٦، جامع
الرواة ٢/ ٢٦٤، هداية المحدثين ١٥٢، منتهى المقال ٦/ ٣٣٤ برقم ٣٠٤٧، تنقيح المقال ٣/ ٢٤٩
برقم ١٢١٦٦، معجم رجال الحديث ١٨/ ٣٤٢ برقم ١٢٦٧١، ٣٤٥ برقم ١٢٦٧٢، قاموس
الرجال ٩/ ١٢٦، موسوعة طبقات الفقهاء ٢/ ٥٧٠ برقم ٦٧٨.

البيت كأبان بن تغلب، وأبي بصير الأسدي، وعبد الله بن أبي يعفور العبدي، وهشام بن سالم الجواليقي، ومحمد بن علي الحلبي، وآخرين.

وأصبح من عيون الفقهاء.

ألف كتباً، منها: أصول الشرائع، وكتاب الحج.

أقول: وكان له اهتمام بالمسائل الكلامية، يبدو ذلك جلياً من رواياته وحواراته في هذا المجال.

قال المترجم: قلت لأبي عبد الله عليه السلام إِنِّي ناظرت قوماً فقلت لهم: إِنَّ الله جلّ جلاله أجلّ وأكرم من أن يُعرف بخلقه، بل العباد يُعرفون بالله، فقال: رحمك الله ^(١).

قلت له: من عرف أن له رباً فقد ينبغي أن يعرف أن لذلك الربّ رضاءً وسخطاً، وأنه لا يعرف رضاه وسخطه إلاّ بوحى أو رسول، فمن لم يأت به الوحي، فينبغي أن يطلب الرسل، فإذا لقيهم عرف أنهم الحجة وأنّ لهم الطاعة المفروضة. فقلت للناس: أليس تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان هو الحجة من الله على خلقه؟ قالوا: بلى، قلت: حين مضى رسول الله صلى الله عليه وآله من كان الحجة؟ فقالوا: القرآن، فنظرت في القرآن فإذا هو يخاصم به المرجئ والقدرى والزنديقى الذي لا يؤمن به حتى يغلب الرجال بخصومته، فعرفت أن القرآن لا يكون حجة إلاّ بقيم، ما قال فيه من شيء كان حقاً، فقلت لهم: من قيم القرآن، فقالوا... قلت: وأشهد أن علياً كان قيم القرآن، وكانت طاعته مفترضة، وكان حجة على الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وأنه ما قال في القرآن فهو حق....

١. الكافي ١/ ٨٦، كتاب التوحيد، باب أنه لا يعرف إلاّ به، الحديث ٣. وتكملة الحديث نقلناها من

وقال المترجم: سألت أبا عبد الله عليه السلام، هل يكون اليوم شيء لم يكن في علم الله بالأمر؟ قال: لا، من قال هذا فأخزاه الله، قلت: أرايت ما كان وما هو كائن إلى يوم القيامة أليس في علم الله؟ قال: بلى، قبل أن يخلق الخلق.^(١)
لم نظفر بتاريخ وفاته.

٥٠

هشام بن الحكم*

(.... نحو ١٨٨، ١٩٩ هـ)

الكندي بالولاء، أبو محمد الكوفي، البغدادي، أحد أعلام الفكر والمعرفة،

١. الكليني، الكافي ١/ ١٤٨، كتاب التوحيد، باب البدء، الحديث ١١؛ والصدوق، التوحيد ٣٣٤، كتاب التوحيد، باب البدء، الحديث ٨.

* رجال البرقي ٣٥، مقالات الإسلاميين للأشعري ٣١-٣٣، ٣٧-٣٨، ٤٠-٤١، ٤٢-٤٣، ٥٢، ٥٥-٥٦، ٦٠-٦١، ٦٣، وغير ذلك، موج الذهب ٤/ ٢٣٦ برقم ٢٥٦٥، ٥/ ٢٢ برقم ٢٩١٩، الفهرست للنديم ٢٥٧، ٢٦٣، الفرق بين الفرق ٦٥-٦٨، رجال الكشي ٢٢٠ برقم ١٣١، الرسالة العددية للمفيد ٤٥، رجال النجاشي ٢/ ٣٩٧ برقم ١١٦٥، رجال الطوسي ٣٢٩ برقم ١٨ و ٣٦٢ برقم ١، فهرست الطوسي ٢٠٢، الملل والنحل للشهرستاني ١/ ١٨٧-١٩٠ (دار الكتب العلمية . ط ١)، معالم العلماء ١٢٨ برقم ٨٦٢، رجال ابن داود ٣٤٧ برقم ١٦٤٣، رجال العلامة الحلي ١٧٨ برقم ١، نقد الرجال ٣٦٨، جامع الرواة ٢/ ٣١٣، هدية العارفين ٢/ ٥٠٧، تأسيس الشيعة ٣٦٠-٣٦١، أعيان الشيعة ١٠/ ٢٦٤، الأعلام ٨/ ٨٥، الإمام الصادق والمذاهب الأربعة ٣/ ٧٩-١١٠، معجم المؤلفين ١٣/ ١٤٨، معجم رجال الحديث ١٩/ ٢٧١ برقم ١٣٣٢٩، قاموس الرجال ٩/ ٣١٦-٣٥٦، هشام بن الحكم لعبد الله نعمة، رسائل ومقالات للسبحاني ٣١٢، موسوعة طبقات الفقهاء ٢/ ٥٩٩ برقم ٧٠١.

وأبرز المتكلمين في عصره.

ولد بالكوفة (وقيل بواسط)، وقضى بها جُلَّ أيامه، وتردّد إلى بغداد للتجارة، ثم استقرّ بها.

تلمذ للإمام جعفر الصادق عليه السلام في شتى صنوف العلوم والمعارف الإسلامية، ثم اختصّ بالإمام موسى الكاظم عليه السلام، فأخذ عنه العلم، وروى عنهما وعن: سدير بن حُكيم الصيرفي، وشهاب بن عبد ربه الأسدي، ووزارة بن أعين، وأبي عبيدة الحذاء، وآخرين.

وبرّز في الفقه والحديث، وألمّ بالتفسير والأدب، وبرع في الكلام. واستحوذت عليه نزعة الجدل، وذاع صيته في ذلك، لما امتاز به من حدة الذهن، وحضور الجواب، وعمق التفكير، وسعة الثقافة، وقوة الحجّة، حتّى صار - في ذلك العصر الحافل بضروب التيارات والاتجاهات والمذاهب - أكبر شخصية شيعية في علم الكلام (على حدّ تعبير أحمد أمين المصري)، ومن فرسان المناظرة المُعلّمين.

اقتحم المترجم ميادين المناظرة والحجاج، مدافعاً عن الإسلام وعن مذهب أهل البيت، ومفنّداً الشبه المثارة من الزنادقة والفلاسفة وأصحاب الطوائع الشنوية، وناقداً لآراء مختلف المذاهب والفرق كالمتعزلة والزيدية والخوارج وغيرهم، وكان يخرج من جميع مناظراته منتصراً، الأمر الذي خلق له خصوماً وحساداً، نسبوا إليه آراءً منكراً ومقالات فاسدة افتراءً عليه، أو تلبساً على الناس، أو جهلاً بأساليب المناظرة.^(١)

١. مثل أن يُنقل كلامه الذي يورده لمعارضة خصمه، وكأنّه من آرائه الثابتة، ومن الواضح أنّه ليس كلّ من عارض بشيء يكون معتقداً به، وإلى هذا المعنى أشار الشهرستاني في قوله المذكور في أصل الترجمة. انظر المراجعات ٢٩٢.

قال الشهرستاني : وهشام بن الحكم صاحب غور في الأصول، ولا يجوز أن يُغفل عن إلتزاماته على المعتزلة، فإنَّ الرجل وراء ما يلزمه على الخصم، ودون ما يظهره من التشبيه، وذلك أنَّه ألزم العلاف....

ولسمو مكانة المترجم العلمية، أثره يحیی بن خالد البرمكي، وقربه إليه، وولاه مجالس الكلام والنظر ببغداد، والتي كان يحضرها أرباب البحث والنظر من متكلمي الإسلام وغيرهم كالعلاف والنظام والسكاك وعلي بن ميثم والموبد.^(١)

ومن أبرز الجوانب التي ظهرت فيها مواهبه في المحاوراة والجدل، هو مناظراته التي كانت تدور حول الإمامة والمسائل المتعلقة بها، حيث تجلّت فيها قدراته الخلاقة في إفحام الخصوم، وفي تركيز تلك المفاهيم، وترسيخ بنائها على أسس عقلية ونقلية متينة، ولأثره البالغ في هذا المجال، وصفه النديم بقوله:

هو من متكلمي الشيعة، مَن فتق الكلام في الإمامة، وهذب المذهب والنظر، وكان حاذقاً بصناعة الكلام، حاضر الجواب.

تتلمذ على المترجم فريق من العلماء، أبرزهم: الفقيه المتكلم يونس بن عبد الرحمان (المتوفى ٢٠٨هـ)، والمتكلم علي بن منصور الكوفي البغدادي، والفقيه المتكلم محمد بن زياد (أبي عمير) الأزدي (المتوفى ٢١٧هـ)، والمتكلم الشهير إبراهيم بن سيار النظام المعتزلي.

وألّف كتباً كثيرة، منها: كتاب التوحيد، كتاب الشيخ والغلام، كتاب القدر، كتاب الاستطاعة، كتاب المعرفة، كتاب الإمامة، كتاب الردّ على من قال بإمامة المفضول، كتاب الوصية والردّ على من أنكرها، كتاب الردّ على المعتزلة، كتاب الردّ على الزنادقة، كتاب الردّ على هشام الجواليقي، كتاب الردّ على أرسطاطاليس، كتاب الألفاظ، وكتاب الردّ على أصحاب الاثنین، وغير ذلك.

وله مناظرات ومحاورات كثيرة^(١)، منها أنه سأل عمرو بن عبيد، وهو يحاوره عن منفعة الجوارح وغاياتها من الأنف واللسان واليد والأذن وسواها، والرجل يجيبه، وأخيراً سألته عن فائدة القلب فأجابته: لأميّز به كلّ ما ورد على هذه الجوارح، قال: أفليس في هذه الجوارح غنى عن القلب؟ قال: لا، قال: وكيف ذلك وهي صحيحة سليمة؟ قال عمرو: يا بنيّ إنّ الجوارح إذا شكّت في شيء شمّته أو رأته أو ذاقته، فتؤديه إلى القلب، فيتيقّن ويبطل الشك، قال هشام: فإنّما قدّم الله القلب لشكّ الجوارح، قال: نعم، قال: فلا بدّ من القلب وإلاّ لم تستيقن الجوارح، قال: نعم، قال هشام: يا أبا مروان، إنّ الله لم يترك جوارحك حتّى جعل لها إماماً يصحّح لها الصحيح، وينفي ما شكّت فيه، هذا الخلق كلّهم في حيرتهم وشكّهم واختلافهم، لا يقيم لهم إماماً يردّون إليه شكّهم وحيرتهم، ويقيم لك إماماً بجوارحك تردّ إليه حيرتك وشكّك.

فسكبت عمرو ولم يقل شيئاً.^(٢)

توفيّ هشام بعد نكبة البرامكة^(٣) بمدة يسيرة (متسراً)، وقيل بل في خلافة المأمون^(٤)، قاله النديم.

وقال الفضل بن شاذان: توفيّ سنة تسع وسبعين ومائة.

وقال النجاشي: مات سنة تسع وتسعين ومائة.

١. منها: مناظرته مع أحد البراهمة، ومناظرته مع الإباضية، ومناظرته مع إبراهيم بن سيار المعتزلي، ومناظرته مع ابن أبي العوجاء، ومناظرته مع أبي الهذيل العلاف، ومناظراته مع أبي حنيفة، وغير ذلك. انظر الإمام الصادق والمذاهب الأربعة ٣/ ٨٥.

٢. انظر مروج الذهب ٥/ ٢٢ برقم ٢٩١٩.

٣. كانت نكبتهم على يد الرشيد سنة (١٨٧هـ).

٤. ولي الخلافة سنة (١٩٨هـ).

٥١

الجواليقي*

(.... حياً قبل ١٨٣هـ)

هشام بن سالم الجواليقي، أبو محمد الكوفي.
اختص بالإمامين جعفر الصادق وولده موسى الكاظم عليه السلام، وتلقى عنهما
علماً جماً.

وأخذ عن لفيف من الأعلام، منهم: أبان بن تغلب، و زرارة بن أعين، وأبو
مريم عبد الغفار بن القاسم الأنصاري، وعبد الله بن أبي يعفور العبدي، وأبو حمزة
الشمالي.

* رجال البرقي ٣٤، ٤٨، مقالات الإسلاميين للأشعري ٣٤، ٤١، ٤٢، ٤٤، ٤٥ — ٢٠٩، ٣٤٦،
الفرق بين الفرق ٦٥، ٦٨ — ٦٩، رجال الكشي ٢٣٨ برقم ١٣٢ (مؤسسة الأعلمي — كربلاء)،
الرسالة العددية للمفيد ٤٥، رجال النجاشي ٢/ ٣٩٩ برقم ١١٦٦، رجال الطوسي ٣٢٩ برقم ١٧ و
٣٦٣ برقم ٣، فهرست الطوسي ٢٠٣ برقم ٧٨١، الملل والنحل للشهرستاني ١/ ١٨٧، ١٩١ (دار
الكتب العلمية — ط)، معالم العلماء ١٢٩، رجال ابن داود ٣٦٨ برقم ١٦٤٥ و ٣٨٤، رجال
العلامة الحلي ١٧٩ برقم ٢، التحرير الطاوسي ٣٠٢ برقم ٤٤٧، مجمع الرجال ٦/ ٢٣٤، نقد
الرجال ٣٦٩، جامع الرواة ٢/ ٣١٤، بهجة الآمال ٧/ ٢٠٠، تأسيس الشيعة ٣٦٠، أعيان
الشيعة ١٠/ ٢٦٦، الذريعة ٤/ ٢٧٠ برقم ١٢٥٥، ٦/ ٢٥٤ برقم ١٣٩٣، ٢١/ ٢٢٦ برقم ٤٧٤٢،
معجم رجال الحديث ١٩/ ٢٩٧ برقم ١٣٣٣٢، قاموس الرجال ٩/ ٣٥٧، موسوعة طبقات
الفقهاء ٢/ ٦٠٢ برقم ٧٠٢، معجم التراث الكلامي ٥/ ١٨٨ برقم ١١١٤٥.

وأصبح من رجال الشيعة البارزين في الفقه والكلام.

ألف كتباً، منها: كتاب المعراج، وكتاب التفسير، وكتاب الحج.

وتصدى لنشر فقه وحديث أئمة أهل البيت عليهم السلام، وللمناظرة والاحتجاج.

وقد شكّل هو والمتكلم الشهير هشام بن الحكم - نتيجة توافقهما في كثير من الآراء^(١) - مدرسة خاصة عُرفت بالمدرسة الهشامية^(٢)، نهضت بمهمة الدفاع عن منهج أهل البيت وخطّهم الفكري والعقائدي، والردّ على آراء ودعاوى خصومهم والمنحرفين عنهم، الأمر الذي حملهم على التشنيع عليهما، وعلى نسبة أقوال وآراء كلامية منكرة إليهما، عداوة وتعصّباً، أو جهلاً بقواعد فنّ المناظرة.

والمترجم هو أحد المتكلمين الذين ناظروا الرجل الشامي بمحضر الإمام الصادق عليه السلام.^(٣)

قال محمد بن هارون الوراق البغدادي المعتزلي (المتوفى ٢٤٧هـ): إنّ هشام ابن سالم ومحمد بن النعمان أمسكا عن الكلام في الله تعالى ورويا عمّن يوجبان تصديقه أنّه سئل عن قول الله تعالى: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ﴾، قال: إذا بلغ الكلام إلى الله تعالى فأمسكوا، فأمسكا عن القول في الله والتفكّر فيه حتّى ماتا.^(٤)

لم نظفر بتاريخ وفاة المترجم.

١. كما ظهرت بينهما نقاط افتراق، مما دعا سميّه هشام بن الحكم إلى تأليف كتاب في الردّ عليه.

٢. عبد الله نعمة، فلاسفة الشيعة ٤٣.

٣. انظر الخبر في الكافي ١/ ١٧١، باب الاضطرار إلى الحجة، الحديث ٤.

٤. الشهرستاني، الملل والنحل ١/ ١٩١ والصفدي، الوافي بالوفيات ٤/ ١٠٤.

متكلمو الشيعة

في

القرن الثالث

الثَّقَفِيّ*

(....-٢٨٣هـ)

إبراهيم بن محمد بن سعيد بن هلال بن عاصم بن سعد^(١) الثَّقَفِيّ، أبو إسحاق الكوفي ثم الأصفهاني، صاحب كتاب «الغارات».

* الفهرست للنديم ٣٢٧ (ط. الاستقامة - القاهرة)، ذكر أخبار أصفهان ١/ ١٨٧، رجال النجاشي ١/ ٩٠ برقم ١٨، رجال الطوسي ٤٥١ برقم ٧٣، فهرست الطوسي ٢٧ برقم ٧، الأنساب للسمعاني ١/ ٥١١، معالم العلماء ٣ برقم ١، معجم الأدباء ١/ ٢٣٢، رجال ابن داود ١٧ برقم ٣١، رجال العلامة الحلي ٥ برقم ١٠، تاريخ الإسلام (سنة ٢٨١ - ٢٩٠هـ) ١١٢ برقم ١٢٥، لسان الميزان ١/ ١٠٢ برقم ٢٠٠، مجمع الرجال ١/ ٦٥، نقد الرجال ١٢ برقم ٩٥، جامع الرواة ١/ ٣١، هداية المحدثين ١٦٨، روضات الجنات ١/ ٤، بهجة الآمال ١/ ٥٦٩، تنقيح المقال ١/ ٣١ برقم ١٨٦، تأسيس الشيعة ٢٤١ و ٣٠٠ و ٣٣٠، أعيان الشيعة ٢/ ٢٠٩، الذريعة ٢/ ٣٢٠ برقم ١٢٦١ و ١٢٦٢، ٨/ ٢٣٦ برقم ٩٩٣، ١٩/ ٤٧ برقم ٢٤٧، ٢٥/ ١٠٢ برقم ٥٦٣، وغير ذلك، الأعلام ١/ ٦٠، قاموس الرجال ١/ ١٨٨، موسوعة طبقات الفقهاء ٣/ ٤٩ برقم ٧٥٧، موسوعة مؤلفي الإمامية ١/ ٣٨٤، معجم التراث الكلامي ١/ ٤٥٦ برقم ١٩٤٦، ٣/ ٢٨٣ برقم ٦٠٦٩، ٥/ ٢٢ برقم ١٠٣٠٧ و ١٩٩ برقم ١١٢٠٧.

١. هو سعد بن مسعود الثَّقَفِيّ، عمّ المختار بن أبي عبيد الثَّقَفِيّ، ولّاه أمير المؤمنين عليه السلام المدائن.

كان فقيهاً، متكلماً، مؤرخاً، كثير التصانيف، من مشاهير العلماء.
أخذ عن لفيف من علماء عصره، وروى عنهم، ومنهم: عبدالله بن محمد بن
أبي شيبه (المتوفى ٢٣٥هـ)، وإسماعيل بن أبان، وعلي بن المعلّى، وأبو نعيم الفضل
ابن دكين، وعبداد بن يعقوب الرواجني، والعباس بن بكار.
وكان زيدياً أولاً، ثم دان بمذهب الإمامية.
انتقل من الكوفة إلى أصفهان بدافع التعريف بمقام أهل البيت، وبث
فضائلهم ومناقبهم، وما قدّموه من عطاء ثرّ في مختلف حقول العلم والمعرفة.
وذاع صيته هناك، وسمت مكانته بين العلماء.
روى عنه: أحمد بن علوية الأصفهاني الكاتب، وعبد الرحمان بن إبراهيم
المستملي، وأحمد بن محمد بن خالد البرقي، وسلمة بن الخطاب، وسعد بن عبد الله
الأشعري، وآخرون.
وألّف كتاباً جتّة، منها: كتاب المبتدأ (في العقائد)، كتاب المعرفة، كتاب في
الإمامة كبير، كتاب في الإمامة صغير، كتاب الدلائل (في العقائد)، كتاب الوصية،
كتاب الخوض والشفاعة، كتاب الحجّة في فضل المكرمين، كتاب معرفة فضل
الأفضل، كتاب الجامع الكبير في الفقه، كتاب الجامع الصغير، كتاب
الغارات^(١) (ط)، كتاب السقيفة، كتاب صفين، كتاب المغازي، كتاب مقتل
الحسين سلام الله عليه، كتاب قيام الحسن عليه السلام، وكتاب التفسير، وغير ذلك.
توفي سنة ثلاث وثمانين ومائتين.

١. نقل عنه ابن أبي الحديد كثيراً في «شرح نهج البلاغة».

٥٣

الأهوازي*

(.... بعد ٢٦٠ هـ تقديراً)

أحمد بن الحسين بن سعيد بن حماد، أبو جعفر الأهوازي، الملقب بـ (دندان).

تلمذ لأبيه العالم الجليل الحسين بن سعيد، وروى عنه وعن أكثر شيوخ أبيه (وقالوا عن سائرهم، إلا حماد بن عيسى)، وهم: عبدالله بن مسكان العنزي، والحسن بن علي بن فضال، وعلي بن أسباط بن سالم، وأحمد بن محمد بن أبي نصر، وعلي بن حديد المدائني، وغيرهم كثير.

روى عنه: محمد بن الحسن الصفار (المتوفى ٢٩٠ هـ)، وسعد بن عبد الله الأشعري القمي (المتوفى ٣٠٠ هـ أو ٢٩٩ هـ).

* الفهرست للنديم ٣٢٥، وفيه: زيدان بن الحسن بن سعيد، رجال النجاشي ١/ ٢٠٧ برقم ١٨١، رجال الطوسي ٤٥٣ برقم ٨٧، فهرست الطوسي ٤٦ برقم ٦٧، معالم العلماء ١٢ برقم ٥٧، رجال ابن داود ٤١٨ برقم ٢١-٢٢، رجال العلامة الحلي ٢٠٢ برقم ٨، لسان الميزان ١/ ١٥٧ برقم ٥٠٤، نقد الرجال ٢٠ برقم ٤١، جامع الرواة ١/ ٤٧، منتهى المقال ١/ ٢٤٨ برقم ١٣٤، تنقيح المقال ١/ ٥٦ برقم ٣٣٦، أعيان الشيعة ٢/ ٥٦٤، مستدركات علم رجال الحديث ١/ ٢٩٤ برقم ٨٧٦، الذريعة ١/ ٢٨١ برقم ١٤٧١، ٢/ ٣٥٥ برقم ١٤٣٠، معجم رجال الحديث ٢/ ٩٣ برقم ٥١٨، قاموس الرجال ١/ ٢٨٧، موسوعة مؤلفي الإمامية ٣/ ٣٣٠-٣٣١، معجم التراث الكلامي ١/ ١٨٥ برقم ٥٦٧ و ٤٩٧ برقم ٢١٨٢.

وصنّف كتاب الاحتجاج (الاحتجاجات)، وكتاب الأنبياء، وكتاب المثالب، وغير ذلك.

توفي بقم، ولم نقف على تاريخ وفاته، ولعله بعد الستين ومائتين.

٥٤

الصَّيْقِلُ*

(....- حيّا نحو ٢٥٠ تقديراً)

أحمد بن الحسين بن عمر بن يزيد الصيقل، أبو جعفر الكوفي.

روى جدّه عمر بن يزيد عن الإمامين الصادق والكاظم عليهما السلام.

وروى هو عن عدد من رجال مدرسة أهل البيت، منهم: عمّه محمد بن

عمر، ومحمد بن جمهور العمّي.

روى عنه: أحمد بن أبي زاهر الأشعري القمي، وعلي بن الحسن بن علي بن

فضال الكوفي، وسهل بن زياد الأدمي الرازي، ومحمد^(١) بن أحمد بن يحيى

الأشعري صاحب «نوادير الحكمة».

وألّف كتاباً، منها: كتاب في الإمامة، وكتاب النوادر.

لم نظفر بتاريخ وفاته.

* رجال النجاشي ١/ ٢١٩ برقم ١٩٨، رجال العلامة الحلي ١٩ برقم ٤١، مجمع الرجال ١/ ١٠٨-

١٠٩، نقد الرجال ٢١ برقم ٤٥، جامع الرواة ١/ ٤٨، منتهى المقال ١/ ٢٥٧ برقم ١٣٨، أعيان

الشيعة ٢/ ٥٦٩، الذريعة ٢/ ٣٢٠ برقم ١٢٦٥، معجم رجال الحديث ٢/ ٩٩ برقم ٥٢٧-٥٢٩،

قاموس الرجال ١/ ٢٩٧، معجم التراث الكلامي ١/ ٤٥٧ برقم ١٩٥٠.

١. هو من مشايخ ثقة الإسلام الكليني (المتوفى ٣٢٩هـ).

أبو يحيى الجرجاني*

(....- حياً قبل ٢٥٤هـ)

أحمد بن داود بن سعيد الفزاري، أبو يحيى الجرجاني.

كان من علماء أهل السنة المتقدمين في علم الحديث، ثم دان بمذهب أهل البيت عليه السلام، وتصدى للدفاع عنه، وللسرد والاحتجاج في فنون شتى على الحشوية وعلى غيرها من الفرق والمذاهب.

وقد ألّف في ذلك كتباً متعددة، منها: الغوغاء من أصناف الأئمة من المرجئة والقدرية والخوارج، كتاب التفويض، الرد على الحنبلي، الرد على السجزي^(١)، محنة

* رجال الكشي ٤٤٧ برقم ٤٠٩، رجال النجاشي ٢/٤٣٦ برقم ١٢٣٢، رجال الطوسي ٤٢٦ برقم ١١١ و ٤٥٦ برقم ١٠٧، فهرست الطوسي ٥٨ برقم ١٠٠، معالم العلماء ٢٢ برقم ١٠٩، رجال ابن داود ٢٧ برقم ٧٣، رجال العلامة الحلي ١٧ برقم ٢٦، مجمع الرجال ١/١١٤، نقد الرجال ٩٢، جامع الرواة ١/٥٠، بهجة الأمال ٧/٤٨٩، تنقيح المقال ١/٦٠ برقم ٣٥٦، أعيان الشيعة ٢/٥٨٦، الذريعة ١٦/٧٢ برقم ٣٥٨، معجم رجال الحديث ٢/١١١ برقم ٥٥٧، قاموس الرجال ١/٣٠٩، موسوعة مؤلفي الإمامية ٣/٣٩٩، معجم التراث الكلامي ١/٢٥٢ برقم ٨٩٣، ٢/٣١٦ برقم ٣٩٥٣، ٣/٣٧٧ برقم ٦٥٥٠.

١. وفي عدة مصادر: السجزي أو الشجري، وقد وقع اختيارنا على ما ورد في «معالم العلماء»، ويُقصد به فيما أرى: محمد بن كزّام بن عراق السجزي (نسبة إلى سجستان)، إمام فرقة الكرامية، وهي فرقة مستقلة من الصفاتية المجسمة، توفي ابن كزّام سنة (٢٥٥هـ) انظر الأعلام ٧/١٤، ومعجم الفرق الإسلامية لشريف الأمين ١٩٥-١٩٧.

المباينة - يصف فيه مذهب أهل الحشو وفضائحهم - مناظرة الشيعي والمرجئي في المسح على الخفين وأكل الجري وغير ذلك، المتعة والرجعة والمسح على الخفين وطلاق المتعة، طلاق المجنون، ونكاح السكران، وغيرها.
لم نظفر بتاريخ وفاته.

وقد عدّه الشيخ الطوسي من أصحاب الإمام علي الهادي عليه السلام (المتوفى ٢٥٤هـ).

٥٦

الأشعري*

(... بعد ٢٧٤هـ)

أحمد بن محمد بن عيسى بن عبد الله بن سعد الأشعري، أبو جعفر القمي، زعيم الإمامية بها.

* رجال الكشي ٤٣١ برقم ٣٧٣، رجال النجاشي ١/٢١٦ برقم ١٩٦، رجال الطوسي ٣٦٦ برقم ٣ و ٣٩٧ برقم ٦ و ٤٠٩ برقم ٣، فهرست الطوسي ٤٨ برقم ٧٥، معالم العلماء ١٤ برقم ٦٥، رجال ابن داود ٤٣ برقم ١٢٧، رجال العلامة الخلي ١٣ برقم ٢، مجمع الرجال ١/١٦١، نقد الرجال ٣٣ برقم ١٥٧، جامع الرواة ١/٦٩، هداية المحدثين ١٥، بهجة الآمال ٢/١٤٧، إيضاح المكنون ١/٤٣٠ و ٤٣٩، ٢/٢٦٤، ٢٦٨، ٢٦٩، ٢٧٠ و ٢٧٩، وغير ذلك، تنقيح المقال ١/٩٠ برقم ٥٠٨، أعيان الشيعة ٣/١٤٤، الذريعة ٤/٤٧٧ برقم ٢١١٨، وغير ذلك، معجم المؤلفين ٢/١٤٣، معجم رجال الحديث ٢/٢٩٦ برقم ٨٩٨، قاموس الرجال ١/٤١٥، موسوعة طبقات الفقهاء ٣/١٠٠ برقم ٧٩٣، معجم التراث الكلامي ١/٣٥٢ برقم ٤١١١.

لقي الإمام علي الرضا عليه السلام (المتوفى ٢٠٣هـ)، وروى عن الإمامين محمد الجواد وعلي الهادي عليهما السلام.

وحمل العلم وروى عن كبار العلماء في الفقه والحديث والكلام، ومنهم: محمد بن أبي عمير الأزدي (المتوفى ٢١٧هـ)، وأبو محمد عبد الله الحجاج المتكلم، وعلي بن أسباط بن سالم، وعلي بن الحكم، والحسين بن سعيد الأهوازي، والحسن ابن علي بن يقطين، والحسن بن علي بن فضال، وعلي بن مهزيار الأهوازي، وغيرهم كثير.

وتقدم في الفقه وسائر علوم الشريعة، وأكث عليها إفادةً وتصنيفاً. وعلا قدره في أوساط العلماء وأرباب الدولة، وانتهت إليه رئاسة الإمامية بقم.

روى عنه: سعد بن عبد الله بن أبي خلف الأشعري، وأبو علي أحمد بن إدريس الأشعري، وسهل بن زياد الأدمي، ومحمد بن الحسن الصفار، ومحمد بن علي بن محبوب، ومحمد بن أحمد بن يحيى بن عمران الأشعري، وآخرون. وصنف كتباً، منها: كتاب التوحيد، كتاب المتعة، كتاب فضل النبي ﷺ، كتاب فضائل العرب، كتاب النوادر، كتاب الحج، كتاب المكاسب، وكتاب الناسخ والمنسوخ، وغير ذلك. لم نظفر بتاريخ وفاته.

وقد حُكي أنه مشى في جنازة أحمد بن محمد بن خالد البرقي (المتوفى ٢٧٤هـ).^(١)

١. وقيل (٢٨٠هـ). وإذا صحت هذه الحكاية، فهذا يعني أنه قد جاوز الثمانين، وربما بلغ التسعين أو أكثر.

أحمد بن أبي زاهر* (.... بعد ٢٧٠هـ تقديراً)

أحمد بن موسى (أبي زاهر) الأشعري، أبو جعفر القمي.
روى عن: محمد بن الحسين بن أبي الخطاب الهمداني (المتوفى ٢٦٢هـ)،
وجعفر بن محمد الكوفي، والحسن بن موسى الخشاب، وغيرهم.
وحدث، وألف، وأصبح من الشخصيات البارزة بقم.
روى عنه أبو جعفر محمد بن يحيى العطار القمي (من مشايخ الكليني)،
وكان أخص أصحابه.
وألف كتباً في أكثر من فن، منها: كتاب البداء، كتاب الجبر والتفويض،
كتاب ما يفعل الناس حين يفقدون الإمام، كتاب صفة السرسل والأنبياء
والصالحين، كتاب النوادر، كتاب الزكاة، وكتاب الجمعة والعيدين، وغير ذلك.

* رجال النجاشي ١/ ٢٣٠ برقم ٢١٢، رجال الطوسي ٤٥٣ برقم ٩٢، فهرست الطوسي ٤٩ برقم ٧٦،
معالم العلماء ١٤ برقم ٦٧، رجال ابن داود ٢١ برقم ٥٢، رجال العلامة الحلي ٢٠٣ برقم ١١ و
٤١٧ برقم ١٦، مجمع الرجال ١/ ٩٢، نقد الرجال ١٧، جامع الرواة ١/ ٤٠، هداية المحدثين ١٣،
بهجة الآمال ٢/ ١٣، إيضاح المكنون ٢/ ٦٩، تنقيح المقال ١/ ٤٩ برقم ٢٨٤، أعيان الشيعة
٣/ ١٨٩، الذريعة ١٢/ ٤٠ برقم ٢٣٣، معجم رجال الحديث ٢/ ٢٨ برقم ٤١٠، قاموس
الرجال ١/ ٢٥٧، موسوعة طبقات الفقهاء ٣/ ١٠٧ برقم ٨٠٠، معجم التراث الكلامي ٢/ ٢٥
برقم ٢٥٩٧ و ٤٢٦ برقم ٤٤٥٦، ٤/ ١٦٧ برقم ٨٣٣٠.

لم نظفر بسنة وفاته، ونقدّر أنّها كانت في العقد الثامن من القرن الثالث، أو بعده بقليل، لأنّه في طبقة مشايخ ثقة الإسلام الكليني (المتوفى ٣٢٩هـ).

٥٨

ابن الراوندي*

(حدود ٢٠٥-٢٤٥هـ)

أحمد بن يحيى بن محمد بن إسحاق، أبو الحسين الراوندي، أو ابن الراوندي، من سكّان بغداد.

كان من متكلمي المعتزلة، ثمّ اعتنق مذهب الشيعة الإمامية، ورُمي بالزندقة.

قال أبو الحسن الأشعري، وهو يذكر مؤلفي كتب الشيعة: وقد انتحلهم أبو

* مقالات الإسلاميين للأشعري ٣٢ و ٦٤ و ١٤٠ و ١٤٩ و ١٥٩ و ٣٣٢ وغير ذلك، مروج الذهب ٢٣/٥ برقم ٢٩٢٠، الفهرست للنديم ٢٥٤ — ٢٥٥، الملل والنحل للشهرستاني ١/١٩٩ (دار الكتب العلمية ط ١)، معالم العلماء ١٤٤ برقم ١٠٠٧، المنتظم ١٣/١٠٨ برقم ٢٠٥٢، وفيات الأعيان ١/٩٤ برقم ٣٥، سير أعلام النبلاء ١٤٤ برقم ٥٩ برقم ٣١، الوافي بالوفيات ٨/٢٣٢ برقم ٣٦٧٣، البداية والنهاية ١٠/٣١٦ و ١١/١٢٠، لسان الميزان ١/٣٢٣ برقم ٩١٥، رياض العلماء ٦/١٨، روضات الجنات ١/١٩٣ برقم ٥٠، هدية العارفين ١/٥٥، الكنى والألقاب للقمي ١/٢٨٧ — ٢٩٠، أعيان الشيعة ٣/٢٠٤ — ٢٠٦، ريجانة الأدب ٢/٢٩٧، ٧/٥٢٨، الأعلام ١/٢٦٧، معجم المؤلفين ٢/١٠٠، قاموس الرجال ١/٤٤٩، موسوعة مؤلفي الإمامية ٥/٤١٠، معجم التراث الكلامي ١/١٢٧ برقم ٣١٢ و ٤٩٨ برقم ١٩٥٥، ٢/٣٥٢ برقم ٤١١٢، ٣/٢٢٣ برقم ٥٧٦٤.

عيسى الوراق، وابن الراوندي، وألفا لهم كتباً في الإمامة.
وعده أبو الفتح الشهرستاني من مؤلفي الشيعة أيضاً.
ونُسبت للمترجم كتب، اتهم بسببها بالإلحاد والزندقة، وردّ عليها جماعة،
ونقض هو بعضها.^(١)

وقد دافع عنه الشريف المرتضى، قائلاً: إنه ألفها معارضة للمعتزلة وتحدياً
لهم، وإنه كان يتبرأ منها تبرؤاً ظاهراً، ويتنفي من عملها، ويضيفها إلى غيره.^(٢)
وكان الراوندي متكلماً حاذقاً، فيلسوفاً، مصنفاً.

ناظر جماعة من علماء الحكماء، وانفرد - حسب قول ابن خلكان - بمذاهب
نقلها أهل الكلام عنه في كتبهم.

وألّف كتاباً جمّة - بلغت على قول المسعودي (١١٤) كتاباً - منها: كتاب
التوحيد، كتاب المعرفة، كتاب إثبات الرسل، كتاب الإمامة، كتاب خلق القرآن،

١. قال السيد محسن العاملي: ونقضه لها إمّا لآته من أول الأمر لم يكن معتقداً بها، أو ظهر له فسادها
أو تاب منها، وربما يؤيده حكاية خصمه أبي القاسم البلخي عن جماعة أنه تاب عند موته بما كان
منه. ثم قال العاملي: وزبدة القول في ابن الراوندي أنه مخطئ في تأليفه لهذه الكتب التي هي من
كتب الضلال سواء كان ألفها معتقداً بها أو لأجل معارضة المعتزلة كما ذكره المرتضى، إلا أنه مع
نقضه لأكثرها وحكاية القول بثبوته منها، لا يمكن الجزم بإلحاده، ويبقى حاله في مرحلة الشك،
وإن جزمنا بخطئه، والله العالم.

٢. وأضاف الشريف المرتضى: وما صنع ابن الراوندي من ذلك إلا ما قد صنع الجاحظ مثله أو قريباً
منه... وليس لأحد أن يقول: إن الجاحظ لم يكن معتقداً لما في هذه الكتب المختلفة، وإنما حكى
مقالات الناس وحجاجهم، وليس على الحاكي جريرة، ولا يلزمه تبعة، لأن هذا القول إن قنع به
الخصوم، فليقتنعوا بمثله في الاعتذار، فإن ابن الراوندي لم يقل في كتبه هذه التي شُنع بها عليه: إنني
اعتقد المذاهب التي حكيتها، وأذهب إلى صحتها، بل كان يقول: قالت الدهرية، وقال
الموحدون، وقالت البراهمة، وقال مثبتو الرسول. الشافعي في الإمامة ١/ ٨٧-٨٨.

كتاب الابتداء والإعادة، كتاب المرجان في اختلاف أهل الإسلام ونقضه ابن الراوندي على نفسه، كتاب البقاء والفناء، كتاب العروس، كتاب فضيحة المعتزلة^(١)، كتاب الاحتجاج لهشام بن الحكم، كتاب الرد على الزنادقة، وكتاب في اجتهد الرأي^(٢).

توفي سنة خمس وأربعين ومائتين.

وقال ابن الجوزي وغيره: سنة (٢٩٨هـ).^(٣)

١. ردّ عليه أبو الحسين عبد الرحيم بن محمد الخطاط المعتزلي بكتاب سماه «الانتصار - ط».

٢. ردّ عليه إسماعيل بن علي النوبختي.

٣. هذا التاريخ لا يتسجم مع قول ابن الجوزي نفسه (في المنتظم) بأن ابن الراوندي وأبا عيسى الوراق كانا يتراميان بكتاب «الزمرد» ويدّعي كلّ واحد منهما على الآخر أنّه تصنيفه. فهذا الكلام يدلّ على معاصرته للوراق (المتوفى ٢٤٧هـ)، ومن البعيد أن يبقى بعد صاحبه كلّ هذه المدة، ويؤيد ذلك ما ذكره أبو علي الجبائي (كما في الوافي بالوفيات) من أنّ السلطان طلب ابن الراوندي والوراق، فأما الوراق فحبس حتّى مات، وأمّا ابن الراوندي فهرب إلى ابن لاوي ووضع له كتاب «الدامغ» ثم لم يلبث إلّا أياماً يسيرة حتّى مرض ومات. ثم إنّ المؤرخ السعودي (المتوفى ٣٤٦هـ) وهو أقرب من غيره إلى عصر المترجم، قد أزعج وفاته في سنة (٢٤٥هـ).

المخزومي*

(... - حياً قبل ٣٠٠هـ)

إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن هلال المخزومي، أبو محمد المكي.
 قدم العراق، وأخذ عن: أيوب بن نوح بن دراج النخعي، وعلي وأحمد ابني
 الحسن بن علي بن فضال التيملي، والحسن بن معاوية^(١)، ومحمد^(٢) بن الحسين.
 وعاد إلى مكة، وأقام بها.
 ألّف كتباً، منها: كتاب التوحيد، كتاب المعرفة، كتاب الإمامة، كتاب
 التّجمل والمرّوة، وكتاب الصلاة.

*الفهرست للنديم ٢٨٧ (ط. الاستقامة - القاهرة)، رجال النجاشي ١/ ١٢٠ برقم ٦٦، رجال
 الطوسي ٤٥٢ برقم ٨٣، فهرست الطوسي ٣٥ برقم ٣٥، معالم العلماء ٨ برقم ٣٥، رجال ابن داود
 ٥٩ برقم ١٩٢، رجال العلامة الحلي ٩ برقم ٩، مجمع الرجال ١/ ٢٢٢، نقد الرجال ٤٦ برقم ٦٩،
 جامع الرواة ١/ ١٠٢، هداية المحدثين ١٨١، بهجة الآمال ٢/ ٣٠٨، تنقيح المقال ١/ ١٤٢ برقم
 ٨٧٦، أعيان الشيعة ٣/ ٤٠١، ٤٠٥، الذريعة ٢/ ٣٢١ برقم ٨٨٨، ٤/ ٤٧٧ برقم ٢١٢٠،
 ٢١/ ٢٤٤ برقم ٤٨٤٠، معجم رجال الحديث ٣/ ١٧٢ برقم ١٤١٤، قاموس الرجال ٢/ ٦٣،
 موسوعة طبقات الفقهاء ٣/ ١٣٣ برقم ٨٢٣، معجم التراث الكلامي ١/ ٤٥٩ برقم ١٩٦٠،
 ٥/ ١٩٩ برقم ١١٢١٠.

١. لعله ابن معاوية بن وهب البجلي، وكان معاوية من تلامذة الإمامين الصادق والكاظم عليهما السلام.
٢. المظنون أنّه محمد بن الحسين بن أبي الخطاب الهمداني الكوفي (المتوفى ٢٦٢هـ).

وقد روى عنه هذه الكتب: ابنه محمد بن إسماعيل، والشريف أبو الحسن علي بن أحمد العلوي العقيقي.
لم نظفر بتاريخ وفاته.

وقد استظهر السيد الخوئي اتّحاده مع إسماعيل بن محمد القمي، الملقب بقنبرة، وقال: من القريب أن يكون الرجل مكيّاً، سكن قمّ مدة طويلة، ثمّ هاجر إلى العراق، ثمّ رجع إلى مكة.

٦٠

العسكري*

(.... حياً قبل ٢٤٧هـ)

ثبّيت بن محمد، أبو محمد العسكري، صاحب المتكلم المعروف أبي عيسى محمد^(١) بن هارون الوراق.
كان متكلماً حاذقاً، مضطلعاً بالحديث والرواية والفقه.

* رجال النجاشي ١/ ٢٩٣ برقم ٢٩٨، رجال ابن داود ٧٨ برقم ٢٨٠، رجال العلامة الحلي ٣٠ برقم ٣، مجمع الرجال ١/ ٢٩٩، نقد الرجال ٦٤ برقم ١، جامع الرواة ١/ ١٣٩، هداية المحدثين ٢٨، بهجة الآمال ٢/ ٤٧٠، تنقيح المقال ١/ ١٩٤ برقم ١٥٠٣، أعيان الشيعة ٢/ ٢١، الذريعة ٢/ ٥٩ برقم ٢٣٦، ٤/ ٥٠٢ برقم ٢٢٥٣، معجم رجال الحديث ٣/ ٤٠٢ برقم ١٩٨٠، قاموس الرجال ٢/ ٢٩١، موسوعة طبقات الفقهاء ٣/ ١٥٦ برقم ٨٤٣، معجم التراث الكلامي ٣/ ٢٨٥ برقم ٦٠٨١، ٥/ ٤١١ برقم ١٢٢٥٤.

١. المتوفى (٢٤٧هـ)، وستأتي ترجمته.

ألف كتباً، منها: دلائل الأئمة عليهم السلام، كتاب في نقض العثمانية^(١)، كتاب الأسفار، وكتاب توليدات بني أمية في الحديث وذكر الأحاديث الموضوعة. لم نظفر بتاريخ وفاته.

وهو غير ثبت بن نشيط الذي عُده من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام (المتوفى ١٤٨ هـ)، ويروي عنه أبو أيوب الخزاز^(٢).

٦١

ابن التاجر*

(.... حدود ٢٨٠ هـ - تقديرًا)

جعفر بن أحمد بن أيوب، أبو سعيد السمرقندي، المعروف بابن التاجر^(٣). كان متكلمًا، صحيح الحديث.

١. ويُعزى هذا الكتاب إلى أبي عيسى الوراق، خطأ. رجال النجاشي.

٢. راجع قاموس الرجال ٢/ ٢٩١-٢٩٣.

* رجال النجاشي ١/ ٣٠١ برقم ٣٠٨، رجال الطوسي ٤٥٨ برقم ٧، معالم العلماء ٣١١ برقم ١٧١، رجال ابن داود ٨٢ برقم ٢٩٦، رجال العلامة الحلي ٣٢ برقم ١٤، لسان الميزان ١٠٧/٢ برقم ٤٣٨، مجمع الرجال ٢/ ٢٣، نقد الرجال ٦٨ برقم ٩، جامع الرواة ١/ ١٥٧، هداية المحدثين ٣٠، بهجة الآمال ٥٠٨، تنقيح المقال ١/ ٢١٢ برقم ١٧٥٣، أعيان الشيعة ٤/ ٨١، الذريعة ١٠/ ٢٢٧ برقم ٨٤٦، معجم رجال الحديث ٤/ ٥٠ برقم ٢١٢٢، قاموس الرجال ٢/ ٣٧٢، معجم التراث الكلامي ٣/ ٤٠٢ برقم ٦٧٠١.

٣. وفي رجال النجاشي: ابن العاجز، والظاهر أنه تصحيف.

روى عن: أبي الخير صالح^(١) بن أبي حماد الرازي، وأبي جعفر محمد بن يحيى بن الحسن، وعبد الله بن الفضل، وآخرين.

وروى عنه: أبو النضر محمد بن مسعود العياشي السمرقندي (المتوفى حدود ٣٢٠هـ)، وطاهر بن عيسى السوراق الكشي، ومحمد بن إسماعيل بن أحمد البرمكي، وغيرهم.

وألّف كتاب الردّ على من زعم أنّ النبي ﷺ كان على دين قومه قبل النبوة. لم نظفر بسنة وفاته، ونقدّر أنّها كانت في حدود سنة (٢٨٠هـ).

٦٢

جعفر بن عيسى*

(.... حيّاً بعد ٢٠٨هـ)

ابن عُبيد بن يقطين بن موسى الأسدي بالولاء، أخو العالم الجليل محمد بن عيسى بن عُبيد.

روى عن الإمام علي الرضا عليه السلام، وعن: عمّ والسدّه علي بن يقطين

١. كان من أصحاب الأئمة: الجواد، والهادي، والعسكري (المتوفى ٢٦٠هـ). انظر موسوعة طبقات الفقهاء ٢٨٨/٣ برقم ٩٤٥.

* رجال الكشي ٤١٩ برقم ٣٥٣، رجال الطوسي ٣٧٠ برقم ٢، رجال ابن داود ٨٧ برقم ٣١٦، رجال العلامة الحلي ٣٢ برقم ١٠، لسان الميزان ٢/١٢١ برقم ٥٠٢، التحرير الطاووسي ٦٥ برقم ٧١، مجمع الرجال ٢/٣٣، نقد الرجال ٧١ برقم ٥٤، جامع الرواة ١/١٥٥، منتهى المقال ٢/٢٥٧ برقم ٥٦٨، بهجة الآمال ٢/٥٤٩، تنقيح المقال ١/٢٢٠ برقم ١٨٢٤، أعيان الشيعة ٤/١٣٣، معجم رجال الحديث ٤/٨٧ برقم ٢٢١٥-٢٢١٧، قاموس الرجال ٢/٣٩٩.

(المتوفى ١٨٢ هـ)، وخالد بن سدير بن حُكيم الصيرفي، وآخرين.
وأخذ الكلام عن: يونس بن عبد الرحمان (المتوفى ٢٠٨ هـ)، وهشام بن
إبراهيم الحتلي المعروف بالشرقي.
وكان محدثاً، متكليماً، حريصاً على الانتهال من علوم مدرسة أهل
البيت عليهم السلام.

تشرف هو وجماعة بلقاء الإمام الرضا عليه السلام عام (١٩٩ هـ)، وسأله عن صحة
ما تلقاه عن أستاذه من الكلام، فقال عليه السلام: ما أعلمكم إلا على هدى، جزاكم الله
على النصيحة القديمة والحديثه خيراً.
لم نظفر بتاريخ وفاة المترجم.

وقد روى عنه أخوه محمد بن عيسى (المتوفى بعد ٢٦٠ هـ تقديراً).

٦٣

الداعي إلى الحق*

(....-٢٧٠هـ)

الحسن بن زيد بن محمد بن إسماعيل بن زيد بن الحسن بن علي بن
أبي طالب الحسيني العلوي، المدني، الملقب بالداعي إلى الحق، أحد أئمة
الزيدية.

ولد بالمدينة المنورة، ونشأ بها.

وأقام بالعراق، فضاقت عليه الأمور هناك، فقصد بلاد إيران، وأسلم على
يده جماعة، وسكن الرّي.

ودعاه أهل طبرستان (المعروفة اليوم بمازندران) لإنقاذهم من ظلم محمد

* تاريخ الطبري ٨/ ١٤٧، مروج الذهب ٥/ ٦٦ برقم ٣٠٣٦، الفهرست للنديم ٢٨٨ (ط). الاستقامة
- القاهرة)، الكامل لابن الأثير ٧/ ٤٠٧، وفيات الأعيان ٦/ ٤١١ و ٤١٢ و ٤٢١ و ٤٢٤ (ضمن
الترجمة ٨٢٨)، تاريخ الإسلام (سنة ٢٦١ - ٢٨٠ هـ) ٧٧ برقم ٥٣، سير أعلام النبلاء
١٣/ ١٣٦ برقم ٦٧، الوافي بالوفيات ١٢/ ٢٠ برقم ١٤، البداية والنهاية ١١/ ٥٠، رياض
العلماء ١/ ١٨٨، تنقيح المقال ١/ ٢٨٠ برقم ٢٥٥١، أعيان الشيعة ٥/ ٨٠، الذريعة ٥/ ٣٠ برقم
١٣٧، ٦/ ٢٥٥ برقم ١٤٠٠، الأعلام ٢/ ١٩١، معجم المؤلفين ٣/ ٢٢٧، معجم رجال
الحديث ٤/ ٣٣٥ برقم ٢٨٣١، موسوعة طبقات الفقهاء ٣/ ١٨٥ برقم ٨٦٧، أعلام المؤلفين
الزيدية ٣١٩ برقم ٣٠١، معجم التراث الكلامي ٣/ ٧٢ برقم ٥٠٧٤.

ابن أوس البلخي^(١)، والحكم فيهم بالعدل والإنصاف من خلال الاقتداء بسيرة النبي ﷺ وعلي عليه السلام، فلبى الحسن دعوتهم، وخاض بهم معارك كثيرة مع جيوش العباسيين، أسفرت عن بسط نفوذه على طبرستان وجرجان ونواحيها والري، واستقرّ ملكه بها نحو عشرين عاماً، إلى أن وافاه أجله بمدينة آمل عام سبعين ومائتين.

وكان عالماً، أديباً، شاعراً، ناقدًا، حازماً، مهيباً، ثاقب الرأي.
ألّف من الكتب: الحجّة في الإمامة، والبيان، والجامع في الفقه.
ومن شعره:

لم نُمْنَعِ السِّدْنَيا لفضلِها
ولا لآتِنا لم نكن أهلها
لكن لنُعْطى الفُوز من جنّة
ما إن رأى ذو بصر مثلهما
هاجرها خير الورى جدّنا
فكيف نرجو بعده وصلها

١. كان البلخي هو الغالب على عامل طبرستان (سليمان بن عبد الله بن طاهر)، وقد فزق أولاده في مدن طبرستان، وهم أحداث سفهاء، فتأذى بهم الرعية، وشكوا منهم ومن أبيهم ومن سليمان سوء السيرة. الكامل لابن الأثير ٧/ ١٣٠، حوادث سنة (٢٥٠هـ).

البطائني*

(.... - بعد ٢٢٤ هـ تقديراً)

الحسن بن علي بن أبي حمزة سالم البطائني، الأنصاري بالولاء، أبو محمد الكوفي، الواقفي.

روى عن: أبيه (المتوفى بعد ١٨٣ هـ)، وإبراهيم بن عمر اليماني الصنعاني، وسيف بن عميرة النخعي، وعبد الله بن وضاح الكوفي، وكليب بن معاوية الأسدي الصيدائوي، ومنصور بن حازم البجلي، وآخرين.

وكان من رجال الفقه والحديث والتفسير، مؤلفاً في فنون عديدة.

روى عنه: إسماعيل بن مهران بن محمد بن أبي نصر السكوني، وعلي بن الحسين بن عمرو الخزاز، وإبراهيم بن هاشم الكوفي القمي، وأحمد بن ميثم بن أبي

* رجال الكشي ٤٦٢ برقم ٤٢٥، رجال النجاشي ١/ ١٣٢ برقم ٧٢، فهرست الطوسي ٧٥ برقم ١٧٨ و ٧٦ برقم ١٨٥، معالم العلماء ٣٥ برقم ٢٠٠، رجال ابن داود ٤٤٠ برقم ١٢١، رجال العلامة الخلي ٢١٢ برقم ٧، لسان الميزان ٢/ ٢٣٤ برقم ٩٩٤، التحرير الطاوسي ٧٤ برقم ٩٣، مجمع الرجال ٢/ ١٢١، نقد الرجال ٩٢ برقم ٨٩، جامع الرواة ١/ ٢٠٨، بهجة الآمال ٣/ ١٤٦، إيضاح المكنون ٢/ ٢٩٥ و ٢٩٧ و ٣٠١، تنقيح المقال ١/ ٢٩٠ برقم ٢٦١٩، أعيان الشيعة ٥/ ١٩٦، الذريعة ١٦/ ٧٦ برقم ٣٨٢ و ٢٦٢ برقم ١٠٧٢، معجم رجال الحديث ٥/ ١٤ برقم ٢٩٢٨، معجم المؤلفين ٣/ ٢٥٣، قاموس الرجال ٣/ ١٩٣، موسوعة طبقات الفقهاء ٣/ ١٩٣ برقم ٨٧٢، معجم التراث الكلامي ٣/ ٣٤٢ برقم ٦٣٥٦.

نُعيم الفضل بن دُكين، ومحمد بن أبي الصهبان عبد الجبار، وغيرهم.
وَأَلَّفَ كتباً، منها: كتاب الدلائل، كتاب القوائم الصغير، كتاب الرجعة،
كتاب الغيبة، كتاب فضائل القرآن، كتاب فضائل أمير المؤمنين، كتاب المتعة،
كتاب الفرائض، كتاب الصلاة، و كتاب الفتن (ويسمى الملاحم).
لم نظفر بسنة وفاته.

أقول: أدركه علي بن الحسن بن علي بن فضال (المولود نحو سنة ٢٠٦هـ)،
وسمع منه أحاديث كثيرة، وكتب عنه تفسير القرآن كله، إلا أنه لم يحدث عنه
لسوء رأيه فيه^(١)، وهذا يدل على بقاء البطائني إلى ما بعد سنة (٢٢٤هـ)، لأن ابن
فضال^(٢) المذكور لم يرو عن أبيه الحسن (المتوفى ٢٢٤هـ)، ويعلّل ذلك بقوله: كنتُ
أقابله وسني ثمان عشرة سنة بكتبه، ولم أفهم إذ ذاك الروايات، ولا استحَل أن
أرويهَا عنه.

١. انظر رجال الكشي ٤٦٢ برقم ٤٢٥، وقد نقل الكشي كلام ابن فضال ثانية في ترجمة علي بن أبي
همزة (والد المترجم)، تحت الرقم ٢٦٤، وهذا وهم، لأنّ والد المترجم توفّي في حياة الإمام الرضا عليه
الذي استشهد سنة (٢٠٣هـ)، فكيف يروي عنه علي بن فضال، ويكتب عنه التفسير؟! ولم أجد
بين مؤلفي الكتب الرجالية من أشار إلى البُعد بين الطبقتين.

٢. الآتية ترجمته.

٦٥

ابن فضال*

(....-٢٢٤هـ)

الحسن بن علي بن فضال بن عمرو التيملي بالولاء، أبو محمد الكوفي، أحد كبار علماء الشيعة.

اختص بالإمام أبي الحسن علي الرضا عليه السلام، وروى عنه، وعن جمع من رجال مدرسة أهل البيت، منهم: عبد الله بن بكير بن أعين، وعبد الله بن سنان بن طريف، ومحمد بن أبي عمير الأزدي، وشعيب بن يعقوب العرقوفي، وأحمد بن عمر الحلبي، وحنان بن سدير الصيرفي، ومعاوية بن عمار البجلي. وكان فقيهاً كبيراً، مصنفاً في عدة فنون، ناسكاً زاهداً، جليل القدر.

* رجال البرقي ٥٤، رجال الكشي ٤٣٣ برقم ٣٧٨ و ٤٧٣ برقم ٤٥٢، الفهرست للنديم ٣٢٦ (ط). الاستقامة - القاهرة، رجال النجاشي ١/ ١٢٧ برقم ٧١، رجال الطوسي ٣٧١ برقم ٢، فهرست الطوسي ٧٢ برقم ١٦٤، معالم العلماء ٣٣ برقم ١٨٤، رجال ابن داود ١١٤ برقم ٤٣٧ و ٤٤١ برقم ١٢٥، رجال العلامة الحلي ٣٧، لسان الميزان ٢/ ٢٢٥ برقم ٩٧٦، التحرير الطاوسي ٧٤ برقم ٩٤ و ٩٥، مجمع الرجال ٢/ ١٣١، نقد الرجال ٩٤ برقم ١١١، جامع الرواة ١/ ٢١٤، بهجة الآمال ٣/ ١٧٢، إيضاح المكنون ٢/ ٢٧٨ و ٦١٥، هدية العارفين ١/ ٢٦٧، تنقيح المقال ١/ ٢٩٧ برقم ٢٦٧٠، أعيان الشيعة ٥/ ٢٠٦، الذريعة ٣/ ١١٠ برقم ٣٧٠، ١٠/ ٢١٢ برقم ٥٨٦، معجم رجال الحديث ٥/ ٤٤ برقم ٢٩٨٣، قاموس الرجال ٣/ ٢١١، موسوعة طبقات الفقهاء ٣/ ١٩٧ برقم ٨٧٥، معجم التراث الكلامي ٣/ ٣٨٩ برقم ٦٦٢٠.

قال تلميذه الفضل بن شاذان: كان يجتمع هو وأبو محمد عبد الله الحجاج، وعلي بن أسباط، وكان الحجاج يدعي الكلام، وكان من أجدل الناس، فكان ابن فضال يغري بيني وبينه في الكلام في المعرفة.

ولابن فضال كتب كثيرة، منها: الابتداء والمبتدأ، الرد على الغالية، البشارات، المتعة، الشواهد من كتاب الله، النوادر، الصلاة، الديات، الزهد، والرجال، وغير ذلك.

توفي سنة أربع وعشرين ومائتين.

وكان فطحياً^(١)، ثم رجع عن ذلك، وقال قبل موته: قد نظرنا في الكتب، فما وجدنا لعبد الله شيئاً.

١. نسبة إلى الفطحية (وتسمى أيضاً الأفطحية): فرقة من الإمامية قالت بانتقال الإمامة من جعفر الصادق عليه السلام إلى ولده الأكبر عبد الله الأفطح، وهي من الفرق البائدة.

٦٦

ابن يقطين*

(.... حياً بعد ٢٠٣هـ)

الحسن بن علي بن يقطين بن موسى البغدادي، المتكلم الإمامي.
 كان والده علي (المتوفى ١٨٢هـ) من خاصة أصحاب أبي الحسن موسى
 الكاظم عليه السلام، وصاحب منزلة كبيرة لديه.
 روى الحسن عن الإمام أبي جعفر محمد الجواد عليه السلام، وعن فريق من رجال
 مدرسة أهل البيت، منهم: أخوه الحسين، وعمّه يعقوب بن يقطين، وعاصم بن
 حميد الحنّاط، ويونس بن يعقوب بن قيس البجلي، وغيرهم.
 قال أبو العباس النجاشي: كان فقيهاً، متكلماً، روى عن أبي الحسن
 والرضا عليهما السلام.

روى عنه: أحمد بن محمد بن خالد البرقي، وأحمد بن محمد بن عيسى

* رجال البرقي ٥١، رجال النجاشي ١/٤٨ برقم ٩٠، رجال الطوسي ٣٧٢ برقم ٧، فهرست الطوسي
 ٧٣ برقم ١٦٦، معالم العلماء ٣٤ برقم ١٨٦، رجال ابن داود ١١٥ برقم ٤٤٠، رجال العلامة الخلي
 ٣٩ برقم ٤، مجمع الرجال ٢/١٣٩، نقد الرجال ٩٦ برقم ١١٩، جامع الرواة ١/٢١٨، هداية
 المحدثين ١٩١، بهجة الآمال ٣/١٨٢، تنقيح المقال ١/٣٠٠ برقم ٢٦٨٤، أعيان الشيعة
 ٥/٢١٧، الذريعة ٢٠/٣٣٤ برقم ٣٢٦٧، معجم رجال الحديث ٥/٥٨ برقم ٢٩٩٨، قاموس
 الرجال ٣/٢٢٠، رسائل ومقالات للسبحاني ٣١٥ برقم ٨، موسوعة طبقات الفقهاء ٣/٢٠٢ برقم

الأشعري، وسلمة بن الخطاب، وسهل بن زياد الآدمي، ومحمد بن عيسى بن عبيد ابن يقطين، وأحمد بن هلال العبرثاني (١٨٠-٢٦٧هـ)، وآخرون.

وألّف كتاب مسائل أبي الحسن موسى عليه السلام، رواه عنه البرقي، وصالح مولى علي بن يقطين.

لم نظفر بتاريخ وفاته.

٦٧

الحسين بن إشكيب*

(.... بعد ٢٧٠هـ تقديراً)

المروزي، أبو عبد الله القمي، خادم القبر^(١)، المقيم بسمرقند وكش.

كان فقيهاً، متكليماً، مناظراً، جيّد النظر، من أجلاء علماء الشيعة.

عاصر الإمامين أبا الحسن علي الهادي، وأبا محمد الحسن العسكري عليه السلام، ولم

* رجال النجاشي ١/١٤٦ برقم ٧، رجال الطوسي ٤١٣ برقم ١٨ و ٤٢٩ برقم ١ و ٤٦٢ برقم ٧، معالم العلماء ٤١٤ برقم ٢٦٢، رجال ابن داود ١٢١ برقم ٤٦٥ و ٤٦٧، رجال العلامة الحلي ٤٩ برقم ٨، بحار الأنوار ٥٢/٢٧ برقم ٢٢، مجمع الرجال ٢/١٦٧، نقد الرجال ١٠٢ برقم ٢٢، جامع الرواة ١/٢٣٣، بهجة الأمال ٣/٢٥١، تنقيح المقال ١/٣٢٠ برقم ٢٨٤٩، أعيان الشيعة ٥/٤٥٨، الذريعة ١٠/٢٢٧ برقم ٦٨٨، ٢٤/٣٢٨ برقم ١٧٢٣، معجم رجال الحديث ٥/١٩٩ برقم ٣٣١٣، قاموس الرجال ٣/٢٦٩، موسوعة طبقات الفقهاء ٣/٢١٥ برقم ٨٨٦، معجم التراث الكلامي ٣/٣٨١ برقم ٦٥٦٩ و ٤٠٢ برقم ٦٧٠٠.

١. الظاهر أنّه قبر السيدة فاطمة (التي تُعرف بمعصومة) بنت الإمام موسى الكاظم عليه السلام ببلدة قم المشرفة.

يرو عنها - كما يبدو -^(١)

تلمذ له العالم الشهير أبو النضر محمد بن مسعود العياشي السمرقندي (المتوفى حدود ٣٢٠هـ)، وروى عنه كثيراً، واعتمد حديثه.

وألف كتباً، منها: كتاب الردّ على من زعم أن النبي ﷺ كان على دين قومه، وكتاب الردّ على الزيدية، وكتاب النوادر.

وقد روى عنه هذه الكتب: محمد بن الوارث، من مشايخ جعفر بن محمد ابن قولويه القمي (المتوفى ٣٦٨هـ).

لم نظفر بسنة وفاته، ونظن أنها بعد السبعين ومائتين.

وقد أورد الشيخ الكليني في كتابه «الكافي» قصة أبي سعيد غانم الهندي الذي أسلم ودان بمذهب أهل البيت على يد المترجم له، وفيها ما يدل على سمو منزلته واشتهاره بحيث يبعث أمير بلخ في طلبه لمناظرة هذا الرجل الهندي.^(٢)

١. عدّه الشيخ الطوسي في رجاله من أصحاب الهادي، ومن أصحاب العسكري ﷺ، وفي من لم يرو عنهم، أي عن أئمة أهل البيت ﷺ.

٢. انظر الكافي ١/ ٥١٥، كتاب الحجّة، باب مولد الصاحب ﷺ، الحديث ٣؛ وبحار الأنوار ٥٢/ ٢٧ برقم ٢٢.

السَّعْدِي*

(.... حدود ٢٧٠ تقديراً)

الحسين بن عبيد الله بن سهل السَّعْدِي، أبو عبد الله القمي.

روى عن: إبراهيم بن هاشم الكوفي القمي، والحسن بن علي بن أبي عثمان، وموسى بن عمر، وغيرهم.

وروى عنه: أحمد بن إدريس الأشعري القمي (المتوفى ٣٠٦ هـ)، وسعد ابن عبد الله بن أبي خلف الأشعري القمي (المتوفى ٣٠٠ هـ)، ومحمد بن يحيى العطار القمي، وأحمد بن علي الفائدي.

وصنّف كتباً، منها: التوحيد، الإمامة، المؤمن والمسلم، المتعة، المقت والتوبيخ، المزار، والنوادر.

وقد تضمّن كتابه «المؤمن والمسلم» أبواباً كثيرة، منها: الإيمان وصفة المؤمن، الإيمان لا يثبت إلا بالعمل، الإيمان يزيد وينقص، لا إيمان لمن لا تقية له، دعائم

* رجال النجاشي ١/ ١٤٣ برقم ٨٥، رجال الطوسي ٤٧١ برقم ٥٤، فهرست الطوسي ٨٢ برقم ٢٢٠، مجمع الرجال ٢/ ١٨٣، نقد الرجال ١٠٦، جامع الرواة ١/ ٢٤٦، بهجة الآمال ٣/ ٢٨١، تنقيح المقال ١/ ٢٣٤ برقم ٢٩٦٧، أعيان الشيعة ٦/ ٨٦، ٨٨، معجم رجال الحديث ٦/ ٢١ برقم ٣٤٨٣، قاموس الرجال ٣/ ٢٩٥، موسوعة طبقات الفقهاء ٣/ ٢٢٥ برقم ٨٩٥، معجم التراث الكلامي ١/ ٤٦١ برقم ١٩٧٣، ٢/ ٣٥٤ برقم ٤١٢٣، ٥/ ٣٣٩ برقم ١١٩٢٥.

الإيمان، دعائم الإسلام، في أطفال المسلمين، وغير ذلك.
لم نظفر بسنة وفاته، ونقدّر أنّها كانت في حدود السبعين ومائتين.

٦٩

المصري*

(... بعد ٢٣٠هـ تقديراً)

الحسين بن علي، أبو عبد الله المصري.
كان متكلماً، ثقة، من علماء الشيعة.
سمع في العراق من: أبي داود سليمان^(١) بن داود الطيالسي البصري صاحب
«المسند»، وعلي بن قادم الخزاعي الكوفي (المتوفى ٢١٣هـ)، وأبي سلمة^(٢)،
ونظرائهم.
وسكن مصر.

* رجال النجاشي ١/ ١٨٥ برقم ١٥٣، رجال العلامة الخلي ٥٢ برقم ٢٣، نقد الرجال ١٠٧ برقم ٨٦،
جامع الرواة ١/ ٢٤٨، منتهى المقال ٣/ ٥٥ برقم ٨٩٦، أعيان الشيعة ٦/ ١٣٠، الذريعة
٢/ ٣٢٥ برقم ١٢٨٧، ١٠/ ١٩٤ برقم ٤٨٥، مستدركات علم رجال الحديث ٣/ ١٥٦ برقم
٤٤٨١، معجم رجال الحديث ٦/ ٣٧ برقم ٣٥٠٣، قاموس الرجال ٣/ ٣٠٢، معجم التراث
الكلامي ٣/ ٣٧٧ برقم ٦٥٤٩.
١. المتوفى (٢٠٤هـ).

٢. لعله موسى بن إسماعيل المنقري بالولاء، التبوكي، البصري (المتوفى ٢٢٣هـ). وفي منهج المقال:
كأنه منصور بن عبد العزيز الخزاعي البغدادي الذي مات سنة (٢١٠هـ) على الصحيح.

وألف كتباً، منها: كتاب الإمامة، والردّ على الحسين^(١) بن علي الكرابيسي .
لم نظفر بتاريخ وفاته، ونقدّر أنّه كان في العقد الرابع أو الخامس من القرن الثالث.

٧٠

الحكم بن هشام*

(.....)

ابن الحكم الكندي بالولاء، أبو محمد الكوفي، نزيل البصرة.
قال أبو العباس النجاشي: كان مشهوراً بالكلام، كلّم الناس، وحُكي عنه مجالس كثيرة.
أقول: لم نقف على أسماء مشايخه الذين تلقى عنهم الكلام، بيد أن والده (هشام بن الحكم) كان أبرز المتكلمين والمناظرين في عصره (القرن الثاني)، وطبيعة الأمور تقتضي تتلمذ ابنه المذكور عليه.

١. المتوفى (٢٤٨هـ). وكان فقيهاً متكلماً، من أصحاب الشافعي. انظر الأعلام ٢/ ٢٤٤.
* رجال النجاشي ١/ ٣٢٨ برقم ٣٤٩، مجمع الرجال ٢/ ٢٢٢، نقد الرجال ١١٥ برقم ٢٧، جامع الرواة ١/ ٢٦٨، منتهى المقال ٣/ ١٠٨ برقم ٩٨٠، تنقيح المقال ١/ ٣٦١ برقم ٣٢٥٢، أعيان الشيعة ٦/ ٢١٢، الذريعة ٢/ ٣٢٥ برقم ١٢٨٨، معجم رجال الحديث ٦/ ١٨١ برقم ٣٨٨٠، قاموس الرجال ٣/ ٣٨٤، معجم التراث الكلامي ١/ ٤٦١ برقم ١٩٧٦.

هذا، وقد ألّف الحكم كتاباً في الإمامة، رآه بعض أصحاب النجاشي،
والظاهر أنّه أحمد بن الحسين بن عبيد الله الغضائري^(١).
لم نظفر بتاريخ وفاته.

٧١

أبو الأحوص* (.... قبل ٣٠٠هـ تقديراً)

داود بن أسد بن أعفر، أبو الأحوص المصري (البصري).
كان فقيهاً، محدثاً، من أجلة متكلمي الإمامية.
ألّف كتابين في الإمامة، خصّص أحدهما للردّ على سائر من خالفه من
الأمم، وجرد الآخر للدلائل والبراهين.
وقد نال أبو الأحوص بتأليفاته مكانة مرموقة في أوساط العلماء، وأصبح ممّن

١. انظر قاموس الرجال.

* مقالات الإسلاميين للأشعري ٦٣، رجال النجاشي ١/ ٣٦٤ برقم ٤١٢، فهرست الطوسي ٢٢١ برقم ٨٧٥، معالم العلماء ١٣٩ برقم ٩٦٨، رجال ابن داود ٤٣ برقم ٥٧١ و ٣٩١ برقم ١، رجال العلامة الحلي ٦٩ برقم ٧ و ١٨٨ برقم ١٥، مجمع الرجال ٢/ ٢٨٠، ٤/ ٧، نقد الرجال ١٢٧ برقم ٨ و ص ٣٨٣، جامع الرواة ١/ ٣٠٢، ٢/ ٣٦٤، بهجة الآمال ٤/ ٦٢، ٧/ ٣٧٧، تنقيح المقال ١/ ٤٠٧ برقم ٣٨٢٢، ١/ ٣، تأسيس الشيعة ٣٧٥، أعيان الشيعة ٦/ ٣٦٦، الذريعة ٢/ ٣٢٦ برقم ١٢٩٣ و ١٢٩٤، مستدركات علم رجال الحديث ٣/ ٣٥١ برقم ٥٤٦٧، معجم رجال الحديث ٧/ ٩٦ برقم ٤٣٧٥، ٢١/ ١١ برقم ١٣٨٧٥، قاموس الرجال ٤/ ٤٦، ٦/ ١٠، فلاسفة الشيعة ٤٦، معجم التراث الكلامي ١/ ٤٦٢-٤٦٣ برقم ١٩٨٣ و ١٩٨٤.

يُشار إليه بالألف، فقد ذكره أبو الحسن الأشعري في كتابه، وجعله في مصاف كبار متكلمي الإمامية ومؤلفي كتبهم كهشام بن الحكم، ويونس بن عبد الرحمان، والسكالك، والفضل بن شاذان، وغيرهم.^(١)

كما ذكره القاضي عبد الجبار المعتزلي في كتابه، وقال عنه وعن متكلمي بني نوبخت إنهم يسلكون في الإمامة طريقة متوسطة بين العقل والشرع، وإنهم يتبعون في الأكثر طريقة السمع، وإن كانوا ربّما التجؤوا إلى طريقة العقل.^(٢)

وقد ردّ الشريف المرتضى على القاضي المذكور، وقال: إن كلامه ينقض بعضه بعضاً، وإنه قد تضمّن غلطاً عليهم في مذاهبهم، وإنكار اللطف من مقالته، ثم بيّن وجه المناقضة في كلامه، وغلطه عليهم، وقال: ربّما استدلوا بالسمع استظهاراً وتصرفاً في الأدلة، وليس كلّ من استدلّ على شيء بالسمع، فقد نفى دلالة العقل عليه.^(٣)

لم نظفر بتاريخ وفاته.

وكان المتكلم الحسن بن موسى النوبختي (المتوفى حدود ٣١٠هـ) قد لقيه، وأخذ عنه، واجتمع معه في الحائر (كربلاء)، وكان ورد للزيارة.

أقول: أحسب أنّ وفاة أبي الأحوص كانت قبل الثلاثمائة، وذلك بالاستناد إلى ما تقدّم، وإلى ملاحظة طبقته، حيث روى بواسطة واحدة عن أحمد بن هارون ابن موفق^(٤)، الذي روى عنه سهل بن زياد (المتوفى بعد ٢٥٥هـ).^(٥)

١. مقالات الإسلاميين ٦٣، وفيه: أبو الأحوص داود بن راشد البصري.

٢. المغني ٣٨/٢. ٣. الشافي في الإمامة ٩٦/١-٩٨.

٤. الاختصاص للمفيد ٢٩٨.

٥. وردت رواية سهل عن أحمد بن هارون في الكافي، الجزء السادس، كتاب الأطعمة (٦)، باب

الحلوى (٧١)، الحديث ١.

٧٢

الأشعري*

(....-٣٠٠هـ)

سعد بن عبد الله بن أبي خلف الأشعري، أبو القاسم القمي، شيخ الطائفة الإمامية في عصره.

ارتحل في طلب العلم، وسمع من كبار محدثي أهل السنة كأبي حاتم محمد ابن إدريس الرازي (المتوفى ٢٧٧هـ)، والحسن بن عرفة العبدي البغدادي (المتوفى ٢٥٧هـ)، ومحمد بن عبد الملك الواسطي الدقيقي (المتوفى ٢٦٦هـ)، وعباس بن عبد الله بن أبي عيسى الترقفي (المتوفى ٢٦٧هـ).

* رجال النجاشي ١/ ٤٠١ برقم ٤٦٥، رجال الطوسي ٤٣١ برقم ٣ و ٤٧٥ برقم ٦، فهرست الطوسي ١٠١ برقم ٣١٨، معالم العلماء ٥٤ برقم ٣٥٨، رجال ابن داود ١٦٨ برقم ٦٧١ و ٤٥٧ برقم ٢٠١، رجال العلامة الحلي ٧٨ برقم ٣، مجمع الرجال ٣/ ١٠٥، نقد الرجال ١٤٩ برقم ٢٧، جامع الرواة ١/ ٣٥٥، هداية المحدثين ٧١، بهجة الأمال ٤/ ٣٢٤، إيضاح المكنون ٢/ ١٨٨ و ١٩٨ و ١٩٩ و ٢٦٦ و ٢٧٢ و ٢١١، وغير ذلك، هدية العارفين ١/ ٣٨٤، تنقيح المقال ٢/ ١٦ برقم ٤٧٠٢، أعيان الشيعة ٧/ ٢٢٥، الذريعة ٢/ ٣٢٦ برقم ١٢٩٦، ١٠/ ٢١٤ برقم ٥٩٢ و ٢٢٢ برقم ٦٥١، ١٥/ ١٢١ برقم ٨١٧، وغير ذلك، طبقات أعلام الشيعة ١/ ١٣٤، الأعلام ٣/ ٨٦، معجم المؤلفين ٤/ ٢١١، معجم رجال الحديث ٨/ ٧٤ برقم ٥٠٤٨، قاموس الرجال ٤/ ٣٣٤، موسوعة طبقات الفقهاء ٣/ ٢٦٣ برقم ٩٢٤، معجم التراث الكلامي ١/ ٤٦٣ برقم ١٩٨٦، ٣/ ٣٩٠ برقم ٦٦٢٧ و ٣٩٧ برقم ٦٦٧٠، ٤/ ١٨٣ برقم ٨٣٩٨.

وأخذ عن جمع من رجال الشيعة، منهم: أحمد بن الحسن بن علي بن فضال، وأحمد بن محمد بن عيسى الأشعري القمي، وأيوب بن نوح بن دراج النخعي، ومحمد بن الحسين بن أبي الخطاب الهمداني، وعلي بن مهزيار الأهوازي.

ومهر في الفقه والحديث، وأحاط بآراء ومقالات مختلف الفرق الإسلامية، وخصّص جانباً مهماً من مؤلفاته لإثبات وإيضاح المسائل التي تتصل بعقائد الإمامية، وردّ وتقويض آراء ومقالات بعض الفرق والطوائف.

وكان غزير العلم، واسع الرواية، جليل القدر.

ألّف كتباً كثيرة، منها: كتاب الإمامة، كتاب الضياء في الردّ على المحمدية والجعفرية، كتاب الردّ على الغلاة، كتاب الردّ على المجبرة، كتاب فرق الشيعة، كتاب الاستطاعة، كتاب الردّ على علي بن إبراهيم بن هاشم في معنى هشام ويونس، كتاب بصائر الدرجات، كتاب المنتخبات، كتاب مناقب الشيعة، كتاب الرحمة، كتاب جوامع الحجّ، وكتاب ناسخ القرآن ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه، وغير ذلك.

توفي يوم الأربعاء لسبع وعشرين من شوال سنة ثلاثمائة.^(١)

١. وقيل: سنة (٣٠١هـ)، وقيل: (٢٩٩هـ).

٧٣

سهل بن زياد*

(.... بعد ٢٦٠ هـ - تقديرًا)

الآدمي، أبو سعيد الرازي.

عاصر الإمامين محمد الجواد وعلي الهادي (عليهما السلام) (وقيل: روى عنهما)، وكاتب الإمام أبا محمد الحسن العسكري (عليه السلام) سنة (٢٥٥ هـ).

وأخذ العلم وروى عن جمع من المشايخ، منهم: أحمد بن محمد بن أبي نصر البزنطي (المتوفى ٢٢١ هـ)، وأيوب بن نوح بن درّاج النخعي، وعلي بن أسباط بن سالم، والحسن بن علي بن يقطين، ومحمد بن عيسى بن عبيد اليقطيني، والسيد عبد العظيم بن عبد الله الحسني، والحسن بن محبوب السّراد، وأبو هاشم داود بن القاسم الجعفري، والريان بن الصلت، وعبد الرحمان بن أبي نجران.

* رجال البرقي ٥٨ و ٦٠، رجال الكشي ٤٧٤ برقم ٤٥٤، رجال النجاشي ١/ ١٧ برقم ٤٤٨، رجال الطوسي ٤٠١ برقم ١ و ١٦٦ برقم ٤ و ٤٣١ برقم ٢، فهرست الطوسي ١٠٦ برقم ٣٤١، معالم العلماء ٥٧ برقم ٣٨٣، رجال ابن داود ٤٦٠ برقم ٢٢٢، رجال العلامة الخلي ٢٢٨ برقم ٢، التحرير الطاوسي ١٤٣ برقم ١٨٤، مجمع الرجال ٣/ ١٧٩، نقد الرجال ١٦٥، جامع الرواة ١/ ٣٩٣، هداية المحدثين ٧٨، بهجة الأمال ٤/ ٥١٤، تنقيح المقال ٢/ ٧٥ برقم ٥٣٩٦، أعيان الشيعة ٧/ ٣٢٢، الذريعة ٤/ ٤٧٩ برقم ٢١٣٣، ٢٤/ ٣٣٢ برقم ١٧٤٣، معجم رجال الحديث ٨/ ٣٣٧ برقم ٥٦٢٩، قاموس الرجال ٥/ ٣٧، موسوعة طبقات الفقهاء ٣/ ٢٨١ برقم ٩٣٨، معجم التراث الكلامي ٢/ ٣٥٥ برقم ٤١٣٠.

وكان كثير الرواية في شتى مجالات الشريعة.

روى عنه: محمد بن الحسن الصفار (المتوفى ٢٩٠هـ)، ومحمد بن جعفر بن محمد بن عون الأسدي (المتوفى ٣١٢هـ)، ومحمد بن أحمد بن يحيى بن عمران الأشعري، وآخرون.

وصنف كتاب التوحيد، وكتاب النوادر.

توفي في عشر السبعين ومائتين تحميناً.

روى المترجم بسنده إلى الإمام علي الرضا عليه السلام، قال: خرج أبو حنيفة ذات يوم من عند الصادق عليه السلام، فاستقبله موسى بن جعفر عليه السلام، فقال له: يا غلام ممن المعصية؟ قال: لا تخلو من ثلاث: إما أن تكون من الله عز وجل، وليست منه، فلا ينبغي للكريم أن يُعَذَّبَ عبده بما لا يكتسبه، وإما أن تكون من الله عز وجل ومن العبد، وليس كذلك، فلا ينبغي للشريك القسوي أن يظلم الشريك الضعيف، وإما أن تكون من العبد، وهي منه، فإن عاقبه الله فبذنبه، وإن عفا عنه فبكرمه وجوده.^(١)

١. الصدوق، التوحيد ٩٦، باب معنى التوحيد والعدل (٥)، الحديث ٢.

٧٤

ابن جبرويه*

(....- بعد ٢٦٠ هـ -تقديراً)

عبد الرحمان بن أحمد بن جبرويه، أبو محمد العسكري.

كان متكلماً إمامياً، حسن التصنيف، جيد الكلام.

ناظر متكلمي المعتزلة كعباد بن سليمان الضمري^(١)، ومحمد بن عبد الله بن مملك الأصفهاني، وعلى يده رجع الأخير عن مذهبه، ودان بمذهب الإمامية، وستاتيك ترجمته.

وقد صنف المترجم كتاب الكامل في الإمامة، وصفه أبو العباس النجاشي بأنه كتاب حسن.

لم نظفر بسنة وفاته، ونقدّر أنها كانت بعد الستين ومائتين، لأنه - كما يظهر

* رجال النجاشي ٢/ ٤٧ برقم ٦٢٣، رجال ابن داود ٢٢٢ برقم ٩٢٨، رجال العلامة الحلي ١١٤ برقم ٩، نقد الرجال ١٨٤ برقم ١٣، جامع الرواة ١/ ٤٤٦، منتهى المقال ٤/ ٩٨ برقم ١٥٨٣، تنقيح المقال ٢/ ١٣٩ برقم ٦٣٤١، تأسيس الشيعة ٣٧٥، أعيان الشيعة ١/ ١٣٣، مستدركات علم رجال الحديث ٤/ ٣٨٤ برقم ٧٦٠٣، طبقات أعلام الشيعة ١/ ١٤٧، الذريعة ١٧/ ٢٥٢ برقم ١٣١، معجم رجال الحديث ٩/ ٣٠٨ برقم ٦٣٣٨، قاموس الرجال ٥/ ٢٨٠، معجم التراث الكلامي ٤/ ٤٨٥ برقم ٩٨٢٦.

١. قال ابن المرتضى: له كتب معروفة، وبلغ مبلغاً عظيماً، وكان من أصحاب هشام الفوطي، وله كتاب يسمى الأبواب، نقضه أبو هاشم. طبقات المعتزلة ٧٧. وانظر الفرق بين الفرق ١٦١.

من النجاشي - في طبقة عباد الذي عُدد في «طبقات المعتزلة» لابن المرتضى من الطبقة السابعة.^(١)

٧٥

أبو الصلت الهروي*

(...٢٣٦هـ)

عبد السلام بن صالح بن سليمان بن أيوب بن ميسرة القرشي بالولاء، أبو الصلت الهروي ثم النيسابوري، العالم الشيعي، الزاهد.

ارتحل في طلب العلم إلى الكوفة والبصرة والحجاز واليمن، وسمع: حماد بن زيد، ومالك بن أنس، وشريك بن عبد الله، وأبا معاوية الضري، وسفيان بن عُيينة، وعبد الرزاق بن همام الصنعاني، وآخرين.

وروى عن الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام.

سُئل يحيى بن معين عنه، فقال: ثقة صدوق، إلا أنه يتشيع.

١. وتضمن الجاحظ (المتوفى ٢٥٥) وغيره.

* رجال الكشي ٥١٢ برقم ٥١٨ (مؤسسة الأعلمي - كربلاء)، رجال النجاشي ٢/ ٦٠ برقم ٦٤١، رجال الطوسي ٣٨٠ برقم ١٤ و ٣٩٦ برقم ٥، تاريخ بغداد ١/ ٤٦ برقم ٥٧٢٨، رجال ابن داود ٢٢٤ برقم ٩٣٨ و ٤٧٤ برقم ٢٩٥، رجال العلامة الحلي ١١٧ برقم ٢، ميزان الاعتدال ٢/ ٦١٦ برقم ٥٠٥١، نقد الرجال ١٨٧ برقم ٥، جامع الرواة ١/ ٤٥٦، منتهى المقال ٤/ ١٢٣ برقم ١٦١٨، معجم رجال الحديث ١٠/ ١٦ برقم ٦٥٠٤، مستدركات أعيان الشيعة ٣/ ١٣١.

ووصفه الذهبي بقوله: الرجل الصالح إلا أنه شيعي جلد.

أقول: الصواب أن يُقال: رجل صالح، أو ثقة صدوق لأنه شيعي جلد، فالتشيع الحقيقي لأهل البيت عليه السلام، يرتقي بالإنسان إلى ذرى الإيمان والصدق والورع، وينأى به عن الوقوع في حمة الكذب والفسوق والعصيان.^(١)

قدم أبو الصلت مرو غازياً، فلما رآه المأمون وسمع كلامه جعله من خاصته، وكان يرده على المرجئة والجهمية والقدرية والزنادقة، وناظر بشر بن غياث المريسي^(٢) غير مرة بحضرة المأمون مع غيره من أهل الكلام، وفي كل ذلك كان الظفر له.

وحدث ببغداد وغيرها، فروى عنه: عباس بن محمد الدوري، وإسحاق بن الحسين الحربي، والحسن بن علسوية القطان، وإبراهيم بن هاشم الكوفي القمي، وأحمد بن علي الأنصاري، وغيرهم.

وألّف كتاب وفاة الرضا عليه السلام.

توفي في شهر شوال سنة ست وثلاثين ومائتين.

١. قال أبو عبد الله الصادق عليه السلام: كونوا دعاة للناس بالخير بغير ألسنتكم، ليروا منكم الاجتهاد والصدق والورع. وقال عمرو بن أبي المقدام: قال لي أبو جعفر [يعني محمداً الباقر عليه السلام] في أول دخلة دخلت عليه: تعلّموا الصدق قبل الحديث. الكافي ٢/ ١٠٤، كتاب الإيمان والكفر، باب الصدق وأداء الأمانة، الحديث ٤ و ١٠.

٢. فقيه معتزلي عارف بالفلسفة، يُرمى بالزندقة، وإليه تنسب الطائفة المريسية القائلة بالإرجاء، توفي سنة (٢١٨هـ). الأعلام ٢/ ٥٥.

٧٦

الحَسَنِي*

(....-٢٥٢هـ)

عبد العظيم بن عبد الله بن علي بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب، العالم الربّاني، السيد أبو القاسم العلوي الحسني.

صاحب الإمامين أبا جعفر محمد الجواد (المتوفى ٢٢٠هـ) وأبا الحسن علي الهادي عليه السلام، واقتبس منهما العلوم والمعارف، وروى عنهما وعن لفيف من كبار المشايخ، أمثال: محمد بن أبي عمير الأزدي البغدادي (المتوفى ٢١٧هـ)، والحسن ابن محبوب السراذ (المتوفى ٢٢٤هـ)، وإبراهيم بن أبي محمود الخراساني، وعلي بن أسباط بن سالم الكندي، وآخرين.

وحدث وأفاد، وحظي بمنزلة رفيعة لدى الجواد عليه السلام، ولدى الهادي عليه السلام الذي أمر شيعته في (الري) بالرجوع إليه فيما أشكل عليهم من أمور الدين. واهتم السيد الحسني - كما يتضح من مروياته - بالأصول الاعتقادية، وانبرى

* رجال النجاشي ٢/ ٦٥ برقم ٦٥١، رجال الطوسي ٤١٧ برقم ١ و ٤٣٣ برقم ٢٠، فهرست الطوسي ١٤٧ برقم ٥٤٩، رجال ابن داود ٢٢٦، رجال العلامة الحلي ١٣٠ برقم ١٢، مجمع الرجال ٤/ ٩٧، نقد الرجال ١٩٠، جامع الرواة ١/ ٤٦٠، روضات الجنات ٤/ ٢٠٧ برقم ٣٨٠، بهجة الآمال ٥/ ١٧٦، تنقيح المقال ٢/ ١٥٧ برقم ٦٦٥١، الذريعة ٧/ ١٩٠ برقم ٩٦٩، ٢٥/ ٣٠٤ برقم ٢٥٨، معجم رجال الحديث ١٠/ ٤٦ برقم ٦٥٨٠، قاموس الرجال ٥/ ٣٤٥، موسوعة طبقات الفقهاء ٣/ ٣١٩ برقم ٩٦٩.

للكشف عن رؤية أهل البيت في هذا المجال خصوصاً في مسألتى التوحيد والعدل، اللتين اختلفت فيهما الآراء والأقوال، وتعرضتا للتشويه لا سيما في عصر المتوكل العباسي - المعاصر للسيد المترجم - الذي قرب الحشوية، وسانداهم - لأغراض سياسية - في نشر الروايات وتوجيهها بما يدعم القول بالجبر والتجسيم والتشبيه.

وكان السيد الحسيني قد ورد الريّ، هارباً من السلطان، وسكن سرّياً في دار رجل من الشيعة في سكّة الموالي، وانصرف إلى العبادة والتهجد، ولم يزل يُنمى خبره إلى الواحد بعد الواحد من شيعة آل محمد ﷺ حتى عرفه أكثرهم.

روى عنه جماعة من العلماء، منهم: أحمد بن مهران، وأحمد بن محمد بن خالد البرقي (المتوفى ٢٧٤هـ)، وأبو تراب عبيد الله بن موسى الروياني، وأبو صالح محمد ابن فيض العجلي، وسهل بن زياد الأدمي، وغيرهم.

وألّف كتاب خطب أمير المؤمنين ﷺ، وكتاب يوم وليلة.

توفي - في قول بعضهم^(١) - سنة اثنتين وخمسين ومائتين، وقبره بالريّ مشهور يُزار.

وللشيخ الصدوق (المتوفى ٣٨١هـ) كتاب جامع أخبار عبد العظيم بن عبد الله الحسيني، وللوزير صاحب بن عباد (المتوفى ٣٨٥هـ) رسالة في أقوال عبد العظيم الحسيني (ط).

روي عن السيد الحسيني أنّه دخل على الإمام الهادي ﷺ، فقال: يا بن رسول الله ﷺ إني أريد أن أعرض عليك ديني، فإن كان مرضياً أثبت عليه حتى ألقى الله عز وجل.

فقال: هاتها يا أبا القاسم.

فقلت: إنّي أقول: إنّ الله تبارك وتعالى واحد ليس كمثله شيء، خارج من
الحدّين: حدّ الإبطال، وحدّ التشبيه، وإنّه ليس بجسم ولا صورة ولا عرض ولا
جوهر، بل هو مجسّم الأجسام، ومصوّر الصور، وخالق الأعراض والجواهر، وربّ
كلّ شيء ومالكة وجاعله ومحدثه، وإنّ محمداً عبده ورسوله خاتم النبيّين، فلا نبيّ
بعده إلى يوم القيامة، وأقول: إنّ الإمام والخليفة ووليّ الأمر بعده أمير المؤمنين عليّ
ابن أبي طالب ثمّ الحسن، ثمّ الحسين، ثم... وأقول: إنّ وليّهم وليّ الله، وعدوّهم
عدوّ الله، وطاعتهم طاعة الله، ومعصيتهم معصية الله، وأقول: إنّ المعراج حقّ،
والمساءلة في القبر حقّ، وإنّ الجنّة حقّ، والنار حقّ، والميزان حقّ، وإنّ الساعة آتية
لا ريب فيها، وإنّ الله يبعث من في القبور، وأقول: إنّ الفرائض الواجبة بعد
الولاية: الصلاة والزكاة والصوم والحجّ والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن
المنكر...^(١)

١. الصدوق، كتاب التوحيد، باب التوحيد والتشبيه (٨١)، الحديث ٣٧. ولمعرفة المزيد من مرويات
السيد عبد العظيم الحسيني في حقّ التوحيد والعدل، راجع الأمالي للصدوق ٤١٩، ومستدرك
الوسائل ٦١٤-٦١٥.

٧٧

الحَجَّال*

(.... حياً قبل ٢٢٤هـ)

عبد الله بن محمد الأسدي بالولاء، أبو محمد الحَجَّال^(١)، المزخرف، الكوفي،
وقيل إنه من موالي بني نهم (تيم).

عدّ من أصحاب الإمام علي الرضا عليه السلام.

وروى عن فريق من علماء مدرسة أهل البيت، مثل: أبي إسحاق ثعلبة بن
ميمون، وجميل بن درّاج النخعي، وعاصم بن حميد الحنّاط، وعلي بن أسباط بن
سالم، وصفوان بن مهران الجَمّال، ويونس بن يعقوب البجلي، وغيرهم.
وحدّث، وناظر.

روى عنه: أحمد بن محمد بن خالد البرقي، وأحمد بن محمد بن عيسى

* رجال البرقي ٥٥، رجال الكشي ٤٣٤-٤٣٥ (ضمن الترجمة ٣٧٨)، رجال النجاشي ٣٠/٢ برقم ٥٩٣، رجال الطوسي ٣٨١ برقم ١٨، فهرست الطوسي ١٢٨ برقم ٤٤٠ و ٢١٨ برقم ٨٥٣، معالم العلماء ٧٣ برقم ٤٩٢، رجال ابن داود ٢١٠ برقم ٨٧٨، رجال العلامة الحلي ١٠٥ برقم ١٨، مجمع الرجال ٣/٢٧٦، ٤/٤٦، نقد الرجال ٢٠٦ برقم ٢١٩، هداية المحدثين ٢٠٦، بهجة الآمال ٥/٢٧٤، تنقيح المقال ٢/٢٠٦ برقم ٧٠٣١، تأسيس الشيعة ٣٧٦، معجم رجال الحديث ١٠/٣٠١ برقم ٧٠٩٥، ٢٣/٧٧ برقم ١٥٢٨٠، قاموس الرجال ٦/١٢٠، ١٢٢، موسوعة طبقات الفقهاء ٣/٣٤٧ برقم ٩٩١.

١. نسبة إلى بيع الحجل.

الأشعري، والعباس بن معروف القمي، ومحمد بن الحسين بن أبي الخطاب (المتوفى ٢٦٢هـ)، وآخرون.

وألف كتاباً، رواه عنه الحسن بن علي بن عبد الله بن المغيرة البجلي.
وكان يجتمع مع الحسن بن علي بن فضال (المتوفى ٢٢٤هـ)، وعلي بن أسباط، ويتبادل معهما الحديث في المسائل العلمية.
قال المتكلم الشهير الفضل بن شاذان: كان الحجال من أجدل الناس، فكان ابن فضال يُغري بيني وبينه في الكلام والمعرفة.^(١)
لم نظفر بتاريخ وفاة المترجم.

٧٨

علي بن أسباط*

(.... بعد ٢٣٠هـ)

ابن سالم الكندي، يتاع الرظي، أبو الحسن الكوفي.

١. انظر رجال الكشي ٤٣٤-٤٣٥ (ضمن ترجمة الحسن بن علي بن فضال المرقمة ٣٧٨).
- * رجال البرقي ٥٥ و ٥٦، رجال الكشي ٤٧٠ برقم ٤٤٠، رجال النجاشي ٧٣/٢ برقم ٦٦١، رجال الطوسي ٣٨٢ برقم ٢٣ و ٤٠٣ برقم ١٠، فهرست الطوسي ١١٦ برقم ٣٨٦، معالم العلماء ٦٣ برقم ٤٣٠، رجال ابن داود ٤٨١ برقم ٣٢١، رجال العلامة الحلي ٩٩ برقم ٣٨، التحرير الطائوسي ١٨٧ برقم ٢٦٢، مجمع الرجال ٤/١٦٦، نقد الرجال ٢٢٧، جامع الرواة ١/٥٥٤، هداية المصدين ١١٤، بهجة الأمال ٥/٣٧٥، تنقيح المقال ٢/٢٦٨ برقم ٨١٧٢، الذريعة ٤/٢٤٠ برقم ١١٧٥، ٨/٢٣٧ برقم ١٠٠٢، ٢٤/٣٣٤ برقم ١٧٦٥، معجم رجال الحديث ١١/٢٦٠ برقم ٧٩٢٣، قاموس الرجال ٦/٤٢١، مستدركات أعيان الشيعة ٢/٢٠١، موسوعة طبقات الفقهاء ٣/٣٨٠ برقم ١٠١٧.

أخذ العلم عن الإمامين علي الرضا ومحمد الجواد عليهما السلام، وروى عنهما، وعن جمع من رجال مدرسة أهل البيت، منهم: أبوه أسباط، وعمّه يعقوب بن سالم الأحمر، وعلي بن أبي حمزة البطائي، وسيف بن عميرة النخعي، وغيرهم. وكان فقيهاً، مقرئاً، صادق اللهجة.

ويبدو من رواياته وبعض أخباره (كملازمته للمتكلّم أبي محمد عبد الله الحجال، والحسن بن علي بن فضال)^(١) أنّ له اهتمامات وتوجهات نحو علم الكلام، ويكشف عن ذلك أيضاً تأليفه لكتاب الدلائل. وله مؤلفات أخرى، منها: كتاب التفسير، وكتاب المزار، وكتاب نوادر مشهور.

وكان فطحياً، جرى بينه وبين علي بن مهزيار رسائل في ذلك، رجعوا فيها إلى أبي جعفر الجواد عليه السلام، فعُدل علي بن أسباط عن ذلك القول وتركه.^(٢) أخذ عنه لفيف من العلماء، ورووا عنه في مختلف مجالات الشريعة، منهم: السيد عبد العظيم بن عبد الله الحسيني، والحسين بن سعيد الأهوازي، وعلي بن الحسن بن فضال، ومحمد بن الحسين بن أبي الخطاب (المتوفى ٢٦٢هـ)، وموسى ابن القاسم بن معاوية بن وهب البجلي، وآخرون. لم نظفر بتاريخ وفاته، وقد سمع منه علي بن الحسن بن علي بن فضال في شهر شعبان سنة (٢٣٠هـ).^(٣)

١. قال الفضل بن شاذان: وكان الحسن بن علي بن فضال يجتمع هو وأبو محمد عبد الله الحجال وعلي بن أسباط، وكان الحجال يدعي الكلام، وكان من أجدل الناس، فكان ابن فضال يغري بيني وبينه في الكلام في المعرفة. رجال الكشي ٤٣٥ (ضمن الترجمة المرقمة ٣٧٨).
٢. وقيل إنّه لم يرجع عن مذهبه، ومات عليه. انظر رجال الكشي ٤٧٠ برقم ٤٤٠.
٣. انظر رجال النجاشي ٢/ ٢٦٠ (ضمن ترجمة محمد بن حمران النهدي، المرقمة ٩٦٦).

روى المترجم عن الحسن بن الجهم عن بكير بن أعين، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: عِلِّمُ الله ومشيته مختلفان أم متفقان؟ فقال: العلم ليس هو المشيئة، ألا ترى أنك تقول: سأفعل كذا إن شاء الله، ولا تقول سأفعل كذا إن عِلِمَ الله، فقولك إن شاء الله دليل على أنه لم يشأ، فإذا شاء كان الذي شاء كما شاء، وعِلِمُ الله سابقٌ للمشيئة. ^(١)

٧٩

علي بن ميثم*

(.... بعد ٢٠٢ هـ -تقديرًا)

علي بن إسماعيل بن شعيب بن ميثم (التمّار) بن يحيى الأسدي بالولاء، أبو الحسن الكوفي ثم البصري، المعروف بعلي بن ميثم اختصاراً وبالميثمي.
قال المسعودي: كان إمامي المذهب، من المشهورين من متكلمي الشيعة.

١. الصدوق، التوحيد ١٤٦، باب صفات الذات وصفات الأفعال، الحديث ١٦.

* فرق الشيعة للنويعي ٨١، مقالات الإسلاميين للأشعري ٤٢ و ٥٤ و ٥١٦، مسروج الذهب ٢٣٧/٤ برقم ٢٥٦٦، الفهرست للنسديم ٢٦٣، رجال النجاشي ٢/٧٢ برقم ٦٥٩، رجال الطوسي ٣٨٣ برقم ٥٢، فهرست الطوسي ١٣ برقم ٣٧٦، رجال ابن داود ٢٣٨ برقم ١٠٠٢، رجال العلامة الخلي ٩٣ برقم ٩، مجمع الرجال ٤/١٦٧، نقد الرجال ٢٢٦، جامع الرواة ١/٥٥٨، بهجة الآمال ٥/٣٨٠، هدية العارفين ١/٦٦٩، تنقيح المقال ٢/٢٧٠ برقم ٨١٧٨، أعيان الشيعة ٨/١٦٧، الذريعة ٢/١٨ برقم ٥١ و ٣٣٠ (ذيل الرقم ١٣١١)، معجم المؤلفين ٧/٣٧، معجم رجال الحديث ١١/٢٧٥ برقم ٧٩٢٩، قاموس الرجال ٦/٤٢٥، معجم التراث الكلامي ١/٢٤٧ برقم ٨٧٤ و ٤٦٦ برقم ٢٠٠٦.

عدّة من أصحاب الإمام علي الرضا عليه السلام.

وأخذ العلم عن عدد من رجال مدرسة أهل البيت، منهم: عبد الأعلى مولى آل سام، وفضيل بن الزبير الرّيسان، وحبيب بن المعلل (المعلّي) الخثعمي، وربيع ابن عبد الله بن الجارود الهذلي البصري، وفضالة بن أيوب الأزدي، وغيرهم. وبرع في الكلام.

وحدّث، وناظر كبار المتكلّمين كأبي الهذيل العلاف^(١)، وإبراهيم بن سيار النظام^(٢) المعتزليين.

وألف كتباً، منها: كتاب الإمامة، كتاب مجالس هشام بن الحكم، كتاب الاستحقاق، كتاب الطلاق، كتاب النكاح، وكتاب المتعة. وأصبح من وجوه المتكلّمين.

حضر مجلس يحيى بن خالد البرمكي الذي كان يعقده ببغداد (قبل نكبة البرامكة عام ١٨٧هـ) للبحث والمناظرة في المواضيع الكلامية والفلسفية، ويجمع فيه مشاهير متكلّمي الإسلام وغيرهم من أصحاب الآراء والنحل، كالعلاف وهشام بن الحكم والنظام والسكّاك وبشر بن المعتمر والموبّد.

واعتقل في عهد هارون الرشيد في الحملة القمعية التي شنتها أجهزته، واعتقل فيها الإمام موسى الكاظم عليه السلام^(٣) وعدد من أصحابه وأتباع أهل

١. محمد بن الهذيل بن عبد الله العبدي: ولد بالبصرة (١٣٥هـ)، واشتهر بعلم الكلام، له مقالات في الاعتزال ومجالس ومناظرات. توفيّ بسامراء (٢٣٥هـ). الأعلام ١٣١/٧.

٢. إبراهيم بن سيار، أبو إسحاق النظام: تبحّر في علوم الفلسفة، وانفرد بآراء خاصة، تابعته فيها فرقة من المعتزلة سميت (النظامية). توفيّ (٢٣١هـ). الأعلام ١/٤٣.

٣. ظلّ عليه السلام في السجن، إلى أن استشهد فيه مسموماً عام (١٨٣هـ).

(١). البيت

ثم أطلق سراحه.

لم نظفر بتاريخ وفاته، ونقدّر أنّه كان بعد سنة اثنتين ومائتين، وذلك لإدراكه مقتل محمد بن الفرات على يد إبراهيم بن المهدي العباسي المعروف بابن شكلة^(٢)، وكان ابن شكلة قد دعا إلى نفسه، فبايعه كثيرون ببغداد، وتغلّب على الكوفة والسواد، واستمرت خلافته ببغداد لمدة سنتين (٢٠٢-٢٠٤هـ).^(٣)

وقد ذكرت لعلي بن ميثم في كتب التاريخ والأدب مناسطات طريفة، تدلّ على حضور بسديّة، وقوة حجة، وتجدد في كتاب «الفصول المختارة» للشيخ المفيد طائفة منها.^(٤)

١. ورد خبر اعتقاله مع زميله محمد بن سليمان النوفلي في رجال الكشي ٢٢٥ (ضمن ترجمة هشام بن الحكم، برقم ١٣١).

٢. قال محمد بن عيسى العبيدي: حدثني أخي جعفر بن عيسى وعلي بن إسماعيل الميثمي عن أبي الحسن الرضا عليه السلام أنّه قال: آذاني محمد بن الفرات، آذاه الله وأذاه حرّ الحديد... قال محمد بن عيسى: فأخبراني أنّه ما لبث محمد بن الفرات إلّا قليلاً حتّى قتله إبراهيم بن شكلة أخبث قتلة. انظر رجال الكشي ٤٦٤ (ترجمة محمد بن الفرات، برقم ٤٢٨).

٣. انظر ترجمة إبراهيم بن المهدي في الأعلام ١/ ٥٩-٦٠.

٤. فلاسفة الشيعة، وفيه وفاته سنة (١٧٩هـ)، وهو وهم.

٨٠

ابن فضال*

(نحو ٢٠٦- بعد ٢٧٠ هـ تقديراً)

علي بن الحسن بن علي بن فضال بن عمرو التيملي بالولاء، أبو الحسن الكوفي، الفطحي، أحد الشخصيات العلمية البارزة. ولد نحو سنة ست ومائة^(١).

وروى عن جمع من أتباع مدرسة أهل البيت، منهم: أخواه أحمد (المتوفى ٢٦٠ هـ) ومحمد، وإسماعيل بن مهران بن محمد بن أبي نصر السكوني، وأيوب بن

* رجال الكشي ٤٤٥ برقم ٣٩٧، رجال النجاشي ٨٢/٢ برقم ٦٧٤، رجال الطوسي ٤١٩ برقم ٢٦ و ٤٣٣ برقم ١٢، فهرست الطوسي ١١٨ برقم ٣٩٣، معالم العلماء ٦٥ برقم ٤٣٨، رجال ابن داود ٤٨٣ برقم ٣٢٨، رجال العلامة الحلي ٩٣ برقم ١٥، مجمع الرجال ٤/ ١٨٠، نقد الرجال ٢٣٠ برقم ٧١، جامع الرواة ١/ ٥٦٩، هداية المحدثين ٢١٥، بهجة الآمال ٥/ ٣٩٩، إيضاح المكنون ١/ ٨٠ و ٣٠٣، ٢/ ٩٣، ٢٧٣، ٢٧٨، ٢٨٣، ٢٨٦، وغير ذلك، تنقيح المقال ٢/ ٢٧٨ برقم ٨٢٢٦، الذريعة ٢/ ٣٣٠ برقم ١٣١٢ و ٣٥٦ برقم ١٤٣٤، معجم المؤلفين ٧/ ٦٦، معجم رجال الحديث ١١/ ٣٣٨ برقم ٨٠١٠، قاموس الرجال ٦/ ٤٥٤، موسوعة طبقات الفقهاء ٣/ ٣٨٧ برقم ١٠٢٢، معجم التراث الكلامي ١/ ٤٦٦ برقم ٢٠٠٧ و ٤٩٧ برقم ٢١٨٦.

١. اعتمدنا في تاريخ مولده هذا على قول المترجم الذي علّل به عدم روايته عن أبيه (المتوفى ٢٢٤ هـ): كنت أقابله وسني ثمان عشرة سنة بكتبه، ولم أفهم إذ ذاك الروايات، ولا استحل أن أرويا عنه. ومع ذلك فقد وردت له عن أبيه عدة روايات، منها ما رواه الصدوق في كتابه «التوحيد».

نوح بن دراج النخعي، والحسن بن علي الوشاء، وعلي بن أسباط بن سالم، ويعقوب بن يزيد الأنباري، وعلي بن مهزيار الأهوازي.
وكان غزير العلم، واسع الرواية في حقول الشريعة المختلفة، جماعاً للكتب، كثير التصنيف في فنون شتى.

روى عنه: أحمد بن محمد بن سعيد المعسروف بابن عقدة الحافظ الزيدي (٢٤٩-٣٣٣هـ)، وعلي بن محمد بن الزبير القرشي، وعلي بن محمد بن يعقوب الكسائي، ومحمد بن يحيى العطار، وآخرون.
وألّف كتباً، منها: كتاب الدلائل، كتاب المعرفة، كتاب إثبات إمامة عبد الله^(١)، كتاب الغيبة، كتاب البشارات، كتاب الجنة والنار، كتاب الأنبياء، كتاب التفسير، كتاب الرجال، كتاب الصلاة، كتاب الزكاة، كتاب المواعظ، وكتاب العلل، وغير ذلك.

لم نقف على سنة وفاته، ونقدّر أنها كانت بعد (٢٧٠هـ).

١. يعني عبد الله الأقطح، الابن الأكبر للإمام الصادق عليه السلام، المتوفى بعد أبيه بسبعين يوماً، وكانت وفاة الصادق عليه السلام في (٢٥) شوال عام (١٤٨هـ).

الطَّاطِري*

(.... حدود ٢٣٠هـ تقديراً)

علي بن الحسن بن محمد الطسائي الجَزْمِي، أبو الحسن الكوفي، المعروف بالطاطري، أحد كبار رجال الواقفة^(١) الإمامية.

روى عن: الحسن بن محبوب السَّرَاد (المتوفى ٢٢٤هـ)، وعبد الله بن وضاح، وهيب بن حفص الجريري الواقفي، ومحمد بن سكين بن عمار النخعي، ودرست

* الفهرست للنديم ٢٦٦ (ط. الاستقامة - القاهرة)، رجال النجاشي ٧٧/٢ برقم ٦٦٥، رجال الطوسي ٣٥٧ برقم ٤٦، فهرست الطوسي ١١٨ برقم ٣٩٢، معالم العلماء ٦٤ برقم ٤٣٧، رجال ابن داود ٨٢ برقم ٣٢٦، رجال العلامة الحلي ٢٣٢ برقم ٤، مجمع الرجال ١٨٣/٤، نقد الرجال ٢٣٠ برقم ٧٣، جامع الرواة ١/٥٦٨، رجال بحر العلوم ١/٣٣٠، منتهى المقال ٤/٣٧٧ برقم ١٩٩٠، بهجة الآمال ٥/٤٠٣، تنقيح المقال ٢/٢٧٨ برقم ٨٢٢٠، الكنى والألقاب للقمي ٢/٤٣٧، هدية الأحباب ١٩٢، الذريعة ٢/٣٣٠ برقم ١٣١٣، ٤/٤٨٠ برقم ٢١٣٩، ٢٥/١٤٣ برقم ٨٣٢، وغير ذلك، معجم المؤلفين ٧/٦٨، معجم رجال الحديث ١١/٣٤٤ برقم ٨٠١٤ و ٨٠١٨ و ٨٠٢٤، قاموس الرجال ٦/٤٥٢، موسوعة طبقات الفقهاء ٣/٣٨٩ برقم ١٠٢٣، معجم التراث الكلامي ١/٤٦٦ برقم ٢٠٠٨، ٢/٣٥٧ برقم ٤١٤٤، ٥/٥٢٢ برقم ١٢٧٨٠.

١. هم الذين قالوا بسبعة أئمة، ووقفوا عند الإمام موسى الكاظم عليه السلام، ولم يتجاوزوا إلى غيره، وزعموا أنه هو القائم من آل محمد عليه السلام، وقد انقرضت هذه الفرقة، ولم يبق لها أثر. انظر معجم الفرق الإسلامية للأمين ٢٦٨-٢٦٩.

ابن أبي منصور الواسطي، وآخرين.

وروى عن المتكلم أبي مالك الضحاك الحضرمي كتابه في التوحيد.
 روى عنه: جعفر بن محمد بن سماعه الحضرمي الواقفي، وسلمة بن
 الخطاب، وعلي بن الحسن بن فضال، وعبيد الله بن أحمد الدهقان، وغيرهم.
 وتلمذ له في المذهب الحسن بن محمد بن سماعه (المتوفى ٢٦٣هـ).
 وألف كتباً في الفقه والكلام والحديث، منها: التوحيد، الإمامة^(١)، الولاية،
 المعرفة، المتعة، الغيبة، المناقب، الصلاة، الفرائض، والحج، وغير ذلك.
 لم نظفر بسنة وفاته، ونظن أنها في حدود الثلاثين ومائتين أو بعدها
 بقليل.^(٢)

١. وصفه النديم بأنه كتاب حسن.

٢. لرواية علي بن الحسن بن فضال (المولود نحو سنة ٢٠٦هـ) عنه.

٨٢

علي بن مهزيار*

(.... قبل ٢٥٤هـ)

العالم الجليل، الناسك، المصنف، أبو الحسن الأهوازي، الدَّورقيّ الأصل،
أحد وكلاء الأئمة عليهم السلام.

كان أبوه نصرانياً فأسلم، وقيل: إنّ عليّاً أيضاً أسلم وهو صغير، ثمّ من الله
تعالى عليه بمعرفة أمر الولاء لأهل البيت عليهم السلام.

تشرف بلقاء الإمام علي الرضا عليه السلام، وروى عنه.

ثمّ اختص بالإمام محمد الجواد عليه السلام، ثمّ بولده الإمام علي الهادي عليه السلام، وعظم
محله منهما، ونهض بأعباء الوكالة عنهما.

* رجال البرقي ٥٤، رجال الكشي ٤٥٩ برقم ٤٢٢، رجال النجاشي ٧٤/٢ برقم ٦٦٢، رجال
الطوسي ٣٨١ برقم ٢٢ و ٤٠٣ برقم ٨ و ١٧ برقم ٣، فهرست الطوسي ١١٤ برقم ٣٨١، معالم
العلماء ٦٣ برقم ٤٢٧، رجال ابن داود ٢٥١ برقم ١٠٧١، رجال العلامة الحلي ٩٢ برقم ٦، التحرير
الطاووسي ١٨٣ برقم ٢٥٢، مجمع الرجال ٢٢٦/٤، نقد الرجال ٢٤٤ برقم ٢٤٤، جامع
الرواة ١/٦٠٤، هداية المحدثين ١١٩، بهجة الآمال ٥/٥٤٥، إيضاح المكنون ١/٣٠٤، هدية
العارفين ١/٦٧٤، تنقيح المقال ٢/٣١٠ برقم ٨٥٣٤، الذريعة ٢/٣٥٦ برقم ١٤٣٥،
١٠/٢١٤ برقم ٥٩٣، وغير ذلك، معجم المؤلفين ٧/٢٤٧، معجم رجال الحديث ١٢/١٩٢
برقم ٨٥٣٩، قاموس الرجال ٧/٦٦، موسوعة طبقات الفقهاء ٣/٤٠٩ برقم ١٠٣٩، معجم
التراث الكلامي ١/٤٩٨ برقم ٢١٨٨، ٣/٣٩٠ برقم ٦٦٢٨.

كما أخذ وروى عن ثلثة من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين، منهم: أيوب بن نوح بن درّاج النخعي، ومحمد بن أبي عمير الأزدي، وعلي بن إسماعيل الميثمي المتكلم المعروف، والحسن بن علي بن فضال، والحسن بن محبوب السّراد، والحسين ابن سعيد الأهوازي، وفضالة بن أيوب الأزدي.

وكان كثير الرواية، واسع الاطلاع، غزير الإنتاج، شديد الاهتمام بالدعوة إلى مذهب أهل البيت، ونشر فقههم وحديثهم وعقائدهم.

روى عنه: ابنه الحسن، وأخوه إبراهيم بن مهزيار، ومحمد بن عيسى بن عبيد، والعباس بن معروف، والهيثم بن أبي مسروق النهدي، وأحمد بن محمد بن عيسى الأشعري، وآخرون.

وألّف ما يربو على ثلاثين كتاباً في فنون متعددة، منها: كتاب الردّ على الغلاة، كتاب القائم، كتاب التقيّة، كتاب الأنبياء، كتاب البشارات، كتاب التفسير، كتاب الصلاة، كتاب الزكاة، كتاب المكاسب، وكتاب النوادر.

وله رسائل حول الفطحية، تبادلها مع علي بن أسباط (وكان فطحياً)، وأسفرت - بعد الرجوع فيها إلى الإمام الجواد عليه السلام - بعدول ابن أسباط عن رأيه.

توفي علي بن مهزيار في الفترة الواقعة بين سنتي (٢٢٩هـ) و (٢٥٤هـ)، لأنّه لم يدرك إمامة الحسن العسكري عليه السلام،^(١) وكان حيّاً في سنة (٢٢٩هـ).^(٢)

١. امتدّت إمامته من سنة (٢٥٤) إلى سنة (٢٦٠هـ).

٢. حيث سمع منه في هذه السنة محمد بن علي بن يحيى الأنصاري. رجال النجاشي ١/ ٣٤٢ (ضمن ترجمة حريز، المرقمة ٣٧٣).

٨٣

القزويني*

(.... بعد ٢٥٠هـ - بقليل)

فارس بن حاتم بن ماهويه القزويني، نزيل العسكر (سامراء).
 عدّه أبو عمرو الكشي من الغلاة.
 وقال النجاشي: ما روى الحديث إلا شاذاً.
 لم نقف على أسماء مشايخه، ولم يرو له الأعلام في الكتب الأربعة.^(١)
 ألف كتباً، منها: كتاب الردّ على الإسماعيلية، كتاب الردّ على الواقفة، كتاب
 الحروب، وكتاب التفضيل، وغير ذلك.
 قتل بعد سنة خمسين ومائتين^(٢)، في حياة الإمام علي الهادي عليه السلام (المتوفى
 ٢٥٤هـ).

* رجال الكشي ٤٣٧ برقم ٣٨٤ و ٤٤٠ برقم ٣٩١، رجال النجاشي ٢/ ١٧٤ برقم ٨٤٦، رجال
 الطوسي ٤٢٠ برقم ٣، رجال العلامة الخلي ٢٤٧ برقم ٢، تأسيس الشيعة ٢٥٨، الذريعة
 ١٨٣/ ١٠ برقم ٤٠٨ و ٢٣٥ برقم ٧٣٧، وغير ذلك، معجم رجال الحديث ١٣/ ٢٣٨ برقم
 ٩٢٩٢، قاموس الرجال ٧/ ٢٩٢ - ٢٩٨، معجم التراث الكلامي ٣/ ٣٦٨ برقم ٦٤٨٩ و ٤١٠
 برقم ٦٧٥١.

١. وهي: «الكافي» للشيخ الكليني، و«من لا يحضره الفقيه» للشيخ الصدوق، و«تهذيب الأحكام» و
 «الاستبصار» كلاهما للشيخ الطوسي.

٢. روي أنّ الإمام الهادي عليه السلام كتب رسالة إلى علي بن عمر القزويني بتاريخ التاسع من شهر ربيع
 الأول سنة (٢٥٠هـ)، وذكر فيها المترجم له. انظر معجم رجال الحديث ١٣/ ٢٤٣ - ٢٤٤، الترجمة
 ٩٢٩٢.

٨٤

الفضل بن شاذان*

(....-٢٦٠هـ)

ابن الخليل الأزدي، أبو محمد النيسابوري، أحد أعلام الإمامية في عصره، ومن مشاهير متكلميهم.

اهتم به والده، وتعهّد بتعليمه وإرشاده، وتعريفه بكبار العلماء، فأقبل على طلب العلم بشغف في بغداد والكوفة، ولأزم المشايخ الثلاثة: محمد بن أبي عمير الأزدي البغدادي (المتوفى ٢١٧هـ)، وصفوان بن يحيى البجلي الكوفي (المتوفى ٢١٠هـ)، وحماد بن عيسى الجهنّي الكوفي البصري (المتوفى ٢٠٩هـ)،

* مقالات الإسلاميين للأشعري ٦٣، رجال الكشي ٤٥١ برقم ٤١٦ (مؤسسة الأعلمي - كربلاء)، رجال النجاشي ١٦٨/٢ برقم ٨٣٨، رجال الطوسي ٤٢٠ برقم ١ و ٤٣٤ برقم ٢، فهرست الطوسي ١٥٠ برقم ٥٦٤، معالم العلماء ٩٠ برقم ٦٢٧، رجال ابن داود ٢٧٢ برقم ١١٧٩، رجال العلامة الحلي ١٣٢ برقم ٢، مجمع الرجال ٥/٢١، نقد الرجال ٢٦٦ برقم ١١، جامع الرواة ٥/٢، بهجة الآمال ٣٧/٦، إيضاح المكنون ١/٢٣ و ٢١٣ و ٤٠٠، ٢/١٨٤ و ١٨٥ و ١٩٧ و ٢٦٩، و غير ذلك، هدية العارفين ١/٨١٧، تنقيح المقال ٢/١٠، تأسيس الشيعة ٣٧٧، الذريعة ٢/٣٣٢ برقم ١٣٢٢ و ٤٩٠ برقم ١٩٢٦، ١٠/١٨٥ برقم ٤٢٣، وغير ذلك، الأعلام ٥/١٤٩، معجم المؤلفين ٨/٦٩، معجم رجال الحديث ١٣/٢٨٩ برقم ٩٣٥٥، قاموس الرجال ٧/٣٢٢، موسوعة طبقات الفقهاء ٣/٤٢٩ برقم ١٠٥٧، معجم التراث الكلامي ١/٤٦٨ برقم ٢٠١٨ و ٥٤٥ برقم ٢٤١٩، ٢/٣٦٩ برقم ٦٤٩٩ و ٣٧٥ برقم ٦٥٣٤، وغير ذلك.

وروى عنهم كثيراً.

وروى أيضاً عن: محمد بن سنان الزاهري، والحسن بن علي بن فضال، وعبد الله بن جبلة الكناني، وآخرين.

وبرز في كل فن من العلم في القرآن والفقه والحديث والكلام. وتتميز بقدراته الفائقة في الردّ على آراء ومقالات مختلف المذاهب والفرق، وفي تفنيد شبهات الفلاسفة والمتكلمين.

وأصبح - بعد وفاة محمد بن الخليل السكاك^(١) - الرجل الأول بين متكلمي الإمامية في خوض هذا المجال، وفي الذبّ عن عقائد الإسلام ومذهب أهل البيت عليه السلام.

وقد اعتنى كبار العلماء كالكليني والصدوق والنجاشي والطوسي وغيرهم بأقواله وكلماته وآرائه ومباحثه في الفقه والفرائض والحديث والرجال والكلام، ونقلوها في كتبهم.

وكان غزير العلم، واسع الرواية، ذا جلاله وقدر كبير في الطائفة. ألّف كتباً كثيرة، بلغت كما يقول يحيى بن زكريا الكنجي مائة وثمانين كتاباً، منها: الإيضاح (ط) في الردّ على سائر الفرق أصولاً وفروعاً، الردّ على الغلاة، الردّ على القرامطة، الردّ على الحشوية، الردّ على الحسن البصري في التفضيل، الردّ على الثنوية، الردّ على الأصمّ، الردّ على الفلاسفة، الردّ على أهل التعطيل، النقض على الاسكافي في تقوية الجسم، الإمامة الكبير، المعيار والموازنة، القاسم عليه السلام، محنة الإسلام، السنن في الفقه، التفسير، والطلاق، وغير ذلك.

وألّف تلميذه علي بن محمد بن قتيبة النيسابوري كتاباً اشتمل على ذكر

١. ستأتي ترجمته، وكان السكاك قد خلف يونس بن عبد الرحمان (المتوفى ٢٠٨هـ) في هذا الميدان.

مجالس الفضل مع أهل الخلاف.

توفي المترجم سنة ستين ومائتين، وقبره مزار معروف بنيسابور.

٨٥

الرَّسِّي

(١٦٩-٢٤٦هـ)

القاسم بن إبراهيم (طباطبا) بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن ابن علي بن أبي طالب، أبو محمد الحسن بن العلوي، المعروف بالرَّسِّي، أحد أئمة الزيدية.

ولد في المدينة المنورة سنة تسع وستين ومائة.

وتلقى العلم عن أكابر علماء أهل بيته.

روى عن: أبيه (من تلامذة الصادق عليه السلام)، وإسماعيل بن أبي أويس، وأبي

* فهرست للنديم ٢٨٨ ط. الاستقامة - القاهرة، رجال النجاشي ٢/ ١٨١ برقم ٨٥٧، المجدي في أنساب الطالبين ٧٥، الشجرة المباركة ٢٤، الفخري في أنساب الطالبين ١٠٢، الحدائق الوردية ٢/ ١، رجال ابن داود ٢٧٥ برقم ١١٨، وفيه: القاسم البرسي، عمدة الطالب ١٧٤، مجمع الرجال ٥/ ٤٤، جامع الرواة ٢/ ١٥، تراجم الرجال للجنداري ٢٩، تنقيح المقال ٢/ ١٨ برقم ٩٥٥٣، أعيان الشيعة ٨/ ٤٣٥، الأعلام ٥/ ١٧١، معجم المؤلفين ٨/ ٩١، معجم رجال الحديث ٨/ ١٤ برقم ٩٤٧٢، قاموس الرجال ٧/ ٣٥٥، بحوث في الملل والنحل للسبحاني ٧/ ٣٩٣، مؤلفات الزيدية ١/ ١٦١ برقم ٤٣١ و ١٧٨ برقم ٤٨١ و ٢٤١ برقم ٦٥٦ و ٢٤٧ برقم ٦٨٠، وغير ذلك، موسوعة طبقات الفقهاء ٣/ ٤٣٧ برقم ١٠٦٢، أعلام المؤلفين الزيدية ٧٥٩ برقم ٨٢٢.

سهل المقرئ، وآخرين.

وروى عنه: أولاده محمد والحسن والحسين وسليمان وداود، ومحمد بن منصور المرادي، وأحمد بن المغلس الحماني، وجعفر النيروسي، وآخرون. وكان فقيهاً، متكلماً، شاعراً، زاهداً.

أقام بمصر عشر سنين مختفياً، والأمير عبد الله بن طاهر الخزاعي يجده في طلبه، ثم توجه إلى الحجاز، وبثّ دعائه في البلدان، وبايعه كثيرون، فاشتهر أمره، فطارده جيوش العباسيين، فاضطر إلى الاختفاء إلى أن تبيّأت مقدمات ظهوره، فبيع البيعة الجامعة بالكوفة سنة (٢١٩هـ)، إلا أن دعوته لم تنجح، فاعتزل، وانتقل إلى الرّس (جبل أسود بأطراف المدينة بالقرب من ذي الحليفة)، وعاش هناك بقية عمره، إلى أن توفي سنة ست وأربعين ومائتين.

وقد ترك مؤلفات عديدة (جلّها رسائل)، منها: أصول العدل والتوحيد ونفي الجبر والتشبيه (ط)، ضمن مجموع رسائل العدل والتوحيد بتحقيق سيف الدين الكاتب)، الإمامة، الدليل الكبير على وجود الله، الدليل الصغير، الرد على ابن المقفع (ط)، الرد على المجبرة (ط، ضمن المجموع السابق)، كتاب الرد على النصاري، المسترشد في التوحيد، الكامل المنير في الرد على الخوارج، الفرائض والسنن، كتاب الطهارة، سياسة النفس، وتفسير القرآن (فتر فيه السور القصار)، وغير ذلك .

٨٦

الكاتب*

(....نحو ٢٢٠هـ)

القاسم بن يوسف بن القاسم بن صبيح العجلي بالولاء، أبو أحمد الكوفي،
الكاتب، أخو أحمد بن يوسف الكاتب (وزير المأمون).

قال محمد بن عمران المرزباني (المتوفى ٣٨٤هـ): كان أحد متكلمي الشيعة،
وشعرائهم.

قرض الشعر في فنون كثيرة.

وكان أشعر من أخيه أحمد (المتوفى ٢١٣هـ)، وعاش بعده، ورثاه.

لم نظفر بتاريخ وفاته، وقد تخّنه صاحب «الأعلام» بنحو سنة عشرين
ومائتين.

ومن شعره، قوله:

حلفتُ برَبِّ السورى المعتلي	على خلقه الطالب الغالب
لأهدُ خير بني غـسـالب	ومن بعده ابن أبي طالب
فهذا النبى وهذا الوصي	ويعتزل الناس في جانب

وقال في رثاء الحسين السبط الشهيد عليه السلام قصيدة، أولها:

* أخبار شعراء الشيعة للمرزباني ١٠٨، أعيان الشيعة ١/ ١٣٥، الأعلام ٥/ ١٨٦.

سَلِّمْ عَلَى قَبْرِ الْحُسَيْنِ وَقُلْ: صَلَّى عَلَيْكَ اللَّهُ مَنْ قَبِرَ
وَسَقَاكَ صَوْبَ الْغَادِيَاتِ وَلَا زَالَتْ عَلَيْكَ رَوَائِحُ تَسْرِي
يَا ابْنَ النَّبِيِّ وَخَيْرَ أُمَّتِهِ بَعْدَ النَّبِيِّ مَقَالَ ذِي خُبْرٍ

ومنها (متعرضاً لأعدائه عليه السلام)، ومستنجداً بالمهدي عليه السلام):

إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ تَسْأَلَهُمْ مَنِّي يَدُ تَشْفِي جَوَى الصَّدْرِ
بِالْقَائِمِ الْمَهْدِيِّ إِنْ عَاجَلًا أَوْ آجَلًا إِنْ مُدَّ فِي عَمْرِي
أَوْ يَنْقُضِي مِنْ دُونِهِ أَجَلِي فَاللَّهُ أَوْلَى فِيهِ بِالْعَذْرِ

الأشعري*

(... حدود ٢٨٠ هـ)

محمد بن أحمد بن يحيى بن عمران بن عبد الله الأشعري، أبو جعفر القمّي، صاحب «نواذر الحكمة».

* رجال النجاشي ٢/ ٢٤٢ برقم ٩٤٠، فهرست الطوسي ١٧٠ برقم ٦٢٣، معالم العلماء ١٠٣ برقم ٦٨٦، رجال ابن داود ٢٩٧ برقم ١٢٨٤، رجال العلامة الخلي ١٤٩، مجمع الرجال ٥/ ١٤٣، نقد الرجال ٢٩٥ برقم ١٠٣، جامع الرواة ٢/ ٦٣، هداية المحدثين ٢٢٧، بهجة الآمال ٦/ ٢٦٦، هدية العارفين ٢/ ٢٠، إيضاح المكنون ٢/ ٦٨٠، الذريعة ٢/ ٣٣٣ برقم ١٣٢٩، ٢٤/ ٣٤٦ برقم ١٨٥٧، معجم المؤلفين ٩/ ٢٨، معجم رجال الحديث ١٥/ ٤٤ برقم ١٠١٥٦، قاموس الرجال ٨/ ٣٩، موسوعة طبقات الفقهاء ٣/ ٤٦٣ برقم ١٠٨٥، معجم التراث الكلامي ١/ ٤٧٣ برقم ٢٠٥٠.

تلقى العلم على ليف من الأعلام، وروى عن الجماء الغفير، منهم:
أحمد بن محمد بن أبي نصر (المتوفى ٢٢١هـ)، وأحمد بن الحسن بن علي بن
فضال، وأيوب بن نوح بن دراج، ومحمد بن الحسين بن أبي الخطاب
الهمداني، وموسى بن القاسم البجلي، والهيثم بن أبي مسروق النهدي، وأحمد
ابن محمد بن عيسى الأشعري.

وكان عالماً متفتناً، واسع الرواية، جليل القدر.

روى عنه: أحمد بن إدريس الأشعري القمي (المتوفى ٣٠٦هـ)، وسعد بن
عبد الله الأشعري، ومحمد بن يحيى العطار، وأحمد بن جعفر المؤدب، وآخرون.
وصنف كتباً، منها: كتاب الإمامة، كتاب الملاحم، كتاب مقتل
الحسين (عليه السلام)، ونوادر الحكمة^(١)، وهو كتاب حسن كبير يشتمل على اثنين
وعشرين باباً، منها: التوحيد، الأنبياء، القضايا والأحكام، مناقب الرجال،
الحج، والصوم.

توفي حدود سنة ثمانين ومائتين.^(٢)

١. يعرفه القميون بـ (دبة شبيب)، وشبيب هذا فامي كان بقم له دبة ذات بيوت يعطي منها ما يُطلب
منه من دهن، فشبهوا هذا الكتاب بذلك.

٢. هدية العارفين.

٨٨

البرمكي*

(.... بعد ٢٦٠ هـ تقديراً)

محمد بن إسماعيل بن أحمد بن بشير البرمكي، الرازي، القمي، المعروف بصاحب الصومعة.

روى عن: الحسين بن الحسن بن برد الدينوري، وعبد العزيز بن المهدي بن محمد الأشعري القمي، والحسن بن علي بن فضال (المتوفى ٢٢٤ هـ)، وعلي بن العباس الخرازمي الرازي، وموسى بن عبد الله النخعي، وغيرهم.

روى عنه: محمد بن جعفر بن محمد بن عون الأسدي الكوفي الرازي (المتوفى ٣١٢ هـ)، وحمويه بن نصير الكشي، وأخوه إبراهيم بن نصير، وأبو علي أحمد بن إدريس الأشعري القمي (المتوفى ٣٠٦ هـ). وصنف كتاب التوحيد، رواه عنه الأسدي المذكور.

لم نظفر بتاريخ وفاته، ونحتمن أنها كانت بعد سنة ستين ومائتين.

* رجال الكشي ٢٦٣ (ضمن الترجمة ١٤٢) و ٣٧٣ (ضمن الترجمة ٣٠٧) و ٤١٣ (ضمن الترجمة ٣٥١)، رجال النجاشي ٢/ ٢٣١ برقم ٩١٦، رجال العلامة الحلي ١٥٤ برقم ٨٩، مجمع الرجال ٥/ ١٥٠، نقد الرجال ٢٩٣ برقم ١٢٤، جامع الرواة: ٢/ ٦٨، منتهى المقال ٥/ ٣٦٧ برقم ٢٤٩٣، الذريعة ٤/ ٤٨١ برقم ٢١٤٩، معجم رجال الحديث ١٥/ ٩٢ برقم ١٠٢٤٠ و ٩٤ برقم ١٠٢٤٥، قاموس الرجال ٨/ ٥٧، معجم التراث الكلامي ٢/ ٣٦٣ برقم ٤١٨١.

٨٩

محمد بن الحسين*

(....-٢٦٢هـ)

ابن أبي الخطاب زيد الهمداني، أبو جعفر الزيات، الكوفي، أحد أجلاء الإمامية.

اتصل بفريق من أهل العلم ممن لهم باع طويل في الفقه والحديث والكلام، فانتفع بهم، وروى عنهم، ومن هؤلاء: صفوان بن يحيى البجلي (المتوفى ٢١٠هـ)، وجعفر بن بشير البجلي (المتوفى ٢٠٨هـ)، والحسن بن علي بن فضال (المتوفى ٢٢٤هـ)، وأبو محمد عبد الله بن محمد الحجال، وأحمد بن محمد بن أبي نصر البزنطي (المتوفى ٢٢١هـ)، والحسن بن محبوب السراذ (المتوفى ٢٢٤هـ)، وغيرهم. وتقدم في ميدان العلم، وعظم قدره في الطائفة. وكان كثير الرواية في مختلف مجالات الشريعة، حسن التصانيف.

* رجال النجاشي ٢/ ٢٢٠ برقم ٨٩٨، رجال الطوسي ٤٠٧ برقم ٢٨ و ٤٢٣ برقم ٢٣ و ٤٣٥ برقم ٨، فهرست الطوسي ١٦٦ برقم ٦٠٨، معالم العلماء ١٠١ برقم ٦٧١، رجال ابن داود ٣٠٤ برقم ١٣١٨، رجال العلامة الحلي ١٤١ برقم ١٩، مجمع الرجال ٥/ ١٩٥، نقد الرجال ٣٥٢، جامع الرواة ٢/ ٩٦، هداية المحدثين ٢٣٣، بهجة الآمال ٦/ ٣٨٨، هدية العارفين ٢/ ١٧، إيضاح المكنون ٢/ ٢٧٢ و ٢٨٤ و ٣٣٤، تنقيح المقال ٣/ ١٠٦، الذريعة ٤/ ٤٨١ برقم ٢١٥٠، ١٠/ ١٨٧ برقم ٤٣٩، ٢٤/ ٣٣٩ برقم ١٧٩٥، معجم رجال الحديث ١٥/ ٢٩١ برقم ١٠٥٥٤، قاموس الرجال ٨/ ١٤٠، موسوعة طبقات الفقهاء ٣/ ٤٩٤ برقم ١١٠٩، معجم التراث الكلامي ١/ ٤٧٥ برقم ٢٠٦٣، ٢/ ٣٦٤ برقم ٤١٨٨، ٣/ ٣٧١ برقم ٦٥٠٩.

روى عنه: عبد الله بن جعفر الحميري، ومحمد بن الحسن الصفار، ومحمد بن يحيى العطار، وسعد بن عبد الله الأشعري، وأحمد بن إدريس الأشعري، وعلي بن سليمان بن الحسن الزراري، وآخرون.

وَأَلَّفَ كِتَابًا مِنْهَا: كتاب التوحيد، كتاب المعرفة والبداء، كتاب الإمامة، كتاب الرد على أهل القدر، كتاب اللؤلؤة، كتاب النوادر، وكتاب وصايا الأئمة عليهم السلام.

توفي سنة اثنتين وستين ومائتين.

٩٠

السَّكَّاكُ

(... بعد ٢٠٨ هـ)

محمد بن الخليل البغدادي، أبو جعفر السكّاك^(١)، المتكلّم الإمامي، المناظر.

* مقالات الإسلاميين للأشعري ٦٣، ٢١٣، مروج الذهب ٤/ ٢٤٠ برقم ٢٥٧٥، فهرست للنديم ٢٦٤ (ط. الاستقامة - القاهرة)، رجال النجاشي ٢/ ٢١١ برقم ٨٩٠، فهرست الطوسي ١٥٨ برقم ٥٩٦، معالم العلماء ٩٥ برقم ٦٥٩، رجال ابن داود ٣١٠ برقم ١٣٤٥، رجال العسلاّمة الحلي ١٤٤ برقم ٣٢، نقد الرجال ٣٠٥ برقم ٣٠٧، جامع الرواة ١١١ - ١١٢، منتهى المقال ٦/ ٤٥ برقم ٢٦١٩، تأسيس الشيعة ٣٦٢، الكنى والألقاب للمقي ١/ ٣٤ - ٣٥، أعيان الشيعة ٩/ ٢٧٣، الذريعة ٢/ ٢٦ برقم ١٠١ و ٣٣٤ برقم ١٣٣٣، ٤/ ٤٨١ برقم ٢١٥١، ٢١/ ٢٤٥ برقم ٤٨٥٠، معجم رجال الحديث ١٦/ ٧٤ برقم ١٠٧١٠، ١٣/ ٢٩٢ (ضمن الترجمة ٩٣٥٥)، قاموس الرجال ٨/ ١٦٧، معجم التراث الكلامي ١/ ٢٤٨ برقم ٨٨٠ و ٤٧٦ برقم ٢٠٦٦، ٢/ ٣٦٤ برقم ٤١٩٠، ٥/ ٢٠٠ برقم ١١٢١٤.

١. نسبة إلى عمل السكك. وفي فهرست النديم: الشكّاك، وهو تصحيف أو خطأ.

لازم المتكلم البارع هشام بن الحكم، وتلمذ له، وأخذ عنه.
وتقدّم في علم الكلام، وصار من المتكلمين المرموقين في عصر هارون الرشيد
الذي ازدهر فيه هذا العلم.

وكان يرتاد الندوة التي يعقدها يحيى بن خالد البرمكي ببغداد للمناظرة
والبحث في المسائل الكلامية والفلسفية، ويحضرها متكلمو الفرق الإسلامية
وغيرهم من أهل الآراء والنحل.^(١)

واتسعت شهرة المترجم، وانتهت إليه رئاسة متكلمي الإمامية بعد وفاة
يونس بن عبد الرحمن (سنة ٢٠٨هـ)، وخاض ميدان المناظرة والاحتجاج دفاعاً
عن مذهب أهل البيت، وردّاً على شبهات ومقالات مختلف المذاهب والفرق.

قال الفضل بن شاذان (المتوفى ٢٦٠هـ): مضى هشام بن الحكم، وكان
يونس بن عبد الرحمن خلفه، كان يردّ على المخالفين، ثم مضى يونس ولم يخلف
خلفاً غير السكّاك، فردّ على المخالفين حتى مضى، وأنا خلف لهم من بعدهم.^(٢)
وللسكّاك كتب، منها: كتاب التوحيد، كتاب المعرفة، كتاب في الإمامة،
وكتاب الاستطاعة.

لم نظفر بتاريخ وفاته.

١. انظر مروج الذهب.

٢. رجال الكشي ٤٥٢ (ضمن ترجمة الفضل بن شاذان، المرقمة ٤١٦).

ابن أبي عُمَيْر*

(....-٢١٧هـ)

محمد بن أبي عمير زياد بن عيسى الأزدي بالولاء، أبو أحمد البغدادي، أحد
أعلام الإمامية، وكبار فقهاءهم.

لقي الإمام موسى الكاظم عليه السلام وسمع منه أحاديث، وروى عن ولده الإمام
علي الرضا عليه السلام.

وأخذ عن جمع من العلماء، منهم: أسان بن عثمان الأحمر، وجميل بن درّاج
النخعي، وحنان بن سدير الصيرفي، وعبد الله بن بكير بن أعين، والمتكلم هشام
ابن الحكم، والمتكلم هشام بن سالم الجواليقي، ومعاوية بن عمار السدهني،

* رجال البرقي ٤٩، رجال الكشي ٤٩٢ برقم ٤٨٣، رجال النجاشي ٢/٢٠٤ برقم ٨٨٨، رجال
الطوسي ٣٨٨ برقم ٢٦، فهرست الطوسي ١٦٨ برقم ٦١٨، رجال ابن داود ٢٨٧ برقم ١٢٥٠، رجال
العلامة الحلي ١٤٠ برقم ١٧، التحرير الطائوسي ٢٥١ برقم ٣٧٠، مجمع الرجال ٥/١١٧، نقد
الرجال ٢٨٤، جامع الرواة ٢/٥٠، بهجة الآمال ٦/٢٢٧، هدية العارفين ٢/١٠، ايضاح
المكنون ١/٢١، ٢/٣١٠، تنقيح المقال ٢/٦١ برقم ١٠٢٧٢، الذريعة ١/٢٨٣ برقم ١٤٧٩،
٢/٢٦ برقم ١٠٠، ٣/٥٦ برقم ١٤٣، ٤/٤٨١ برقم ٢١٤٧، الأعلام ٦/١٣١، معجم المؤلفين
١٠/١٢، معجم رجال الحديث ١٤/٢٧٩ برقم ١٠٠١٨، قاموس الرجال ٨/٣، مستدركات
أعيان الشيعة ١/١٣٩، موسوعة طبقات الفقهاء ٣/٥٠٣ برقم ١١١٥، معجم التراث الكلامي
١/٢٤٩ برقم ٨٨٣، ٢/٣٠ برقم ٢٦٢١ و ٣٦٥ برقم ٤١٩٣.

وآخرون.

وبرع في فنون متعددة، وعلا شأنه عند الفريقين الشيعة والسنة، وأصبحت داره منتجعاً للمشايخ ورؤاد العلم.

اعتقل في أيام هارون الرشيد ليدلّ على مواضع الشيعة وأصحاب الإمام الكاظم عليه السلام، وتعرض للاضطهاد والتعذيب الشديدين، وأُفرج عنه بعد أربع سنوات.

وكان كثير الرواية والتصنيف، واسع العلم، ذا مقام علمي رفيع. تتلمذ عليه، وروى عنه كثيرون، منهم: إبراهيم بن هاشم الكوفي القمي، وأحمد بن محمد بن عيسى الأشعري، وعلي بن مهزيار الأهوازي، والفضل بن شاذان، ومحمد بن عيسى بن عبيد اليقطيني، والحسين بن سعيد الأهوازي، وغيرهم.

ولما أراد هشام بن الحكم وهشام الجواليقي المناظرة في بعض المسائل الكلامية، اشترط الجواليقي أن تجري المناظرة بينهما بحضور ابن أبي عمير. هذا، وقد ألّف المترجم كتباً كثيرة (تلف معظمها أيام حبسه) منها: كتاب التوحيد، كتاب الكفر والإيمان، كتاب الاستطاعة، كتاب البداء، كتاب الاحتجاج في الإمامة، كتاب المعارف، كتاب المتعة، كتاب الحجّ، كتاب فضائل الحجّ، كتاب الصلاة، كتاب الصيام، كتاب اختلاف الحديث، وكتاب المغازي، وغير ذلك. توفي سنة سبع عشرة ومائتين.

٩٢

ابن مملّك*

(.... حياً قبل ٣٠٠هـ)

محمد بن عبد الله بن مملّك، أبو عبد الله الأصفهاني، الجرجاني الأصل.
 كان من متكلمي الشيعة، جليل الشأن، عظيم القدر والمنزلة.
 انتقل من مذهب المعتزلة إلى مذهب الإمامية بتأثير المتكلم عبد الرحمان بن
 أحمد بن جبرويه العسكري.
 وناظر، وألف.

له كتب، منها: كتاب الجامع في سائر أبواب الكلام، كتاب المسائل
 والجوابات في الإمامة، كتاب مجالسه مع أبي علي الجبائي^(١)، كتاب مواليد
 الأئمة عليهم السلام، وكتاب نقض الإمامة على أبي علي ولم يتمه.^(٢)

* مقالات الإسلاميين للأشعري ٣٥٨، الفهرست للنديم ٢٦٦، رجال النجاشي ٢٩٧/٢ برقم ١٠٣٤، فهرست الطوسي ٢٢٥ برقم ٩٠٥، معالم العلماء ١٤٢ برقم ٩٩٨، رجال العلامة الخلي ١٨٨ برقم ١٨، نقد الرجال ٣١٨ برقم ٥١٥، جامع الرواة ٢/١٤٤ و ٤٣٦، منتهى المقال ١٠٣/٦ برقم ٢٧٢٧، تأسيس الشيعة ٣٧٦، أعيان الشيعة ٩/٣٩٠، الذريعة ٥/٢٧ برقم ١١٩، ١٩/٣٦٦ برقم ١٦٣٢، ٢٤/٢٨٩ برقم ١٤٩٣، قاموس الرجال ٨/٢٥٥، معجم التراث الكلامي ٢/٤١٢ برقم ٤٣٨٦، ٥/٣٩ برقم ١٠٣٩٩ و ٤١٠ برقم ١٢٢٤٥.

١. هو أبو علي محمد بن عبد الوهاب الجبائي (٢٣٥-٣٠٣هـ) أحد كبار متكلمي المعتزلة.

٢. ذكره النديم.

وأورد له أبو الحسن الأشعري مقالة في الأعراض هل هي تبقى أم لا؟
وللمتكلم الحسن بن موسى النوبختي (المتوفى حدود ٣١٠هـ) كتاب
شرح به مجالسه مع أبي عبد الله بن مملك.^(١)
لم نظفر بتاريخ وفاته.

وقد عاش في النصف الثاني من القرن الثالث، ولا ندري إن كان بقي إلى
أوائل القرن الرابع - كصاحبيه الجبائي والنوبختي - أو لا.

٩٣

العبيدي*

(... بعد ٢٦٠هـ تقديراً)

محمد بن عيسى بن عبيد بن يقطين بن موسى الأسدي بالولاء، أبو جعفر

١. رجال النجاشي ١/ ١٨٠ (ضمن ترجمة الحسن بن موسى، المرقمة ١٤٦).

* رجال البرقي ٥٨ و ٦١، رجال الكشي ٤٥٠ برقم ٤١٥، الفهرست للنديم ٣٢٦ (ط).
الاستقامة - القاهرة، رجال النجاشي ٢/ ٢١٨ برقم ٨٩٧، رجال الطوسي ٤٣٥ برقم
٣٩٣، فهرست الطوسي ١٦٧ برقم ٦١٢، معالم العلماء ١٠١ برقم ٦٧٦، رجال ابن داود
٥٠٨ برقم ٤٥٩، رجال العلامة الحلي ١٤١ برقم ٢٢، مجمع الرجال ٦/ ١٦، نقد الرجال ٣٢٧ برقم
٦٢٣، جامع الرواة ٢/ ١٦٦، هداية المحدثين ٢٤٨، بهجة الأمال ٦/ ٥٤٠، تنقيح
المقال ٣/ ١٦٧ برقم ١١٢١، الذريعة ٢/ ٣٣٦ برقم ١٣٤٢، ٢١/ ٢٤٥ برقم ٤٨٥٢،
١١/ ٢٥ برقم ٦١، معجم رجال الحديث ١٧/ ١١٣ برقم ١١٥٠٩، قاموس الرجال ٨/ ٣٢٩،
موسوعة طبقات الفقهاء ٣/ ٥٥١ برقم ١١٥٦، معجم التراث الكلامي ١/ ٤٧٨ برقم ٢٠٧٩،
٤٩٦/ ٥ برقم ١٢٦٤٣.

العبيدي، اليقطيني، البغدادي، أحد أعيان الإمامية.

أدرك الإمام أبا جعفر الجواد عليه السلام، وروى عنه مكاتبة ومشافهة.

وروى أيضاً عن الإمام أبي الحسن علي الهادي عليه السلام، وعن ثلثة من رجال مدرسة أهل البيت، منهم: يونس بن عبد الرحمان، ومحمد بن أبي عمير الأزدي، وأخوه جعفر بن عيسى، والحسن بن محبوب، وصفوان بن يحيى البجلي، وعلي بن أسباط، وزكريا المؤمن، وعلي بن مهزيار.

وتقدّم في مختلف حقول الشريعة من الفقه والحديث والكلام والتفسير والرجال.

وفاق أقرانه، واحتلّ مكانة مرموقة في أوساط العلماء.

وكان كثير الرواية، حسن التصانيف.

روى عنه: محمد بن الحسن الصفار (المتوفى ٢٩٠ هـ)، و عبد الله بن جعفر الحميري، ومحمد بن جعفر الرزاز، وسعد بن عبد الله الأشعري، وعلي بن إبراهيم ابن هاشم، وآخرون.

وألف كتباً، منها: كتاب المعرفة، كتاب الإمامة، كتاب الواضح المكشوف في الردّ على أهل الوقوف، كتاب اللؤلؤة، كتاب تفسير القرآن، كتاب الفيء والخمس، كتاب الزكاة، كتاب الرجال، وكتاب قرب الإسناد، وغير ذلك.

توفي - حسب تقديرنا - بعد سنة ستين ومائتين.^(١)

روي عن محمد بن عيسى أنّه قال: قال لي أبو الحسن عليه السلام: ما تقول إذا قيل

١. يتضح من إحدى الروايات أنّ المترجم كان حيّاً قبل سنة (٢٦٠ هـ) بقليل، أي في زمن الإمام العسكري (المتوفى ٢٦٠ هـ). انظر رجال الكشي ٤٥١ (ضمن ترجمة الفضل بن شاذان، المرقمة ٤١٦).

لك: أخبرني عن الله عز وجل شيء هو أم لا؟ قال: فقلت له: قد أثبت الله عز وجل نفسه شيئاً، حيث يقول: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾^(١)، فأقول: إنه شيء لا كالأشياء، إذ في نفي الشيئية عنه إبطاله ونفيه، قال لي: صدقت وأصبحت....^(٢)

٩٤

الرَّسِّي

(....-٢٨٤هـ)

محمد بن القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن ابن علي بن أبي طالب الحسيني العلوي، أحد علماء الزيدية. لم نقف على أسماء أساتذته الذين أخذ عنهم العلم. يُذكر أن والده القاسم الرسي^(٣) كان من أئمة الزيدية، ومتكلمهم. طاف السيد المترجم كثيراً من البلدان: بغداد والبصرة وأقام بهما، والأهواز وخراسان، والشام، ومصر، والمغرب. واستقر في آخر عمره بالحجاز. توفي سنة أربع وثمانين ومائتين.

١. الأنعام: ١٩. ٢. الصدوق، التوحيد ١٠٧، باب أنه تبارك وتعالى شيء (٧)، الحديث ٨.

* مؤلفات الزيدية ١/ ١٣١ برقم ٣٣٢ و ٣١٢ برقم ٨٩٢، ٢/ ٢٠٥ برقم ٢٠٤٦، ٣/ ١٥٨ برقم

٣٣٠٩، أعلام المؤلفين الزيدية ٩٧٨ برقم ١٠٤٩.

٣. المتوفى (٢٤٦هـ)، وقد مضت ترجمته.

وترك مؤلفات عديدة، منها: الشرح والتبيين في أصول الدين، الأصول الثمانية^(١) وهو مختصر في أصول الدين، شرح شروط الإيمان على خطبة الإمام علي عليه السلام: بُني الإيمان على أربع دعائم، تفسير القرآن الكريم (وُجد منه من سورة البلد إلى سورة النازعات)، والهجرة والوصية، وغير ذلك.

٩٥

أبو عيسى الوراق*

(....-٢٤٧هـ)

محمد بن هارون بن محمد، أبو عيسى الوراق، البغدادي.
كان متكلماً، مناظراً، مصنفًا، عارفاً بالمذاهب والفرق وأديان الأمم.
ترجم له النديم، وقال: كان معتزلياً، ثم خلط، وانتهى به التخليط إلى أن صار يُرمى بمذهب أصحاب الاثنين.
أما المسعودي (المتوفى ٣٤٦هـ)، وقاضي القضاة عبد الجبار بن أحمد

١. في مؤلفات الزيدية: الأصول البينانية.

* مقالات الإسلاميين للأشعري ٣٣ و ٣٤ و ٦٤، مروج الذهب ٤/ ٤٥ برقم ٢٢٢٥ و ٧٧ برقم ٢٢٨٢،
٥/ ٢٣ برقم ٢٩٢٠، الفهرست للنديم ٢١٦ (ط. إيران)، الفرق بين الفرق ٦٧ و ٦٩، الشافي في الإمامة ١/ ٨٩، رجال النجاشي ٢/ ٢٨٠ برقم ١٠١٧، لسان الميزان ٥/ ٤١٢ برقم ١٣٦٠، نقد الرجال ٣٣٨ برقم ٧٩٥، جامع الرواة ٢/ ٢١٢، منتهى المقال ٦/ ٢٢٣ برقم ٢٩٢٧، ٧/ ٢١٩ برقم ٣٧٠٢، أعيان الشيعة ١٠/ ٨٣، الذريعة ١/ ٣٦١ برقم ١٨٩٧، ٢/ ٣٣٧ برقم ١٣٤٦، الأعلام ٧/ ١٢٨، معجم رجال الحديث ١٧/ ٣١٧ برقم ١١٩٤١، قاموس الرجال ٨/ ٤٢٤، معجم التراث الكلامي ١/ ٤٧٩ برقم ٢٠٨٤.

المعتزلي (المتوفى ٤١٥ هـ)، وأبو العباس النجاشي (المتوفى ٤٥٠ هـ)، فقد جعلوه من متكلمي الشيعة، وإن كان قاضي القضاة قد شنع عليه بتهمة التمسك بمذاهب الثنوية، ولكن الشريف المرتضى (المتوفى ٤٣٦ هـ) برأ ساحته من هذه التهمة، وقال إن ذلك مما رماه به المعتزلة، وقد تقدّمهم في قذفه بها ابن الراوندي لعداوة كانت بينهما، وأضاف: كانت شبهته في ذلك وشبهة غيره تأكيد أبي عيسى لمقالة الثنوية في كتابه المعروف بـ «المقالات» وإطنابه في ذكر شبهتهم، وهذا القدر إن كان عندهم دالاً على الاعتقاد، فليستعملوه في الجاحظ وغيره، ممن أكد مقالات المبطلين ومخصها وهذبها. فأما الكتاب المعروف بـ «المشرقي» وكتاب «النوح على البهائم» فهما مدفوعان عنه، وما يبعد أن يكون بعض الثنوية عملهما على لسانه. ^(١)

وللمترجم تصانيف كثيرة، وصفها المسعودي بأنها حسان، منها: كتاب الإمامة الكبير، كتاب الإمامة الصغير، كتاب اختلاف الشيعة والمقالات، كتاب المجالس، كتاب الحكم على سورة لم تكن، كتاب السقيفة، كتاب الرد على النصارى الكبير، كتاب الرد على النصارى الأوسط، كتاب الرد على اليهود، كتاب الرد على المجوس، وكتاب اقتصاص مذاهب أصحاب الاثنين والرد عليهم، وغير ذلك. ^(٢)

توفي بالرملة (في الجانب الغربي من بغداد) سنة سبع وأربعين ومائتين.

١. الشريف المرتضى، الشافي في الإمامة ١/ ٨٩-٩٠.

٢. ونسب إليه بعضهم كتاباً في النقض على العثمانية، ولكن النجاشي قال: إنّه لثيب بن محمد العسكري، صاحب أبي عيسى الوراق. انظر رجال النجاشي ١/ ٢٩٣ برقم ٢٩٨.

معلّى بن محمد*

(.... بعد ٢٦٠هـ)

البصري، المكنّى أبا الحسن.^(١)

روى عن: أحمد بن محمد بن أبي نصر البزنطي (المتوفى ٢٢١هـ)، والحسن ابن علي بن فضال (المتوفى ٢٢٤هـ)، والحسن بن علي الوشاء وأكثر عنه، وعلي بن أسباط بن سالم، ومحمد بن جمهور العمّي، وأحمد بن محمد بن خالد البرقي، وغيرهم.

وكان واسع العلم، كثير الرواية في مجالات متعددة كالفقه والتفسير والعقائد والآداب وغيرها.

اختصّ به أبو عبد الله الحسين بن محمد بن عامر الأشعري (أستاذ الشيخ

* رجال النجاشي ٢/ ٣٦٥ برقم ١١١٨، رجال الطوسي ٥١٥ برقم ١٣٢، فهرست الطوسي ١٩٣ برقم ٧٣٣، معالم العلماء ١٢١ برقم ٨١٢، رجال ابن داود ٣٤٩ برقم ١٥٤٩، رجال العلامة الحلي ٢٥٩ برقم ٢، مجمع الرجال ٦/ ١١٣، نقد الرجال ٣٤٩ برقم ٩، جامع الرواة ٢/ ٢٥١، هداية المحدثين ١٥٠، بهجة الآمال ٧/ ٥٦، تنقيح المقال ٣/ ٢٣٣ برقم ١١٢٠٣، الذريعة ٢/ ٣٣٨ برقم ١٣٤٨ و ٥١٥ برقم ٢٠٢٢، ٨/ ٢٣٨ برقم ١٠٠٧، وغير ذلك، معجم رجال الحديث ١٨/ ٢٥٠ برقم ١٢٥٠٦-١٢٥٠٨، قاموس الرجال ٩/ ٦٥، موسوعة طبقات الفقهاء ٣/ ٥٨٤ برقم ١١٨٣، معجم التراث الكلامي ١/ ٤٧٩ برقم ٢٠٨٦.

١. وقيل في كنيته: أبو محمد.

الكليني) وروى عنه كثيراً.

وللمترجم كتب، منها: كتاب الدلائل، كتاب الإمامة، كتاب الإيمان ودرجاته وزيادته ونقصانه، كتاب الكفر ووجوهه، كتاب سيرة القائم عليه السلام، كتاب التفسير، كتاب فضائل أمير المؤمنين عليه السلام، كتاب قضايا أمير المؤمنين عليه السلام، كتاب المروءة، وكتاب شرح المودة في الدين.

توفي - حسب تقديرنا - في العقد السابع أو الثامن من القرن الثالث، لأنه في طبقة مشايخ مشايخ الكليني (المتوفى ٣٢٩هـ).

٩٧

هارون بن مسلم*

(.... نحو ٢٦٠هـ تقريباً)

ابن سعدان الكاتب، أبو القاسم الأنباري ثم السامرائي. أدرك عدداً من تلامذة الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام، وعاش حتى لقي

* رجال البرقي ٦٠، رجال النجاشي ٢/٤٠٥ برقم ٧٨٤، رجال الطوسي ٤٣٧ برقم ١، فهرست الطوسي ٢٠٥ برقم ٧٨٤، تاريخ بغداد ١٤/٢٣، معالم العلماء ١٢٩ برقم ٨٦٥، رجال ابن داود ٥٢٤ برقم ٥٢٦، رجال العلامة الحلي ١٨٠ برقم ٥، مجمع الرجال ٦/٢٠٤، جامع الرواة ٢/٣٠٧، منتهى المقال ٦/٤٠٨ برقم ٢١٦٣، بهجة الآمال ٧/١٧٣، تنقيح المقال ٣/٢٨٥ برقم ١٢٧٦١، الذريعة ١٦/٢٥١ برقم ١٠٠٤، مستدركات علم رجال الحديث ٨/١٢٦ برقم ١٥٨٠٩، معجم رجال الحديث ١٩/٢٢٩ برقم ١٣٢٤١، قاموس الرجال ٩/٢٨٢، موسوعة طبقات الفقهاء ٣/٦٠٣ برقم ١٢٠٠.

الإمامين أبا الحسن علي الهادي و أبا محمد الحسن العسكري (المتوفى ٢٦٠هـ) رحمهما الله.

روى عن: مسعدة بن صدقة العبدي واختص به، والحسين بن علوان الكلبي، وعلي بن الحكم الأنباري، ومحمد بن أبي عمير الأزدي (المتوفى ٢١٧هـ)، وآخرين.

أقام بسامراء، وحديث بها، وانتقل إلى بغداد، ومات بها.
روى عنه: عبد الله بن جعفر الحميري، وسعد بن عبد الله الأشعري، ومحمد ابن علي بن محبوب، ورجاء بن يحيى بن شاذان العبرتي، سمع منه بسامراء (٢٤٠هـ)، وأبو الخير صالح بن أبي حماد سلمة الرازي، وغيرهم.
أثنى عليه أبو العباس النجاشي، وقال: كان له مذهب في الجبر والتشبيه.
وللمترجم كتب، منها: كتاب التوحيد، كتاب الفضائل، كتاب الخطب، كتاب المغازي، وكتاب الدعاء.

وله مسائل لأبي الحسن الثالث (الإمام الهادي رحمهما الله).
توفي - حسب تقديرنا - نحو سنة ستين ومائتين أو بعدها بقليل، وقد عمّر طويلاً.

المشريقي*

(.... بعد ٢٠٠هـ تقديراً)

هشام بن إبراهيم الختلي، البغدادي، المعروف بالمشريقي^(١).
اتصل بالإمام أبي الحسن الرضا عليه السلام، وروى عنه، وتشرف هو وجماعة بلقائه
عام (١٩٩هـ)، ودارت بينهم وبينه عليه السلام أحاديث، خاطب خلالها المشريقي الإمام،
بقوله:

والله ما نقول إلا ما يقول آباؤك عليهم السلام، وعندنا كتاب سميناه كتاب الجامع،
فيه جميع ما يتكلم الناس عليه من آباءك عليهم السلام، وإنما نتكلم عليه.
وقد روى عن المشريقي جماعة، منهم: يونس بن عبد الرحمان (المتوفى
٢٠٨هـ) وهو - كما يظهر^(٢) - من أقرانه، ومحمد بن راشد، وإبراهيم بن هاشم

* رجال الكشي ٤١٩ برقم ٣٥٢، نقد الرجال ٣٦٨ برقم ٢ و ٤٠٧ (باب الألقاب، وفيه هاشم، خطأ)،
جامع الرواة ٢/ ٣١١ - ٣١٢، منتهى المقال ٦/ ٤٢٢ برقم ٣١٨١، مستدركات علم رجال
الحديث ٨/ ١٤٦ برقم ١٥٨٨٨، معجم رجال الحديث ١٩/ ٢٦٥ برقم ١٣٣٢٠، قاموس
الرجال ٩/ ٣١٤.

١. وهو غير سميّه هشام بن إبراهيم العباسي، ويقال له الراشدي، وكان أولاً شيعياً من أصحاب
الرضا عليه السلام، ثم زاغ بعد اتصاله بالفضل بن سهل والمأمون. انظر قاموس الرجال ٩/ ٣٠٩.
٢. لكونها معاً من مشايخ جعفر بن عيسى. انظر رجال الكشي.

الكو في ثم القمي، وسعد بن سعد بن الأحوص الأشعري، ومحمد بن عيسى بن عبيد بن يقطين.^(١)

وأخذ عنه الكلام جعفر بن عيسى بن عبيد بن يقطين.
توفي - حسب تقديرنا - في أوائل القرن الثالث.

٩٩

الهادي إلى الحق*

(٢٢٠-٢٩٨هـ)

يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل الحسني، الرّسّي، الملقب بالهادي إلى الحق، أحد أئمة الزيدية.

ولد بالمدينة المنورة سنة عشرين ومائتين.^(٢)

وعاش في كنف أبيه وأعمامه، وأقبل على طلب العلم، حتى نبغ واشتهر في

١. روى بعض هؤلاء عن هشام بن إبراهيم الأحمر، وهو المشرقى، كما يرى مؤلف «قاموس الرجال».
* مروج الذهب ٥/١٦٧ برقم ٣٣٣٤، الفهرست للنديم ٢٨٨، المجدي في أنساب الطالبين ٧٨،
الفخري في أنساب الطالبين ١٠٧، الحقائق الوردية ٢/١٣، تاريخ الإسلام (سنة ٢٩١-٣٠٠هـ)
٣٢١ برقم ٥٤٠، تاريخ ابن خلدون ٤/١٤٢، الأعلام ٨/١٤١، معجم المؤلفين ١٣/١٩١،
بحوث في الملل والنحل للسبحاني ٧/٣٩٥، مؤلفات الزيدية ١/٨٠ برقم ١٧٤، ٢/١٩ برقم
١٥٢٦ و ٢٢ برقم ١٥٣٥ و ٢٦ برقم ١٥٤٨ و ٤٥٧ برقم ٢٨٢٠، أعلام المؤلفين الزيدية
١١٠٣ برقم ١١٨٦، معجم التراث الكلامي ٣/٣٨١ برقم ٦٥٧٢ و ٣٩٨ برقم ٦٦٧٣ و ٤١٧ برقم
٦٧٨٦، ٥/٨٥ برقم ١٠٦٢٤.

٢. وفي أعلام المؤلفين الزيدية: سنة (٢٤٥هـ).

فنون العلم من الفقه والكلام والتفسير، وفي ميادين البطولة والشجاعة.

دعاه أبو العتاهية الهمداني (من ملوك اليمن) إلى بلاده، فقصدها، ودخل مدينة صعدة (سنة ٢٨٣هـ) في أيام المعتضد، وبايعه أبو العتاهية وبعض القبائل، وتلقب بالهادي إلى الحق، وفتح نجران، ومَلِك صنعاء (سنة ٢٨٨هـ) بعد معارك خاضها مع عمال بني العباس، واتسع ملكه، فخُطِب له بمكة سبع سنين، وضربت السكة باسمه.

وللسيد المترجم مؤلفات كثيرة (جُلّها رسائل)، منها: الديانة والتوحيد، الإمام وإثبات النبوة والوصية، جواب مسألة النبوة والإمامة، الرد والاحتجاج على الحسن بن محمد بن الحنفية (ط)، الرد على سليمان بن جرير، الرد على أهل الزيغ من المشبهين (ط)، ضمن رسائل العدل والتوحيد، الرد على المجبرة والقدرية (ط)، ضمن رسائل العدل والتوحيد، المرشد للمسترشدين والهادي للمهتدين في ذكر مسائل أصول الدين، تثبيت الإمامة، الإرادة والمشيئة، جامع الأحكام في الحلال والحرام (ط)، كتاب الفنون (ط) في أبواب من العلم والفقه، تفسير القرآن الكريم، والمنتخب من «سياسة النفس» لجلده القاسم الرّسّبي^(١)، وغير ذلك.

توفي بصعدة سنة ثمان وتسعين ومائتين.

١. المتوفى (٢٤٦هـ)، وقد مضت ترجمته.

١٠٠

يعقوب بن نعيم*

(.... حياً بعد ٢٠٣هـ)

ابن عمرو بن قرقارة، أبو يوسف الكاتب، أحد أجلاء الإمامية.
 روى عن الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام، وعن جعفر بن أحمد بن عبد
 الجبار الينبعي، وأحمد بن محمد الأسدي.
 وصنف كتاباً في الإمامة، رواه عنه أبو نعيم نصر بن عصام بن المغيرة
 المحاربي الفهري.
 وروى عنه أيضاً أبو الحسين محمد بن الحسين الدينوري.
 لم نظفر بتاريخ وفاته.

* فضائل الأشهر الثلاثة للصدوق ٣٢ حديث أم داود (١٤)، رجال النجاشي ٢/ ٤٢٤ برقم ١٢١٤،
 رجال ابن داود ٣٧٩ برقم ١٦٩٨، رجال العلامة الحلي ١٨٩ برقم ٤، نقد الرجال ٣٧٩ برقم ٢٠،
 جامع الرواة ٢/ ٣٤٩، بحار الأنوار ٩٧/ ٤٣ كتاب الصوم باب ٥٥، منتهى المقال ٧/ ٦٩ برقم
 ٣٢٨١، الذريعة ٢/ ٣٣٩ برقم ١٣٥٥، مستدركات علم رجال الحديث ٨/ ٢٧٩ برقم ١٦٤٥٨،
 معجم رجال الحديث ٢٠/ ١٤٦ برقم ١٣٧٤٧، قاموس الرجال ٩/ ٤٦٦، معجم التراث
 الكلامي ١/ ٤٨١ برقم ٢١٠١

١٠١

يعقوب بن يزيد*

(.... حياً ٢٤٨هـ)

ابن حماد السلمي، أبو يوسف الأنباري، ثم البغدادي، الكاتب.
 روى عن الإمام أبي جعفر محمد الجواد عليه السلام، وعن لفيف من رجال مدرسة
 أهل البيت، منهم: الحسن بن علي بن فضال، وأحمد بن الحسن الميثمي، وأحمد بن
 محمد بن أبي نصر، والحسن بن علي الوشاء، ومحمد بن أبي عمير الأزدي، وحماد بن
 عيسى الجهني، وصفوان بن يحيى، وغيرهم.

وكان كثير الرواية.

روى عنه: عبد الله بن جعفر الحميري، وسعد بن عبد الله الأشعري، ومحمد
 ابن الحسن الصفار، وأحمد بن محمد بن خالد البرقي، ومحمد بن أحمد بن يحيى
 الأشعري، وآخرون.

* رجال الكشي ٥٠٩ برقم ٥٠٨ (ط. مؤسسة الأعلمي - كربلاء)، رجال النجاشي ٢/ ٤٢٦ برقم
 ١٢١٦، رجال الطوسي ٣٩٥ برقم ١٢ و ٤٢٥ برقم ٢، فهرست الطوسي ٢٠٩ برقم ٨٠٤، رجال
 العلامة الحلي ١٨٩ برقم ١، نقد الرجال ٣٧٩ برقم ٢١، جامع الرواة ٢/ ٣٤٩، منتهى المقال
 ٧/ ٧٠ برقم ٣٢٨٢، الذريعة ٣/ ٥٧ برقم ١٤٨، ١٥/ ١٧٢ برقم ١١٤١، معجم رجال
 الحديث ٢٠/ ١٤٧ برقم ١٣٧٤٩، قاموس الرجال ٩/ ٤٦٧، معجم التراث الكلامي ٢/ ٣١ برقم
 ٢٦٣٠.

وولي الكتابة للمنتصر بالله العباسي (المتوفى ٢٤٨هـ).^(١)
 وألف كتباً، منها: كتاب البداء، كتاب المسائل، كتاب الطعن على يونس،
 وكتاب نواذر الحج.
 لم نظفر بتاريخ وفاته.
 ولا ندري إن كان متحداً مع من ترجمه الخطيب البغدادي تحت عنوان
 (يعقوب بن يزيد، أبو يوسف التمار)، وقال عنه: (كان من شعراء العسكر الذين
 أحسنوا القول في الغزل، واتصل بالمنتصر بالله، ولم يزل حياً إلى أن توفي على ما
 بلغني في آخر أيام المعتمد على الله^(٢)).^(٣)

١. وجاء في «رجال الكشي» أنه من كتاب أبي دلف القاسم بن عيسى العجلي (المتوفى ٢٢٦هـ).

٢. المتوفى (٢٧٩هـ).

٣. تاريخ بغداد ١٤/ ٢٨٧ برقم ٧٥٨٦.

١٠٢

يونس بن عبد الرحمان*

(قبل ١٢٥ هـ بقليل - ٢٠٨ هـ)

يونس بن عبد الرحمان، مولى آل يقطين، يكنى: أبا محمد، أحد أبرز العلماء في عصره.

ولد في أيام هشام بن عبد الملك (المتوفى ١٢٥ هـ)، واكتحلت عينه برؤية الإمام الصادق عليه السلام بين الصفا والمروة، ولكنه لم يسمع منه.

أخذ العلوم والمعارف عن الإمام موسى الكاظم عليه السلام، ثم اختص بولده الإمام علي الرضا عليه السلام، فحظي عنده بمنزلة رفيعة، وكان عليه السلام يشي عليه، ويشير إليه في

* رجال البرقي ٤٩، مقالات الإسلاميين للأشعري ٣٥ و ٦٣، فهرست للنديم ٣٢٣، رجال الكشي ٤٠٩ برقم ٣٥١، الفرق بين الفرق ٧٠ برقم ٦٦ (ط. دار المعرفة)، رجال النجاشي ٢/ ٤٢٠ برقم ١٢٠٩، رجال الطوسي ٣٦٤ برقم ١١ و ٣٩٤ برقم ١، فهرست الطوسي ٢١١ برقم ٨١٠، الملل والنحل للشهرستاني ١/ ١٩١ و ١٩٨، معالم العلماء ١٣٢ برقم ٨٩٣، رجال ابن داود ٣٨٠ برقم ١٧٠٨، رجال العلامة الحلي ١٨٤ برقم ١، نقد الرجال ٣٨١، جامع الرواة ٢/ ٣٥٦، منتهى المقال ٧/ ٩٠ برقم ٣٣٠٥، بهجة الآمال ٧/ ٣٥٧، هدية العارفين ٢/ ٥٧٢، تنقيح المقال ٣/ ٣٣٨ برقم ١٣٣٥٧، أعيان الشيعة ١٠/ ٣٢٦، الذريعة ٢/ ٣٣٩ برقم ١٣٥٦، ٣/ ٥٧ برقم ١٤٩، ١٠/ ٢١٤ برقم ٥٩٩، وغير ذلك، الأعلام ٨/ ٢٦١، معجم المؤلفين ١٣/ ٣٤٨، معجم رجال الحديث ٢٠/ ١٩٨ برقم ١٣٨٣٤، قاموس الرجال ٩/ ٤٨٧، موسوعة طبقات الفقهاء ٣/ ٦٣٤ برقم ١٢٢٦، معجم التراث الكلامي ١/ ٤٨١ برقم ٢١٠٢، ٢/ ٣١ برقم ٢٦٣٠، ٣/ ٣٩١ برقم ٦٦٣٤.

العلم والفتيا.

وأقام في العراق، عاكفاً على طلب العلم، فتتلمذ على جمع من أعلام مدرسة أهل البيت، وروى عنهم، ومنهم: أبو أيوب الخزاز، وعبد الله بن مسكان العنزي، وعبد الرحمن بن الحجاج البجلي، وعاصم بن حميد الحناط، والمتكلمان الشهيران هشام بن الحكم، وهشام بن سالم الجواليقي، وأبو الوليد الحسن بن زياد الصيقل، وغيرهم.

وقد لازم هشام بن الحكم، ورافقه في بعض الندوات التي كان يعقدها يحيى ابن خالد البرمكي ببغداد، ويحضرها متكلمو الإسلام وغيرهم.^(١)

ومهر يونس في الكلام والفقه والحديث ونقده، وسائر العلوم الشرعية، وأصبح - كما يقول النديم - علامة زمانه.

حدث، وأفتى، وناظر.

وتتلمذ عليه وروى عنه جماعة، منهم: محمد بن أبي عمير البغدادي، ومحمد ابن خالد البرقي، وشاذان بن خليل النيسابوري، ومحمد بن عيسى بن عبيد البغدادي، وأكثر عنه حتى نسب إليه، فعُرف باليوني، وآخرون.

وكرّس أكثر وقته للتأليف والتصنيف والردّ على مختلف المذاهب والفرق، وقد خلف في ذلك أستاذه هشام بن الحكم، وصار المقدم بين متكلمي الإمامية في هذا المجال^(٢)، وسمت مكانته واتسعت شهرته، الأمر الذي خلق له أعداء

١. انظر رجال الكشي ٢٢٢-٢٢٣ (ضمن ترجمة هشام بن الحكم المرقمة ١٣١).

٢. قال الفضل بن شاذان: مضى هشام بن الحكم، وكان يونس بن عبد الرحمن خلفه، كان يرّد على المخالفين، ثم مضى يونس... انظر رجال الكشي ٤٥٢ (ضمن ترجمة الفضل بن شاذان، المرقمة ٤١٦).

وحساداً، نسبوا إليه مقالات واعتقادات باطلة، كما عُزيت إليه فرقة أفرطت في التشبيه، تُسمّى اليونسية.

حسدوا الفتى إذ لم ينالوا سعيه فالقوم أعداء له وخصوم^(١)
وللمترجم مؤلفات جمّة، منها: كتاب الإمامة، كتاب الردّ على الغلاة، كتاب
البداء، كتاب علل النكاح وتحليل المتعة، كتاب العلل الكبير، كتاب الجامع الكبير
في الفقه، كتاب التجارات، كتاب البيوع والمزارعات، كتاب الشرائع، كتاب تفسير
القرآن، كتاب جوامع الآثار، كتاب اللؤلؤة في الزهد، وكتاب يوم وليلة، وغير
ذلك.

توفي سنة ثمان ومائتين.

١. لأبي الأسود الدؤلي، أحد كبار أصحاب الإمام علي عليه السلام.

المتكلمون (أو المؤلفون في حقل الكلام) الذين لم نظفر لهم بتراجم وافية

القرن الثالث

١. أبو الشداخ (.... ق ٣هـ أو ق ٤هـ): من رجال الشيعة الإمامية، له كتاب في الإمامة، يقع في نحو خمسين ورقة.

رجال النجاشي ٢/ ٤٤٣ برقم ١٢٥٥

أعيان الشيعة ٢/ ٣٦٠

٢. عبد الله بن عبد الرحمان الزبيري (.... ق ٣هـ احتمالاً): عالم إمامي. له كتاب في الإمامة، وكتاب الاستفادة في الطعون على الأوائل، والرد على أصحاب الاجتهاد والقياس.

رجال النجاشي ٢/ ١٩ برقم ٥٧٣

معجم رجال الحديث ١٠/ ٢٤٤ برقم ٦٩٥٤

٣. عبد الله بن هارون، أبو محمد الزبيري (.... حياً قبل ٢١٨هـ): عالم إمامي. له كتاب في الإمامة، وهي رسالة إلى المأمون.

رجال النجاشي ٢/ ١٩ برقم ٥٧٢

معجم رجال الحديث ١٠/ ٣٧١ برقم ٧٢١٠

٤. علي بن عبد الله العطار، أبو الحسن القمي (.... حياً قبل ٢٥٤هـ): عالم إمامي، من أصحاب الإمامين محمد الجواد وعلي الهادي (عليه السلام). له كتاب الاستطاعة على مذاهب أهل العدل، رواه عنه أحمد بن محمد بن عيسى الأشعري.

رجال النجاشي ٢/ ٧٧ برقم ٦٦٤

معجم رجال الحديث ١٢/ ٧٨ برقم ٨٢٥٩ و ٨٢٦٠

قاموس الرجال ٧/ ١٤

٥. محمد بن إسحاق (أو أبي إسحاق) القمي (.... حياً نحو ٢٢٠هـ): متكلم إمامي. له كتب في الكلام والأخبار، رواها عنه أحمد بن محمد بن خالد البرقي (المتوفى ٢٧٤هـ).

رجال النجاشي ٢/ ٢٣٨ برقم ٩٣٣

تأسيس الشيعة ٣٧٥

معجم رجال الحديث ١٤/ ٢٢٨ برقم ٩٩٦٠

٦. محمد بن خلف، أبو بكر الرازي (.... ق ٣هـ احتمالاً): متكلم جليل، إمامي المذهب. له كتاب في الإمامة.

رجال النجاشي ٢/ ٢٩٨ برقم ١٠٣٥

معجم رجال الحديث ١٦/ ٧٤ برقم ١٠٧٠٨

قاموس الرجال ٨/ ١٦٦

٧. محمد بن سعيد بن كلثوم المروزي (.... حياً قبل ٢٥٤هـ): أحد أجلة المتكلمين بنيسابور. كان خارجياً ثم استبصر. وأراد عبد الله بن طاهر الخزاعي اعتقاله، فحاجه المترجم، فخلّى سبيله. عدّه الشيخ الطوسي من

أصحاب الإمام علي الهادي عليه السلام.

رجال الكشي ٤٥٦ برقم ٤١٧

قاموس الرجال ٨ / ١٨٥

فلاسفة الشيعة ٤٥ برقم ١١

٨. محمد بن عمرو بن عبد الله بن عمر بن مصعب بن الزبير بن العوام (....-...): متكلم حاذق إمامي المذهب. له كتاب في الإمامة، يعرف بكتاب الصورة.

رجال النجاشي ٢ / ٢٢٩ برقم ٩١٠

تأسيس الشيعة ٣٧٦

معجم رجال الحديث ١٧ / ٧٩ برقم ١١٤٦٧

٩. يعقوب بن إسحاق بن أبي سهل بن نوبخت (....- قبل ٢٢٠ هـ): أحد أفاضل أهل عصره في علم النجوم والحكمة والكلام. وكان مع المأمون العباسي، ومن أصحاب الإمام علي الرضا عليه السلام. توفي في حياة الإمام محمد الجواد عليه السلام، ولا يوجد دليل مقنع - كما نعتقد - على أنه أخو إبراهيم (وقيل إسماعيل) صاحب «الياقوت» في علم الكلام.

تأسيس الشيعة ٣٦٦

أعيان الشيعة ١٠ / ٣٠٦

الذريعة ٢٥ / ٢٧١ (ضمن الرقم ٦٦)

(نجز الكلام في الجزء الأول وسيليه الجزء الثاني الذي يتضمن متكليفي

القرون: الرابع، والخامس، والسادس، والسابع)

والحمد لله رب العالمين

فهارس الكتاب

○ فهرس المقدمة ومتكلمي القرن الأول والثاني والثالث

فهرس محتويات الكتاب

حسب الترتيب الألفبائي

حسب وفياتهم

فهرس محتويات الكتاب

الصفحة	الموضوع
٧	تقديم: بقلم آية الله جعفر السبحاني، وفيه فصول ١
٨	ما هو سبب تسمية علم الكلام بهذا الاسم؟
١١	نظرنا في وجه التسمية ٢
١٢	تعريف علم الكلام ٣
١٥	موضوع علم الكلام
١٦	إيضاح وتفصيل

الصفحة	الموضوع
١٧	استظهار موضوع العلم من خلال غايته
	٤
٢٠	التفكير فريضة إسلامية
٢٦	مضاعفات تعطيل العقول عن التفكير
	٥
٣٠	شبهات منكري علم الكلام
٣٧	محاورة المفضل مع ابن أبي العوجاء
٣٨	خروج المفضل من المسجد
٤٠	القول الحاسم في المقام
٤٤	الدعوة إلى العلوم الحسيّة
	٦
٤٧	المصير المأساوي للفلسفة
٤٧	كلمات بعض المنكرين للفلسفة
٤٧	١. الغزالي (٤٥٠-٥٠٥هـ)
٥١	المسائل الثلاث التي كَفَّرَ الغزالي بها الفلاسفة
٥١	الأولى: حدوث العالم زماناً وذاتاً
٥٣	الثانية: علم الباري بالجزئيات

الصفحة

الموضوع

٥٤

الثالثة: حشر الأجساد يوم القيامة

٥٦

٢. ابن حزم الأندلسي (٣٨٤-٤٥٦هـ)

٥٦

٣. الشهرستاني (٤٦٧-٥٤٨هـ)

٦٠

٤. ابن تيمية وآراؤه الفلسفية

٦٠

أ. قدم العالم نوعاً

٦٢

ب. قيام الحوادث بذات الله سبحانه

٦٣

ج. قوله بالتجسيم

٦٥

د. الله سبحانه محدود بالحد

٦٦

هـ. نسبة الجهة والمكان لله تعالى

٦٨

و. جلوسه سبحانه على العرش

٧٠

ز. فناء النار وانتهاء عذاب الكفار

٧

٧٢

علم الكلام وعوامل نشوئه

٧٢

العوامل الداخلية لنشوء علم الكلام

٧٢

١. القرآن هو المنطلق الأول

٧٣

أ. حوار إبراهيم عليه السلام مع مدعي الربوبية

٧٣

ب. حوار إبراهيم عليه السلام مع عبدة الأصنام

٧٤

ج. حوار موسى عليه السلام مع فرعون

٧٦

د. حوار مؤمن آل فرعون مع قومه

الصفحة

الموضوع

- ٧٧ ٢. السنّة هي المنطلق الثاني
- ٧٨ احتجاج النبي ﷺ مع اليهود في تبديل القبلة
- ٧٩ ٣. خطب الإمام علي عليه السلام هي المنطلق الثالث
- ٨٠ ٤. دور أئمة أهل البيت عليه السلام في نشوء علم الكلام
- ٨١ نموذج من مناظرات الإمام الصادق عليه السلام مع أحد القدرية
- ٨٢ احتجاج الإمام الرضا عليه السلام مع اليهود والنصارى والمجسّمة
- ٨٣ العوامل الخارجية لنشوء علم الكلام
- ٨٣ أ. معطلة العرب
- ٨٥ ب. اليهود وعقائدهم في التجسيم والقدر
- ٨٦ ج. النصارى والتثليث
- ٨٦ د. الفتوحات الإسلامية والاحتكاك الثقافي
- ٩٢ رسالة الأشعري في استحسان الخوض في علم الكلام

٨

- ١٠٢ بدايات الخلاف في عصر الرسول ﷺ وبعد رحيله،

وفيه مقامان

- ١٠٢ المقام الأول: بدايات الخلاف في عصر الرسول ﷺ
- ١٠٥ ١. تجهيز جيش أسامة
- ١٠٥ ٢. الأمر بإحضار القلم والدواة
- ١٠٦ الخلاف بعد رحيل الرسول ﷺ

الصفحة	الموضوع
١٠٩	المقام الثاني: بدايات المسائل الكلامية
١٠٩	١. الإمامة تنصيصية أو انتخابية
١١٠	٢. مسألة التحكيم
١١٠	٣. حكم مرتكب الكبيرة
١١١	٤. تحديد مفهوم الإيمان
١١١	٥. الإرجاء والمرجئة
١١١	٦. القضاء والقدر
١١٣	٧. مسألة التشبيه والتنزيه
١١٣	٨. النسخ في الشريعة
١١٤	٩. عصمة الأنبياء
١١٤	١٠. حدوث القرآن وقدمه
١١٤	١١. التحسين والتقييح العقليان
	٩
١١٧	العوامل المؤثرة في نشوء المدارس الكلامية
١١٧	أ. الصفات الذاتية
١١٨	ب. الصفات الخيرية
١١٩	ج. الصفات الفعلية
١١٩	د. العدل
١٢٠	هـ. التحسين والتقييح العقليان

الصفحة	الموضوع
١٢١	و. القضاء والقدر
	١٠
١٢٣	المدارس الكلامية المهمة
١٢٣	أ. المحكّمة
١٢٥	ب. المرجئة
١٢٥	ج. المعتزلة
١٢٦	الأصول الخمسة عند المعتزلة
١٢٧	أئمة المعتزلة
١٢٨	د. الجهمية
١٢٩	هـ. المجسّمة
١٣٠	و. الكرامية
١٣٠	ز. الأشعرية
١٣٢	نفي السببية عن الأسباب
١٣٦	أعيان الأشاعرة
١٣٧	ج. الماتريدية
١٣٩	أعيان الماتريدية
١٤٠	ط. الزيدية
١٤٣	ي. الإسماعيلية
١٤٤	الخطوط العريضة للمذهب الإسماعيلي

الصفحة

الموضوع

١٤٥

ل. الوهابية

١٤٦

ميزاتهم عن سائر المسلمين

١٤٧

ل. الشيعة الإمامية

١٤٩

الفوارق بين الشيعة والمعتزلة

١٥١

الفوارق بين الإمامية والأشاعرة

١٥٢

الفوارق الرئيسية بين الشيعة وسائر الفرق

١١

١٥٣

علم الكلام الجديد أو المسائل الجديدة في علم الكلام

١٥٥

أ. ما هو السبب لنشأة الدين؟

١٥٦

ب. ما هي الحاجة إلى التدين؟

١٥٩

ج. نطاق شمول الدين

١٦٠

د. هل النبوة موهبة إلهية أو نبوغ اجتماعي؟

١٦١

هـ. خلود الشريعة وبقاؤها

١٦٢

و. الوحدة أو التعددية الدينية

١٦٥

ز. تعارض الدين والعلم

١٦٦

ح. صلة الدين بالأخلاق

١٦٦

ط. حرية الإنسان في سلوكه الفردي والاجتماعي

١٦٨

ي. الهرموتيك أو تفسير النصوص

١٧١

مخطط الغربيين لضرب الثقافة الإسلامية

الصفحة	الموضوع
١٧٣	أ. فصل الدين عن السياسة
١٧٤	ب. تعدّد القراءات
١٧٤	ج. حصر الشريعة بفترة خاصة
	١٢
١٧٦	الكلام الشيعي في قفص الاتّهام
١٧٨	أ. اتّهام الشيعة بالتجسيم
١٨٤	اتّهام هشام بن الحكم بالتجسيم
١٨٩	ب. الشيعة ورثة المعتزلة
	١٣
١٩٥	المراحل الأربع التي مرّ بها الكلام الإمامي
١٩٥	المرحلتان المتواكبتان
١٩٦	أعلام المنهج الأوّل
١٩٨	أعلام المنهج الثاني
٢٠٢	بعض المسائل التي اختلف فيها العلماء الصدوق والمفيد
٢٠٢	أ. معنى كشف الساق
٢٠٣	ب. تأويل اليد
٢٠٣	ج. نفخ الأرواح

٢٠٣

د. الخدعة والمكر والنسيان

٢٠٤

هـ. خلق أفعال العباد

٢٠٤

و. الجبر والتفويض

٢٠٤

ز. المشيئة والإرادة

٢٠٥

ح. الكلام في القضاء والقدر

٢٠٥

ط. معنى فطرة الله

٢٠٥

ي. الجدال في الله

٢٠٦

المرحلة الثالثة: تجديد المنهج الحديثي

٢٠٩

المرحلة الرابعة: إحياء المنهج العقلي

٢١٠

خاتمة المطاف: دور أئمة أهل البيت عليهم السلام في تبين العقيدة الإسلامية

٢١٣

مكافحة الجبر والتفويض

٢١٧

مكافحة التجسيم والتشبيه

٢١٨

مكافحة فكرة رؤية الله

٢٢٠

مكافحة قدم غيره سبحانه

٢٢١

مكافحة الغلو والنصب

٢٢٣

عصمة الأنبياء

٢٢٥

نماذج من مناظرات أئمة أهل البيت عليهم السلام

٢٢٥

١. تفسير القضاء والقدر

٢٢٦

٢. عدم احتجابه سبحانه بالسموات السبع

الصفحة

الموضوع

٢٢٧

٣ . اتحاد الصفات مع الذات

٢٢٨

٤ . البرهنة على أنّ الحسين من أبناء رسول الله ﷺ

٢٢٩

٥ . النظام الهادف آية وجود الخالق

٢٣٠

٦ . قياس الخالق بالمخلوق

٢٣١

٧ . إبطال القياس

٢٣٢

٨ . إبطال الرؤية يوم القيامة

٢٣٣

٩ . تصحيح فهم الحديث النبوي

٢٣٣

١٠ . مكافحة الغلو

٢٣٤

١١ . استنطاق القرآن في مورد إسلام الذمّي

٢٣٥

١٢ . اعتراف الزنادقة بعجزهم عن نقض القرآن

٢٣٧

ختامه مسك

فهرس متكلمي القرن الأوّل

حسب الترتيب الألفبائي

الاسم	الصفحة
ابن عباس	٢٥٨
أبو ذرّ الغفاري	٢٤١
الأشتر	٢٧٠
جندب بن جنادة، أبو ذرّ الغفاري	٢٤١
حجر بن عدي بن جبلة بن عدي الكندي، الكوفي، المعروف بحجر	
الخير وبهجر بن الأدبر	٢٤٤
خالد بن سعيد بن العاص بن أمية القرشي الأموي، المكي	٢٤٧
زيد بن صوحان بن حجر بن الحارث العبدي، نزيل الكوفة	٢٤٩
سلمان الفارسي، أبو عبد الله	٢٥٢
صعصعة بن صوحان بن حجر العبدي، نزيل الكوفة	٢٥٥
عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم، أبو العباس القرشي	
الهاشمي	٢٥٨
عديّ بن حاتم بن عبد الله بن سعد الطائي	٢٦٢

الصفحة

الاسم

- ٢٦٥ قيس بن سعد بن عبادة بن دليم الأنصاري الخزرجي
- ٢٦٧ كميل بن زياد بن نهيك بن هيثم النخعي، الكوفي
- ٢٧٠ مالك بن الحارث بن عبد يغوث النخعي، الكوفي، المعروف بالأشتر
- ٢٧٣ المقداد بن الأسود = المقداد بن عمرو
- المقداد بن عمرو بن ثعلبة بن مالك البهراني، المعروف بالمقداد بن الأسود
- ٢٧٣ وبالمقداد الكندي
- ٢٧٦ ميثم التمار = ميثم بن يحيى
- ٢٧٦ ميثم بن يحيى الأسدي بالولاء، الكوفي، التمار

فهرس متكلمي القرن الثاني

حسب الترتيب الألفبائي

الاسم	الصفحة
إبراهيم بن سليمان بن داحة (أو ابن أبي داحة) المزني، أبو إسحاق البصري	٢٨١
ابن أبي داحة	٢٨١
ابن بكير	٣١٣
ابن حيّ	٢٩٣
ابن حيّ	٣١٧
ابن داحة	٢٨١
ابن رثاب	٣١٦
ابن الطيّار	٣٣٦
ابن مسكان	٣١٤
أبو الجارود	٣٠٤
أبو خالد الواسطي	٣٢٠
أبو مالك الحضرمي	٣٠٩
إبراهيم بن سليمان	
عبد الله بن نكير	
الحسن بن صالح	
علي بن صالح	
إبراهيم بن سليمان	
علي بن رثاب	
محمد بن عبد الله	
عبد الله بن مسكان	
زياد بن المنذر	
عمرو بن خالد	
الضحاك الحضرمي	

الاسم	الصفحة
إسماعيل بن محمد بن يزيد بن ربيعة الحميري، الشاعر، الشهير بالسيد	٢٨٣
الأصبغ بن نباتة بن الحارث بن عمرو المجاشعي التميمي، الكوفي	٢٨٦
جابر بن حيان بن عبد الله الكوفي	٢٨٨
جابر بن يزيد بن الحارث الجعفي، الكوفي	٢٩٠
الجواليقي = هشام بن سالم	٣٥١
حذيد بن حكيم الأزدي، أبو علي المدائني	٢٩٢
الحسن بن صالح بن صالح بن مسلم بن حيّ الهمداني الثوري	٢٩٣
الحسين بن نعيم الأسدي بالولاء، الكوفي، الصحاف	٢٩٥
مُهران بن أعين بن سنسن الشيباني بالولاء، الكوفي	٢٩٧
الخليل بن أحمد بن عمرو الفراهيدي اليعمدي الأزدي، البصري	٢٩٩
الرسال = فضيل بن الزبير	٣٢٥
زرارة بن أعين بن سنسن الشيباني بالولاء، الكوفي	٣٠٢
زياد بن المنذر الهمداني الخارفي، أبو الجارود الكوفي	٣٠٤
زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمي، أبو الحسين المدني، الشهيد	٣٠٦
سليمان بن جرير الرقي	٣٠٨
السيد الحميري = إسماعيل بن محمد	٢٨٣
الصحاف = الحسين بن نعيم	٢٩٥
الضحاك الحضرمي، الكوفي، أبو مالك	٣٠٩

الاسم	الصفحة
الطيار	٣٣٦
=	محمد بن عبد الله
عبد الأعلى بن أعين الكوفي، مولى آل سام	٣١١
عبد الله بن بكير بن أعين بن سنسن الشيباني بالولاء، الكوفي	٣١٣
عبد الله بن مسكان العنزي بالولاء، أبو محمد الكوفي	٣١٤
علي بن رثاب التميمي الأسدي (وقيل الجرمي)، الكوفي	٣١٦
علي بن صالح بن صالح بن مسلم بن حيّ الهمداني الثوري، الكوفي	٣١٧
علي بن منصور الكوفي، البغدادي، أبو الحسن	٣١٩
عمرو بن خالد القرشي بالولاء، أبو خالد الواسطي	٣٢٠
عيسى بن روضة الهاشمي بالولاء	٣٢١
الفراهيدي	٢٩٩
=	الخليل بن أحمد
فضال بن الحسن بن فضال الكوفي	٣٢٢
الفضل بن أبي سهل بن نوبخت، أبو سهل البغدادي	٣٢٤
فضيل بن الزبير بن عمر الأسدي، الكوفي، الرّسان	٣٢٥
قيس الماصر	٣٢٦
كثير بن إسماعيل التيمي بالولاء، الكوفي، النّواء	٣٢٨
الكميت بن زيد بن خنيس الأسدي، الكوفي، الشاعر	٣٣٠
محمد بن حكيم الخثعمي، الكوفي	٣٣٤
محمد بن عبد الله الفزاري، الشهير بالطيار، ويقال ابن الطيار	٣٣٦
محمد بن علي بن النعمان بن أبي طريفة البجلي، أبو جعفر الكوفي،	

الاسم	الصفحة
الأحول، المقلب بمؤمن الطاق	٣٣٨
المفضل بن عمر الجعفي، الكوفي	٣٤١
مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي بالسواء، أبو الحسن البلخي ثم البصري، المفسر	٣٤٣
منصور بن أبي الأسود الليثي، الكوفي	٣٤٤
منصور بن حازم البجلي، أبو أيوب الكوفي	٣٤٥
مؤمن الطاق	٣٣٨
محمد بن علي بن النعمان	=
النواء	٣٢٨
كثير بن إسماعيل	=
النوبختي	٣٢٤
الفضل بن أبي سهل	=
هشام بن الحكم الكندي، الكوفي، البغدادي، أبو محمد	٣٤٧
هشام بن سالم الجواليقي، أبو محمد الكوفي	٣٥١

فهرس متكلمي القرن الثالث

حسب الترتيب الألفبائي

الاسم	الصفحة
إبراهيم بن محمد بن سعيد بن هلال الثقفي، الكوفي، صاحب كتاب «الغارات»	٣٥٥
ابن أبي عمير	= محمد بن زياد ٤١٩
ابن التاجر	= جعفر بن أحمد ٣٦٨
ابن جبرويه	= عبد الرحمان بن أحمد ٣٨٩
ابن الراوندي	= أحمد بن يحيى ٣٦٣
ابن فضال	= الحسن بن علي بن فضال ٣٧٥
ابن فضال	= علي بن الحسن بن علي ٤٠١
ابن مملك	= محمد بن عبد الله ٤٢١
ابن يقطين	= الحسن بن علي بن يقطين ٣٧٧
أبو الأحوص	= داود بن أسد ٣٨٣
أبو الصلت الهروي	= عبد السلام بن صالح ٣٩٠
أبو عيسى الوراق	= محمد بن هارون ٤٢٥

الصفحة

الاسم

- ٣٥٩ أبو يحيى الجرجاني = أحمد بن داود
- ٣٦٢ أحمد بن أبي زاهر = أحمد بن موسى
- ٣٥٧ أحمد بن الحسين بن سعيد بن حماد الأهوازي، دندان
- ٣٥٨ أحمد بن الحسين بن عمر بن يزيد الصيقل، أبو جعفر الكوفي
- ٣٥٩ أحمد بن داود بن سعيد الفزاري، أبو يحيى الجرجاني
- ٣٦٠ أحمد بن محمد بن عيسى بن عبد الله الأشعري، أبو جعفر القمي
- ٣٦٢ أحمد بن موسى (أبي زاهر) الأشعري، أبو جعفر القمي
- أحمد بن يحيى بن محمد بن إسحاق، أبو الحسين الراوندي (أو ابن الراوندي)
- ٣٦٣
- ٣٦٦ إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن هلال المخزومي، أبو محمد المكي
- ٣٦٠ الأشعري = أحمد بن محمد بن عيسى
- ٣٨٥ الأشعري = سعد بن عبد الله
- ٤١٣ الأشعري = محمد بن أحمد بن يحيى
- ٤١٥ البرمكي = محمد بن إسماعيل
- ٣٧٣ البطائني = الحسن بن علي بن سالم
- ٣٦٧ ثبيت بن محمد العسكري، أبو محمد
- ٣٥٥ الثقفى = إبراهيم بن محمد
- ٣٦٨ جعفر بن أحمد بن أيوب، أبو سعيد السمرقندي، ابن التاجر
- ٣٦٩ جعفر بن عيسى بن عبيد بن يقطين الأسدي بالولاء

٣٩٥	عبد الله بن محمد	=	الحجّال
٣٧١	الحسن بن زيد بن محمد بن إسماعيل الحسني، المدني، الداعي إلى الحقّ		
٣٧٣	الحسن بن علي بن أبي حمزة سالم البطائني، الكوفي		
٣٧٥	الحسن بن علي بن فضال بن عمرو، أبو محمد الكوفي		
٣٧٧	الحسن بن علي بن يقطين بن موسى البغدادي		
٣٩٢	عبد العظيم بن عبد الله	=	الحسني
٣٧٨	الحسين بن إشكيب المروزي، أبو عبد الله القميّ		
٣٨٠	الحسين بن عبيد الله بن سهل السعدي، أبو عبد الله القميّ		
٣٨١	الحسين بن علي المصري، أبو عبد الله		
٣٨٢	الحكم بن هشام بن الحكم الكندي، الكوفي ثم البصري		
٣٧١	الداعي إلى الحقّ	=	الحسن بن زيد
٣٨٣	داود بن أسد بن أعفر، أبو الأحوص المصري (البصري)		
٣٥٧	أحمد بن الحسين بن سعيد	=	دندان
٣٦٣	أحمد بن يحيى	=	الراوندي
٤١٠	القاسم بن إبراهيم	=	الرتي
٤٢٤	محمد بن القاسم	=	الرتي
٣٨٥	سعد بن عبد الله بن أبي خلف الأشعري، القميّ		
٣٨٠	الحسين بن عبيد الله	=	السّعدي
٤١٧	محمد بن الخليل	=	السكّاك

الصفحة

الاسم

٣٨٧	سهل بن زياد الأدمي، أبو سعيد الرازي	
٤١٥	صاحب الصومعة	= محمد بن إسماعيل
٣٥٨	الصيقل	= أحمد بن الحسين بن عمر
٤٠٣	الطاطري	= علي بن الحسن بن محمد
٣٨٩	عبد الرحمان بن أحمد بن جبرويه، أبو محمد العسكري	
٣٩٠	عبد السلام بن صالح بن سليمان بن أيوب، أبو الصلت الهروي	
٣٩٢	عبد العظيم بن عبد الله بن علي بن الحسن، السيد أبو القاسم الحسني	
٣٩٥	عبد الله بن محمد الأسدي بالولاء، أبو محمد الحجال، الكوفي	
٤٢٢	العيدي	= محمد بن عيسى
٣٦٧	العسكري	= ثابت بن محمد
٣٩٦	علي بن أسباط بن سالم الكندي، الكوفي، بيتاع الرُّطبي	
	علي بن إسماعيل بن شعيب بن ميثم (التمار) الأسدي بالولاء، المعروف	
٣٩٨	بعلي بن ميثم وبالميثمي	
٤٠١	علي بن الحسن بن علي بن فضال التيملي، أبو الحسن الكوفي	
	علي بن الحسن بن محمد الطائي الجرمي، أبو الحسن الكوفي، المعروف	
٤٠٣	بالطاطري	
٤٠٥	علي بن مهزيار الأهوازي، أبو الحسن	
٣٩٨	علي بن ميثم	= علي بن إسماعيل
٤٠٧	فارس بن حاتم بن ماهويه القزويني، نزيل العسكر	

- ٤٠٨ الفضل بن شاذان بن الخليل الأزدي، أبو محمد النيسابوري
- ٤١٠ القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم الحسني، الرّسي
- ٤١٢ القاسم بن يوسف بن القاسم بن صبيح العجلي، الكاتب
- ٤٠٧ القزويني = فارس بن حاتم
- ٤١٢ الكاتب = القاسم بن يوسف
- محمد بن أحمد بن يحيى بن عمران الأشعري، أبو جعفر القمي، صاحب «نوادير الحكمة»
- ٤١٣
- ٤١٥ محمد بن إسماعيل بن أحمد بن بشير البرمكي، صاحب الصومعة
- ٤١٦ محمد بن الحسين بن أبي الخطاب زيد الهمداني، أبو جعفر الزيات
- ٤١٧ محمد بن الخليل البغدادي، أبو جعفر السكاك
- ٤١٩ محمد بن أبي عمير زياد بن عيسى الأزدي، أبو أحمد البغدادي
- ٤٢١ محمد بن عبد الله بن مملّك، أبو عبد الله الأصفهاني، الجرجاني الأصل
- محمد بن عيسى بن عبيد بن يقطين الأسدي، أبو جعفر العبيدي،
- ٤٢٢ اليقطيني، البغدادي
- ٤٢٤ محمد بن القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل الحسني، الرّسي
- ٤٢٥ محمد بن هارون بن محمد البغدادي، أبو عيسى الورّاق
- ٣٦٦ المخزومي = إسماعيل بن محمد
- ٤٣٠ المشرقي = هشام بن إبراهيم
- ٣٨١ المصري = الحسين بن علي

الاسم	الصفحة
معلّى بن محمد البصري، أبو الحسن	٤٢٧
الميثمي	٣٩٨
= علي بن إسماعيل	
الهادي إلى الحق	٤٣١
= يحيى بن الحسين	
هارون بن مسلم بن سعدان الكاتب، أبو القاسم الأنباري ثم السامرائي	٤٢٨
هشام بن إبراهيم الخثلي، البغدادي، المعروف بالمشرفي	٤٣٠
يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم الحسني، الرّسي، الهادي إلى الحقّ	٤٣١
يعقوب بن نعيم بن عمرو بن قرقارة، أبو يوسف الكاتب	٤٣٣
يعقوب بن يزيد بن حمّاد السلمي، أبو يوسف الأنباري ثمّ البغدادي،	
الكاتب	٤٣٤
اليقطيني	٤٢٢
= محمد بن عيسى	
يونس بن عبد الرحمان، مولى آل يقطين	٤٣٦

فهرس متكلمي القرن الأوّل

حسب وفياتهم

الصفحة	الاسم	السنة
٢٤٧	خالد بن سعيد بن العاص الأموي	١٤
٢٤١	جندب بن جنادة، أبو ذر الغفاري	٣٢
٢٧٣	المقداد بن عمرو بن ثعلبة البهراني	٣٣
٢٥٢	سلمان الفارسي	٣٤
٢٤٩	زيد بن صوحان العبدي	٣٦
٢٧٠	مالك بن الحارث النخعي، الأشر	٣٨
٢٤٤	حجر بن عدي الكندي	٥١
٢٥٥	صعصعة بن صوحان العبدي	٥٦
٢٦٥	قيس بن سعد بن عبادة الخزرجي	٦٠، ٥٩
٢٧٦	ميثم بن يحيى التمار	٦٠

الصفحة	الاسم	السنة
٢٦٢	عديّ بن حاتم الطائي	٦٧
٢٥٨	عبد الله بن عباس بن عبد المطلب	٦٨
٢٦٧	كميل بن زياد	٨٢

فهرس متكلمي القرن الثاني

حسب وفياتهم

الصفحة	الاسم	السنة
٢٨٦	الأصغ بن نباتة المجاشعي	بعد ١٠٠
٣٠٦	زيد بن علي بن الحسين الهاشمي، الشهيد	١٢٢
٣٣٠	الكميت بن زيد الأسدي	١٢٦
٢٩٠	جابر بن يزيد الجعفي	١٢٨
٢٩٧	حُمران بن أعين	حدود ١٣٠
٣٣٦	محمد بن عبد الله الطيار	قبل ١٤٨
٣٠٢	زرارة بن أعين	١٥٠
٣٤٣	مقاتل بن سليمان البلخي	=
٣٠٤	زياد بن المنذر، أبو الجارود الكوفي	بعد ١٥٠
٣٢٠	عمرو بن خالد، أبو خالد الواسطي	=
٣١٧	علي بن صالح بن حيّ	١٥٤
٣٣٨	محمد بن علي بن النعمان، مؤمن الطاق	نحو ١٦٠

الصفحة	الاسم	السنة
٢٩٣	الحسن بن صالح بن حيّ	١٦٩
٢٩٩	الخليل بن أحمد الفراهيدي	١٧٠
٣٤٤	منصور بن أبي الأسود الليثي	بعد ١٧٠
٢٨٣	إسماعيل بن محمد، السيد الحميري، الشاعر	١٧٣
٣١٤	عبد الله بن مسكان العنزي	قبل ١٨٣
٣٤١	المفضل بن عمر الجعفي	=
٣٤٧	هشام بن الحكم الكندي	نحو ١٨٨، ١٩٩
٢٨٨	جابر بن حيان الكوفي	٢٠٠
الذين لم نظفر بوفياتهم		
في القرن الثاني		
٣٢٦	قيس الماصر	حيّاً قبل ١٣٠
٣٢٨	كثير بن إسماعيل النواء	حيّاً نحو ١٣٥
٣٢١	عيسى بن روضة	حيّاً بعد ١٣٦
٣٢٥	فضيل بن الزبير الأسدي، الرّسان	حيّاً قبل ١٤٨
٣١٦	علي بن رثاب	حيّاً بعد ١٤٨
٣٤٥	منصور بن حازم البجلي	=
٣٢٢	فضال بن الحسن بن فضال	حيّاً قبل ١٥٠
٣١١	عبد الأعلى بن أعين، مولى آل سام	حيّاً نحو ١٥٠

الصفحة	الاسم	السنة
٣١٣	عبد الله بن بكير بن أعين	حيّاً حدود ١٧٥
٢٨١	إبراهيم بن سليمان بن داحة البصري	حيّاً نحو ١٨٠
٢٩٢	حديد بن حكيم الأزدي	حيّاً قبل ١٨٣
٢٩٥	الحسين بن نعيم الصحّاف	=
٣٠٩	الضحّاك، أبو مالك الحضرمي	=
٣٣٤	محمد بن حكيم الخثعمي	=
٣٥١	هشام بن سالم الجواليقي	=
٣٠٨	سليمان بن جرير الرقي	حيّاً قبل ١٨٧
٣١٩	علي بن منصور الكوفي، البغدادي	=
٣٢٤	الفضل بن أبي سهل النوبختي، أبو سهل	حيّاً قبل ١٩٣

فهرس متكلمي القرن الثالث

حسب وفياتهم

الصفحة	الاسم	السنة
٤٣٠	هشام بن إبراهيم الختلي، المشرقي	بعد ٢٠٠
٣٩٨	علي بن إسماعيل بن شعيب بن ميثم التمار	بعد ٢٠٢
٤٣٦	يونس بن عبد الرحمان	٢٠٨
٤١٧	محمد بن الخليل، أبو جعفر السكاك	بعد ٢٠٨
٤١٩	محمد بن أبي عمير زياد الأزدي	٢١٧
٤١٢	القاسم بن يوسف العجلي، الكاتب	نحو ٢٢٠
٣٧٥	الحسن بن علي بن فضال	٢٢٤
٣٧٣	الحسن بن علي بن أبي حمزة البطائني	بعد ٢٢٤
٤٠٣	علي بن الحسن الطاطي، الطاطري	حدود ٢٣٠
٣٨١	الحسين بن علي، أبو عبد الله المصري	بعد ٢٣٠
٣٩٦	علي بن أسباط	=
٣٩٠	عبد السلام بن صالح، أبو الصلت الهروي	٢٣٦

الصفحة	الاسم	السنة
٣٦٣	أحمد بن يحيى، أبو الحسين الراوندي	٢٤٥
٤١٠	القاسم بن إبراهيم الحسني، الرتي	٢٤٦
٤٢٥	محمد بن هارون، أبو عيسى الورّاق	٢٤٧
٤٠٧	فارس بن حاتم القزويني	بعد ٢٥٠
٣٩٢	عبد العظيم بن عبد الله الحسني	٢٥٢
٤٠٥	علي بن مهزيار	قبل ٢٥٤
٤٠٨	الفضل بن شاذان الأزدي	٢٦٠
٤٢٨	هارون بن مسلم بن سعدان الكاتب	نحو ٢٦٠
٣٥٧	أحمد بن الحسين بن سعيد الأهوازي	بعد ٢٦٠
٣٨٧	سهل بن زياد الأدمي	=
٣٨٩	عبد الرحمن بن أحمد بن جبرويه	=
٤١٥	محمد بن إسماعيل البرمكي	=
٤٢٢	محمد بن عيسى بن عبيد العبيدي، اليقطيني	=
٤٢٧	معلّى بن محمد البصري	=
٤١٦	محمد بن الحسين بن أبي الخطاب الهمداني	٢٦٢
٣٧١	الحسن بن زيد الحسني، الداعي إلى الحق	٢٧٠
٣٨٠	الحسين بن عبيد الله السعدي	حدود ٢٧٠
٣٦٢	أحمد بن أبي زاهر موسى الأشعري	بعد ٢٧٠
٣٧٨	الحسين بن إشكيب المروزي	=
٤٠١	علي بن الحسن بن علي بن فضال	=

الصفحة	الاسم	السنة
٣٦٠	أحمد بن محمد بن عيسى الأشعري	بعد ٢٧٤
٣٦٨	جعفر بن أحمد بن أيوب السمرقندي، ابن التاجر	حدود ٢٨٠
٤١٣	محمد بن أحمد بن يحيى الأشعري	=
٣٥٥	إبراهيم بن محمد بن سعيد الثقفي	٢٨٣
٤٢٤	محمد بن القاسم بن إبراهيم الحسني، الرتي	٢٨٤
٤٣١	يحيى بن الحسين بن القاسم، الهادي إلى الحق	٢٩٨
٣٨٣	داود بن أسد، أبو الأحوص	قبل ٣٠٠
٣٨٥	سعد بن عبد الله بن أبي خلف الأشعري	٣٠٠
الذين لم نظفر بوفياتهم		
في القرن الثالث		
٣٧٧	الحسين بن علي بن يقطين	حيّاً بعد ٢٠٣
٤٣٣	يعقوب بن نعيم، أبو يوسف الكاتب	=
٣٦٩	جعفر بن عيسى بن عبيد بن يقطين	حيّاً بعد ٢٠٨
٣٩٥	عبد الله بن محمد، أبو محمد الحجال	حيّاً قبل ٢٢٤
٣٦٧	ثبيت بن محمد العسكري	حيّاً قبل ٢٤٧
٤٣٤	يعقوب بن يزيد السلمي، الكاتب	حيّاً ٢٤٨
٣٥٨	أحمد بن الحسين بن عمر الصيقل	حيّاً نحو ٢٥٠
٣٥٩	أحمد بن داود، أبو يحيى الجرجاني	حيّاً قبل ٢٥٤

الصفحة	الاسم	السنة
٣٦٦	إسماعيل بن محمد المخزومي	حيّاً قبل ٣٠٠
٤٢١	محمد بن عبد الله بن مملّك	=
٣٨٢	الحكم بن هشام بن الحكم	...

